

محصلا اذتا
لحنه مصاملا وحا

THE GENERAL CHRONICALE
OF
MICHAEL THE SYRIAN
PATRIARCH OF ANTIOCH

TRANSLATED INTO ARABIC
BY
MAR GREGORIOS SALIBA SHAMOUN
METROPOLITAN OF MOSUL

PRINTED WITH AN INTRODUCTION
BY
MAR GREGORIOS YOHANNA IBRAHIM
METROPOLITAN OF ALEPPO

1996

SIDAWI PRINTING HOUSE
DAMASCUS - SYRIA



ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܥܝܪܐܩ

ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܥܝܪܐܩ ܕܥܝܪܐܩ ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܥܝܪܐܩ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܥܝܪܐܩ ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܥܝܪܐܩ
ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܥܝܪܐܩ ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܥܝܪܐܩ
ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܥܝܪܐܩ ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܥܝܪܐܩ
ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܥܝܪܐܩ ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܥܝܪܐܩ
ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܥܝܪܐܩ ܘܡܠܟܘܬܐ ܕܥܝܪܐܩ

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

ܘܨܘܪܐ ܕܡܚܘܪܐ ܕܡܚܘܪܐ

Church History:

Chronicles (ABC)

Beth Mardutho Library

ܘܨܘܪܐ ܕܡܚܘܪܐ ܕܡܚܘܪܐ
ܘܨܘܪܐ ܕܡܚܘܪܐ ܕܡܚܘܪܐ

ܘܨܘܪܐ

ܘܨܘܪܐ ܕܡܚܘܪܐ ܕܡܚܘܪܐ

ܘܨܘܪܐ ܕܡܚܘܪܐ ܕܡܚܘܪܐ

الإهداء

إلى :

الأقمار الثلاثة في سماء أنطاكية المجد والعطاء أحبار بيعة الله

مار اغناطيوس افرام الأول برصوم

و

مار اغناطيوس يعقوب الثالث

و

مار اغناطيوس زكا الأول عيواص

خلفاء صفوة بطاركة أنطاكية العالم والمؤرخ المشهور

مار ميخائيل السرياني الكبير

نهدي هذا السفر النفيس

غريغوريوس يوحنا

حقوق الطبع والنشر
محفوظة لدار ماردين - حلب
أقلامها وسلامها وحرفها
لهنح حصه فيها ومنوع



دار الرها
حصه فيها واحده



دار ماردين
حصه فيها ومنوع

اسم الكتاب :	تاريخ مار ميخائيل الكبير
المؤلف :	مار ميخائيل الكبير بطريرك أنطاكية
المترجم :	مار غريغوريوس صليبيا شمعون
إعداد وتقديم :	مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم
تنضيد وإخراج :	دار ماردين - حلب
الناشر :	دار ماردين - حلب
المطبعة :	ألف باء - الأديب - دمشق
الطبعة :	الأولى ١٩٩٦/٩/٥٠٠

ADDRESS :
MARDIN PUBLISHING HOUSE
P.O. BOX 4194 - ALEPPO - SYRIA
TLX : 331850 NAHRIN SY
FAX : 021 / 642260
OFF. 021 / 642210

المراسلات :
دار ماردين للنشر
ص.ب ٤١٩٤ حلب - سورية
تلكس : ٣٣١٨٥٠ نهرين
فاكس : ٠٢١/٦٤٢٢٦٠
خاص : ٠٢١/٦٤٢٢١٠

المادة المنشورة تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

مار ميخائيل السرياني الكبير

بظريك أنطاكية ١١٩٩+

غريغوريوس يوحنا ابراهيم

متروبوليت حلب

- ١ -

تمهيد

نشكر الله أولاً : لأنه ساعدنا وقوانا لنحقق إخراج كتاب تاريخ مار ميخائيل الكبير بظريك أنطاكية ١١٩٩+ بالطبع، بعد أن واجهتنا صعوبات كثيرة خلال السنوات الماضية حالت دون تحقيق هذه الأمنية الغالية. فلقد وضعنا طباعة هذا الكتاب في مقدمة أولويات منشوراتنا في دار ماردين - الرها، ولظروف صعبة مرت علينا تأخرنا في طباعته إلى

تاريخه. ونأمل أن نتحاشى في الطبقات التالية لهذا السفر التاريخي الهام الأخطاء التي سيراها القارئ في هذه الطبعة، وكما وجهنا النداء في كل منشوراتنا السابقة، كذلك نفعل هنا، أننا نطلب من القراء الأعزاء أن يزودونا بمقترحاتهم وآرائهم الصائبة. إن إمكاناتنا محدودة في الظروف الحالية، ونحن نبذل كل جهدنا في سبيل إثراء الفكر المشرقي بمطبوعات ومنشورات مهمة لنساهم بهذه اللبنة الصغيرة في بناء صرح الحضارة عامة، ونشعر دائماً بأن آراء القراء هي خير عون لنا.

ونشكر ثانياً : نيافة العلامة الحبر الجليل مار غريغوريوس صليبا شمعون رئيس أساقفة السريان الأرثوذكس في أبرشية الموصل وتوابعها، الذي زودنا أولاً بترجمة كتاب الأيام الستة، للعلامة مار يعقوب الرهاوي +٧٠٨، هذا الكتاب الذي هو من أجّل وأهم مؤلفات الرهاوي، وقد أغنت المكتبة العربية بالمعلومات المختلفة الواردة في صفحات هذا الكتاب. أما جهد نيافته في ترجمة كتاب تاريخ مار ميخائيل الكبير إلى العربية فيذكر ويُشكر. وإذا عرف القارئ بأن النسخة السريانية التي اعتمد عليها نيافته في ترجمة الكتاب تحتاج هي بالذات إلى عناية شديدة لفهمها وللتأكد من صحة المعلومات الواردة فيها، خاصة وأن الخطاط قد اخطأ في نسخه من المتن الأصلي، ولعدم معرفته اللغة السريانية معرفة جيدة ملأ الكتاب بالأخطاء النحوية أيضاً، عرف كم من الأوقات الصعبة امضاها نيافته في سبيل ترجمة دقيقة يعتمد عليها. لهذا نقدر جلد نيافة المترجم وصبره في نقل هذا الكتاب من السريانية إلى العربية، ونأمل أن يتفهم دورنا أيضاً في تأخرنا بإخراج الكتاب بالطبع للأسباب المذكورة أعلاه.

ونشكر أخيراً كل من رافقنا من المهتمين بنشر الفكر السرياني، والمتعطشين لقراءة ما تركه لنا الآباء والملافنة في حقل التراث، الذين رافقونا خلال المدة التي بدأنا فيها بتحقيق مشروع نشر التراث بالطبع، ونخص بالذكر العاملين معنا في الدار، لأن عملاً من هذا النوع يحتاج إلى

أناة وصبر عجبين، ونسأل الله أن يؤهلنا ويوفقنا للمضي في خدمة التراث بحسب الموهبة التي منحنا إياها.

- ٢ -

السريان والتاريخ

لقد تميزت الحضارة السريانية بعد ظهور المسيحية بنتاج فكري مسيحي النشأة، كنسي المصدر. وقد اجمع أغلب المؤرخين على أن : جدودنا حين اعتناقهم الدين المسيحي المبين وتذوقهم حلاوته ضحوا في سبيله بأغلى ما عندهم فأحرقوا كل الكتب والآثار المدنية والعلمية خشية أن توقع معالمها الوثنية أحفادهم في شرك التوثن.

ولكن أبناء هذه الحضارة بالذات ونسجاً على منوال السلف الصالح، جعلوا من العلم راية لهم في الحياة فتطرقوا في بحوثهم إلى الأدب بكل أبوابه، والعلوم بكل فروعها، وأغنوا المكتبة السريانية بدراسات شملت اللغة بما فيها من صرف، ونحو، ومعاجم، وشعر وأبوابه، والكتاب المقدس وشروحاته، والطقوس الكنسية وهي كثيرة بفروعها، من الموسيقى إلى قراءات الكتاب المقدس، وكتب الفرض الأسبوعي، والليتورجيات، والفناقيث، والحسايات، وطقوس العماد، وبركة الاكليل، وبقية أسرار الكنيسة، وكتب الرسامات، والجناز، وسفر الحياة، وكلندار الأعياد، ثم علم اللاهوت الذي تخصص فيه عدد كبير من العلماء وتركوا لنا مجلدات نشرنا بالعربية مؤخراً موسوعة العلامة مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري مفران المشرق ١٢٨٦+ المعروفة ب : منارة الأقداس. ثم الحق الكنسي، والشرع المدني، والفلسفة، والطب،

والعلوم الطبيعية، والفلك، والهيئة، والجغرافيا، والرياضيات، والكيمياء وغيرها من العلوم.

أما مادة التاريخ فلقد أبدع السريان في كتابتهم للتاريخ العام والخاص وضمن هذا الإنتاج هناك صفحات مهمة في قصص القديسين، وسير الآباء وحياة الشهداء، وأيضاً سير البطارقة والأساقفة والرهبان والنسك والعوابد وغيرهم. وفي كل هذه الكتب سرد لنواحي النشاط الفكري للتراث ونقل وتسجيل المعلومات التاريخية للمسيحية، ووصف مواقف الإنسان من الأحداث والكوارث والآثار والوثائق والمصادر. كل هذه الأمور تناولها المؤرخ السرياني بالأسلوب غير المتعارف عليه في أيامنا، إذ لا يمكن أن نقارن عملهم بما يصدر اليوم من مؤلفات تاريخية معتمدة على أسلوب علمي مميز. يقول في هذا الصدد البطريرك افرام برصوم الذي سجل لنا في مؤلفه القيم اللؤلؤ المنثور قائمة مهمة من مؤلفات المؤرخين السريان ما يلي :

وليس من الإنصاف أن نغلو نحن بمطالبة كتابهم بشرائط فلسفة التاريخ البحتة، وقد وُلدت بعدهم بدهر طويل، أما التمهيد فلم يقصروا فيه، وأما التعليل فلم تخلُ تواريخهم من طرف منه وإن كان ضئيلاً، وأما البحث في تطور الحضارة فهو من أعمال المعاصرين لنا وهم وحدهم مطالبون به. لأن الحضارة كانت عصرئذٍ في عنفوان أمرها ثم توسطت عمرها. والتواريخ السريانية على الجملة رصينة أمينة موثوق بها تستحق غاية الاعتبار، ومواضع النقد فيها يسيرة.

إن المجموعات التاريخية المتوفرة لدينا، - وبعضها ما زالت مبعثرة في مخطوطات سريانية - تتناول صفحة مهمة من تاريخ المنطقة، ويؤسفنا أن تكون بعضٌ منها مفقودة حتى الآن، منها : تاريخ مار يعقوب الرهاوي فبعد أن صحح مار يعقوب خرونيقون اوسابيوس المؤرخ عمل تاريخاً بدءاً من السنة /٢٠/ لـ قسطنطين الكبير حتى سنة

/٦٩٢/، وذكر هذه السنة يُشير إلى معلومات قيمة عن ظهور الإسلام والفتوحات العربية.

ولدينا اليوم بالإضافة إلى مجموعات تاريخية شتى بعض المؤلفات التاريخية المهمة التي نعتبرها من المصادر الحية لكتابة تاريخ المنطقة أهمها : تاريخ يشوع العمودي، وثلاثة مجلدات في التاريخ الكنسي ليوحنا الأفسسي، وتاريخ عام ديني مدني في أربعة أجزاء من بدء الخليقة إلى سنة /٧٧٥/ للراهب الزوقيني. وهذا الكتاب الذي هو بين يديك تاريخ مار ميخائيل الكبير، وتاريخ الرهاوي المجهول، ثم مؤلفات ابن العبري التاريخية بالسريانية والعربية وهي : تاريخ الزمان، وتاريخ مختصر الدول بالعربية، والتاريخ الكنسي وهو خاص بالبطاركة والمفارنة. وفي عصرنا الحديث زين المكتبة العربية بمؤلفات تاريخية البطريرك افرام برصوم خاصة : تاريخ الأبرشيات السريانية وهو مخطوط، وكتاب : اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، والدرر النفيسة في تاريخ الكنيسة، وكذلك البطريرك يعقوب الثالث ترك مؤلفات قيمة في التاريخ منها: الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية، وتاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية / جزءان. ولعلنا بحاجة إلى من يبحث في جذور مدارس التاريخ عند السريان، لأن دراسة وبحث الكتابة التاريخية عند السريان نشأة، وتطورا، ومنهجاً، قبل المسيحية وبعدها وتنوع صور المادة التاريخية منها : التاريخ العام، والتاريخ الخاص، الدنيوي والديني. يحتاج إلى دراسة منفصلة تلقي الأضواء على مادة التاريخ في حياة الشعب السرياني ودورها في تقدم بقية العلوم والآداب والمعارف.

مار ميخائيل الكبير

مصدرنا عن حياة البطريرك ميخائيل الأول بكل اللغات قليلة جداً، وما كتب عنه خاصة باللغات الأجنبية يتناول معظمه تاريخه المعروف بتاريخ مار ميخائيل الكبير، فلقد عرف هذا الكتاب كل من : Haase (F.) و Guidi (I.) و Dobschuetz (E.von) و Chabot (J.B.) و Nau (F.) و Voste (J.M.) ونقل المعلومات التالية من كتاب :

CATALOGUE OF SYRIAC

PRINTED BOOKS AND RELATED IN THE BRITISH MUSEUM

- *Chronique de Michel le Syrien, Patriarche jacobite d'Antioche, 1166 - 1199. Editee Pour la premiere fois et traduite en francais par J.-B. Chabot, 3 tom. Paris, 1899 - 1924. II 3 / 8 × 9 in.*

The Syriac text is reproduced in facsimile.

- *Չամակագրութիւն Տեառն Սորուոցի*
[Չամակագրութիւն Տեառն Սորուոցի, etc. [Zamanakagrout " iun Tearn Mikhayeli Asoruoc " Patriark'i. A general chronicle from the creation down to A.D. 1196. To which is added the same author's unfinished treatise on the priesthood. Both translated into Armenian by the Vardapet Ishokh.] pp. xv. 526, 104. [Jerusalem,] 1871. 7 × 4 1 / 4 in.

- 'Նորին Տեառն Սիսայելի Ասորիոյ յաղագս
 .քաջանայու. [ժեռն [Norin Tearn Mikhayeli Asorioy yalags
 k'ahanayout'ean. A treatise on the priesthood. An
 unfinished work, translated into Armenian by the
 Vardapet Ishokh.] pp. 45. See above:
 [Zamanakagrout'iun, etc.]. 1871. 7 × 4 1 / 4 in.

- Chronique de Michel le Grand, patriarche des Syriens
 Jacobites... sur la version armenienne du pretre Ischok par
 V. Langlois. pp. 378. Venise, 1868. I I 3 / 4 8 in.

- Extrait de la Chronique de Michel le Syrien, comprenant
 l'histoire des temps ecoules depuis l'annee VIII du regne de
 l'empereur Justin II Jusqu'a la seconde annee du regne de
 Leon III, l'Isaurien - 573 - 717 de J.C. -; traduit de l'par
 M.Ed. Dulaurier. tom. I2. pp. 281 - 334; tom. I3. pp. 315 -
 76. Paris. 1848 - 9. 8 5 / 8 × 5 1 / 2 in. [Journal Asiatique. ser.
 IV. tom. 2 - 13.]

- Les Eveques jacobites du VIII au XIII siecle d'apres la
 Chronique de Michel le Syrien [in the French transltion of
 J.B. Chabot.] vol. 4. pp. 444 - 51; 495 - 511; vol. 5. pp. 605
 - 36; vol. 6. pp. 189 - 220. Pari, 1899 - 19. 9 5 / 8 × 6 1 / 4 in.
 [Revue de l'Orient chretien. vol. 4 - 6]

أما بالسريانية فمار ميخائيل نفسه كتب سيرة حياته وجهاده في
 تاريخه المذكور، وما ينقصنا في هذا التاريخ عنه نجده في مؤلفات العلامة

مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري ١٢٨٦+ وخاصة ما ورد في تاريخه الكنسي. كذلك نجد معلومات أخرى في تاريخ الرهاوي المجهول.

وُلد ميخائيل الذي يُعرف بـ : الكبير للأعمال الخطيرة التي أتت بها خلال خدمته أو السرياني في مدينة ملاطية الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات، وكانت واحدة من أمهات المراكز السريانية. وُلد في عام /١١٢٦/ من عائلة يسميها ابن العبري آل قنداسي وكان أبوه كاهناً معروفاً باسم القس ايليا آل قنداسي، وكان عمه اثناسيوس زكا مطراناً لمدينة عين زربة أو أنازربة وكانت مدينة في قيليقية واقعة على نهر جيحان.

انتسب ميخائيل إلى دير مار برصوم الشهير الذي صار كرسيًا بطريركياً منذ القرن الحادي عشر وحتى الثالث عشر حيث انتقل الكرسي إلى دير الزعفران، وفي دير مار برصوم وبعد أن تخرج في مدرسته رُسم كاهناً هناك ثم أقيم رئيساً للدير لمدة عشر سنوات. في سنة /١١٦٥/ عرض عليه البطريرك اثناسيوس الثامن مطرانية آمد فرفض الربان ميخائيل هذا العرض، وبقي مستمراً في خدمته رئيساً للدير حتى سنة /١١٦٦/، حيث توفي البطريرك فاجتمع المطارنة في دير فسقين الواقعة على الضفة الفرات في مكان غير بعيد عن مدينة ملاطية. وبعد مشاورات ومداومات لانتخاب بطريرك جديد قرّر رأيهم على الاقتراع لثلاثة أسماء وهم : الربان غالب الشيخ، والربان سهدا من جبل الرها، والربان ميخائيل رئيس دير مار برصوم، وذلك بعد قداس عيد العنصرة وتلاوة صلوات الفرض. فكان الربان ميخائيل الفائز بينهم، ولكن حتى بعد إجماع الآراء على انتخابه بطريركاً للكرسي الرسولي الأنطاكي، أبى الربان ميخائيل قبول هذا المنصب الخطير نظراً للظروف الصعبة والمشاكل المعقدة السائدة في الكنيسة يومئذ. وعندما رضي اشترط على المطارنة أن يعاهدوه على التقيد بقوانين البيعة فلم يطاوعه جميع الأساقفة بل عارضه بعضهم فنهض مار ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي مطران آمد

/١١٧٢+ / وأحد شُرَاح العهدين القديم والجديد المشهورين وألقى خطبة أثرت كثيراً في المطارنة جاء فيها :

إننا منذ سنين طويلة نحن وآباؤنا ذوو الذكر الطيب نشعر بنخس الضمير الذي يمزقنا، لأننا لا نسير بموجب القوانين الجمعية التي سنّت لاستتصال الضلال وسوء الاستعمال وإصلاح شؤون الطائفة. والآن بعد أن حرك الله خيرة من اختير راعياً علينا ليعيد رونق القوانين الأبوية فهل يسوغ لنا أن نقاوم إرادته. الحق أقول لكم كل من لا يطاوع فهو ابليس.

فرضي الأساقفة بمعاهدة البطريك على التقيّد بقوانين الكنيسة واحتفلوا بتتصيبه عام /١١٦٦/ في حفلة كنسية نادرة. وذكر البطريك مار ميخائيل أن /٢٨/ مطراناً حضروا رسامته، ويقول ابن العبري أن عددهم كان /٣٣/ مطراناً. بعد تتصيبه ارسل مار ميخائيل صورة ايمانه إلى أخيه في المعتقد الأرثوذكسي البطريك الاسكندري طالباً منه يمين الشركة بحسب العادة الجارية بين الكرسيين الأنطاكي والاسكندري. ثم توجه إلى دير حننيا وهو دير الزعفران الذي اتخذه مقراً للكرسي الأنطاكي - بقي كذلك حتى سنة /١٩٣٣/ حيث نُقل إلى مدينة حمص، وفي سنة /١٩٥٩/ نقل بقرار مجمعي إلى مدينة دمشق وما زال - وفي دير الزعفران سنّ البطريك مار ميخائيل /٢٩/ قانوناً، ثم قام بجولة رعوية في الأبرشيات السريانية في كلِّ من سوريا وفلسطين، والتقى بطريك اورشليم وبطريك اللاتين الساكن في أنطاكية ومكث سنة في أنطاكية قبل أن يعود إلى دير مار برصوم حيث عقد مجمعا سنة /١١٦٩/.

وفي زيارته الرعوية الأخرى لكل من أنطاكية واورشليم لقي احتراماً وإجلالاً من بطاركة الاسكندرية واللاتين والأرمن، ورفض الاتحاد مع البيزنطيين لأسباب سياسية كما سيمر معنا، وبقي يخدم مدة /٣٣/ سنة بهمة عالية، وإدارة حكيمة، حتى نقله الله إلى جوار أسلافه من

الأخبار العظام في دير مار برصوم في /٧ تشرين الثاني ١١٩٩/. ويقول
البطريك افرام برصوم في مار ميخائيل أحد أسلافه الميامين :
من أخبار بيعة الله العظام وصفوة بطاركة أنطاكية، العالم
والمؤرخ المشهور، الخالد اسمه، الجميل سعيه، المحمود طرائقه،
الذائعة فضائله، الصالحة أعماله... كان مهيب الطلعة، وسيماً، رخيماً
الصوت، بعيد الهمة، حسن الخط، يشتغل في نهاره في النظر في مصالح
البيعة ونسخ نفائس الكتب، وليله في تحبير الرسائل، وكتب بالقلم
الاسطرنجيلي انجياً على رق وشى صفحاته بماء الذهب والفضة وجلده
بالفضة.

لقد عاش مار ميخائيل في جو سياسي مضطرب فكانت الدولة
العباسية تحتضر، لأن الضعف كان قد تفشى في مختلف أرجائها، وكان
الصلبيون يواصلون احتلالاتهم، وقد عانى المسيحيون كثيراً في هذا
الشرق على أثر حملات الصليبيين. وكتب مار ميخائيل السرياتي الكبير
في تاريخه عن شعوره وهو يشاهد الأحداث الأليمة الحاصلة في المنطقة
بعد احتلال القدس، يقول في تاريخه :

إن الكلام لعاجز عن التعبير عن جميع الإهانات والمذلات
والاحتقار التي أصابت الشعب المسيحي المضطهد في دمشق، وحران،
وآمد، وماردين، والموصل، وفي سائر أنحاء المملكة.

وتحمل مار ميخائيل الكثير من بعض المطارنة وخاصة من
المطران يوحنا القالونيقي الذي عزله في سنة /١١٧٤/ فحرض حاكم
ماردين وأمير الموصل على البطريك. وعانى كثيراً أيضاً من الأسقف
المتنرد تاودروس بن وهيون المنطي الذي حاول اختلاس البطريكية،
ورسمه أربعة من المطارنة المطرودين بطريركاً دخيلاً باسم يوحنا عام
/١١٨٠/ في ديار بكر، والذي حاول بعد فشله أن يختلس المفريانية بعد
وفاة المفريان يوحنا. ولم تنته هذه القلاقل التي اضطرت البطريك علي

الاستقالة إلا بعد وفاة ابن وهبون حيث تخلصت الكنيسة من شره. وأشار إلى هذه الأحداث بشكل مفصل المؤرخ الرهاوي المجهول نقلها هنا عنه.

لقد تناول الرهاوي المجهول بعض هذه الأحداث المؤلمة في تاريخه، ولكن نظراً لوجود صحائف مفقودة لهذه المرحلة بالذات نرى أن بعض الأخبار عن البطريك ميخائيل وأيامه غير واردة، والمتوفر منها يبدأ في سنة /١٦٧٧م/ وهي السنة التي فيها تم تنصيب البطريك مار ميخائيل. ففي هذه السنة يذكر الرهاوي المجهول بأن مار ميخائيل رحل من ماردين إلى الرها في زيارة رسولية فاستقبل بحفاوة كبيرة وإكرام بالغ وكان مطران الرها يومئذ باسيليوس شومنه. ومن الرها توجه البطريك إلى اورشليم حيث أمضى عيد القيامة، وفي السابع من أيار من السنة عينها عاد البطريك من اورشليم ووصل إلى أنطاكية ودخلها باحتفال مهيب وإكرام لا يوصف، وادخله الفرنج إلى كنيسة بطرس الرسول وجلس على السدة البطرسية الموجودة في كنيسة قسينا في الجهة الجنوبية، ومكث البطريك فيها الصيف كله ورسم في هذه السنة في أنطاكية أساقفة كثيرين. وأمضى الشتاء أيضاً في أنطاكية وأقام فيها عيد الفصح ثم غادرها في مستهل حزيران.

ويحدثنا الرهاوي المجهول أنه في تموز سنة /١٦٩٩م/ ذهب البطريك إلى دير مار برصوم وعقد مجمعاً اتخذ فيه قراراً بإقصاء أسقف جيحان عن منصبه، وفي سنة /١٧٠٠م/ انتقل البطريك مار ميخائيل إلى دير مار حنانيا في منطقة ماردين، وفي حزيران سنة /١٧١١م/ عقد مجمعاً وجه فيه لوماً إلى أساقفة كثيرين ورسم ايوانيس أسقفاً لسيبابرك، كما رسم أخاه صليباً من رهبان دير مار برصوم مطراناً على ماردين وسماه اثناسيوس.

وفي سنة /١٧٢٢م/ انتقل إلى الخدور العلوية العلامة المطران مار ديونيسيوس ابن الصليبي وأبّنه مار ميخائيل الكبير بكلمة بليغة.

وبعد أن مكث البطريرك وقتاً في ماردين عاد إلى دير مار برصوم، وفي سنة ١٧٣م/ استقبل رسولاً من ملك بيزنطة عماتونيل وكان اسم هذا الرسول كريستوفورس وكان يحمل رسائل تدعو إلى السلام وتطلب إلى البطريرك أن يُقيم وحدة مع البيزنطيين. وجواباً لرسالته كتب رسالة مطولة تضمنت التحديد الحقيقي للايمان الأرثوذكسي. وكتب أيضاً جواباً على رسائل الملك وكان رسوله إلى الملك تلميذه الراهب تيودوروس الذي لم يصل إلى البلاط الملكي، لهذا ذهبت الرسائل بصحبة رسول الملك كريستوفورس ولم يوافق الخلقيدونيون على الايمان الأرثوذكسي حسب ما ورد في رسالة البطريرك، لهذا لم تؤثر آراؤه كثيراً. وهذا تيودوروس هو الذي اتعب البطريرك في حياته. فرغم أنه جاء إلى دير مار برصوم بواسطة البطريرك وهو الذي جعله كاتباً وأميناً له، ورغم أنه كان موهوباً وضليعاً في الكتب، ومتبحراً في المعاني، ولكنه كان مفتقراً إلى مخافة الله، ولم يكن يخاف من الدينونة، وكان معجباً بنفسه وفخوراً بعلمه.

أما رسالة البطريرك التي حدد فيها الايمان الأرثوذكسي فإنها تبين انفتاح البطريرك على الآخرين وفي الوقت نفسه تؤكد تمسكه الشديد بايمان الآباء فهو يقول : بأننا لم نهتم بإفاد رسول وجواب رسائل إلى الملك وإلى جميع الخلقيدونيين لغرض آخر سوى أن نظهر استقامة ايماننا.

ويحدثنا أيضاً الرهاوي المجهول عن الخصام الذي وقع بين البطريرك والمفريان يوحنا السروجي، ويقول بأنه وقع خلاف بينه وبين البطريرك لسبب ما بفعل أناس ناميين. ثم توجد صفحات ناقصة في التاريخ المذكور، وبعدها رد على التهمة التي ألصقت بمار ميخائيل لكونه اختار ابن أخيه غريغوريوس يعقوب مفريانا، وما حصل بعد ذلك من خلاف بينه وبين أساقفة المشرق، خاصة معارضة ابن ماسح الذي رشحه للمشاركة لمنصب المفريانية. وكيف ألتحق ابن وهبون بابن ماسح ونادوا

بالأول بطريركا بصورة غير شرعية. وكلها صفحات مؤلمة دخلت في تاريخ الكنيسة في عهد مار ميخائيل الكبير.

وينقل لنا الرهاوي المجهول جزءاً من وصية البطريرك ميخائيل الكبير في نهاية حياته وقد سلم هذه الوصية إلى المفريان غريغوريوس نقلها كما وردت في ترجمتها العربية :

إني استحلفك بالله الحي ألا تتجاوز على أحد هذه الأمور التي كتبتها في هذه الوصية، بل أن تدبر الكنائس والأديرة بأمانة، وأن تعطي كل واحد حسب وصيتي. وإذا كنت بعيداً في وقت موتي، فهو ذا قد وضعت أمراً ومنعاً صارماً في الوصية ألا يُفتح باب قلّيتي إلى أن تصل. وطلب من المفريان بأن يزوده بصلواته الأبوية. أما البطريرك فلم يصل عليه باللسان فحسب، بل أضاف أيضاً صلوات أبوية كتابة أيضاً. وحسن لي أن انقل ههنا صورة هذه الكتابة :

ميخائيل الشيخ الضعيف، بنعمة الله بطريرك الكرسي الرسولي الأنطاكي، عبد يسوع المسيح إله الكل، الذي برحمته ونعمته تلقى ابني بالروح وابن أخي بالجسد، يعقوب ابن العزاء، تربية مقدسة منذ نعومة الأظفار إلى اكتمال العمر. وإذ ذاك شاء الروح القدس بأحكامه التي لا تفحص، كما هو معتاد أن يختار من يشاء، فاختره لرئاسة الكهنوت في الكنيسة، وفيها رسم على يدي حقارتي وأقيم رئيس أساقفة للمنطقة الشرقية، وأعلن اسمه غريغوريوس. وشيناً فشيناً، حسبما قيل في الكتاب المقدس، كما أن النار المضطربة في مادة صالحة تزداد لهيباً وتبهج كل الناظرين إليها، كذلك الروح القدس أيضاً، حينما أضاء قداسه في طبيعة ظاهرة، لم ينر ضياء علمه في المشرق رعيته حسب، بل في الغرب والشمال والجنوب أيضاً. وكانت الحكمة والنعمة الإلهية وحلاوة علمه اللذيذ يُذهل كل السامعين / بنطق اللسان وبالكتابة، حتى أن الجميع، ليس الأصدقاء والمحبون حسب، بل الغرباء أيضاً وكل الشعب، اعترفوا وشهدوا بأن ذلك الانتخاب حقاً ليس من الإنسان ولا بواسطة إنسان، إنما هو من المسيح الإله الذي ميزه منذ الأحشاء، مثل صموئيل

وسائر المختارين، وأقامه في عصرنا الغارب وحده عموداً في كنيسة بنعمته. إذن أنا الشيخ الواهي، إذ امتلأت نفسي المتضايقة تعزية عظيمة بخبر انتصاراته، اشتقت إلى رؤيته المقدسة قبل انحلال حياتي المليئة بغصات هذا العالم. ولذا فإني استدعيت هذا الصفي باهتمام، فجاء عندي. فشكرت واشكر الرب الذي منه تنحدر كل عطية صالحة وكل هبة كاملة، كما علم يعقوب الرسول الإلهي. فمجدت (الله) بدموع حري، وأنا اعترف بأنني لست قادراً على أداء الشكر كما ينبغي على موهبة كهذه التي بها حلت النعمة على ابني هذا، الذي اعطيه بركاتي القلبية باللسان وبهذه الكتابة التي سطرتها يدي الهرمتان، وأنا واثق من أن الرب يضيف له المواهب دوماً، ومع بركاتي يكمل وينجز له كل الخيرات والنعم. لأنه أيضاً....

أما كتابات مار ميخائيل فهي كثيرة ومعظمها نثرية يقول عنها ابن العبري في تاريخه الكنسي : إن ميخائيل ترك مصنفات عجيبة لكنيسة الله. وله دور هام في موضوع الطقوس، فبعد عهد مار يعقوب الرهاوي +٧٠٨ جاء مار ميخائيل ينظم الطقوس. وفي مكتبة باريس مجلد حسايات شتوية تحت رقم /١٦٧/ من تقديس البيعة إلى العنصرة بخط البطريرك مار ميخائيل، ونسخة لأقدم مخطوطة للرسامات في مكتبة باريس أيضاً عدد /١١٣/.

وجاء أيضاً في مخطوط سرياني قديم ما يلي :
لما كانت رتب هذه الفروض الإلهية التي يباشرها الأحرار والكهنة في بيعة الله مثبتة في مخطوطات قديمة مختلفة عن بعضها بزيادة ونقصان عني سيدنا مار ميخائيل الكلي الطوبى بجمع ما كان منها محققاً ومدققاً متتبِعاً الأسرار المقدسة بكل وضوح وجلاء وفقاً للناموس الإلهي الذي وضعه الروح القدس نفسه بواسطة الرسل المختارين والآباء القديسين. يكون هذا الكتاب بعون الله الذي نرجو منه حسن ختامه - بمثابة كنز نجد فيه كل ما يحقق الأمانى مما نحتاج إليه (في

خدمة الفروض الدينية) من غير زيادة ولا نقصان. ومن شاء أن تكون لديه نسخة للرتب مدققة فلينسخ عن هذا الكتاب ما ينشده ويرغب فيه بحيث يتوحد نظام كل رتبة من هذه الرتب رويداً رويداً في جميع كنيسة الله لأنني كما أرى ويرى الكثيرون أن الأفضل بهذه الرتب المتصلة إلينا بالتقليد أن يكون لها نظام واحد بالأولى من أن تبقى متفرقة بأنواع مختلفة.

أما شعره فهو جيد وقد عدّه البطريرك برصوم ضمن الطبقة الثالثة من الشعراء السريان. وهذه هي مصنفاته :

١- كتاب التاريخ الديني المدني العام ويبدأ من أول الخليقة حتى سنة /١١٩٣/.

٢- دستور ايمان وضعه في أنطاكية وارسله إلى القيصر عمانوئيل الأول /١١٦٩/.

٣- مقالة في سيرة ومناقب العلامة ابن الصليبي ومصنفاته ومآثره (مفقودة).

٤- نافورة مطلعها : اللهم يا ضابط الكل هذا لك اسب صلا.

٥- قوانين مختلفة وضعها في المجامع التي عقدت برئاسته منها /٢٩/ قانوناً سنّها في دير مار حننيا، و/١٢/ قانوناً وضعها سنة /١١٧٤/، وبعضها ضمها ابن العبري إلى كتاب الهدايات ٥٥٥م NOMOCANON.

٦- خطب في بعض الأعياد والآحاد.

٧- حسابتان إحداهما لمار برصوم.

٨- قصيدة خماسية في قضية الفتاة التلعفريّة. وقصيدتان الأولى : في

مآثر يوحنا مطران ماردين، والثانية : في مدح القديس برصوم. وله

أيضاً توصية كتبها إلى ابن وهبون حينما أوفده لمناقشة رسول الروم

عام /١١٧٢/، ومقالة نقض بها بدعة الالبيجيين، ونقح قصة مار

ابحاي الأسقف الناسك، ومقالة أخرى في أضاليل مرقس ابن قنبر

القبطي، وغيرها من النبذ التي فُقدت مع مرور الزمن خاصة تأبينه

لابن الصليبي، ومقال في الإدارة الكنسية. ويأتي تاريخه في مقدمة ما تركه لنا بطريركنا العظيم مار ميخائيل الكبير.

- ٤ -

مار ميخائيل الكبير وابن العبري

لقد اعتمد العلامة مار غريغوريوس يوحنا ابن العيري مفران المشرق ١٢٨٦+ في كتبه التاريخية على ما أورده مار ميخائيل الكبير في تاريخه المذكور. ففي تاريخ الزمان الذي نُشر بالعربية في طبعة ثانية جميلة قبل عشر سنوات يستشهد ابن العبري في كثير من الأحداث التاريخية بأقوال مار ميخائيل الكبير، ونذكر هنا بعضاً منها :

ففي حادثة زحف سيميون زعيم البلغار والصقالبة إلى القسطنطينية وإتلافه قرى جمّة ومحاصرة العاصمة، يقول ابن العبري أن ملك الروم سير إليه قائلاً : علامَ هذا الخلاف بيننا ونحن بأجمعنا مسيحيون أبناء معمودية واحدة ؟ وعندما لم يقتنع سيميون حشد الملك قسطنطين الأسرى العرب الذين في القسطنطينية وزحف الروم والعرب معاً باتفاق تام وتغلبوا على الصقالبة وقتلوا الكثيرين منهم وهزموا البقية. فبينما تؤكد التواريخ العربية بأن هذه الحرب جرت بين الروم والصقالبة وهذا هو الصحيح حسب رأي ابن العبري نراه يقول : على أن البطريرك ميخائيل المغبوط أورد في تاريخه أن هذه الحرب وقعت بين الروم والعرب.

وعندما يسرد تاريخ بدء الدولة السلجوقية في فارس يعتمد ابن العبري كلياً على ما أورده مار ميخائيل في تاريخه، يقول ابن العبري :

في السنة /١٣٤٧/ لليونان /١٠٣٦م/ برز قوم من الهونيين أو الغزّ ومعهم أمراء سلجوقيون من هرقانة مدينة بأرض الخزر شمالاً. وقد كتب عنها بالتفصيل مار ميخائيل البطريرك القديس قال : هم بنو ماجوج بن يافث بن نوح.

ثم يرد ذكر مار ميخائيل على لسان ابن العبري كما يلي :
أما ما ذكره الشيخ المغبوط البطريرك ميخائيل عن كلب كان يهديهم مذ غادروا وطنهم فلم يعثر عليه في غير تاريخه. ولعله نقل الخبر عن السماع أو عن تاريخ لم نظفر به نحن لأننا لم نطالع التواريخ بأجمعها.

وتناول ابن العبري جزءاً من تاريخ دير مار برصوم الشهير وكيف أنه اجتمع ثلاثمائة لص أرمني بقيادة خزريج وأخذوا يكمنون في جبال ملاطية ويغزون بلد جوباس وقلوديا وينهبون الأديار، يقول ابن العبري : أن الرهبان بنوا برجين عاليين وبعد اثنتين وثلاثين سنة بنوا برجاً ثالثاً ما بينهما، وفي السنة /١٤٧٥/ لليونان /١١٦٤م/ شيّد البطريرك ميخائيل المغبوط البرج الجنوبي وحصن الدير العالي.

وفي عهد رومانوس ديوجنيس خلف قسطنطين دوقاس ملك الروم وقع خلاف بينه وبين الخليفة الذي استطاع أحد العبيد اعتقال الملك ديوجنيس، ثم خبر هذا الاعتقال بالتفصيل. وفي نهاية الخبر يقول ابن العبري : هكذا رأينا هذا الخبر في نسختين إحداهما عربية، والثانية فارسية. غير أن البطريرك ميخائيل المغبوط ذكر أن ابن أخت السلطان هو الذي قبض على الملك وأن رجلاً كردياً وثب فقتله وأوثق الملك كأنه هو الذي أحرز الغلبة وأن السلطان لما سأل الملك ما كانت نيتك أن تصنع بي لو وقعت بيدك ؟ وأن ديوجنيس قال له : كنتُ احرقك بالنار.

وهنا نرى ابن العبري في شك من أمر هذا الخبر، فحسب رأيه أن عبارة كهذه (كنتُ احرقك بالنار) لا يُعقل أن يقولها ملك لملك. وأن رجلاً

كردياً لا يتيسر له أن يقتل ابن أخت السلطان ويخطف الملك من يده، لأن الكردي كان يخشى أن يفضح كذب الملك.

مرة أخرى نرى ابن العبري غير مقتنع بخبر تاريخي ورد في كتاب تاريخ مار ميخائيل، ففي سرده لحوادث تاريخية جرت سنة /١١١٨/ للميلاد يبيّن بأن الحلبيين استغاثوا بالأمير ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين فحشد سبعة آلاف تركي وأقبل يناوش الفرنج ثم كسرهم وقتل رجير صاحب أنطاكية في المعركة وانهزم سائر الفرنج إلى أنطاكية، فيقول ابن العبري : وذكر البطريك ميخائيل المغبوط أن غازي بن دنشمند هو الذي كسر الفرنج وقتل رجير، ولعل تشابه الاسمين أوقعه (أي مار ميخائيل) في الخطأ و الغلط. وفي نفس التاريخ يبيّن ابن العبري بأن مار ميخائيل قد اخطأ في روايته عن موت الخليفة المستظهر وخلفه ابن المسترشد بسبب اختلاف سير أعوام العرب القمرية وأعوام اليونان الشمسية.

ويعود ابن العبري ليستشهد بالبطريك مار ميخائيل الكبير عند حديثه عن أيس المعين صاحب دمشق الذي ارسل سرا إلى ملك اورشليم وخدعه بالكلام والذهب وقدم له مائتي ألف دينار من نحاس ملطوخة بذهب مصري. وارسل كذلك إلى صاحب طبرية خمسين ألف من الذهب المزيف وقد اطلع الفرنج على ذلك وأدركوا الخيانة وهنا يقول ابن العبري: على أني طالعت خمسة كتب عربية لم أعر على حكاية هذا التزييف غير أن البطريك ميخائيل المغبوط ذكرها في تاريخه.

ويظهر أن ابن العبري كان دقيقاً جداً في ذكر السنوات حتى ولو كان الفارق سنة واحدة. ومن باب الحقيقة التاريخية يؤكد ابن العبري في تاريخ الزمان بأن الفرنج احتلوا عسقلان عام /٥٤٨/ للعرب أي في السنة /١١٦٥/ لليونان /١١٥٤/ ميلادية لكن البطريك مار ميخائيل - يقول ابن العبري - ذكر ذلك في السنة /١١٥٣/.

ومن الطريف أن ابن العبري ينقل خبر زلزلة عنيفة جداً وقعت يوم الاثنين المصادف في / ٢٩ حزيران / و / ١٢ شوال / سنة / ١١٦٩ /، اهتزت لها الأرض اهتزاز سفينة في البحر مما لم يسمع له مثيل في العصور الغابرة، ونقل هذا الخبر عن البطريرك ميخائيل المغبوط الذي كان شاهد عيان لهذه الزلزلة المرعبة، يكتب ابن العبري :

كنا واقفين في هيكل دير مار حنانيا (الزعفران) نتلو صلاة الصبح يوم عيد القديسين بطرس وبولس فسمعنا بغتة صوت رعد قوي وسقطنا على وجوهنا أمام المائدة المقدسة وتشبثنا بها ونحن نميل هنا وهناك. وبعد مدة طويلة أفقتنا كمن يفيق من القبر وانتبهنا انتباه من ينهض من رقاده. وتدرجت الدموع من عيوننا وأطلقنا الألسنة بالشكر والتسبيح لله تعالى.

ويستطرد ابن العبري فيما خلفته هذه الزلزلة من نكبات وخسائر مادية وخراب لكنائس في مناطق مختلفة من هذا الشرق على النحو التالي:

... وسقطت في تلك الزلزلة أسوار حلب وبعبك وحماه وحمص وشيزر وبغراس وجميع حصونها ودورها واتلفت أهاليها. واجتاحت بيعة اليونان الكبرى بأنطاكية ومذبح بيعة القسيان وهي للفرنج وقد أشفق الرب الرحيم على بقية شعبنا وتعطف على ذلنا نحن الذين لم يبق لنا ملك ولا حاكم منّا. على أن حلب كلها سقطت سوى كنيسةنا وقس عليها ثلاث : كنائسنا في أنطاكية وهي كنيسة والدّة الله، وكنيسة مار جرجس، وكنيسة مار برصوما. ثم كنيسةنا الصغيرة في جبلة، وكنيسةنا في اللاذقية. ذلك تمجيداً لله عزّ وجلّ وتشجيعاً للخصاصة المتبقية من شعبنا القويم المعتقد. وقد استغرقت مناوبة الزلزلة خمسة وعشرين يوماً.

وعندما يتحدث ابن العبري عن نور الدين الزنكي يقول : بأن البطريرك مار ميخائيل الكبير شبهه بـ مردخاي!!

وابن العبري هو واحد من المؤرخين الذي يستشهد ب : كتاب تاريخ مار ميخائيل الكبير، ولكن رغم الفارق الزمني البسيط بينهما يعتبر ابن العبري كتاب تاريخ مار ميخائيل الكبير من أهم المصادر التاريخية في مواضيع مختلفة، دون أن يقر بأنه يوافق على كل ما ورد فيه.

- ٥ -

الختام

إن مخطوطة مار ميخائيل الكبير بالسريانية موجودة في نسخة فريدة في مكتبة كنيسة مار جرجس في حي السريان، وهي بخط المطران ميخائيل العوربيشي وانجزها يوم كان راهباً عام ١٥٥٨م/، وهذه المخطوطة ليست معروفة من قبل المستشرقين والمؤرخين. وقد أضاف عليها بعض الأوراق في السنوات الأخيرة نيافة سلفنا المثلث الرحمات المطران مار ديونيسيوس جرجس القس بهنام. وكانت أمنيته أن تكتحل عيناه برؤية الترجمة العربية لهذا التاريخ، ولكن وفاته حالت دون ذلك. وأود أن انقل إلى القراء حادثة وقعت لي في شيكاغو في إحدى زياراتي للولايات المتحدة الاميريكية، فلقد أردت أن أزور المستشرق الكبير آرثر فوبس وقد عرفته وأنا شماس في الموصل وساعدته في تصوير مخطوطات سريانية كثيرة في كل من مكتبة الموصل ودير مار متى بتوجيه من نيافة مار سويريوس زكا (قداسة سيدنا البطريك)، فعندما دخلت إلى مكتبه وجدته شاحب الوجه، نحيف الجسم، يكاد لا يتحرك بسبب المرض الذي أصابه في أواخر أيامه. فرحّب بي بالسريانية قائلاً : **حەمە!** **حەمە!** أهلاً وسهلاً مار غريغوريوس. ثم سألني هل ما زالت عادة فتح الصندوق الحديدي في مرعيث مار جرجس لرؤية مخطوط تاريخ مار ميخائيل كما كانت في عهد سلفك. فقلت له : نعم. فقال: بسبب وجود مفتاحين واحد لدى الوكيل، والآخر لدى مطران

الأبرشية وبعد اجتماعهما لا يمكن فتح الصندوق، لم تكتحل عيناى برؤية هذه المخطوطة النفيسة.

أما النسخة التي نشرها بالتصوير الضوئي المستشرق الأب يوحنا شابو في باريس سنة /١٨٩٩/ للميلاد فهي نسخة عن الأصل وهي بخط آخر، ولا نعتقد أن أحداً عارض النسخة الأصلية بهذه النسخة حتى تاريخه. وليس لدينا دليل بأن أخطاء نسخة الأب شابو موجودة كما هي في النسخة الأصلية. وقبل أن يكتشف الأب شابو هذه النسخة كان الغرب يعتمد على النسخة الأرمنية المختصرة التي نقلها من السريانية إلى الأرمنية القس يشوع ابن الشماس يعقوب آل توما الشرقي من مواليد حسن كيفا سنة /١٢٤٥م/ بناء على طلب قسطنطين الأول جاثليق الأرمن. وأصلح هذه الترجمة وطبعها في اورشليم الراهب وارطان ونقلها لنكلوا إلى الفرنسية ونشرها. وقبل الترجمة العربية لنيافة المطران مار غريغوريوس صليبيا شمعون سبق أن نقل الكتاب يوحنا شقير الصدي مطران دمشق إلى العربية الملحونة عام /١٧٥٩م/ ولهذا النقل خمس نسخ في مكتبة دير الزعفران، وصدد، وأمد، ودير مار مرقس، ولندن. وقد جرت محاولة في السنوات الأخيرة لتنقيح اللغة العربية في نسخة صد جرت ونشرها ولم يتم ذلك، وهذه الترجمة العربية التي نقدمها للقراء هي الأولى من نوعها.

أما مخطوطة تاريخ مار ميخائيل الكبير بالسريانية فقد نقلها شعبنا السرياني الرهاوي مع مجموعة أخرى من المخطوطات من الرها إلى مدينة حلب على أثر الهجرة الجماعية القسرية التي حصلت سنة /١٩٢٤م/ من أورفا إلى حلب. وقد جرت محاولات لبيع هذه المخطوطة نظراً لحاجة شعبنا بعد الهجرة إلى المال، وكل المحاولات التي جرت في هذا المضمار، ورغم قيمة الكتاب المادية الكبيرة، باءت بالفشل وبقي هذا الكنز الثمين تراثاً لأحفاد الأباجرة وورثة الحضارات في بلاد ما بين النهرين. ونحن نفتخر بهذا الأثر القيم ونعتبره بركة في أبرشيتنا، وتتجه النية إلى

طباعة هذه المخطوطة كما هي عندما تتوفر الظروف والإمكانات. ولا نستغرب أن تكون هناك مخطوطات سريانية لهذا التاريخ، فإذا حصل واكتشفت نسخ أخرى يكون ذلك أداة جديدة لمقارنة هذه المخطوطات ببعضها لطباعة نسخة خالية من الأخطاء بالسريانية.

لقد اعتمد مار ميخائيل الكبير في كتابته للتاريخ على مجموعة كبيرة من المصادر المعروفة في أيامه منها : ما ألفه يال يونانية يوحنا رونس الأنطاكي أسقف مايوما /٥١٥/، في كتابه المسمى فليروفورياس وهو مجموعة أخبار وأحاديث وقد نقل إلى السريانية أولاً. ورسالة مار شمعون الارشمى +٥٤٠ التي أرسلها إلى شمعون رئيس دير الجبول عام +٥٢٤، واقتباسات من تاريخ القس قورا البطناني ٥٨٢، وخرونيقيون يوحنا بن صموئيل المؤرخ السرياني الذي عاش في منتصف القرن الثامن للميلاد، والرسالة المجمعية التي اتخذها اياونيس الأول +٧٥٤، ورسالة مار كيوركى الأول بطريك أنطاكية +٧٩٠ إلى كوريا شماس " بيت نعر" من قرى الرها في قضية عبارة **حسلا حسلا مر مع** : نكسر الخبز السماوي، وتاريخ مار ديونيسيوس التلمحري +٨٤٥ المفقود، وما حافظنا عليه هو ما ورد في تاريخ مار ميخائيل الكبير، وتاريخ ديري سرجيسية وابن جاجي للراهب لعاز /١٠٢٤م/، وتاريخ ايليا مطران كيسوم /+١١٧١/، ونبذتان من كتاب العناية الإلهية ضد أفكار مطران ماردين للعلامة مار يعقوب الرهاوي +٧٠٨، وتاريخه الذي حكى قصة زمانه الكنسية، ويذكر البطريرك افرام برصوم مصادر أخرى وهي : تواريخ يوليوس الافريقي، واندرونيقس، واوسابيوس القيصري، وانيانوس الراهب الاسكندري، وسقراط، وسوزمين، وزكريا أسقف مدلي، ويوحنا الاثاربي، واغناطيوس الملطي، وابن الصليبي وغيرهم.

بهذا نكتفي ونسأل الله أن يوفقنا لما فيه خير الكنيسة والوطن، وعلى الله الاتكال.

حلب في ١ / أيلول / ١٩٩٦
عيد القديس مار سمعان العامودي

- مصادرنا -

١- غريغوريوس يوحنا ابن العبري :

١- تاريخ الزمان لابي الفرج جمال الدين ابن العبري

ترجمة : الأب اسحق ارملة. تقديم : الأب فييه

ط١/ دار المشرق - بيروت ١٩٨٦.

٢- منارة الأقداس

ترجمة : مار ديونيسيوس بهنام ججاوي.

تقديم : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم.

ط١/ دار ماردين - حلب ١٩٩٦.

٢- الرهاوي المجهول :

تاريخ الرهاوي المجهول ج ٢

ترجمة : الأب ألبير أبونا. بغداد ١٩٨٦.

٣- مار اغناطيوس افرام الأول برصوم :

١- اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية

تقديم : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم.

ط ٥/ دار ماردين - حلب ١٩٩٦.

٢- تاريخ الأبرشيات السريانية / مخطوط في مكتبتنا

٣- ذخيرة الأذهان في تاريخ دير الزعفران/المطبعة السريانية

ماردين ١٩١٧.

٤- مار فيلكسينوس يوحنا دولباتي :

١- فهرس مخطوطات دير مار مرقس.

٢- فهرس مخطوطات دير الزعفران.

٣- فهرس مخطوطات سريانية.

تقديم : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم.

ط ١/ دار ماردين - حلب ١٩٩٤.

٥- القس يعقوب اوجين منا :

دليل الراغبين في لغة الآراميين / المقدمة ط ١/ الموصل ١٩٠٠.

٦- القس بطرس نصري :

زهيرة الأذهان في تواريخ المشاركة والمغاربة السريان مج ١
مطبعة الآباء الدومنيكيين سنة ١٩٠٥.

٧- بولس السمعاني :

تاريخ الآداب السريانية ج ٤
مطبعة المرسلين اللبنانيين - جونه ١٩٣٦.

٨- مار سويريوس اسحق ساكا :

١- كنيسة السريانية - ط ١ / دمشق ١٩٨٥.
٢- السريان ايمان وحضارة / ٤ / أجزاء ١٩٨٣ - ١٩٨٤.

٩- غريغوريوس يوحنا ابراهيم :

١- مجد السريان ط ١ / دار ماردين - حلب ١٩٩٦.
٢- الموسيقى السريانية ط ١ / دار ماردين - حلب ١٩٩٦.
٣- مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري مفران المشرق
مقدمة كتاب : منارة الأقداس ص ١-٤١
ط ١ / دار ماردين - حلب ١٩٩٦.

١٠- ألبير أبونا :

١- أدب اللغة الآرامية. ط ٢ دار المشرق - بيروت ١٩٩٦.
٢- تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية من مجيء الإسلام حتى نهاية
العصر العباسي / ج ٢ ط ١ / دار المشرق - بيروت ١٩٩٣.

١١- عبد العزيز الدوري :

بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب. بيروت ١٩٦٠.

١٢- شاعر مصطفى :

التاريخ العربي والمؤرخون
دراسة في تطور علم التاريخ ج ١
ط ٢ / دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩.

13- HONIGMANN, E., Eveques et eveches monophysitd'Asie
anterieure in CSCO, Louvain 1951.

- Le Couvent de Barsauma et le Patriarcat Jacobite d'Antioche et de Syrie, in CSCO, Subsidia VII, Louvain 1954.
- 14- CYRIL MOSS : Catalogue of Syriac printed books. London 1962.
- 15- URBINA, O. de, Patrologia Syriaca, 2e edition, Rome 1965.
- 16- S.P. BROCK :
 - 1- Syriac Studies 1960 - 1985 parole de l'Orient (1973, 1981 - 82, 1987).
 - 2- Syriac Perspectives on late Antiquity, Variorum reprints London 1984.
- 17- Jean Maurice Fiey
 - 1- Communautés Syriaques en Iran et Irak des origines Aiss 2 Variorum reprints London 1979.
 - 2- Pour un Oriens Christianus Novus repertoire des dioceses Syriaques Orientaux et Occidentaux, Beirut 1993.
- 18- ILSE NABE - VON SCHONBERG - die west Syrische kirche im mittelater C 800 - 1150.

وذلك قدما فاسد . ومع الله في الهدى عليه
وذلك في العلم اجد الصفة مائة في ذلك
من . وخطي ختمة في ذلك اخطا ولام فيه
مقامه . وديلا الاضحية
معهم في ذلك في سنة الخبز في خبز
في ذلك في العلم . وديلا الاضحية
مفهوم

كذلك في الهدى عليه . ومع الله في الهدى عليه
وذلك في العلم اجد الصفة مائة في ذلك
من . وخطي ختمة في ذلك اخطا ولام فيه
مقامه . وديلا الاضحية
معهم في ذلك في سنة الخبز في خبز
في ذلك في العلم . وديلا الاضحية
مفهوم

وقد حكمت رافعا ووجدته في
ولا في ذلك في سنة الخبز في خبز
في ذلك في العلم . وديلا الاضحية
مفهوم

مقدمة العرب

يعتبر تاريخ البطريرك ميخائيل الكبير في طليعة مصنفات السريان في التاريخ الكنسي والمدني ، لالتزامه جانب الحقيقة ، ولاعتماده أشهر المؤرخين الكنسيين والمدنيين ، وأمانته في الاقتباس والنقل عنهم ، أمثال يوحنا الآسيوي ويعقوب الرهاوي وزكريا الفصيح وسوزمين وسقراط واوسابيوس والتلمحري وسواهم . لذا جاء كتابه حجة تاريخية قيّمة يرجع اليها المؤرخون الذين ينشدون الحقيقة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن القارئ يلاحظ ان المؤلف توخى الحقيقة في كتاباته وجمعه للاخبار ، وذلك لكونه يثبت الحدث أو الخبر دون زيادة أو نقصان حتى تلك التي تظهر فيها تصرفات شاذة لبعض رجال الكنيسة .

ولما كان هذا السفر النفيس قد ترجم ونشر بلغات اجنبية ، ومازال أصحابه من أبناء الضاد بعيدين عن منهله العذب ، لا سيما وان الكتب التاريخية الكنسية ، سواء المترجمة منها أو الموضوعة باللغة العربية ، نادرة ، لا تطفئ غليل المتشوق الى معرفة ماضي كنيسته وامته ، لذا عمدنا الى نقله الى العربية نزولاً عند اقتراح نيافة الاخ مار يوحنا ابراهيم متروبوليت حلب وتوابعها الذي تبني طبعه ونشره ، وبتشجيع من قداسة سيدنا البطريرك مار أغناطيوس زكا الاول الذي تكرم مشكوراً فأعارني نسخته الخاصة لعدم وجود نسخة منه في حوزتي .

لم يكن العمل امراً يسيراً ، بل شاقاً . فالمخطوطة مصورة عن نسخة مصورة عن الاصل ومصغرة بحيث اندمجت الاحرف ببعضها وبدا من الصعوبة بمكان تمييز العديد من الكلمات . أضف الى هذا النواقص التي لاحظناها في المخطوطة ، مما جعل

العديد من الفقرات مشوشة المعنى غير واضحة أو مفهومة بصورة جيدة . وقد عالجتنا ذلك قدر المستطاع . أما أخطاء الناسخ فحدث عنها ولا حرج ، فهي كثيرة وفيرة ، منها ما هو واضح ومنها ما يحتاج الى بعض الوقت لاكتشافه . وقد حاولنا أن يكون النقل علمياً وحرفياً ، بيد اننا اضطررنا احياناً الى التصرف .

لا يخفى ان المؤلف وُجد في القرن الثاني عشر ، حيث كان الصراع العقائدي بين الكنائس والطوائف المسيحية على أشده ، فكان من البديهي والحالة هذه ، أن يعكس وجهة نظر كنيسته في ما يخص العقيدة ، وبالاسلوب المتبع يومذاك بين مختلف الكنائس المتصارعة . وتجاه ذلك بدت لنا فكرة الاكتفاء بالاشارة الى الفصول او المقتبسات التي تتحدث عن العقيدة في فترة الانشقاق ، والتي قد تمس ضمائر البعض ، وعدم ادراجها في هذا النقل ، وبخاصة تلك التي ينتقد فيها المؤلف اشخاصاً معينين ، مستعملاً كلمات وعبارات كانت مستساغة ومقبولة في حينها ، او عندما يتحدث عن دور السلطة المدنية أو شخصيات دينية في شق جسم الكنيسة عبر مجمع خلقيدونية خاصة ، أما اليوم فقد أكل الدهر على هذا الاسلوب وشرب ، ولم تعد مثل هذه العبارات مقبولة ، لاسيما وان عصرنا هو عصر الحركة المسكونية وانفتاح الكنائس المسيحية الواحدة تجاه الاخرى . غير اننا ثبتناها نزولاً عند رغبة البعض ممن يعنيه الامر ويعنون بشؤون تاريخ الكنيسة ، وضمانة للامانة التاريخية .. لذا رأينا أن نعبر هنا عن عدم ارتياحنا لمثل هذا الاسلوب وتلك العبارات التي كان لها مذاقها الخاص في الماضي ، وغدت اليوم تافهة لا مكان لها على مسرح الحركة المسكونية .

لا بد من ابداء بعض الملاحظات حول الكتاب تنويراً

للقارئ :

١ - يحشر المؤلف أحياناً اخباراً مقتضبة في متن حدث ما ، دون

أن تكون له اية صلة بذلك الحدث أو بموضوع الفصل ،
لذا وضعنا مثل هذا الحشر بين شارحتين لتمييزه .

٢ - يسرد المؤلف احياناً عدة اخبار مقتضبة ملتقطة من هنا
وهناك ضمن فصل واحد يدور حول حدث معين . وقد
فصلنا بين هذه الاخبار بهذه العلامة ..

٣ - اعتاد المؤلف ان يستعمل احياناً حرفاً في حساب السنين او
اي عدد كبير ، لأكثر من قيمته العادية . فالقيمة العادية
مثلاً للحرف ح هي (٥٠) لكنه يستعملها احياناً لتكون
(٥٠٠) و احياناً اخرى لتكون (٥٠٠٠) وهكذا دواليك .

٤ - يعتمد المؤلف التقويم اليوناني ، وهو يزيد ٢١١ سنة على
التقويم الميلادي .

٥ - ينقل المؤلف بعض الاخبار قد يعتبرها القارئ من باب
الخيال وبعيدة عن الواقع ، ولكن هذا لا يعني انه يؤمن بها
حتماً ، انما يدرجها من باب أمانة النقل .

٦ - الايضاحات الموضوعية بين قوسين () هي من وضعنا .

هذا والله من وراء القصد .

عيد الصليب ١٤ ايلول ١٩٩٠

- صليباً -

محلل حركه و حركه لحنه محركه في حركه

تاريخ

مار ميخائيل السرياني الكبير
بطريك أنطاكية

الجزء الثالث

فصل

في مقررات مجمع قالينيقوس (الرقّة) انتخاب البطريرك ديونيسيوس التلمحري

بعد الانتهاء مما ذكرناه أعلاه، نهض في اليوم التالي أحد الشيوخ وقال: ان الغاية من انعقاد هذا المجمع المقدس، هي انتخاب رئيس لنا بالدرجة الأولى، ومن ثم البحث في شؤون أخرى، غير أن المجتمعين رأوا ضرورة بحث الشؤون الكنسية، فتم ذلك بعونه تعالى، خلال أربعين يوماً دون أن ننقسم على ذواتنا، أو تحدث بيننا أي ضجة. فعلينا الآن أن نشرع في تحقيق غاية مسعانا الخير فنطرح عن أذهاننا كل فكر عالمي ضار أو يقود الى المحاباة. فاذا وافقتم، فاني اقترح أن نصوم ثلاثة أيام مواظبين على الصلاة ليل نهار، وضارعين الى الله أن يعد لكنيستته من يعرف أنه سيرعاها بتقوى وقداسة. فاذا كان تعالى يحضر حيثما اجتمع ثلاثة باسمه، فكم بالأحرى يكون حضوره، اذا اجتمع ٤٥ باسمه؟. فاستحسن الحاضرون رأي الشيخ وصاموا ثلاثة أيام مواصلين السهر والصلاة، ثم جلسوا بحسب درجاتهم وقرروا أن يُسأل كل واحد عما فكر فيه خلال أيام الصلاة، والى أي شخص اتجه رأيه، وعما اذا يوجد في ديره شخص مناسب. فأجاب العديد منهم بعدم وجود شخص مناسب في أديرتهم، فيما ذكر آخرون بعض الشخصيات البارزة، أحدهم الملقب بالبارع مار اثناسيوس وأخيراً وقف ثاودور، وهو أسقف من دير مار يعقوب في كيسوم وقال: لقد جاءنا راهب من دير قنسرين ومكث عندنا سنتين وامتحناه فوجدناه أهلاً لهذه الخدمة. وبقوله هذا فتح الباب أمام غيره من الأساقفة الذين كانوا قد وضعوا الراهب المذكور نصب أعينهم، فشهد جميعهم في حقه. فقرر المجمع أن يدخل الأساقفة أمام المذبح ليتم

الانتخاب، فأجمع الكل، وهم ماثلون أمام مائدة الحياة، على انتخاب الراهب ديونيسيوس من دير قنسرين، وكتبوا محضر الاتفاق ووقعوا عليه بالاجماع.

لما كان مجمع التقى والسلام هذا قد التأم بفعل الروح القدس، فان كل الأمور سارت بايحاء الروح القدس نفسه، وكانت الثقة كبيرة بالنتائج الحسنة. وبفعل الروح، أجمعنا على انتخاب ورسامة رئيس ليكون، بعد الله ضابط الكل، بطريركاً لكرسي انطاكية الرسولي: الأخ ديونيسيوس من دير مار يوحنا بن افنونيا. وقد اتفقنا على هذا أمام الصليب المقدس ووقعنا عليه.

التواقيع : باسيلوس مطران تكريت، وافقت على نتيجة الانتخاب ووقعت، وكذا فعل عبد الأحد المرجي، ويوحنا المرعشي، وانسطاس الدمشقي بواسطة ثاودوسيوس الرهاوي، وجورجي أسقف قنسرين بواسطة نائبه وسواهم. وبعد التوقيع عينوا خمسة أساقفة وتوما أرخدياقون نصيبين وبعض الرهبان ليتوجهوا ويأتوا به. واذ علم ابيرام والجبيون بأن المجمع انتخب رئيساً، وتم الاتفاق على عبارة «نكسر خبزاً سماوياً» وشعر بخيبة أمله، غضب وجمع اتباعه وقال: انظروا ما فعل الأساقفة، فقد اختاروا رئيساً من الدير والمدينة التي ألغت عبارة «الخبز السماوي» فاستحلفكم بالله ألا تودعوا جسدي القبر لدى موتي حتى تقيموا رئيساً يحل محلي، وأن لا تتصلحوا مع هؤلاء. فقال الرهبان: لم يكن هذا وعدك، بل قلت: اني سأتنازل عن الرئاسة اذا ما تفوه الرئيس المنتخب بهذه العبارة ولو مرة واحدة، وعند ذاك سنخضع له جميعنا، فعليك اذن أن تنتظر حتى يرسم الرئيس ونرى وجهة نظره. غير ان المنافق حرم أولئك الرهبان، وخرج مع الغرباء (الرهبان) الموالين له واتجهوا الى القورسيين ليتستروا على نفاقهم ببعض الشقاة الموجودين هناك. أما الجبيون الذين لم يخضعوا له، فقد جاءوا الى المجتمعين وطلبوا العفو.

وهنا يقول ديونيسيوس مايلي: لقد التزمت جانب الشجاعة والجرأة في كتابتي للأحداث من بداية هذا الكتاب وحتى الآن، فلم امتدح أو أذم أحداً بدافع المحاباة والانحياز، والآن وقد وصلت الى هذا الفصل، فضلت أن التزم الصمت، وان يكتب مؤرخ آخر ما يخص ضعفي، في حال وجود من له خبرة كافية بشؤوني كالتالي لي، فيتحدث بلا خوف عن أخطائي وعدم كفاءتي، ويشهر بما يمكن أن ألام فيه، ويذكر هو لا أنا، الاصلاحات التي تستوجب الثناء. ولكن حيث انه لا يوجد من له خبرة بشؤوني الخاصة مثلي، فان الواقع يفرض علي أن أذكر كلا الأمرين مراعيًا جانب الحق ومتحاشياً الآراء التافهة ومهملاً المديح، لنلا يعتقد محبو الانتقاد بأنني أعف نفسي، أنا الذي أعرف ذاتي بأنني أصغر وأضعف الناس، ولا أدري كيف تورط الأبياء، ولا أقول انخدعوا بتفتهم في، لكنهم انصاعوا للأحاديث الغربية، نظراً الى براءة تفكيرهم، وعلموا من كثيرين كيف أتدبر مثل هذا الأمر. فقد كانوا قد وقفوا على رأيي، حيث اني دُعيّت الى كرامة الاسقفية مرتين، وكنت أهرب من مكان الى آخر وهذا ما جعلهم ان يظنوا بانى سأهرب لدى سماعي بالنبأ، فأرسلوا راهبين شجاعين الى دير مار يعقوب حيث كنت اقيم، نظراً الى تشنت رهبان دير قنسرين، فدخلا الي ليلاً واصطاداني، فارتبكت، واذ لم أجد لي مهرباً، لذت بالصمت، فاقبمت علي حراسة كمجرم حتى وصل الاساقفة، فبكيّت وخررت امامهم، لكنهم لم يرافوا بي، فاقتادوني من ذلك السكون الى وسط المجمع وانا احاول الافلات منهم، وكشفت لهم معايبي وضعفي وعدم كفاءتي، غير انهم حملوني العبء عنوة، قائلين: ان قضاء الله سيحل بمن سيتمرّد، ولم يتوانوا حتى من ترك كراسيهم والمثول أمام ضعفي. ومن هنا شعرت بانى اجوب بحر الظلمات، وقد تلاشى كل أمل في الهروب. وكنت اعتقد بأن اقتبال الكهنوت صعب لا سيما بالنسبة الى بانس مثلي، وحتى الى الذين وصلوا الى ذروة الفضيلة، لكنني رأيت ان الاصرار على عدم الطاعة خطر جداً، لذا رسموني شماساً يوم الجمعة في دير العمود، وكاهناً يوم السبت، في دير مار زكا، ويوم الاحد الفاتح من

آب عام ١١٢٩ مي رقوني الي درجة رئاسة الكهنوت في كنيسة الرقة الكبرى ونادوا بي وارثا للكرسي، أنا الذي لا استحق ان أحل سيور الأحذية، مستشهدا الله بأني لم أبتل بمحبة الزعامة، حتى ولم تخطر على بالي قط مثل هذه الرغبة التي تراود الكثيرين.

وحيث انك طلبت اليّ ايها العزيز ايوانيس، أن أكتب اخبار ما جَد من أحداث في أيامنا، فاننا، بعد الاتكال على الله، سنتناول تلك التي عقبنا دعوتنا، سواء ما يخص شؤون الكنيسة او العالم، أو ما يخص الكنوز المشتركة. واذ قبلت كرسي البطريرك قرياقس، فاني أخوض معه المعركة التي لا هوادة فيها مع الجبيين، عذابا لجسدي، ورضا لعظامي، لكي أردع فلا أتكبر بسبب الموهبة العظمى الممنوحة لي.

لما ختم المجمع أعماله، وجهت اهتمامي نحو الخلافات الكنسية واخترت عشرة أساقفة وتوجهنا نحو بلد بيت بالش، واستدعيت الجبيين ليحضروا لكي نتفاوض من أجل السلام. فقالوا للوفد: لن نحضر ما لم يثبت عبارة «الخبز السماوي». ولما قطعنا الأمل من الجبيين، توجهنا نحو القورسيين المجتمعين في قورس، وبينهم كهنة وشمامسة، فتحدثنا اليهم في موضوع السلام، واذ علموا بأننا لا نحظر عبارة «الخبز السماوي» مالوا الينا، فلما رأى ايبرام وأتباعه ان أهل المنطقة أطاعونا، استشاطوا غضبا، وعزموا على عدم ابقاء هؤلاء البسطاء في المدينة، واختطفوا العديد منهم. أما نحن فقد انتقلنا من قورس الى انطاكية في تشرين عام ١١٣١، حيث باشر الاساقفة بمراسيم التصيب بعد تلاوة قرار المجمع.

رسالة التنصيب (سوسطاطيقون)

الى المؤمنين الحقيقيين، أحبائنا بالرب، الكهنة والشمامسة والشعب
محب المسيح الذي في شتات مدينة انطاكية العظمى وكورتها المجمع
المقدس المنعقد بالروح القدس في مدينة الرقيين.

لكم وافر السلام والرحمة بمخلصنا المسيح: ولئن نحن واياكم
أحباء، بيد أن صروف هذا الزمان قد حرمتنا من بعضنا البعض، مذ كان
مار قرياقس الملاح الحكيم الماهر يقود سفينتنا، ذاك الذي ينعم بالاقامة مع
القديسين منتظراً مجازاة عادلة من الله لاعماله، لكي بسببها يُمَيِّز في يوم
الدين لمتعة مشاهدة الثالوث الاقدس مع الابرار الذين سبقوه. فلم نستحسن
اهمال تلك القيادة والالتزام باخرى مهما كانت، فان خليفة ذاك ومثبت
الكنيسة المقدسة الذي يستحق هذه القيادة أكثر من الكل بشهادة الجميع هو
الذي ينتخب من قبلنا بفعل الروح القدس. لما رحل موسى ودفن بيد الله،
واختطف ايليا الى السماء بمركبة، رأى الله أن يقيم خلفاء لهما لنسل
يعقوب أي اسرائيل المعروف، ولكيما يقسم أرض الميعاد للأسباط الاثني
عشر بدقة وبحسب الأسهم، ويبيد بمعجزة كثرة الكنعانيين، وأمر بالالتزام
بكل ما هو شرعي وأقات الشعب السجين (في البرية) بخبز من السماء
الذي كان يرمز حقيقة لا خيالاً، الى جسد واحد من الثالوث، الله الكلمة،
الذي يكسر للمؤمنين. هكذا رأينا أن الله قد سر حقاً باختيار الروح القدس
للبطريك مار ديونيسيوس الذي، اذ فشلت جميع محاولات انتخاب غيره
أفلحت في انتخاب سيادته، نظرا الى رزاقته وخلقه وحسن تصرفه ونقاء
سيرته وجهوده من أجل التعاليم الالهية. فقد انتخبنا هذا بروح واحدة
وبفعل الروح القدس، وبسابق توسطكم، وزكينا ليكون رئيسا لكنيستنا نحن
الارثوذكس، وقد أقمنا احتفالاً بهيجاً مع أبناء الكنيسة القريبين من هنا.

واتسحت الكنيسة بوشاح الغبطة والفرح. وان هذا لدليل على أهمية الاتفاق وفاعليته الايجابية.

فبمشاركتكم ايانا نعمة هذه البهجة، وابداء خضوعكم التام كالأولين، وقبولكم رعاتكم بل سائر رعاة كنيسة الله، ومعانقتكم اياهم بكلتا الذراعين، ومراعاتكم حسن النظام في كل شيء تكونون قد أبرزتم هيبة مدينة الله على أحسن صورة، وصرتم قدوة حسنة للآخرين، لكي يقتدوا بكم عن طريق هذا الأب القديس وراعي الرعاة ورئيس الكل بعد المسيح الاله. دعاؤنا الى الله الأب الضابط الكل، الذي منحنا مثل هذه الموهبة العظمى والبركة التي بها وبواسطته نستطيع الدنو منه ونستحق النعم غير الزائلة والحياة غير الفانية. بنعمة ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح وروحه القدس من أجل مجده آمين. وقد ذيل بتوقيع جميع الأساقفة.

فصل

يتناول الأحداث التي جرت في دولة المسلمين في عهد
المأمون. وتلك التي جرت في دولة الروم في عهد الملك
ميخائيل. والأحداث التي جرت في الكنيسة في عهد مار
ديونيسيوس

بينما كان ابراهيم أمير حران يتنزه في حديقته العالية، شاهد أبنية
جديدة فسأل عنها سقاته الوثنيين، فقالوا: انها كنائس جديدة أنشأها
المسيحيون في عهدك، الأمر الذي ولد في المسلمين عدم الثقة بك لسماحك
لهؤلاء أن يبناوا مالم يُبن في عهد الروم، وهم يتهمونك بأخذ الرشوة، فثار
غضبه وأمر بهدم تلك الكنائس الجديدة. وقبل أن تغيب الشمس كان مذبح
كنيستنا الكبرى في حران ومذبح كنيسة والدة الله قد دمرا، كما دمر جزء
من كنيسة مار جرجس وبعض كنائس الخلقيدونيين واليهود والنساطرة.
فشرعت الطوائف تدعو للرافة بها. وفي تلك الليلة غير الله رأيه، فندم،
وفي الصباح دعا المسيحيين وأوعز اليهم أن يعيدوا بناء ما هدم، فأنجزوه
خلال أيام قلائل.

في هذه السنة احتبس المطر، فلم تثمر الغلال، فشح القمح والخمر
والزيت. وفيها قاوم الناس باسيليوس مطران تكريت لعجرفته وتصرفاته
غير المهذبة، ليس بالنسبة الى أبناء الكنيسة فحسب، بل كان أحيانا يتكابر
حتى على وثنيي تكريت. ولم يكتف بالتدخل في شؤون الكنيسة، بل تدخل
أيضاً في ما يخص الضرائب العامة التي ليست من شأنه، وتقرب كثيراً
من الحاكم، كما تدخل في ما يخص الجزية حتى بلغ الى درجة فرض
الجزية على المسلمين، وقد لحق الأذى بالشعب بسببه، وقتلت في الشوارع

جميع الخنازير، ورغم كل ذلك لم يراعوا، بل اصطحب جماعة ونزل الى بغداد ليقيم شكوى ضد المسلمين، فلقق به المسلمون ودخلوا أولاً وقدموا مذكرة ضد المسيحيين في ما يخص النواقيس والصلبان والخمر، مدعين أن الخنازير تدخل المساجد، واتهموا المطران باسيليوس والرئيس عبدون بشتم نبيهم. فصدر قرار بالغاء الشعائر المسيحية والقاء القبض على باسيليوس وعبدون، فهرب المطران، أما عبدون فقدم شهادة للمسيح، حيث أغراه المأمون بالأموال والمناصب ليظهر اسلامه، ثم استعمل التهديد والوعيد والعذاب دون أن يفلح فزجه في السجن، وبعد أن أمضى سبعة أشهر في السجن تحت التعذيب رحل أخيراً مستشهداً بحد السيف في وسط دار القضاء، وعلق على خشبة، وقد رافقت استشهاده آيات وعجائب كثيرة وعظيمة. أما باسيليوس الذي كان يتوعد المسلمين باخراجهم من بيوتهم، فلم يعد يستطيع حتى الدخول الى تكريت، فهجر كرسيه بقصد التمرد على كرسي انطاكية. والأنكى من هذا فانه لم يتعظ بما حلّ به.

سنة ١١٣٠ عاد المأمون الى بغداد من خرسان، على أثر سماعه عن تولية عمه ابراهيم الحكم، وعن انقسامات وحروب أهل بغداد، وجلس حسن في الكوفة وطاهر في ريفيقا منفردين. فلما وصل المأمون الى بغداد، ترك البغداديون ابراهيم، ونصبوه على عرش والده. أما ابراهيم فهرب واختفى، وصعد طاهر لمقابلة المأمون فقبله. ثم عينه حاكماً في خرسان سنة ١١٣٢ نظراً الى ثقته به. وبعد سفره استقدم ابنه عبد الله وأكرمه ووضعه مكان والده وأمر أن يتولى القضاء مدى الحياة، فنشط المتمردون، واشترى نصر حصن بيت بالش وجمع قواته ونزل الى نهر هاني بالقرب من الرقة. ولما خرج عليه عيسى مع جماعة من السوقة، أجهز على جمعهم وعات في القرى نهبا وسيبيا، فانزعج المأمون من ذلك، فأرسل شبيب قائد الجيش على رأس سبعة آلاف من المقاتلين لمجابهة نصر، ففزع وأرسل الى المأمون وفدا يحمل رسالة خضوع، فأجابته: ان كنت صادقاً، هلم وطأ بساطي فأكرمك. غير أنه كان يقصد

مماثلة الخليفة، فاستعد شبيب للحرب وقسم نصر قواته ثلاثة معسكرات ومنع الفرس من امدادهم بالطعام، فاضطر، بدافع الجوع، الى الاندفاع نحو الحرب، فسقط عدد كبير من الجانبين، وفر المسلمون وأخذ الفرس ينهبون السوقة ويأكلون ويشربون ويبخون ويوجهون الاهانة الى الذين داخل السور. واذ جبن جنود الفرس المتعجرفون، عاد اليهم نصر، فهزموا أمامه خوفاً، فشر شبيب بضعف العرب، فذهب الى انطاكية ليأتي بالذهب الذي جلب من مصر في عهد هرقل، فتسلل ليلاً، فشر به نصر فأدركه واستطاع أن يفصل ثلاثة آلاف من رجاله، وأمره برمي سلاحهم ففعلوا، وقبض عليهم، ومن ثم طارد شبيب وأدركوه فخاف الفرس وصرخ نصر قائلاً: سأعطي فرساً والى الف دينار لكل من يتبعني، فتبعه عدد كبير، واضطر شبيب الى الهرب والعودة الى بغداد مع النفر القليل الذي تبقى معه، وهو يجر اذيال الخزي الذي يستحقه لأنه لم يكن يردع قواته من ارتكاب الجرائم بحق المساكين. أما نصر فسيطر بجيشه على الفرس وقتل حتى الذين تبعوه والذين رموا سلاحهم. ولدى عودته من محاربة شبيب، طرق مسامعه ان جماعة اليمينيين الذين في منبج، أعادوا بناء القرى الواقعة على شاطئ نهر شغور الذي يسميه المسلمون ساجور. فكمن لهم نصر مع جيشه لدى ذهابهم الى العمل، وفتك بهم بما فيهم النساء، ومن كافة الأعمار. واذ حلّ الناجون في دير بورييم، أحرق الدير فاحترق العديد العديد منهم، وكان الجنود يقبضون على اللذين يرمون أنفسهم الى أسفل ويقتلونهم بحد السيف. وهكذا هلك عدد كبير من أولئك المساكين، فقطعوا رؤوسهم وحملوها معهم الى سروج.

في نيسان عام ١١٣٠ توفي مرقس بابا الاسكندرية بعد تسعة أشهر من تنصيب مار ديونيسيوس، فخلفه يعقوب. وفي عام ١١٣١ سافر مار ديونيسيوس صحبة الأساقفة الى ما بين النهرين ومنها الى بغداد، ليحصل على فرمان من المأمون أسوة بأسلافه البطارقة، فصدر فرمان بمسعى طاهر الذي في عهده ومساقيه عقد مجمع انتخابه. لقد كتب

البطريك نفسه عن باسيل التكريتي يقول: انه لم يكن راهباً في دير ما، بل كان علمانياً عندما دعي الى الأسقفية، لذا كان حاقداً على الماتيين، وحاول أن يتمرد علينا، ظناً منه ان باستطاعته حمل أبناء المشرق على التمرد على الكرسي الانطاكي، وأقامته جاثليقاً كما فعل برصوم النصيبني. وحيث انه لم يفلح في تدبير شيء ما في عهد مار قرياقس لكونه تكريتيًا، توهم بأنه يستطيع أن يفلح في عهدنا بواسطة التكرارة. فأخذ يبث ضدي سموم الحقد فيهم قائلًا: ان هذا البطريك عدوكم. وكان يقول للأساقفة، حتى متى نخضع لسيطرة الغربيين الذين يسلبوننا ما نجمعه من أموال، ولم لا يعتبرون كرسينا مثل كرسي مصر مساوياً لهم في الرتبة؟ غير أن الرب لم يسمح أن ينفذ ما كان يجول في خاطره، نظراً الى محبة التكرارة لنا، الذين كتبوا الينا ونحن في بغداد، لنعيّد عندهم. فكان يقول لهم ذلك: ان الأساقفة الذين يرافقونه، يريدونه أن يعود بسرعة الى بلاده ليحتفل بتقديس الميرون. وكتب الينا يقول: ليست الظروف مؤاتية لزيارتكم تكريت لأن الحكام هنا يضغطون كثيراً على المؤمنين، فلما عرفنا سوء نيته عرجنا الى الموصل، ثم قصدنا مدينة قرقيسبون بطريق الفرات. وبعد مراسيم الأعياد وتقديس الميرون توجهنا نحو قرى الخابور، ووصلنا الى نصيبين ودارا وكفرتوت مدينة بين النهرين.

لقد تمرد على الكنيسة أحد رهبان دير الجب الخارجي لأنه لم يرسم خلفاً لاستاذه باكوس، اذ قد خيَّب أمه مجمع الرقة الذي لم يرشحه لاقتباله الأسقفية من قبل ابيرام. واذا رأى أن ديرهم قد أهمل، جاء الينا مرغماً طالباً السلام، فطلبنا اليه والذين معه أن يرددوا عبارة « الخبز السماوي » وحرموا للحال ابيرام والموالين له، وواعدوا بعدم الاتحاد معه بعد. وعلى هذا الأساس سامحناهم وناولناهم الأسرار على اعتبارهم منشقين عائدين.

لما جاء عثمان التميمي الذي سيطر على سورية الداخلية وحمص وفينيقيا، الى دير قنسرين بطريق الفرات، وشاهد الكنيسة الفخمة التي احترقت وتهدمت، طلبنا اليه اعادة بنائها، فرحب بنا وأعطانا فرمانا في بنائها وزودنا برسائل الى الحكام لمساعدتنا في ترميم الكنائس والأديرة، كما أخبرته بالتمرد الذي حدث في دير اوسيبونا في كورة انطاكية منذ عهد البطريك قرياقس، وموالاة رهبانه لابيرام. فكتب الى أمير الغرب ليطرد اتباع ابيرام منه ويسلمه لنا. وهكذا عاد الينا بعد أن سرقوا الكتب والآنية الفاخرة التي فيه.

في أبيرام المتمرّد

سنة ١١٣٩ نزل الى بغداد وجلب فرماناً يخوله أن يكون بطريكاً . وقد عنفه عبد الله بن طاهر مرات عديدة ولامه على تمردّه. وفي تلك السنة عقد مجمع من ٤٠ أسقفاً مع البطريك ديونيسيوس في دير اسفولس بالقرب من رأس العين، بخصوص فيلكسينوس أسقف نصيبين المنحى عن كرسيه. وكان خصومه نونا أرخدياقون نصيبين وأبا رائطة التكريتي وهما فيلسوفان بليغان، فرفض الدعوة لحضور المجمع وذهب الى نصيبين من دون اذن، فحرمه المجمع مع ابيرام، ثم اتفق المحرومان.

فصل

في بدء حكم ثاوفيل ملك الروم، ونجاح خليفة المسلمين
المأمون (عبد الله) ووقاحة ابيرام، ومآتي مار ديونيسيوس

في هذه الفترة، قذف بحر قليقية حوتاً كبيراً طوله أربعون ذراعاً
وتخنه أكثر من طوله، وقد وصفها البعض بقطعة من جبل أو وحش
هائل. واقتطع أهل المنطقة من لحمه وشووه، وأخذوا قسماً منه الى
انطاكية كما يقول ديونيسيوس الذي روى أنه شاهد أكثر من أربعين جرة
مملوءة من مخه، وبنفس الكمية من الجرار مملوءة من زيتته الذي استعمل
للانارة والطهي.

سنة ١١٣٠ توفي ميخائيل ملك الروم، وحكم ثاوفيل، فقدم له
البلغاريون والأكراد المسلمون الطاعة، وكان هؤلاء الأكراد قد تسلموا من
أبائهم فكرة قيام ملك يدعى المهدي العتيد أن يقود الشعوب الى الايمان
بالله، وانه سيورث ملكه لآخر تستمر خلافته الى ما لانهاية. والمؤمنون
به، سيبعثون بعد موتهم بأربعين يوماً ويعدون الى ذويهم ومن ثم ينتقلون
الى مكان مجهول. وقد ظهر في هذه الأيام ذاك المدعو المهدي وكان
يضع برقماً على وجهه، ويدعي حيناً بأنه المسيح، وحيناً آخر بأنه الروح
القدس، وكان عدد أتباعه وأمواله يزداد يوماً فيوماً، واجتمعت عنده
زرافات زرافات من الأمم باسم النهب والسلب، واتخذ مقراً له في جبال
كردستان المنيعه، وانتشرت عبادته في الجزيرة وأرمينيا، ودمر بازبدي
وطورعدين، وكان يفتك بالجميع دون تمييز، وقد عبده المجوس واعتبروا
كل من لايعبده غريباً، حتى أن الخليفة المأمون خاف منه. وعندما جاءوا
لنهب دير قرتمين والقرى المجاورة، أخذت الغيرة حسن الذي كان يحترم

جداً معتقدات المسيحيين، فباغتتهم بالهجوم فاندحر الأكراد وهزموا، واضطر ذاك الذي ألوه الى الهروب مع نفر، من أمام حسن، الى منطقة اسحق بن آشور الذي قبض عليه وسجنه، لكن الأكراد هجموا على بيت اسحق لانقاذ ملكهم، الا أن اسحق بادر الى قطع رأس المهدي وأخذه مع أمواله وأفراد أسرته وهرب. فلما دخل الأكراد لم يجدوا سوى جثة المهدي. وبعد فترة خاض اسحق وجنده قتالاً مع المسلمين، فكمن الأكراد لذويه وأفراد أسرته، غير أن امرأة وثنية بثت الخبر في القرية، فدخل الراهب شقيق زوجة اسحق مع جماعة من الناس، الحصن، ثم جاء الأكراد وقتلوا الموجودين وقاتلوا بالحجارة الذين داخل الحصن، والتجأ المؤمنون الى البيوت محتمين بصلاة ذلك الراهب العفيف المقترنة بالركوع، والذي كان يتضرع الى المسيح وهو حامل صندوقاً يحتوي على ذخائر القديسين. وكانت أخته تحته على المزيد من الصلاة وقد ألفت رضيعها أمام الرب وناشدت المسيح قائلة: أرأف بعبيدك من أجل هذا الطفل الذي مازالت آثار المعمودية في وجهه.

لما أوشك الأكراد على دخول الحصن بسبب احتراق الأبواب، أخذ راهب آخر رمحاً مثل فنحاس، وألقى بنفسه من السور ووصل الى زعيمهم وطعنه، باسم الله، وقتله دون أن يستطيعوا الحاق الأذى به، وأمضى المؤمنون الليل ساهرين. أما زوجة اسحق التقية، فقد قررت الموت ولا السقوط بأيدي الوثنيين، فنقلدت سيفاً مذهباً لكي يجذبهم لمعانه فيقتلونها، واستعدت للخروج مع مطلع الصباح. غير أن الرب الذي يستجيب من يدعوه بايمان، جعل الأكراد أن يتراجعوا عن مهاجمة الحصن الذي أوشكوا أن يستولوا عليه ويوجهوا أنظارهم الى نهب الذين في المنطقة قبل هروبهم. فسمع اسحق الخبر وأرسل مشاة الى الحصن فعادوا مكتئبين والتقوا بشباب مستغرقين في الصلاة، وسيوفهم مربوطة مع بعضها. وفي اليوم التالي وصل اسحق مع جيشه النشط، ولأنهم كانوا قد تعبوا من جراء القتال، لم يسمعا صوت حرسهم. فلما حاولوا الهروب

لم يتمكنوا بسبب الثلوج. وهكذا أجهز على جميعهم. وإلى هذا المصير انتهى المهدي والذين معه. وخلف هرون المهدي في زعامتهم فقتله علي، ثم قام بابك راعي البقر، والتجأ إلى ثاوفيل ملك الروم.

لما علم المأمون بما فعله نصر بشبيب، دعا عبد الله بن طاهر وووعده بمنصب كبير، كما فعل فرعون ليوسف، وبعد أن قبل المسؤولية أخذ عشرين ألف مقاتل ووصل إلى الرقة سنة ١١٣٤ فخضع له كافة زعماء الفرس. ولما علم نصر بأن عبد الله رجل هادئ ومتواضع، توهم بأن صفاته هذه تشير إلى ضعفه، فحرض أتباعه لمجابهته قبل أن يباغتهم، فلما وصلوا إلى نهر الخابور، جابههم عبد الله ب ١٢ ألف مقاتل، فهرب عرب نصر من مكان إلى آخر. فاذا شوهد اليوم مثلاً في بقاع حران، إذا بهم في اليوم التالي بالقرب من الرقة. واذ رأى عبد الله صعوبة القبض على نصر بالمطاردة، اتجه نحو المدن المدن التي يستقر فيها مثل سروج وكيسوم. ولدى وصوله إلى بالش، سخر منه الذين على السور، فأمر بعدم الرد عليهم، وأرسل قائد جيشه عوزير والتقى بنصر في قرية صرين وقتل أربعين من عربيه فدب بينهم الذعر، وسيطر بالقوة على حصن نصر وهو مركز قيادته وأسر الثلاثماية رجل المتواجدين فيه وأرسلهم إلى معتقل رفيقا، وجاء عبد الله إلى سروج وأمر بجمع الغلال والتبن ليزود بها الجيش لدى هجومه على كيسوم. فوقع أهل الجزيرة والغرب في ضيق حتى أنهم فضلوا الموت، واضطروا إلى حصد الحنطة والشعير وغيرها من البزور قبل ميعادها. أما نصر فاخذ يطوف ويقتل الحصادين ويحرق كل ما يجده. فلما سمع عبد الله بالمآسي التي سببها نصر، (هاجم) بلدة بالش وأخذ يمتطرها بالحجارة، فأكره نصر المسيحيين على الصعود إلى السور بالبكاء والعويل لكي يعرف عبد الله أنه يهاجم المسيحيين وليس العرب، وحيث أنه كان يرفق بالمسيحيين أمر أن توجه الحجارة إلى المدينة لئلا تطال المسيحيين، وأن يحفروا تحت السور بالمعدات ففتحوا فيه ثغرة وسيطروا على المدينة والقوا القبض على المتمردين وأوتقوهم

بسلاسل وأرسلوهم الى بغداد. ولما علم عثمان بن تمام حاكم سورية الداخلية وقنسرين وحمص وفينقيا بذلك، قدم خضوعه لعبد الله، فرحب به.

أما نصر اللعين، فكان يتجول في منطقة سروج يفتك بالفرس والمسيحيين، ومنهم عبد الله قائد جيش الفرس، فاغتاظ ابن طاهر جداً، وتآهب لمهاجمة كيسوم معقل المتمردين نصر. فلما علم بذلك أنفذ رسالة يتعهد فيها بالخضوع ويعرض أولاده رهائن، فأجاب: ان لم يأت هو شخصياً لا أعطيه الأمان. وفي تشرين عام ١١٣٥ هجم عبد الله على كيسوم، وابتتوا بيوتاً استعداداً للشتاء، واقاموا أبراجاً ليرموا منها حجارة كبيرة، كل منها بقدر حمل حمار. فقد كان لكيسوم خمسة أسوار وخذق. فأمر نصر أن تصعد نساء مسيحيات وهن حاملات أطفالهن ويبيكين ويولولن ويلتمسن أن لا يُرجمن بالحجارة داخل المدينة، بل على السور فقط. غير أن نصر فتح أخيراً أبواب المدينة بعد أن رأى أن معظم أتباعه استسلموا للأمير، وأرسل أولاده الثلاثة ومعهم ٢٠٠ حمل سميد و ٣٠٠ جمل محملة بالشعير و ٥٠٠ رأس غنم و ١٠ خيول و ١٠ عبيد وثلاث جوارى وثلاثة وثلاثة خصيان مع فضة وذهب وهدايا لجميع الزعماء، قائلاً: اقبل هديتي، وليمكث أبنائي عندك حتى الصباح فاحضر أنا أيضاً. فقبل هديته وأوعز الى الشباب أن يعودوا الى ذويهم لئلا يقلقوا من ناحيتهم. وفي الصباح خرج نصر وترجل من بعيد ثم دنا من عبد الله وقبّل رجله ويده. فترجل حينذاك الأمير، وجلس كلاهما يتجاذبان أطراف الحديث سراً. ثم سمح الأمير لنصر بالدخول الى المدينة على أمل أن يتوجه الى الرقة بعد ٢٥ يوماً. واذ كان الأمير وديعاً، صدقه، وأوعز الى قواته أن يبيعوا كل ما هياؤه للشتاء، فخرج أبناء كيسوم بحريتهم. وبعد أن غادر عبد الله، أخذ نصر يعيد بناء وتحصين كيسوم. وأخبر عبد الله المأمون باستسلام نصر ففرح، ثم توجه عبد الله الى شمشاط، فحاول

المتنرد يابش الذي كان فيها التملص؁ لكن الأمير قبض عليه وأرسله مخفوراً الى معتقل رفيقا.

في هذه الأثناء توفي طاهر في خرسان؁ فأرسل الخليفة الابن الثاني لطاهر ليخلف أباه؁ وكتب رسالة مؤاساة الى عبد الله؁ وقال له: لطالما استسلم نصر؁ اذهب أنت الى مصر وأحلّ الوفاق هناك؁ لكن المأمون كان قد ضرب مؤخرة السفينة؁ لأن نصر تمرد من جديد. ولما كتب اليه عبد الله ليحضر ويلتقي به؁ اجاب: انني مستعد لمحاربتك؁ أما من جهة ابني منصور فلا تعتقله في بغداد فحسب؁ بل لك أن تشويه بالنار وتأكله. فأشعر عبد الله المأمون بذلك؁ فغضب الخليفة وقضى على عبد الله بالموت لأنه ترك نصر بعد أن صار في قبضته. فأسرع عبد الله وحاصر كيسوم للمرة الثانية في آب. فحدث ضيق في المنطقة بسبب اكراه الناس على اعداد الطعام للجيش؁ فانتشرت المجاعة في كل مكان؁ وقبل الشروع بالحرب؁ دنا عيسى قائد الجيش من السور وقال: يانصر؁ أنا عيسى أتحدث اليك. لقد اقترفت جرائم أكثر من قدرتك؁ ولما عدت قبلك الملك الرؤوف؁ فاخرج الآن وقابل الأمير؁ فقد أخذت جزاء تمردك؁ واني أكفلك. أجاب نصر؁ ان هذا الكلام لا يدخل مسمعي؁ ولا وفاق لي معكم؁ كما ليس للذئاب وفاق مع الحملان. واشتبك الطرفان بقتال عنيف؁ وقتل معظم سكان المدينة بالحجارة؁ ولم يدع نصر أحداً يبكي على الميت؁ بل كانوا يدفنونهم كالكلاب. وكان يقطع بالسيف رأس كل من يهرب من المعركة أو ينزل من السور؁ ولما اشتد القتال وانهار السور الخارجي؁ أصعد نصر النساء الى السور وهن حاملات أطفالهن وباكيات؁ فأمر عبد الله بايقاف القتال لدى سماعه الصراخ. وبنى الجيش بيوتا للشتاء. واذ رأى نصر أن الجوع قد استحكم في المدينة؁ وأخذ الناس يأكلون لحم الحمار حتى بيع رأس الحمار بعشرة فلوس؁ وان لا أمل له؁ ولم يفلح في الهروب؁ أرسل الى عبد الله ليقبله؁ فأجابه؁ ولئن كنت لا تستحق؁ ولكن بسبب صراخ المساكين أرسل ولديك مع أربعين شخصاً لأتحدث اليهم.

فلما ذهبوا قال: اذا اعتبرتم أنفسكم رهائن فسنوقف القتال حتى يأتينا الجواب من الخليفة، فأجابوا بصوت عال: اصنع مايريك الله اياه. ووصل جواب الخليفة مخولاً عبد الله أن يتصرف معهم كما يشاء. فخرج نصر بكل بساطة يحرسه بضعة رجال فقط وقابل عبد الله وطلب منه مدينة كيسوم فرفض، ثم هتف الطرفان، ما أعظمك ياالله للخلاص الذي أعدته. وللحال أرسل ذوو نصر الى قرية صغيرة كان قد ابتناها في سروج بالقرب من أنقاض مدينة قديمة تدعى ديميتير التي كان قد دمرها سنحريب وسُخر رجالها لحمل طوب سورها على رقابهم ورميها في الفرات. وكان قديماً وعلى بعد ١٢ ميلاً من الفرات، أربع مدن في سروج، ديميتير التي ذكرناها، وبطنان المعروفة بـ «مأوى الأسود» وكان قدوتها مار يعقوب (السروجي) الزائر قبل رسامته أسقفاً، وتعرف اليوم بـ «حصن ابن نوتا» فدكت اسوار كيسوم بايعاز من الأمير، واستسلم نصر ورفاقه، وطلبوا الى الحراس أن يعدوا لهم خيولاً وبغالاً. تم هذا الخلاص في آذار سنة ١١٣٦، وقد تكبدت الجزيرة والغرب عذاباً من المتمردين مدة ١٤ سنة، حتى تمكن عبد الله، هذ الرجل الرزين، أن يشيع فيه السلام بصورة تامة.

محاولة ابيرام الحصول على فرمان

لما جاء الأمير عبد الله الى الرقة، زاره ابرام المتمرّد وزمرته للحصول منه على فرمان. وحضر هناك البطريرك مار ديونيسيوس ودخل أولاً الى الأمير، فسأله عن ابيرام وزمرته، فأخبره عن تمرد جماعته على البطريرك قرياقس، وعن بقية مساوئهم، وان غايتهم من فرمان هي اثاره الشغب في المنطقة، لعدم وجود من يواليهم. فأوعز الأمير بدخول ذلك الشقي، فسأله: مارتبتك؟ أجاب: بطريرك. فاعترضت عليه لأنه كذب، وتحدث هو عن مسألة العبارة (الخبز السماوي). فسأل الأمير، وما موضوع هذه العبارة؟ أجاب البطريرك: لقد اتخذوا هذه

العبارة التي نتخاضم بسببها، غطاء لُحِبهم للزعامة، وقد وردت في الانجيل، ونحن نسنعملها في صلواتنا ضرورية. فنحن لانستعمل الانجيل كله دائماً في الكنيسة، انما نتلو جزءاً منه أحياناً أو نفسره للشعب، وأحياناً أخرى نقرن صلواتنا ببعض آيات منه كما تفعلون أنتم، فانكم لاتتلون كل كتابكم في صلواتكم، لكن الامام يتلو جزءاً منه عندما يؤم المصلين أو يقتبس آية منه ويبني عليها موعظته دون أن يعترض عليه الحضور على تلاوة هذا الجزء أو ذاك كما يفعل هؤلاء المتمردون في الكنيسة. وبعد أن رويت القصة بكاملها باللغة العربية، جعله الرب أن يكرمني جداً، وأمر الحاجب أن يسأل ألوف المسيحيين الوافين خارجاً عن رئيسهم. فنادى من هو رئيسكم؟ فأجابوا. أن ابيرام ليس رئيسنا، لا بل ليس مسيحياً. وقد اثتى علينا المؤرخ كثيراً لكننا لم ندون حديثه عنا.

بعد أن تمحص عبد الله الأمور ورأى الفرمان الصادر عن والده طاهر، نظر الى ابيرام شزراً وقال: اني أرى أنك رجل كذاب وفصل وان الرئاسة هي لهذا البطريرك. فأمر بانتزاع برنسه (قباعته) للعال وزجره قائلاً: لا أريد أن أسمع أنك لبست القباعة مرة أخرى أو أمسكت عصا بيدك، أو أن تدعى بطريركاً. فاذهب وحن نفسك وسرح أتباعك من الرهبان، واذا سمعت أنك تجولت في المدن، يكون دمك عليك، وهكذا صرف ابيرام وزبانيته بعد أن أخذوا جزءاً نفاقهم.

غير أن الله، وبعلة آثامنا، اذن أن تذل الكنيسة بعض الوقت، حيث تتمر المتمردون بسبب الراهب الذي رسمه ابيرام والذي كنا قد سامحناه، بيد أنه عاد الى قيئه بتأثير برصوم المدعو ثاودوسيوس أسقف الرقة الذي انزعج بعودة الجبيين. فلم يتوقف عن المشاغبة، وعمل شأن غيره، على اعاقه الوحدة التي حققها البطريرك قرياقس مع اليوليانيين. ومثلما أثر ثاودوسيوس على جبرائيل فتراجع. هكذا فعل أيضاً بهذا الراهب، عيره وهرء به حتى دعا ابيرام الى ديره وسلم اليه فرمان الجب

الخارجي، فأعطاه نفقات وأبلغ أخاه سمعان في بغداد ليحصل له على رسالة توصية. فلما رأى العلويون فرمان علي بن أبي طالب، ساعدوه وحصلوا على فرمان لابيرام يخوله حق التجوال في المدن. فعاد سمعان الداري من بغداد حاملاً فرمان لأخيه ابيرام وجمع عصابة من الرهبان ليقابلوا الأمير عبد الله، فأرسل في طلبنا وحضرنا من انطاكية. وبعد أن دخلت إلى الأمير استدعى الآخرين، فلما نظر الأمير القباعة على رأسه، تحديق به شزراً وقال: لم لبست القباعة ولم تتقيد بأمرى؟ أجاب: انه مجرد غطاء الرأس وليست قباعة. فسألني عما إذا الأمر كذلك، وأبدى ارتياحاً عندما أكدت ما قاله الشقي. لكننا طعنا في صحة فرمان فيحين انهم أكدوه، وقد ردهم الأمير في عدة أمور، وانتهينا إلى أن يستحصل الأمير أمراً بالغاء ذلك فرمان. وخلال ٢٦ يوماً وصل كتاب من المأمون إلى عبد الله جاء فيه فيه « لقد رفع الينا المسيحيون مذكرة يشكون فيها من ابيرام الذي يزعم انه بطريك في الوقت الذي لهم ديونيسيوس بطريكا. فاستدع بعاقبة تلك المنطقة واستفتهم حول من يريدون الخضوع له. فثبت رئاسته ومداً له يد العون بما يناسب ولا يتعارض مع العدالة » فاذن لي الأمير بالدخول وترك ابيرام خارجاً وقال لي: أعطيك رسالة تلغي فرمان ابيرام وتضعه تحت سلطانك وتعزل كل من يقاومك، ثم دعا حاجبه وقال: امسك بيد البطريرك وأخرج، وادع ابيرام وزمرته وسلمهم إليه ليحكم عليهم كما يشاء، فخرج حيث كان آلاف المسيحيين والمسلمين مجتمعين، واجلسني على وسادته وقال للمتمردين: ان الأمير يأمركم بأن تخضعوا للبطريك المخول أن يطردكم أو يعزلكم. وأمر ابيرام أن ينحني أمامي. ثم التفت إلي وقال: هوذا الآن، بين يديك، افعل به ماتشاء. وقد ظن الحضور بأنني سأمر بضربهم وجبهم. أما أنا فأخذت أنصحهم وقلت: بما أنكم قد سلّمتم إلي، فاني أنصحكم على أن تملأوا قلوبكم من مخافة الله وتتركوا محاولة شق الكنيسة، ولينصرف كل واحد إلى بلده ثم أمرت برفع القباعة من رأس ابيرام كعلامة لانتزاع منه الرئاسة التي أخذها بالعصيان. فخرجوا يجرون أذيال الخجل واتجهوا إلى

قورس القريبة من نهر كبتاي بمنطقة جرجر وهم يشيعون ويقولون ان
الأمير قبلنا وأعطانا أمراً برسامة أساقفة وبمثل هذه الأوهام كانوا يخدعون
أهل القرى السذج.

فلما علمنا بهذا، أخذنا فرماناً من الأمير ورسائل الى عماله،
ووصلنا الى جبرين بمنطقة قوريقس، فلما قرأ عامله هناك رسالة الأمير،
أمر بجلب أبيرام فوراً مع زمرة مخفوريين كاللصوص، وسألني عما أريد
أن يفعل بهم، فقلت: أريد تأديبهم قليلاً أمام القرويين الموالين لهم، كما
طلبت نزع الاسكيم من ابيرام وصليبا ونوح المدعويين أساقفة. وبعد أن
فضحنا كذبهم أمام الجميع، قلت للحاكم، أرسلهم الى السجن، فتذمر
القيرون، فأوعز الى الفرس أن يطردوهم بالعصي، فعاد كل الى بيته.
وبعد ثلاثة أيام انتقل ذلك العامل من جبرين فطلبنا اليه أن يرسلهم الى
سجن حلب، فأثاروا هناك ضجة وادعوا أنهم مغبونون، وساعدهم
الخليقيدونيون في حلب بقصد اهانتنا. فأرسل والي حلب بطلبنا. ولما
شرحنا له واقع الأمر، أوعز بايدعهم السجن فأمضوا فيه عشرين يوماً
فرأى الغربيون مذلتهم، ثم أرسلوا الينا وسطاء متعهدين بعدم الاستعلاء
علينا الى الأبد، ومبدين استعدادهم للتوقيع على كل ما نريد، فوافقنا،
وكتب أمير المنطقة وثيقة وقع عليها القورسيون، محرمين على أنفسهم
دخول قورس أو اثاره أي نوع من الشغب، فتمتعت الكنيسة ببعض الراحة
بعيدة عن أذى المتمردين. ولما نقل الأمير عبد الله الى مصر، نكث
المتوردون بعهدهم، ودخلوا قورس لكنهم لم يفلحوا في اثاره الشغب.

فصل

في الفساد الذي زرعه المتمرّدون في مصر في عهد المأمون خليفة المسلمين، وما حدث في البصرة في هذه الفترة. والقضية التي أثّرت في الكنيسة والتي من أجلها سافر البطريرك ديونيسيوس الى مصر

لقد سرّ المأمون لدى تلقيه نبأ اعتقال نصر الذي أرسل اليه مع بقية المتمردين الى بغداد، ورغم كل طغيان نصر فقد أحب المسيحيين، وكان يفرض جزية مضاعفة على الذين ينحرفون عن المسيحية، وكان يقول: لطالما تدفعون لي الجزية، لكل واحد ملء الحرية أن يتبع الدين الذي يشاء، وقد ارتد فعلا الكثيرون من المساجد الى الكنائس. وكان يقطع رأس من يختصب امرأة، وقتل العديد من أتباعه لهذا السبب.

أناب عبد الله عنه أخاه محمد، وتوجه الى المناطق الغربية، ففتح فلسطين سلماً، وأخضع حسن المتمرّد في صور والزمه بعدم مغادرة حيّه، واذ أخلّ بوعدّه، أرسل فقتله. ثم اتجه صوب القدس وأدى الصلاة في العتبات المقدسة التي لهم هناك. وطاف في الأماكن التي تجول فيها المسيح الرب، ثم نزل الى مصر.

سنة ١١٣٦ أخذت الغيرة أبناء البصرة، فركب السفن نحو ثلاثين ألف منهم متجهين الى البحرين ليقتلوا سكانها لممارستهم القرصنة في البحر ومنعهم التجار والسفن القادمة من الهند والصين وفارس، من الوصول الى البصرة وبغداد. ولدى نزولهم الى البر، شعر بهم أبناء البحرين فهربوا بعوائلهم الى احدى الجزر، وكان لتلك الجزيرة معبر

يؤدي الى طريق وعر لايسطيع الغريب سلوكه، واذ حاول البصريون الوصول اليهم، انجرفوا نحو العمق، فلقق بهم البحرانيون بالقوارب واغرقوا جميعهم.

محاولة القرشيين اغتيال المأمون

في هذه الأثناء نُمي الى المأمون أن بني قريش يتآمرون عليه، فقبض على أربعة من رؤسائهم وسجنهم مكبلا اياهم بالأغلال. واذ قطعوا أملهم من الحياة، انفقوا سراً مع البعض ليضرموا ناراً في السوق الكبيرة المسماة « الكرخ »، حتى اذا حضر الخليفة هناك، أرسلوا من يغتاله. فشعر الخليفة بهذه المؤامرة، فذهب ليلا الى السجن وقتل القرشيين وعاد الى بلاطه. وفي الصباح علق الجثث على أعمدة خشبية، فدب الذعر في الجميع، ولم يصدق أفراد حاشيته بأن عزوفه عن قتلهم لم يكن ضعفاً بل رحمة. وألقي القبض أيضاً على ابراهيم عم الخليفة، غير أن الخليفة لم يعدمه نظراً الى شيخوخته. وقد كان هذا قد تعلم العزف على قيثارتهم، فكان يشتري صبياناً وبنات ويتفهم ثم يبيعهن بالآلاف الدنانير.

في الوقت الذي كان نصر معلناً العصيان في سورية، كان العصاة قد عاثوا الفساد في مصر أيضاً، ثم سيطر عليها شخصان هما ساري وجزوري وفرضا الجزية وجمعا أموالاً طائلة. وبعد وفاتهما، خلف عوبيد أباه ساري على الفسطاط والمقاطعة الجنوبية، وخلف احمد والده جزوري على المقاطعة الشمالية من مصر بالرغم من أن الشعب القادم من اندليوس كان مسيطراً على الاسكندرية. ولما وصل عبد الله بن طاهر الى العريش سنة ١١٣٧ زاره احمد، فتعهد له بالابقاء على ثروته، وكان والده جزوري قد جمع ذهباً وصبه على شكل لبنات ودفنه، وقال لذويه اني أخجل من الارض، وذلك لكثرة الذهب الذي أودعه فيها. أما ابن ساري الذي كان أكثر ثراءً، وكانت مدينته محصنة، ويمتلك ثمانين الف رجل،

معظمهم ماديون، فتصدى له، فخاف عبد الله لانه كان قد ترك جيشه في فلسطين، فأرشد اليه ثلاثة رجال مسنين ليفاوضوه بخصوص السلام، فقال بصلافة: اني تحت طاعة الخليفة وعامل له. فاختر أنت أحد الأمور الثلاثة، أما أن تكلف واحدا من قبلك بجمع الجزية من مصر عندما أصبح مسؤولاً عنها، أو اطلب الجزية وأنا أرسلها دون أن تأتي الي هنا، أو استعد للقتال. فلم يحرك عبد الله ساكناً حتى وصلت قواته التي كانت في الغرب والجزيرة، وقاتلت ابن ساري. وفي نيسان غزا الفسطاط. فلما رأى عوبيد ان وطيس الحرب قد اشتعل، وقطعت عليه طرف الامدادات، أرسل يقول لعبد الله. يا أميري أود أن تحل نعمة السلام دون توسط أحد، وعليه فاني سأغادر غداً. فأجاب الأمير، حيث انك اتخذت هذا الموقف، فأنا أيضاً أتعهد بسلامة أسرتك وكل ممتلكاتك. فتوجه ابن ساري على الفور الى عبد الله، وتم السلام وتناولوا الطعام سوية.

الاندليوسيون في الاسكندرية

لدى استيلائهم على الاسكندرية، أخرج الاندليوسيون منها المسيحيين واليهود، وسكنوا دورهم، فطلب اليهم عبد الله أن يرسلوا عشرة ليختار أحدهم رئيساً لهم، فأرسلوا بعض رعايهم فطردهم وامر أن يرسل فلان أو فلان، فلم يذعنوا. فحاصر قلعتها في آذار عام ١١٣٨ لأن المدينة كانت خربة إلا من أنقاض الكنائس العظيمة والبيوت الفخمة، ولا يتواجد السكان سوى في الضواحي. وبعد تسعة أشهر من الحصار والقتال استسلموا وطلبوا أن يشتروا بيوتاً لسكناهم فرفض المسيحيون، الأمر الذي اضطرهم الى العودة الى بلادهم، في حين أرسل خمسون منهم مع عوائلهم الى الرقة. وبعد أن أحكم سيطرته على مصر، وضع نصب عينيه السيطرة على أفريقية برمتها، فأرسل وقبض على ثمانين شخصاً كانوا عائدين من مكة، وأمرهم أن يكتبوا الى مواطنيهم ليتوجهوا الى الأمير ليقم لهم رئيساً منهم. فلما علم الأفارقة بالقبض على رفاقهم،

واستناداً الى ماسمعه عن معاملة عبدالله بن طاهر الطيبة، شخصوا اليه، فعين اثنين ممن توسم فيهما العدالة، واصطحب الباقيين الى الخليفة المأمون، ثم ذهب الى الرقة سنة ١١٣٩ وأسكن الذين اصطحبهم في بنازريون بقليلية.

ابتدأ هدم كنائس المسيحيين في تكريت أولاً، كما أشرنا في الحديث عن باسيليوس، ثم انتقل هذا التأديب الى الجزيرة والغرب. وفي سنة ١١٣٦، طالنا التأديب بسبب خطايانا. فأثار علينا ابليس حرب تدمير الكنائس. فقد كان ليقظان في الرها، كاتب خلقيدوني يكره المسيحيين يدعى وليد. فلما شكوه ليقظان زاد في اكرامه نظراً الى المساوي التي كان يلحقها بالمسيحيين، فلم يحتمل الرهاويون، فتوجهوا الى مصر لمقابلة الأمير عبدالله ورفعوا شكوى ضد كليهما فلما شعر وليد بأنه سيسقط لا محالة، حرض يقظان على هدم كنائسهم. فكتب الى حاكم الرقة ليزيد من ضغطه على الرهاويين وعلى مطرانهم ثاودوسيوس. واذ كان يبغض المسيحيين هو الآخر، تحدث في الموضوع مع الأمير محمد، فانخدع بكلامه، وأصدر أمراً بهدم كافة الأبنية الحديثة، فهدموا كنيسة الأربعين شهيداً والقلالية الأسقفية ومخزن الكنيسة وجرن المعمودية والمنبر وغير ذلك من الأشياء التي كان قد نظمها ثاودوسيوس، كما هدموا دير النساء للخلقيدونيين واحدى كنائسهم، وشيدوا مسجداً أمام الكنيسة القديمة في ططرافولون، في الموقع المعروف بـ « مجلس السبت » وهو بناء تعلوه قبة، كان يجتمع فيه الشيوخ والرؤساء بعد رتبة الصباح، يتجادبون أطراف أحاديث كتابية وكنسية وسواها، حتى ميعاد الغداء. وطلب اليهم أيضاً تسليم عبيدهم ليعتقوا الاسلام، فلما علم بهذا مسلموا حران اندفعوا نحو الكنيسة ليهدموها ويزعجوا المسيحيين.

البطريك دوينيسيوس يزور أمير مصر

لدى سماعنا هذه الأنباء، ونحن في نصيبين، اصطحبنا الأساقفة وسافرنا الى مصر لمقابلة الأمير عبدالله. فركبنا السفينة من يافا، أما ثاودوسيوس والآخرون فسافروا بطريق البر. وهاج البحر وأوشكت السفينة على الغرق، واشتدت العاصفة حتى قطعنا الرجاء من الحياة. وبعد يومين قذفنا الى ميناء مدينة تانيس حيث استقبلنا أكثر من ثلاث ربوات من سكانها، وهي في شبه جزيرة تحيط بها سواحل نهر النيل وبحر أدرياس، كما أنها محاطة بالماء بدلاً من السور ووصلوا إلينا على الزوارق واندفعوا لنيل البركة، ومنذ الصباح وحتى المساء بالكاد استطعنا الوصول الى حدود المدينة من شدة الازدحام، حتى جاء جند من المدينة وفرقوا الشعب بالعصي وأخذونا الى الكنيسة فزارنا يعقوب بابا الاسكندرية وأساقفته ورحبوا بنا معبرين عن سرورهم بوصول بطريك آخر الى الاسكندرية بعد مار سويريوس. فتحدثنا عن الاتحاد الذي حققه مار اثناسيوس الجمال مع انسطاس بعد الانشقاق الذي حدث بين البطريك ودميان. فبدا لنا عدم اكثراتهم بمعرفة التاريخ حيث أنهم تعثروا بالكلام، لكن يعقوب ولئن كان ضعيفاً في المعرفة والادارة، الا أنه كان فاضلاً تقياً. لقد تأخرنا كثيراً في المدن، لأن الشعب لم يكن يسمح بمغادرتنا المدينة الا بعد اقامة الذبيحة ومناولتهم، ذلك أن المصريين يعتزون كثيراً بتناولهم من يد البطريك، لذا سبقنا ثاودوسيوس وأخبر الأمير عمّا صادفنا في البحر. ولما دخلنا اليه في معسكر الفرس، عاتبني لسلكي طريق البحر، ونظراً الى احترامه لي قاله: مالذي دعاك أن تأتي الى مصر وأنت شيخ ولك مثل هذه الرئاسة، فان رسالة منك كانت تفي بالغرض، فتضمنها ماتريده لاسيما وان أخاك هو صاحب الأمر. فأجبت: يا صاحب العظمة، ان هذا المطران يسعى لشخصه بسبب ماكابدته الرها. أما أنا فأكثر تألماً لهدم كنائسنا وابطال شعائرننا. وكان مقابلتنا له لانشغاله نهاراً بالحرب، وكان حديثنا مفيداً. وسلمت اليه رسائل أهل الجزيرة

والغرب وشكاواهم من عماله، ورويت له مأساة مدينة تانيس المصرية المولمة التي ولئن كانت تعج بالسكان والكنايس، إلا أننا لم نجد فقراً أشد من فقر سكانها الذين قالوا لنا، أن سبب ذلك يعود إلى أن مدينتهم محاطة وليس لهم مجال ليزرعوا أيّاً من الغلال، كما ليس بإمكانهم أن يمتلكوا شيئاً، حتى مياه شربهم يأتون بها من مكان بعيد ويشتررون جرة بأربعة قروش، وإن حرفتهم هي الحياكة، حيث تغزل النساء القطن وينسج الرجال بأجور يومية يتسلمونها من التجار أصحاب العمل مقدار نصف قرش. وقالوا لنا أيضاً: أن أجور عملنا لاتسد رمقنا، والانكى أنه قد فرضت علينا جزية بمقدار خمسة دنانير على كل فرد. وإذا عجزنا عن تأديتها، زجونا في السجون حتى نضطر أن نقدم أولادنا وبناتنا لخدموا كعبيد مدة سنتين بدينار واحد فقط. وإن صادف أن ولدت امرأة أو بنت عندهم، يستشهدوننا بالله أن لانبوح بذلك. وكثيراً ما يصادف ميعاد الجزية الثانية قبل وقت تحرير زيجه شخص ما. لذا طلبوا إلى أن أطلعك أيها الأمير على مأساتهم لكي ترأف بهم فأمر أن يدفعوا الجزية أسوة بأهل الجزيرة، أي ٤٨ قرشاً للكبار و ٢٤ للوسط و ١٢ للوسط و ١٢ للفقراء، وذلك بحسب احصاء الرؤوس

ثم زودنا بتوصية باعادة بناء كل ماتهدم في الرها، وبمنع هدم أية كنيسة في أي مكان، وأنفذ رسالة إلى أخيه محمد ذيلها بتوقيعه جاء فيها « يا هذا » لأعتقد بانك آلة أعلى من كرسينا، فان معسكري قد امتلأ من الأساقفة والرهبان الأكرمين الرافعين شكوى ضدك، متذمرين من الظلم الذي تكبدوه منك من جراء هدمك كنائسهم، لاسيما البطريرك وأخوه مطران الرها، وأنا أعرفك شاباً غير مهذب. ولا يخفاك، فاني أعرف الذين حرضوك للتعدي على المسيحيين، فهم لا يودون تقريبيك إلى الله بعملهم هذا، بل اكمالاً لرغبتهم لاغير. وبعد جدال طويل أوصاه بالامتناع عن أذانا وسلمنا الرسالة، فتناولها المطران من يد أحد الكتاب وفتحها ونسخها، ثم أعاد غلقها. فلما تسلمها محمد أمر بوقف العاصفة، فخرج السجناء.

لقد تم هذا الخلاص سنة ١١٣٧. في حين تم خراب الكنائس في ولاية
يقظان الذي صعد بعد خمسة أشهر على رأس جيش إلى بلاد الروم، حيث
قتل وقضي على جيشه. وكان ذببه على جنبه.

فصل

يتناول الأحداث التي جرت في الكنيسة، ومعارضة فيلكسينوس أسقف نصيبين ولعازر أسقف بغداد اللذين بسببهما سافر البطريرك ديونيسيوس الى بغداد ليقابل المأمون خليفة المسلمين. وهو الذي كتب عن هذا بدقة متناهية

نتحدث هنا عن الحرب التي أثارها ابليس ضدنا سنة ١١٣٩ لنشترك نحن أيضاً بالالام من أجل الكنيسة، كما فعل أسلافنا الاساقفة عندما تكالب بعضهم على حب الزعامة مثل سر كيس الزدقيني ضد سويريوس بن مشاقة، ودنحا مطران تكريت ضد يوليان، وأثناسيوس واسحق ضد ايوانيس، ويوحنا وداود ضد جاورجي، وابيرام ضد قرياقس، فهؤلاء عملوا على تمزيق الكنيسة بدافع حب الزعامة. ففي الوقت الذي كان الرب قد أبعدهنا انشقاق البدع، ابتلانا بشكاوى وتذمر المرعيث من أساقفتهم، وتوجيه تهم غير لائقة برؤساء الكهنة.

فقد حذرنا فيلكسينوس أسقف نصيبين من دخولها، حتى الانتهاء من التحقيق في التهم الرديئة التي وجهها اليه الأرخبياقون نونا الرجل الشهير بفضله. وقد استغرقنا ست سنوات في التحقيق في قضيته على أمل أن يوجد الرب حلاً ومخرجاً يحسن له، كي لا تهان الكنيسة المقدسة بسبب التحقيق معه. واذ لم يكف عن اثاره الشغب وخلق الانشقاق في المدينة، جمعنا ٤٠ اسقفاً في رأس العين وعزلناه، فاستخف بأحكام الله وتوجه مع تابعيه الى القروسطيين وجذب اليه ابيرام وزباينته الذين كانوا يصرون أسنانهم على فيلكسينوس خلال المجمع الذي عقده البطريرك قرياقس في جبرين، وأدخلوا الى كنيسة نصيبين، ذاك الذي حرمه كل من

البطاركة قرياقس ومرقس ويعقوب وأساقفة سورية ومصر. وهكذا
انقسمت كنيسة نصيبين شطرين.

قرار المأمون بخصوص رئاسة الكنيسة، وزيارة البطريرك له

في هذه الأثناء، أصدر المأمون قراراً يقضي بعدم معارضة أية
مجموعة من عشرة أشخاص فأكثر تريد إقامة رئيس لها، وذلك من أجل
اضعافنا والتحكم فينا. الأمر الذي دعانا الى زيارته لالغاء هذا القرار،
حيث ساد الخوف بعد انقسام اليهود على أثر إقامة الذين في طبرية
شخصاً يدعى داود حبراً لهم، في حين أقام الذين في بابل شخصاً آخر
يدعى دانيال من شيعة الكنعانيين الذين يحلون السبت ويحفظون الاربعاء.
فلما وصلت قضيتهم الى المأمون قرر أن يختار كل جانب من يشاء
رئيساً له.

لما بلغنا العاصمة وقبل أن نمثل أمام الخليفة، أثار ابليس فتنة أكثر
شراً من فتنة أهل نصيبين، وذلك بالتهمة التي قدمها أهل بغداد الينا ضد
أسقفهم لعازر، والتي كانوا قد قدموها الينا قبل سنتين في انطاكية، فلم
نناصر المشتكين طمعاً بالمصالحة، ولما اضطررنا الى قراءة التحقيق
وثبتت لدينا التهمة، قررنا عزله، الامر الذي لم نفكر به قط حتى ذهبنا الى
تكريت حيث كان ينبغي أن يتم التحقيق لنلا تهان طغمتنا في مثل تلك
المدينة . فلما انشقت كنيسة بغداد، وصلت قضيتهم الى الخليفة، وعزا
أصحاب لعازر سبب ذلك الشغب، الينا. غير أن الخليفة المسالم هدأ من
غضبه لدى علمه بأننا جننا لزيارته حاملين له الهدايا. وبعد فترة سمح لنا
بالدخول اليه فوقف الاساقفة عن بعد، وأذن لي فقط بالدنو منه حيث كان
يتنزه في بستانه ممتطياً فرسه. فبسط الي يده كالعادة المألوفة لدى الخلفاء

الذين يمدون أيديهم باحترام لأول الداخلين اليهم. فسألني: ما شأنك وكيف تسير الامور عندكم؟ أجبت: اننا نتمتع بسلام بوجودك، كما قال بولس لفيلكس، وقد تحسنت ظروف شعبنا في عهدك، وعليه فنحن لا نقدم لك الشكر فحسب، أيها الملك الظافر، بل ونصلي من أجل أن يطيل الرب حياتك، ثم أشار الي لاسترسل في الحديث. وحيث أنني علمت بأن مذكرات قدمت اليه بخصوص لعازر، أردت أن يفتح لي باب الحديث عن طريق هذا (الموضوع) فقلت:

لم يكن لنا وللأساقفة أي غرض من مجيئنا الي هنا، سوى زيارتك والدعاء لك، ولكن لما طال مكوثنا هنا، صادف وان رفعت الينا شكوى ضد أسقف هذه المدينة من قبل من كانوا موالين له، واذ ثبتت تهم الشكوى من خلال التحقيق وشهادة الشهود، انتزعنا منه السلطة، فقاومنا مع بعض المتمردين متشبثاً بقرارك القاضي « بأن كل مجموعة مؤلفة من عشرة أشخاص فما فوق بإمكانها اقامة رئيس لها، ولا يحق لأحد مقاومته». انه لأمر لا يصدق أن يصدر من عدالة ملك، ونحن نؤيد معاقبة من يتجاسر ويكذب على الخليفة. فأجاب: لقد سبق وصدر عني هذا القرار بالنسبة الي اليهود، ونحن لسنا ملزمين باقامة رئيس لكم ما دمتم خاضعين لحكمنا. فقلت: أيها الملك العادل، أين عدالة أحكامكم ومتى صدر قرار مثل هذا من خليفة مثلك. فأنتم تعرفون أن بيننا وبينكم عهداً ووثائق موقعة ومختومة بخاتم الخلفاء الذين فتحوا المدن وبناء على ذلك استسلمنا لكم، فاذا نكثتم بتلك العهود، ومعتم عنا شعائرتنا ورئاستنا، تكونون قد ألحقتم الغبن بنا، لأن أمورنا ستضطرب وسنتهي الي محاربة بعضنا البعض، ولن تغدوا حكامنا. قلت هذا وأنا أصرخ وأحرك يدي تجاهه كالذي يخاصم زميله من أجل تقسيم الغنيمة، كما رفع هو الآخر صوته كمن يبارز نداً له دون أن يمتعض من الدالة التي أظهرتها نحوه. ثم سألني عن كيفية اصدار القرار ضد لعازر، فأسمعتة القصة من أولها. بعد ذلك أبرز الشكوى التي رفعها الموالون له ضدنا، وأخيراً قال: أيها

المسيحيون، انكم تزعجوننا كثيرا وتؤذوننا، لا سيما انتم اليعاقبة كما هو واضح من الشكاوى التي تقدمونها الينا ضد بعضكم البعض، فامض الآن وعد الي غدا.

لقد تعجب أساقفتنا وجنوده بالدالة التي تحدثت بها اليه بقوة الله، وبطول أناته علي. وبعد عشرة أيام قلنا للعازر المارديني من حاشية الخليفة أن يذكره بوعدده ففعل. وكان هناك يحيى بن أكتم قاضي قضاتهم، فأمر الخليفة بحضوره في اليوم التالي مع الفقهاء. وفي الصباح دخلت اليه لوحدي ووقف معظم الاساقفة على الباب فرأيته جالسا على أريكته وقد انتظم حوله قضاة بغداد وعلماؤها، فسلمت ودعوت له، فأمر بأن أجلس قبالته، وقال لي: لقد أنحيت علي باللائمة ظلماً أيها البطريرك، بسبب القرار الذي أصدرته بحقكم، لذا جمعت الفقهاء لأتحدث اليك أمامهم. ثم التفت صوب الشيوخ وقال: ماذا ترون هل يستوجب علينا أن نعين حكاماً من المسيحيين ما دامت الدولة لنا، أم انهم بحسب القرار الذي أصدرته فيهم وفي اليهود، يتمتعون بالسلام الذي نوفره لهم اذا ما أخلصوا لنا الطاعة والتزموا بالهدوء، ولن يكون من يكرههم علي تغيير ايمانهم وتقاليدهم؟ فكان جوابهم لهذا السؤال الموجه اليهم مقترناً بالزيف، اذ قالوا: ترى من مثلك له خبرة في الاحكام، أو من أصدر حكماً أكثر عدلاً من هذا؟ فلم أرد بشيء علي قرار المشايخ هذا المزعج، بل قلت للمأمون، لو سمحت فاني أود أتحدث عن سر المسيحيين، وبعد أن أذن لي قلت:

عندما أشرق ديننا في العالم بواسطة تعاليم المسيح الذي أنقذنا من عبادة الاوثان، وبعد أن أكمل تدبيره، وقبل أن يصعد الي السماء، دعا تلاميذه وأوصاهم أن يركزوا بالايمان به، فجذب التلاميذ الكثيرين الي الايمان بفعل المعجزات، ولما كان الموت، أمراً محنماً، سلموا الرسالة الي الآخرين... قبل انتفالهم وقسموا المسكونة أربعة أقسام، وأقاموا رئيساً

على كل قسم دعوه بطريركاً، وجعلوا كراسيهم في مدن كبرى هي، رومية والاسكندرية والقسطنطينية وانطاكية، وهؤلاء رسموا أساقفة وأقاموا رئيساً لكل عشرة أساقفة، سموه مطراناً وخولوه صلاحية اقامة أسقف بديل في حالة وفاة أحد أساقفته، وخولوا الأساقفة صلاحية رسامة كهنة وشماسة والرتب الادنى منها، ومن هنا فان سلطة البطريرك تطال الاساقفة والكهنة والشماسة، ولا يجوز لأي من الذين ينضوون تحت سلطة البطريرك أن يقاومه أو يبطل قراراً أصدره أو يعارضه في ما يفعل، الا اذا انحرف عن الايمان. وفي هذه الحالة يجتمع ثلاثة بطاركة ويحاكمونه. ولا تزال هذه القوانين سارية المفعول حتى اليوم. ومنذ أيام المسيح وحتى اليوم، لم يغير ملك ما تقاليدنا، لا سيما خلفاء المسلمين، وقد ثبت أبائك المرحومون الرئاسة لنا، وكانوا يزودوننا بالفراامين، وأنت نفسك أعطيتني فرماناً في بدء حكمك، لذا، وحيث أنك تلتزم جانب العدالة، أمل أن لا تسن لنا قوانين جديدة، لا سيما لم يقم خليفة أكثر حكمة ومنطقاً وكبر نفس منك.

أما بخصوص الشكوى التي قدمها ضدي ذلك الاسقف المعزول، فليعلم الخليفة أن بعض الاشرار من المسيحيين الذين يُعزلون، اعتادوا على اقامة شكوى ضدنا، ولأنهم يعلمون ان لا سند لهم من جهة القوانين الكنسية، فهم يلتجأون اليكم واشين بنا أمامكم متهمين ايانا بأننا أعداء المسلمين، أو اننا نشتم نبيكم وسواها من الأمور الخبيثة التي عاقبتها الموت. ثم رويت له قصة داود اسقف دارا مع البطريرك جاورجي، وقصة الجبيين وايرام مع البطريرك قرياقس، وختمت حديثي بالطلب اليه أن يرفض الشكوى المقدمة ضدنا، فأجاب: لقد سمعنا عن معاملة الأسلاف لكم، ونحن أيضاً نعاملكم بما يليق، لكن لماذا نتمسكون أنتم معشر المسيحيين بهذا الأمر أكثر من سائر الاديان؟ قلت: ان أولئك هم الآخرون قلقون وهم يتوقعون من زيارتي لكم أن يشملهم التخلص من هذا القرار. لكن رئاستنا تختلف عما هي لدى المجوس واليهود. فهؤلاء

يسمون رؤساءهم ملوكاً ويتسلمون الرئاسة بالوراثة، ويؤدون لملوكهم بعض الواجبات كالضريبة التي لا وجود لها عندنا. فهناك ثلاثة أنواع من الرئاسة في هذه الحياة، طبيعية وجبرية واردة، فالطبيعية كرئاسة الاب على الاولاد، ورئاسة الرجل على المرأة، وفيها يتساوى جميع البشر، أما الجبرية، فاما أن تعطى من الله أو تأتي نتيجة الخوف من السيف كما هي شأن ممالك العالم. فان رئاستكم هي أصيلة، أما رئاسة الذين هم تحت نفوذكم ويجبون الضرائب والرسوم ليقدموها لكم فهي استعارية، لأن دأبهم هو جمع المال للذي له الرئاسة العليا. أما الرئاسة عندنا فتأتي نتيجة الانتخاب واتفاق آراء الشعب، ونحن ننظر اليها ككهنوت لا كرئاسة (مدنية). ومثلما ان الامام يثم المصلين عندكم ويعظ ويوجه الى عمل الصلاح، هكذا يثم البطريك والاساقفة عندنا، المصلين ويحثونهم على التمسك بالشرعية، ويصدرون عقاباً بحق المذنبين، لكن ليس ضرباً وقتلاً كما تفعلون، بل بالتجريد من الرتبة، سواء أكان المذنب أسقفاً أم كاهناً، واذا كان علمانياً يُبسل من الكنيسة. فنحن اذن لسنا كسائر الشعوب الاخرى أيها الخليفة، وان الخسارة التي تلحق بنا من جراء الغاء رئاستنا، لا تتمثل بالمادة، بل تمس عقيدتنا وتبعدنا عن الله. نحن لا نفكر أن نشارككم الرئاسة، وكل ما يهمنا هو أن لا تهان شريعتنا باعطاء الرئاسة لكل من يرغب وفي أي ظرف كان. حينئذ قال: نحن لا نمنعكم من تجريد من يقاومكم من رتبته، أما أن تطردوا شخصاً من الكنيسة أو تمنعوه من الصلاة، فهذا ما لا نسمح لكم به. ثم أوعز الى كاتبه أن يتلو كتاب قاضي الموصل. ولما هم بالقراءة، التفت الي الخليفة وقال: اصغ ايها البطريك وانظر كم نحتمل منكم.

فلما تليت لاحظت انه يبخس بالمسيحيين فلم أتحمل فقلت: حفظك الله أيها الخليفة، ان أبناء الموصل واقفون على بابك منذ عدة أيام منتظرين أن يقدموا شكوى ضد قاضيه الذي بالغ في ظلمهم، فهلاً أمرت بدخولهم واستمعت الي شكواهم؟ فقال: هل بإمكانك أن تتحدث باسمهم؟

قلت: يدعي المواصلة أنهم سلموا مدينتهم للمسلمين طوعاً، وقد تعهد فاتحها بعدم هدم أية كنيسة أو ابطال شريعتهم. غير أن هذا القاضي هدم كنيستهم الكبرى وألغى شريعتهم. فأوعز الى يحيى قاضي القضاة أن يستمع الى المواصلة حول فتح مدينتهم، فاذا كانوا قد سلموها فعلاً، لهم أن يتمتعوا بالتعهد الذي أعطاهم فاتحها. أما من جهتنا فقال: اننا لا نتدخل بينكم، ولك اذا تمرد عليك أحد الاساقفة الذي تحت سيطرتك وشارت فتنة بسببه، فنأمر أن تبقى أوقاف كنيسته تحت توليتكم ولا يحق له ادارة شؤون كنيسته باستثناء الصلاة فيها. ثم قال للقاضي اسحق، « انظر اذا ثبت ان لعازر هو تحت سيطرة البطريرك، نفذ فيه أمرنا، وامنعه واتباعه من اثاره الشغب ». وهكذا غادرناه ولم يكن لي من سند سوى الروح القدس الذي وعد بارشاد الذين يجاهدون من أجل المسيح. حقاً انه لمن الصعب عليه أن يسلم، وهو ملك، بأنه قد غلب. لكننا فهمنا بعد مغادرتنا انه ارتاح لحديثنا معه. فقد قال الفقهاء للشعب المتجمع خارجاً « كان حديث رئيسكم رائعاً وقد امتدحنا شجاعته، فعليكم أن تتمسكوا به وتحترموه لأننا لم نر مسيحياً بقوة الاقناع مثله. تم هذا الحدث في آذار ١١٤٠.

فصل

في بعض الاحداث التي جرت في عهود ثلاثة من ملوك الروم المدونة أسماؤهم في فصل السابق . وسير أمور الكنيسة التي أدرجها البطريرك مار ديونيسيوس في كتابه بصورة متقنة .

إذا كان القديس ايوانيس قد سئم من الاطالة في تفسيره لمثل لعازر، فها نحن قد أمضينا أربعة أيام في الحديث عن مثل هذا الرجل الذي ينعتة الانجيل « الوديح » حتى انه استحق حزن ابراهيم، قلنا هذا لكي لانسام من اطالة الحديث عن الحديث عن الذي يشبهه بالاسم لا بالسيرة، ولا كمن يستحق الحديث عنه، بل لكي نظهر كيف أن الخليفة أصدر قراراً ضدنا ولم يلحق الأذى بالكنيسة بفضل نعمة الله، فرسمنا مطرانا لبغداد بدلا من لعازر، انتعشت به تلك الكنيسة.

في تشرين عام ١١٤١ غادرنا بغداد الى تكريت نزولا الى الحاح الشعب بغية انقاذهم من باسيليوس الذي قدموا ضده عدة شكاوى، والذي كان يزعجهم برسائله حتى بعد أن طرده المسلمون، ويحثهم على كراهية بعضهم البعض، ولنا. ولما عزمنا على عقد اجتماع بخصوصه في الموصل أو بلد، سمعنا أنه مريض في دير خارج بلد يدعى دير، فأوفدنا اليه ثلاثة أساقفة فوجده مصاباً بداء الأكلة وقد تشوه وجهه وبتن وانترع لحم لثته، ولم يستطيعون الدنو منه لكرامة رائقته. فأجاب بتعلم من وراء الثوب الذي وضعه على وجهه، « اذهبوا وقولوا للأساقفة أنا على خير مايرام واما قليل سأتي اليكم »، ولما حاولوا رؤية وجهه لم يسمح لهم، فعادوا وقصوا الخبر علينا، فاستغربنا من موقفه، كيف أنه لم يتنازل عن كبريائه وهو على شفير الموت وليستسلم ليد الله الضابط الكل، غير أنه

توفي بعد يوم واحد، فقمنا بدفنه، وفرح خصومه كثيراً، لاسيما المشرقيون الذين تحرروا من النزاع الذي أثاره بينهم، كما خلفت وفاته جواً من السلام. حيث كنا في حيرة من الأمر، لئلا ينشق المشاركة عنا بفعل فساد، فاستدعينا دانيال: من دير يقوم ورسمناه مطراناً لتكريت، وغادرنا الى سورية في كانون الأول سنة ١١٤١. وفي تلك السنة توفي مار يعقوب بابا الاسكندرية وخلفه مار سمعان، لكنه توفي بعد خمسة أشهر فقط من تسلمه زمام البطريركية، فرسم البطريرك يوسف.

يقول البطريرك ديونيسيوس: ان رجلاً حكيماً في عاصمة الروم، زامن أربعة ملوك ووقف على أخبارهم عن كثب، تحدث الي عنهم، فقال عن سطوريق الذي سبقت الاشارة اليه، بأنه احتمل كثيراً من البلغار كما احتمل من أخته فدرقوفيا التي دست له السم لتتخلص منه ويصفو جو الحكم لزوجها ميخائيل الذي تسلم الحكم بطريقة خبيثة، لكنه لم يهنأ بما اصطاده خبثه. فقد يئس منه زعماء الروم وقرروا قتله لأنه كان يبدد خزينة مملكتهم. فشعر بالمؤامرة وفكر كيف ينقذ حياته من الموت.. فلما عاد لاون سطرابطيغوس من حرب البلغار منتصراً، خرج الملك لاستقباله وهو يحمل التاج، فترجل لاون لينحني أمام الملك، وترجل هو الآخر ووضع التاج على لاون وقال: تسلم الملك فانه جدير بك، وانحني أمامه أولاً، ثم استطرد: ما دمت قد فزت بالنصر فان التاج يليق بك، فحسن هذا التدبير للروم، فجلس لاون على العرش. وقص ميخائيل وزوجته شعر رأسيهما وترهبيا. وجب الروم أولاده الأربعة، مات اثنان منهم وعاش الآخران.

بعد تسلمه الحكم، نمي الى لاون أن بطريرك القسطنطينية جدد بدعة « التماثيل » فخاصمه. وكان ذلك الشقي قد عارض السجود لتماثيل القديسين وحتى للصليب، زاعماً أن الصليب ليس أعظم من التماثيل، غير مميز بين السجود لاسم الله من السجود للانسان، ومن الطبيعي أن يكون

تمثال على الصليب الذي يعلقه المرء في عنقه. وفيما كان الملك والبطريك يخوضان هذا الصراع، سقط الروم في ضلال آخر. فقد كان في العاصمة منذ أجيال بعيدة عمود ضخمة، ونظراً إلى ارتفاعه الشاهق لم يتمكن أحد من الوصول إلى قمته التي أقيم عليها تمثال نحاسي يعلو رأسه تاج ويسمونه أغسطس قيصر ويتخذونه موضوعاً لسحرهم. فاذا مال التاج، حل الموت في المدينة. وفي هذه الأثناء مال التاج، وبالكاد وجد شخص فني ليصعد ويعيده إلى مكان عليه، فاستدعا البطريك وأعطاه تماثيل صغيرة سراً، وأوصاه أن يظهرها للناس بعد أن يفرغ من إصلاح التاج، ويدعي أنه وجدها في التاج. وقد قصد من وراء ذلك أن يقول إن عبادة الأصنام تقليد قديم لدى الروم. فلما نزل وأبرز التماثيل، سأله الملك أحقاً وجدتها هناك؟ أجاب: حقاً وجدتها هناك. فسأله أيضاً، هل كانت مكشوفة أم مخفية؟ قال، أنها كانت تحت الفضاء. فأمر الملك بأن يرش عليها الماء، وللحال اختفت الصور ولم يبق في الأطر شيء. فلما انكشفت الخدعة، واعترف الرجل بتدبير البطريك لها، أمر الملك بنفي البطريك وأقام ثاودودوط بدلاً منه.

ومن هنا اغتر لاون، وعادى الساجدين للتماثيل وقتل العديد العديد من زعماء الروم. واذ شعر الزعماء بأنه سيقضي على جميعهم، قرروا قتله وإعادة ميخائيل، فعلم بذلك وقبض على ميخائيل وكبله وزجه في السجن وقرر أن يصلبه يوم الجمعة العظيمة، فالتفت منه زوجته إلا يقتله في ذلك اليوم. فأرسل ميخائيل إلى الزعماء الموالين له يقول: إن لم تجدوا وسيلة للخلاص، فسوف أقول انكم شركائي في التآمر على الملك، فاضطر الرؤساء وهجموا على الملك لاون وقتلوه في المذبح، بعد أن حكم سبع سنوات ونصف، وأخرجوا ميخائيل من السجن وسلموه مقاليد الحكم، وهو يهودي الأصل من مدينة أموريين، تنصر جده. وبعد أربع سنوات من حكمه، ماتت زوجته تقيلاً فأرسل وأخرج حفيدة قسطنطين من الدير وتزوجها. وحيث أن الروم لا يملكون عليهم من يتزوج ثانية،

وضعوا التاج على رأس ابنه ثاوفيلس، وعاش أربع سنوات أخرى بعد أن ملك ابنه دون أن يضع تاجاً أو يجلس على العرش. أما زوجته فقد وضعت طفلاً، أنفت أن تربي طفلاً من أصل يهودي خشية أن يدنس المملكة، وهي حفيدة الملكة ايريني، لذا قتلتها. وبعد وفاة ميخائيل حلقت رأسها ودخلت الدير، وهكذا ملك ثاوفيلس.

فصل

في غزو ثاوفيلس ملك الروم لأرمينيا الصغرى وميله نحو المسلمين. وما جرى من أحداث في الكنيسة والمسيح الدجال الذي اتفق مع رجل شخص وضيع وافتضح أمره فيما بعد

في عام ١١٤١ نفسه، زار البطريرك ديونيسيوس المأمون خليفة المسلمين أثناء وجوده في كيسوم، ولما غادر الخليفة الى دمشق، رافقه البطريرك، وهناك قبل الخليفة، بتوسط لعازر المارديني، الهدايا التي حملها البطريرك له، وأرسل يقول للبطريرك، أمكث هنا لكي ترافقنا الى مصر فنرسلك في وفاة الى أهل بياصيا في مصر السفلى ليرجعوا عن تمردهم ويقدموا خضوعهم. وفي شباط وصل المأمون الى مصر يرافقه البطريرك ديونيسيوس للمرة الثانية كما هو نفسه وقال: لما بلغنا كرما أول مدينة في مصر، استدعاني الخليفة عن طريق فاضل مدير شؤونه (مكتبه). فدخلت فصافحتني وقال: لقد سمعت أيها البطريرك بتمرد المسيحيين الأقباط المعروفين ب « بياصيين » الذين لم يتعظوا بما جرى لهم في الحرب الأولى، ولولا اني رحيم ولا رغبة لي في القتل، لما أرسلتك اليهم، لكن اصطحب الأساقفة الذين معك وجماعة من المصريين، وسافر الى المتمردين وأعطهم تعهداً بالأمان، وليحضروا مع قواتهم الى المكان الذي اختاره لاقامتهم، وان لم يذعنوا أهلكتهم بحد السيف، فاستعطفته ان يبقيهم في منطقتهم فرفض، مصمماً على أحد الأمرين، أما ترك بلدهم أو القتل، وأمر ان يرافقني بطريرك مصر، فسافرنا بطريق النهر، وبعد ثمانية أيام التحق بنا البطريرك يوسف. فنزلنا الى اقليم بشروط حيث يقيمون فوجدناهم مجتمعين في احدى الجزر المحاطة بالقصب والبردي. فجاء الينا رؤسائهم فلمناهم على تمردهم وعلى ما

ارتكبوه من أعمال القتل، فاشتكوا من الحاكم. ولما أطلعناهم على قرار مغادرتهم بلادهم اغتاضوا وطلبوا الينا أن نستأذن الخليفة ليقابلهم فيطلعوه على مايحتملونه من حاكمهم أبي زيد الذي ضاعف عليهم الجزية، وكان يسجنهم في الليل فتأتي نساؤهم لهم بالطعام، فيهجم عليهم الجند وينجسونهن. كما كان يفكر بقتل الكثيرين منهم حتى ابادة جميعهم لئلا يشكوه لدى الخليفة. والزم الافشين بأن يجمع ارزاق الجيش من قراهم ويقتل رجالهم. وصادف أن رأى بعض الجنود امرأة فحاولوا اغتصابها فصرخت، وسمع الذين في الجزيرة صراخها فاندفعوا نحوها وقاتلوا، فقتل منهم وقتلوا. فتعكر بذلك صفو الأمن ثم تلاشى كلياً.

بعد أن قدم البلغار ولاءهم لثاوفيلس ملك الروم، ووالاه أيضاً الاكراد والعرب الفارون واللاجئون اليه، فكر في السيطرة على المسلمين، فخرج عليهم وحاصر زوبطرا ونصبوا السلام وصعدوا فقتلوا وقتلوا، وفتحوا المدينة، وسيطر الروم والبرابرة الذين معهم، وقتلوا الرجال والنساء والاطفال دون رحمة، وساقوا النساء الى السبي وهن عاريات، وبعد أن نهبوا المدينة أحرقوها وغادروا، فأعاد المسلمون بناءها. وفي السنة التالية تمرد البطريق مانويل على الملك ثاوفيلس، فجاء الى المأمون خليفة المسلمين وحثه على دخول بلاد الروم. ولما جاء الى حران منع هدم كنيستين، وحذر من هدم اية كنيسة الا بأمر منه. وسمع عن جمال كنيسة الرها فذهب لمشاهدتها وسأل الاسقف عن واردةا فأجاب: ان معظم الوارد هو لتغطية الضريبة المفروضة عليها، فأمر الخليفة أن تعفى الفنادق والحوانيت وما شابه من الضرائب. وعمم هذا القرار في أرجاء الجزيرة، لكن المسلمين الغوه بعد فترة وجيزة.

دخل المأمون بلاد الروم في حزيران، وسيطر على أربع قلاع في قبادوقية وعاد ليشتي في دمشق. وفي أيار سنة ١١٤٢ دخل ثانية بلاد الروم وأغار على حصن لقلون فلم يفلح في احتلاله، فرجع الى كيسوم

حيث التقى به البطريق ديونيسيوس. ولما علم بتمرد المصريين ذهب الى دمشق وأرسل القائدين كيرد وأفشين ليصلحا أمور مصر. ثم سمع ان عوجيف فتح حصن لقلون واستسلم سكانه دون مقاومة بسبب شدة الجوع .. في هذه الاثناء ترك مانوئيل المسلمين وعاد الى ثاوفيلس ملك الروم. فأقسم المأمون على أن يدخل بلاد الروم ويسيطر عليهم، فخاف ثاوفيلس، وأرسل بطلب السلام لقاء دفعه الجزية، فأجاب المأمون: ان شرطي للسلام هو خضوعكم لي اضافة الى دفع الجزية سنويا مهما كانت الكمية، فأنا لا أناقش حول الكثرة أو القلة. فلما سمع ملك الروم جواب خليفة المسلمين الذي يشبه جواب ناحاش العموني، سكت ولم يحر جواباً. وفي قيليقية زار المأمون رجل رومي يدعى انه من سلالة الملوك، وطلب اليه أن يقيمه ملكاً، فصدق ذلك المخادع وأوعز الى أيوب بطريك الخلقيدونيين الانطاكي أن ينصبه ملكاً، لأنه علم أن الملك لا يُنصب بدون البطريك، فصلى عليه ووضع تاجاً على رأسه بعد أن تقاضى ثلاثة آلاف دينار ذهباً وأحجاراً كريمة. فاجتمع أساقفة القسطنطينية وحرموا أيوب، كما فشل ذاك الذي نصب ملكاً ولم يتبعه أحد. وبعد أن أمضى سنتين في معسكر المسلمين، أشهر اسلامه على يد ابي اسحق مجدفاً على المسيح وساخرأ من العقائد المسيحية.

لقد استولى المأمون على عدة قلاع رومية سلماً وبعطايا سخية جداً. وفي ايلول عاد ليشتي في كيسوم، وأمر بهدم سور قورس وقنسرين وكافة الحصون المتواجدة في سورية وبين النهرين. وأقام المأمون في سلحس من بداية سنة ١١٤٤ لغاية آذار. وكبد الناس ضيقات كثيرة بجمعه الغلال والتبن بكثرة حتى ان معظمها تلف بسبب تزايد المطر والثلج. ثم أخذ المأمون يجمع قطعاناً من الجمال استعداداً لدخول بلاد الروم مرة اخرى، فلغنه الناس لضغطه الشديد عليهم، وأمر ابنه عباس أن يضمن دفع الجزية من عامليه، ومن ضاعف الجزية يمنح حرية التصرف كما يشاء. وفي أيار دخل المأمون بلاد الروم وجمع الفنيين لاعادة بناء مدينة

طاونا التي كان المسلمون قد دمروها. ومرض المأمون ومات في تموز
سنة ١١٤٤.

كلمة « السريان »

يقول البطريك ديونيسيوس: كثيراً ما نستعمل كلمة « سورية
عندما نتحدث عن الغرب، وعبارة « الهلال الخصيب وبين النهرين »
لدى ذكرنا الجزيرة. غير أننا لاحظنا ان البسطاء لا يفعلون هذا، لكنهم
يدعون منطقة ما بين النهرين سورية رسمياً، ويسمون سكان غربي الفرات
« سوريين » استعارياً. وهنا نقول: ان « سورية » اسم جنس وهو
نوعان، فان اسم السوريين يطلق رسمياً على الذين يقطنون منطقة غربي
الفرات الممتدة من جبل أمنون الواقع شمال أنطاكية حتى حدود فلسطين
جنوباً، ومن البحر حتى نهر الفرات عرضاً. ترى لماذا سميت «سورية»؟

نقول: في فترة اغتراب بني اسرائيل في مصر، وُجد شقيقان في
هذه المنطقة، يدعى احدهما سورس والآخر قيليكس، وتخاصما حبا
بالزعامة، فذهب قيليكس مع جيشه الى المنطقة التي هي ضمن جبل
أمنون المعروف اليوم بالجبل الأسود، حيث أقام له ملكاً وسميت المنطقة
باسمه « قيليقية ». أما سورس فسيطر على منطقة غربي الفرات فدعيت
باسمه «سورية ». وانقسمت فيما بعد الى عدة دويلات. لقد ذكرت هذا
لأن البعض يدعون عدم قيام ملك من السريان. ومن جهة اخرى فان بني
اسرائيل دخلوا أرض الموعد وأسسوا مملكة خاصة كما أسس أهل صور
مملكة خاصة أيضاً. كما دعي ملوك الآراميين الذين حكموا دمشق،
سريانا. ونجد في الترجمة السبعينية ما يلي «... جمع بنهدد ملك سورية
جيشه وصعد الى السامرة» (سفر الملوك). وكذلك قال جند ملك سورية له
«ان آله اسرائيل هو آله جبال وليس آله أودية» و « قال ملك اسرائيل
لجنده الا تعلمون ان رامات وجلعود هي لنا ونحن ساكتون عن اعادتها

من يدي ملك سورية». فالساكنون غربي الفرات هم سريان رسمياً، ويسمون سوريين من باب الاستعارة. وهم يتكلمون اللغة الآرامية سواء الذين هم في غربي الفرات أم في شرقيه أي في المنطقة الممتدة من البحر وحتى فارس، حيث قام ملوك كثيرون. ففي الرها قام ملوك من آل أبجر، وحكم آل سنطروس في مدينة نطيرا في أرض العرب، وحكم آل نينوس في نينوى، وحكم آل نبوخذنصر في بابل، ذلك الذي تكلم بالآرامية لدى الحديث عن حلم التمثال وتفسيره. نورد هذا لنؤكد أن السريان هم حقيقة سكان منطقة الغرب وأبناء الجزيرة أي النهرين، الذين يسكنون شرقي نهر الفرات، وان أصل اللغة السريانية وأساسها هي مدينة الرها.

سنة ١١٤١ سقط برد كثيف ودمر الزرع، عقبه جراد أتى على الكروم والزيتون. واستقر وعرز، وفي السنة التالية قضى على كافة الزروع والكروم والأشجار. وفي السنة الثالثة وهي ١١٤٤ سقط ثلج واشتد البرد كثيراً، وجمد نهر الفرات وغيره وعبرها الناس مشياً، وماتت الأسماك وقذفت خارجاً، وجمدت الخمر في الجرار.. وفي هذه الفترة دخل المأمون إلى مصر مصطحباً البطريك ووجد النيل قد جمد، الأمر الذي لم يُسمع من قبل.. وفي عام ١١٤٤ حدثت مجاعة كبرى في خرسان أقوى من المجاعة التي حدثت في السامرة، فكانوا يطحنون الحنطة مع قسالة التبن ويخبزونها، كما كانوا يجففون سعف النخل وينعمونها ويصنعون منها خبزاً ويجمعون نواة التمر ويطحنونها ويأكلون. حتى ان امرأة ذبحت طفلاً وطبخته لتأكله، ولما اكتشفوها اعترفت بأنها أكلت عدة أطفال فقتلواها. كما أن رجلاً غريباً مات في الفندق، فاجتمع عدد من الرجال والنساء وقطعوا لحمه بالسكاكين وأكلوه نياً مسرورين. لقد سمعنا هذه الاخبار من رجل مسن نزيه من مدينة أفرا في خرسان.

فصل

يتضمن الأخبار التي دونها البطريرك ديونيسيوس عما شاهده
في مصر لدى زيارته اياها صحبة المأمون

يقول الطوباوي: لما اخبرنا القائد أفشين برفض المتمردين
الاستسلام، استطرد قائلاً: اذن فالسلام غير وارد، فاذهبوا وقلوا للخليفة
ان لا مكان للسلام. وياشر يحاربهم، فاضرموا النار في القرى والكروم
والبساتين والكنائس في أرجاء الاقليم كلها. أما البياميون فكانوا يطعنون
الفرس ويرمونهم بالسهام والحرايب من بين القصب، واستقدموا جيرانهم
وحرصوهم ضدهم فقتلوا وقتلوا. ولدى مقابلتنا الخليفة اطلعتة على كل
الامور، بما في ذلك الظلم الذي الحقه ابو الوزير بالاقباط والذي سببه عدم
تحقيق السلام، وكيف أن أبناء المنطقة يشكون منه ومن اثنين آخرين.
وكان يصغي الي بارتياح، واني لم أقع تحت تأثير غيرتي. وقد تجرأت
ونصحتة واستشهدت الله عليه مذكراً اياه بالحساب الذي سيقدمه لربه عن
الرعية المؤتمن عليها، مستشهداً بقول النبي «بالحق تكلمت أمام الملوك
ولم أخجل». فقال: ان هؤلاء العمال لا يتصرفون بحسب ارادتي، وانا لا
احبذ ان اتقل على الناس، لا بل اني اشفق على أعدائي الروم، فكيف لا
اشفق على رعيتي؟ وباذن الله سأصحح كل شيء. وفي اليوم التالي
دعاني كاتبه وهو الذي حقق في موضوع هؤلاء المظلومين، لكي أقص
عليه ظلم عمال مصر لينقل الخبر مجدداً للخليفة وابي اسحق المسؤول
عن هؤلاء العمال. ومن جهتي، كنت دائماً احذر ابا اسحق لكونه انساناً لا
يعرف الرحمة، لكنني عدت وقلت له: علينا أن نخشى الله لا الانسان. ثم
رويت له القصة من أولها مضيفاً ما كنت قد سهيت عنه أمام الخليفة. بعد

ذلك اذن لي الخليفة بالذهاب الى دمشق. وفيما يلي ادون مشاهداتي في مصر، آملاً أن لا تسبب خيبة أمل للسامعين، بل تحذيراً لهم.

ان انطباعنا عن البابا مار يوسف والاساقفة هو انهم اناس أعفاء، ودعاء، واغنياء بمحبة الله. وقد كنا موضع تكريمهم، حيث انهم أولونا الكرامة التي للبابا سواء من الناحية الروحية أم الجسدية، طيلة فترة مكوثنا معهم. لكننا لاحظنا فيهم بعض العادات التي لا تتماشى وفضيلتهم، والبعيدة عن روح كيرلس وديوسقوروس وطيمثاوس الذين سنوا قوانين للكنيسة، ومنها اهمالهم الهديز في الكتب المقدسة، لاسيما الرهبان الذين كانوا قد تجردوا من هذه النعمة. وتركيز الودعاء منهم على العمل اليدوي وتلاوة المزامير فقط. كما انصب اهتمام الخدام على جمع المال، وليس على العلم والمعرفة ليقدم ثمناً للرئاسة التي يفكرون في اقتبالها مستقبلاً، اذ لم يكن باستطاعة أحد أن يفوز بالرئاسة بأقل من ٢٠٠ أو ٣٠٠ درهم. واذا وجد شخص متقف وعالم ولا يملك مالا فان وصوله الى رتبة رئاسية يعتبر عندهم من المستحيلات. ولما انتقدناهم على هذا التصرف، أجابوا: اننا التجأنا الى هذا الاسلوب، بسبب الديون المترتبة على كنيسة الاسكندرية، لأننا عاجزون عن ايفائها.

ولما قلت: ان هذا الاجراء هو ضد قوانين الرسل، ان من يأخذ الكهنوت عن طريق الرشوة يستوجب الحرم مع الذي يرسمه. قالوا: ان اخذ المال من المرتسم أمر قبيح، لذا نطلب اليه أن يحرر اية حاجة من حاجات الكنيسة المرهونة، فضحكت عوضاً عن البكاء وقلت لسذاجتهم ما قاله المسيح لتلاميذه عندما قالوا « يوجد عندنا سيفان » أجاب: انهما يكفيان. ومن عاداتهم، عدم تعميد الذكر قبل اكماله اربعين يوماً، والانثى ثلاثين، فكان العديد من الاطفال يموتون بلا عماد. كما كانوا يخالفون القوانين في عدة قضايا اخرى، فكتبنا بعض الملاحظات وأعطيناها اياهم.

شاهدنا الكنوز التي ذكرها ارميا في مدينة ساليوبوليس عاصمة المصريين التي كان فوطيفار حمو يوسف حبرها، وفيها اعمدة ضخمة طول كل منها أكثر من ٦٠ ذراعاً ومحيطها ستة أذرع، مركبة على قواعد بعرض عشرة أذرع لكي يبلغ ارتفاعها ٧٠ ذراعاً، وقد نقشت صور الهة الوثنيين وكتابات حبرية على طول العمود، لم يفلح أحد في قراءتها. انه لمشهد مدهش. فانها لم تصنع من حجارة رخوة بل من المرمر المتين. وما يشبه هذه، تلك التي في بعلبك وهي احدى عجائب الدنيا السبع كما يقال، ولئن كانت عجيبة، غير ان طول واحدتها ٤٠ ذراعاً، أما تلك التي في مصر فأكثر من ٦٠. ان العقل يتيه عندما يفكر في كيفية قلعها، وطريقة نقلها الى تلك المناطق. ترى بأية مهارة استطاعوا نصبها فوق القواعد؟ فلو اجتمع نحو الف رجل لما استطاعوا زعزعتها من الارض بمقدار اصبع واحدة. وكان على قمتها تيجان نحاسية بيضاء تشبه الخوذة التي يضعها الجندي على رأسه في أثناء الحرب، تزن كل منها أكثر من ألف رطل، وبالرغم من أن المدينة خربت منذ ميلاد المسيح، ما كان بمقدور أحد الصعود عليها لجلب النحاس، لا من المصريين ولا من العرب الطموحين، كما فعل المسلمون بالتمثال الذي كان في جزيرة رودس، الذي حطموه وأخذوا منه ثلاثة آلاف حمل نحاس. واذا ما تساءل أحد، كيف اذن تتبأ ارميا بأن المسيح سيكسر أنصاب بيت شمشي، وها هي ذي لا تتكسر؟ نجيب: ليعلم، ان المسيح قد أبطل وحطم عبادتها كألهاة، وترك هذه الاعمدة كعلامة للأجيال اللاحقة لكي يدرك المسيحيون مدى سيطرة ابليس على الناس حتى ان عبيده يهتمون به بهذا المقدار. وكان في تلك المدينة أكثر من خمسمائة تمثال مشوهة الصور نصبت في شوارع المدينة وخارج ابوابها، وقد شغل كل منها مساحة ٤٠ ذراعاً. وعلمنا انها كانت المركز الديني لوثنيي كافة المناطق، وشاهدنا كذلك في مصر الاهرام التي ذكرها ثاولوغوس في كتاباته، وهي ليست مخازن يوسف كما ذهب بعضهم، لكنها مقابر عجيبة شيدت فوق مدافن الملوك القدماء، وهي مسطحة ومملوءة وليست مجوفة أو فارغة من

الداخل، خالية من الأبواب. ورأينا الى جانب احدها ثغرة يبلغ عمقها نحو ٥٠ ذراعاً، رصفت جدرانها بالحجر الذي حطمه الناس فيما بعد ليروا فيما اذا كانت مجوفة أم لا ؟

تبلغ مساحة كل من الاهرام خمسمائة ذراع طولاً وخمسمائة عرضاً و ٢٥٠ ارتفاعاً. ودعيت أهرام لأنها مسطحة. وفيما أن قاعدتها خمسمائة ذراع فان قمتها هي ذراع واحد، ويتراوح حجم كل حجرة من حجارتها من خمسة الى عشرة أذرع، تظهر من بعيد وكأنها جبال ضخمة. وشاهدنا الى جانبها صخرة كالجبل أو كتل مستدير وقد نحتت وصنع منها تمثال لعبادة ملوكهم (أبو الهول)، كما شاهدنا بيتاً مشيداً على نهر النيل قبل أن يتشعب الى أربعة روافد، يشبه صهريجاً مربعاً يتوسطه عمود من حجر، نقشت عليه درجات لقياس مياه النهر لدى فيضانه خلال ايلول. حيث تدخل المياه الى هذا البيت، فيعرف المسؤولون مدى ارتفاع منسوب المياه يومياً. فاذا انخفض منسوب المياه الى أكثر من ١٤ درجة وهي درجة معدل الفيضان، فان بقعة صغيرة فقط تروى من أرض مصر، فلا تأتي بالمحصول المطلوب في تلك السنة، ولا تجمع الضرائب. واذا ارتفع منسوب المياه الى ١٥ أو ١٦ درجة يكون المحصول معتدلاً وكذلك تكون الضرائب. واذا ارتفع منسوب المياه الى ١٧ أو ١٨ درجة، فان أرض مصر تروى برمتها وتجمع الضرائب كاملة. أما اذا ارتفعت المياه الى ٢٠ درجة، فان الفيضان يتلف كل المحصول في تلك السنة. وخلاصة القول: فان المسؤولين يستطيعون أن يعرفوا من مقياس ذلك العمود، مبلغ الضرائب التي تجمع من مصر سنوياً.

لقد نزل أحد ملوكهم، وأوقف الحرب مع البيامين واستدعى زعماءهم وأمرهم بمغادرة تلك المنطقة، فأطلعوه على سوء المعاملة التي لاقوها، ويخشون، اذا غادروا، أن لا يجدوا مورداً لمعيشتهم لأنهم يعتمدون على القصب وصيد الأسماك، غير أنهم أذعنوا له أخيراً وغادروا

بالسفن الى انطاكية ومنها الى بغداد، وكان عددهم نحو ثلاثة آلاف وقد مات معظمهم في الطريق، واستعبد الاسرى منهم، وعددهم نحو خمسمائة نفس، للمسلمين الذين أخذوهم الى دمشق وباعوهم هناك، الامر الذي لم يجر من قبل في بلاد المسلمين، أي بيع من يخضع للجزية. غير أننا وبعون الله، شجعنا المؤمنين على شرائهم وبذلك قد تحرروا، لكنهم لم يعودوا الى بلادهم بسبب المجاعة المنتشرة هناك، حيث هاجر الكثيرون منهم الى سورية ليشبعوا خبزاً. وأصدر الخليفة أمراً الى عماله بعدم الاساءة الى المصريين أو قتلهم، كما خفض الضرائب عنهم الى النصف. وبعد مغادرة الخليفة مصر، كثرت المضايقات على المصريين، فكان الفرس يدخلون القرى ويوتفون الناس بشكل مجاميع، تضم كل مجموعة عشرة أو عشرين شخصاً ويرسلونهم الى الفسطاط دون التأكد من ذنبهم أو براءتهم، وقضى على الكثيرين من دون ذنب. وقد عرض الذين ربطوا وسبقوا للقتل، رشوة على الذين يقودونهم مقابل اطلاقهم، فقالوا لهم: لقد سلمتم الينا بالعدد، فتريثوا ريثما نأسر من نصادفهم في الطريق ونطلقكم. فلاقاهم ثلاثة رجال، قسّ ومسلمان، كان احدهما إماماً للمسجد، فقبض عليهم بدلا عن دفع الرشوة، واذ لم يفسح لهم المجال أن يتكلموا، قتلوا، وهكذا كانت جثث القتل الأبرياء تملأ الطرق. وفي هذه الفترة، انتشرت في مصر الحروب والسبي والجوع والأوبئة.

فصل

في وفاة المأمون وخلافة أبي اسحق حيث تنفس ثاوفيلس ملك
الروم الصعداء. ونزول البطريك ديونيسيوس الى الشرق.
وما الى ذلك

يقول القديس ديونيسيوس: في حزيران عام ١١٤٥ توجهنا للسلام
على الخليفة ابي اسحق الذي نصب حديثاً، فوصلنا الى نصيبين وصالحنا
أبناء كنيستنا الذين شقهم، منذ سنوات ، فيلكسينوس المتمرد، وفور
اتحادهم معنا طردوه عند ابيرام القذر المقيم في منطقة القروسطيين. وفي
الموصل وقعنا في حيص بيص بسبب اختلاف الكنائس حول المناداة باسم
المطارنة، حيث كان المواصلة يلقبون قوروس من دير مار متى مطراناً،
في حين لم يعترف التكرارة بذلك. وأخيراً وبقوة الله، استطعنا أن نوفق
بينهم لدى نزولنا الى تكريت لرسمية مطران لهم، حيث وجدنا حلاً
ارتضاه الطرفان، فكتبنا ما يلي: « باسم الأب والابن والروح القدس.
عندما حضرنا الى تكريت، أنا ديونيسيوس البطريك برحمة الله، مع من
حضر من الأساقفة، عثمان اسقف التغالبة، ادى اسقف كرما، ايليا اسقف
نرسيم، توما اسقف سجستان، موسى اسقف بلد، قرياقس اسقف الموصل،
يوحنا اسقف بغداد: لنتخب ونرسم مطراناً للمدينة المشار اليها ولسائر
المشرق، وقفنا على سبب النزاع بين دير مار متى واسقفهم قرياقس مع
التكرارة القاطنين مدينة الموصل. ولدى بحثنا الموضوع، قال الماتيون: انه
لتقليد قديم عندهم أن ينادى بالاسقف الذي يرسم لمنطقة نينوى، مطراناً في
كنيستهم، وطالبوا تكرارة الموصل أن يفعلوا كذلك في كنيستهم. فرد عليهم
تكرارة الموصل قائلين: لا يمكن اطلاقاً أن ينادى به سوى كأسقف عادي،
ونرفض رفضاً باتاً أن يكون مطران آخر غير مطران تكريت. فجمعنا

كهنة وشمامسة ورهبان وأعيان تكريت وتداولنا معهم في كيفية ايجاد دواء لهذا الداء . فلما لاحظنا ان المناداة به لا تمس كرامة مطران تكريت ، لا بل انه يزداد كرامة بازدياد من هم تحت نفوذه ، توصلنا الى حل يرضي التكرارة ورهبان مار متى ، وهو أن ينادى بقرياقس مطراناً في كنائس تكارطة الموصل اسوة بباقي الكنائس مرتين في السنة . الاولى ، يوم أحد الشعانين حينما يجتمع المؤمنون لتبريك الزيتون في كنيسة التكرارة ، والثانية ، لدى تقديس الميرون . أما بقية أيام السنة فينادي التكرارة كما يشاؤون .

وقد وجدنا في المذكرة التي يقول الماتيون أن قرياقس كتبها قبل وفاته، ما يوجب المناداة باسقف الموصل مطراناً في كنائس التكرارة، كما وجدنا ذلك في الرسالة التي وضعها مجمع الرقة. واستناداً الى هذا تم الاتفاق بين الماتيين والتكرارة على أن ينادى باسقف الموصل مطراناً، وفي الوقت نفسه يكون خاضعاً لمطران تكريت. وقد صممنا على أن نزيد من كرامة كرسي تكريت، فأكدنا على قانون سابق ينص على أن يقوم الاساقفة بالرسامات وتقدیس المذابح في كل الكنائس، كل بالطريقة التي يناسبها. ولكن في حالة حضور المطران الى المدينة، على اسقفها أن يفسح له المجال ليقوم بهذه الخدمات في كنائسه، نظراً الى أولويته بين أساقفة المشرق، حيث انه يلي البطريرك. ولمطران تكريت أن يدعو الى الاجتماع متى شاء الاساقفة الذين تحت سلطته. وفي حالة نشوب خلاف بين الاسقف ورعيته، فهو الذي يفصل بينهم. واذا شكى الاسقف، فانه يدعو ويحقق معه ويصدر الحكم بحقه بمقتضى القوانين. وعلى المطران قرياقس ومن يخلفه الخضوع لمطران تكريت في هذه الشؤون.

لقد رتبنا هذه الامور في تشرين الثاني سنة ١١٤٦ في تكريت، وبعد ذلك تم انتخاب ورسامة مار توما مطراناً لتكريت. وفيما كنا نتأهب

لزيارة الخليفة، وردتنا انباء من الغرب، فعدنا الى الجزيرة لمعالجة البواعث التي دعتنا للعودة، ومن ثم ننزل من جديد للسلام على الخليفة.

خلافة أبي اسحق (المعتصم)

على أثر وفاة المأمون في بلاد الروم، حدثت بلبلة بين المسلمين استمرت ثلاثة أيام، لأن البعض أرادوا أن يملك عباس، وآخرون أبو اسحق. وفيما هم مجتمعون أزيح ستار الباب وخرج عباس وقال: ان الخلافة هي لأبي اسحق، فصلوا من أجل حفظه، فعمت الدهشة المعسكر. وأحرقوا أبنية والغلات وكل أسباب المعيشة وهربوا. أما أبو اسحق فخاف أن ينزل الى بغداد لتسلم ملك آبائه لئلا يُرفض لكونه حصل على الخلافة بالقوة لا بالاتفاق. فلما وصل أبو اسحق الملقب « المعتصم » الى بغداد في تشرين، استقبلوه مرحبين به، رغم انهم لم يرضوا به، تحسباً لقسوته. وبعد أن تثبت في الملك، باشر بإنشاء مبان جميلة لإقامته، وفتح قنوات للمياه، وغرس حدائق للتنزه، وأرسل قواته لمحاربة الزطيين الذين في وسط المياه التي يصب فيها دجلة والفرات، لأنهم شعب متمرّد ومصدر ازعاج للخلفاء، حيث انهم يضربون ويقتلون ويسلبون التجار الذين يقصدون بغداد من البصرة والهند والصين. ولم يستطع الجيش قهرهم لكونهم يقاتلون في الزوارق. فأرسل اليهم الأقباط الذين كان قد سباهم والمعتادين على الحياة في المياه. فكانوا يغطسون في الماء كالسمك دون أن يراهم أحد ويمطرون الزطيين بالنبال ويهربون، وهكذا هزم البياميون الزطيين. وقبض عليهم وعلى نساءهم وأطفالهم وزجوا في سجن بغداد ثم اعدموا.

حظوة الأقباط لدى الخليفة

بعد الانتصار الذي حققه الأقباط ضد الزطيين، أحبهم الخليفة واختار منهم جماعة يعملون في خدمته وحدائقه وبساتينه، وآخرين لينسجوا أقمشة قطنية، نظراً الى اشتهار المصريين بهذه الحرفة. واذن للبقية بالعودة الى وطنهم. فلما وصلوا الى البحر وركبوا السفن ليعودوا الى مصر، لاحقتهم العدالة هناك، فقد ثارت زوبعة أغرقتهم جميعاً في البحر.

سنة ١١٤٦ أرسل أبو اسحق ابن عمه طاهر لمحاربة شعب مادي المتمرد والساكن في جبل صادق فقتل منهم نحو خمسة آلاف وسيطر على تلك الجبال، وأرسل أفشين على بابك الكورمي بعد أن دمر كثيراً من قوات المسلمين. وفي السنة نفسها دبر عمر واصحابه من أبناء ملطية كمائن ضد الروم، فلاقاهم الملك ثاوفيلس وهزمهم في بادىء الأمر، فجمع المسلمون شملهم وانتصروا على الروم، وقتل العديد منهم حينما ولوا الادبار، ونجا الملك مع نفر قليل، فدخل المسلمون بلاطه ونهبوا حتى فراشه وثيابه، وملأوا جرارهم من أمواله.

شوهده في هذه الفترة بالقرب من البحرين، حوت كبير يبلغ طوله نحو ميل، فخاف البحرانيون أن يجوبوا البحر، وحتى الغواصون على اللؤلؤ، امتنعوا عن النزول الى البحر. وظل يقلق المنطقة لمدة ثلاثة أشهر. وكان الناس يخرجون للدعاء الى الله لنقذهم منه، حتى قبض الله سمكة صغيرة طولها شبر واحد، دخلت في اذن ذلك الحوت وقضت عليه فقذفته الامواج الى الساحل، وأخذ الناس يقطعون من لحمه ويشوونه، واذ لم يستو ملحوه وجففوه في الشمس ثم طحنوه وأكلوه .

في هذا الزمان، أتوا الى عبد الله بن طاهر حاكم خراسان، بمولود
لما يبلغ السنة من عمره، لكنه في كامل قامة الرجال وقد ظهر شعر
وجهه. انه لأمر عجيب يفوق الطبيعة.. سنة ١١٤٦ جاء سيل جارف من
نهر مدينة زوبطرا الواقعة على الحدود خلال الليل والناس نائمون،
وارتفعت المياه فوق السور الذي انهار أمام قوة ذلك السيل وغطت المياه
الشوارع والبيوت، وغرق نحو ثلاثة آلاف نفس داخل البيوت، ثم انهار
السور من الجهة المقابلة، فانسابت المياه، فسقط العديد من البيوت
والبنايات بسبب المياه، كما فاض دجلة ودمر بيوتاً وبنايات في بغداد ..
في هذه السنة أثار مسلمو حران حرباً ضد المسيحيين، فهدموا فجر عيد
القيامة، كنيسة مار جرجس ومار أحودامة المشيدتين حديثاً. وبسبب
خلافاتهم، لحقت بالمسيحية اللعنة القائلة « حول الرب اعيادهم
حزناً.. والخ ».

فصل

في حملة ثاوفيلس ملك الروم الثانية على بلاد المسلمين.
وزيارة جاورجي ملك النوبيين لأبي اسحق خليفة المسلمين.
والمدن الحديثة التي أراد أن يشيدها خليفة المسلمين. وزيارة
البطريك ديونيسيوس الثالثة لبغداد والنزاع الذي نشب بين
نساطرة بغداد والخلقيديونيين في أنطاكية

قال البطريك مار ديونيسيوس عن زيارته الثالثة لبغداد في مطلع
عام ١١٤٧ دخلت الى الخليفة ابي اسحق كما اعتدت أن أفعل مع أخيه،
فاستقبلني في المدينة الحديثة التي أنشأها بين كلا النهرين. وكان ملك
النوبيين قد وصل الى بغداد منذ شباط دون أن يقابله، والذي كتب الي لادي
وصوله الى الرقة، بعد أن أمضى فترة طويلة في الطريق، يطلب زيارتي
لأخذ البركة، فأجبتة: « لا يمكنني ذلك قبل مقابلتي للخليفة، وبامكانك أن
تسبقني وسوف أراك هناك ». وقد ذكرت الخليفة بشأنه وقلت له، اني أود
أن ألقاه لكونه من أبناء عقيدتي. ولم أعرف سبب ذلك التأخير، وبعد أن
قابل الخليفة جاورجي وأكرمه بتوسط طبيبه سليمان، قال لي: اذهب والتق
بذلك النوبي، فرافقني بعض الاساقفة والمؤمنين، فوجدناه شاباً ذكياً، ابن
عشرين سنة، بهي الطلعة مهنداً ومهذباً، ذا هيئة تليق بالملوكية، وتحدثنا
اليه بواسطة مترجم ولمسنا بأنه ارثوذكسي حقيقي غيور على الايمان،
يأنف مخالطة الهرطقة. وقدمنا الذبيحة يوم الاحد وناولناه والذين معه،
وكانوا حاملين معهم طقماً كاملاً من أنية القداس. وبعد أن أخذنا فرماناً
من الخليفة وعدنا، أكرمنا ملك النوبيين ببعض الهدايا الذهبية والفضية
التي تليق أن تقدم له من قبل أمثالي لتبقى ذكرى في مملكتهم.

وفي طريق عودتنا من بغداد سنة ١١٤٨ نمي الينا خبر وفاة ابيرام فتوجهنا فوراً الى منطقة القروسطيين لنستميلهم الينا. غير أن فيلكسينوس اسقف نصيبين الآثم، وصليبا والراهب سمعان، رسموا شقيق ابيرام، ووضع فيلكسينوس المعزول عليه يده القذرة، لأن أبناء ازدهار الكنيسة كانت تزعجه. واذ علم ابناء المنطقة بهذا الاجراء، انزعجوا لمعرفة بصفاقه سمعان الوقح. فجاؤوا الى مجمعنا في جبرين، فسامحناهم وتباحثنا بخصوص الرسامة التي اقتبلها بعض الكهنة والشمامسة عندهم من المتمردين، وبخصوص المتزوجين أكثر من مرة ولم يمنعوا عن الخدمة، قلنا ان هؤلاء مجردون عن الرسامة بمقتضى القوانين، لأن ابيرام مجرد من الاسقفية. وتنازلنا معهم الى أن نعطيهم نفس الرسامة التي تعطى للعائدين عن الهرطقات. أما المتزوجون لأكثر من مرة فلم نقبلهم، ومن أجل صالحهم كتبنا وثيقة المصالحة على أمل أن يعودوا الينا في اليوم التالي فنغفو عنهم. فجمع الكهنة المتزوجون لأكثر من مرة بعض الرعايا أمثالهم وأقاموا الدنيا وأقعدوها قائلين: لماذا نترك الذين لبوا رغباتنا ولم يرفضوا لنا طلباً أو يمنعونا عن أي مكان في الكنيسة ونتبع من لا يراف بنا؟ فانخدع أولئك الشقاة التافهون بمثل هذا الكلام وعادوا الى قبيهم. أما أصحاب الافكار السليمة فعادوا الينا، والذين جبنوا أخذوا يعرجون على الجنبيين، فهم يمتدحوننا من جهة ويذمون سمعان، ومن جهة اخرى كانوا يشتركون معهم في بعض المناسبات بتأثير أقربائهم، ومثلهم مثل السامريين الذين كتب عنهم « انهم يخافون الله ويعبدون الهتهم ». ولكن مهما كان الأمر، فقد تكسر جناح جماعة ابيرام، ولم يعد بإمكانهم اطلاقاً أن يوتروا بشيء خيراً كان أم شراً. مثلما أن أصنام الامم (ناقص نحو ١٥ سطرًا).. والامتعة ومسك وعنبر وعشرة جمال مزينة من التي اعتاد الملوك ركوبها، وأوعز أن يكون موضع تكريم في كافة المدن حتى وصوله الى بلاده، وأن تعطى له يومياً ثلاثون ديناراً كنفقات.

انشقاق بين صفوف النساطرة

في هذه الفترة، حدث انشقاق بين الخلقيدونيين الانطاكيين، وكذلك بين النساطرة في أعقاب وفاة جاثليقهم سبريشوع. فتركوا الخيار لبختيشوع وسليمان طبيبي الخليفة، فاختر سليمان ابراهيم اسقف حدث، فيما اختار بختيشوع ماري مطران بيت لافاط، ومن هنا بدأ انشقاقهم. فالاساقفة الذين قبلوا ماري أخذوه الى سليق وقطيسفون اذ لا يجوز رسامة الجاثليق الا هناك. فلما علم سليمان انزعج فقدم شكوى لدى ابي اسحق ضد الاساقفة الذين اخذوا بخيار بختيشوع، قائلاً: «انهم لم يأخذوا بنظر الاعتبار علاقتي بجلالتكم وخدمتي لكم منذ صباي حتى شيخوختي». فأخذتة الغيرة وأمر بتكبير ماري بالسلاسل، وأقاموا ابراهيم اسقف حدث جاثليقاً بأمر الخليفة، وهكذا انشق النساطرة شطرين، أحدهما ينادي بماري جاثليقاً، والثاني بابراهيم. كما قسمت كنائسهم، فكانت تقام في كل كنيسة خدمتان وذبيحتان لعدة سنوات حتى توفي ماري واستقرت الرئاسة لابراهيم.

لقد ترك الخليفة ابو اسحق بغداد، وسكن بين رافدين يتفرعان من دجلة ويسقيان منطقة الأراميين، وهما قطلوب الكبير وقطلوب الصغير، لأنه أحب هذه المنطقة أكثر من بغداد لتوفر الهدوء والصيد فيها. وكان أحد الملوك قد خرب هذه المدينة، فاراد هرون الرشيد والد ابي اسحق اعادة بنائها. وبعد أن بنى السور وأوشكت على الانتهاء تركها وبنى قرية شه مرا الراقعة بين اثور وبابل واتخذها مقراً له. وكانت شومرا قرية صغيرة مشيدة على نهر دجلة، ولم تكن لها أية ميزة طبيعية، والسكنى فيها غير مريحة، وهي محرومة من كل خيرات الله، لكنه أحبها من أجل الصيد، فأنشأها وشق اليها قنوات من دجلة وغرس فيها جنائن وبساتين ونخيلاً، وجلب من مصر غرسات البلسم والبردي الذي يصنع منه الورق.

لقد سئم الكثيرون من أتباع بابك والقائد نصر من محاربة الفرس، ففروا الى بلاد الروم وتتصروا على يد الملك ثاوفيلس الذي توهم، بعد استسلام هؤلاء، بأنه سيقهر المسلمين فأرسل يطلب الضرائب من أرمينيا الكبرى مهدداً بخرابها في حالة الرفض. واذ لم يكن لهم جيش، استعملوا الحكمة وأدوا الضريبة، فظن ثاوفيلس بأن الامور تسير بحسب هواه. وفي صيف ١١٤٨ خرج ثانية على زوبطرا التي كان البرابرة قد فتكوا بمن فيها من اليهود والمسيحيين لدى استيلائهم عليها. وبلغ بهم الخبث الى هتك النساء وشق بطونهن. وبعد أن سبوا المدينة وأحرقوها، اتجهوا صوب ملطية وفعلوا الشيء نفسه وأرسلوا السبايا الى بلاد الروم. ثم اجتازوا الى هنزيط ومنطقة ارشميشاط وحاصروا المدينة، فخاف المسلمون المقيمون فيها بعد سماعهم بدمار زوبطرا، ورأوا اما أن يتركوا المدينة أو يدفعوا الجزية للروم، لأن الفرس لم ينجدوهم لانهمآكهم في محاربة بابك. ولحنقهم على أبي اسحق الذي كبدهم جزية باهظة. وبسبب مهاجمة الروم المسلمين، ضيقوا علينا كثيراً وكادوا يقضون علينا لولا أن سمعوا ان الروم نهبوا مسيحيي زوبطرا وشددوا الخناق على مسيحيي الرها بسبب شخص رهاوي وقح يدعى شومنا، تبع الروم وحثهم على ابادة المسلمين. وفيما كان الروم محاصرين ارشميشاط، اتفق المسلمون من آل ربيعة مع أهل ملطية على محاربتهم، لكنهم هزموا وسقط منهم نحو اربعة آلاف قتيل، فاحرق الروم ارشميشاط ودمروها، واجتازوا الى منطقة ارمينيا واعملوا فيها سبياً وحرقاً، ثم عادوا وعسكروا بالقرب من ملطية، وهدد ثاوفيلس أهلها بالتخريب والدمار كما فعل بزوبطرا، ما لم يفتحوا أبوابها، وان فعلوا كان لهم الأمان. فخرج اليه القاضي والزعماء وتحدثوا اليه بالحسنى وطلبوا أن يمهلهم فترة ووعدوه باعطائهم له رهائن كدليل على عدم نصب كمائن في بلاده. وبعد أن قدموا له الهدايا واسرى الروم الذين كانوا عندهم، رحل خشية أن تدركه قوات المسلمين.

لقد انزعج ابو اسحق من تصرفات الروم، فأرسل اليهم عوجيف على رأس اربعة آلاف شخص، لكن الروم تغلبوا ودمروا جيشه، ونجا مع قلة، ثم قاد جيشاً آخر ودخل في الشتاء وسبى الشعب ونهب الماشية والخيول وعاد. ولما وصلوا الى مناطقنا قطعوا الطرق كالأعداء وسلبوا كل من صادفوه. أما بابك الكرمي فبعد أن شعر بضعف حزبه، حمل ما استطاع من الاموال ودفن البقية في الارض وهرب مع تسعة من رجاله الى بلاد الروم، فوصلوا الى قرية أحد القادة يدعى اسطيفان في ارمنيا، فتظاهر بالترحيب به وأدخله الى بيته وأوقفه بالاصفاد وأخبر الخليفة أبا اسحق الذي فرح جداً بالقاء القبض على عدوه الذي أباد مئة ألف، وأرسل هدايا الى اسطيفان وطلب أن يساق اليه بابك فاستجاب. فأمر اولاً ببتير ذراعه اليمنى ثم اليسرى، ثم بتر طرفيه وأخيراً قطع رأسه وعلقه على خشبة وأعطى أمواله ومركزه لأفشين. وبعد فترة اكتشف أفشين ما كان قد دفنه بابك من أموال. ونظراً الى توفر الأموال لديه، فقد تمرد هو الآخر.

الخليفة وملوك النوبيين

سنة ١١٤٧ زار جاورجي ابن ملك النوبيين خليفة المسلمين. وقد اعتاد ملوك النوبيين منذ أمد طويل، أن يقدموا لخلفاء المسلمين سنوياً عبداً أسود، وقردة مدربة ومروضة على تقليد تصرفات الناس، وحيوانات تدعى زرافة وعاجا وجلود النمر. ومقابل ذلك كان خلفاء المسلمين يعطون لملوك النوبيين، كذا كيل من القمح من بلاد مصر وكذا كيل من زيت الزيتون، وأواني وثياباً فاخرة. كما أذنوا له أن يجبي الضرائب من النوبيين الساكنين في بلاد المسلمين. وبموجب هذا الاتفاق لم يعد المسلمون يسبون النوبيين، ولا النوبيون يجتازون مدينة ساوني الحدودية من ناحية مصر، ويدخلون الى أراضي المسلمين. ولكن هذا الوفاق نقض بسبب الاضطراب الذي ساد العالم منذ أيام هرون على أثر اتساع نطاق نفوذ الذين استخفوا بالنوبيين وأبطلوا العادة، فلم يعد النوبيون يرسلون

شيئاً الى المسلمين ولا المسلمون الى النوبيين. فلما علم المعتصم بهذه القطيعة، دعا شخصاً من حاشيته وأرسله الى ملك النوبيين ليرسل الحقوق كالعادة المألوفة ، مهدداً اياه بالغزو في حالة الامتناع. ولدى وصول الموفد وجد أن الملك بابديس قد مات، وان زعيماً يدعى زكريا ليس من سلالة الملوك، يقوم بإدارة شؤون الدولة، لكن زوجته المنحدرة من أرومة الملوك أنجبت له ابناً دعي جاورجي، فوضعوا له التاج، في حين استمر والده يدير دفة الأمور حتى بلغ سن الرشد. واذ أدرك زكريا من الموفد ما يدور في ذهن المسلمين، أرسل ابنه الى أبي اسحق عليه يجد نعمة لديه، وبهذه الطريقة يكمل رغباته. لذا قال لموفد الخليفة، لا أحبذ أن يتم الحوار بيننا عن طريق الرسائل، بل سأرسل ابني الذي يملك على النوبيين، للسلام على خليفتم. فنقل الموفد هذه الرغبة الى الخليفة، فاذن بمجيئه وأمر عماله في مصر أن يستقبلوه بترحاب واحترام. فلما علم أبو اسحق بوصوله الى فسطاط مصر، كتب الى الحكام ليستأجروا جمالا لكل أفراد أسرته ويعطوه ثلاثين دينارا يومياً كنفقات. ويستقبله حكام المدن بما يليق به كملك.

ففي الرقة، استقبله أمير الجزيرة واحتفى به المسيحيون والمسلمون، وتهافتوا عليه وكأنما شيء غريب حدث في بلادهم. فقد كان يركب جملاً مسرجاً بسرج غريب يختلف عن سرج منطقتنا، تعلوه مظلة موشاة بأقمشة فاخرة، وعلى قمته صليب ذهبي. وأمسك عصي بإحدى يديه وصليباً بالثانية، والى جانبه يسير شباب نوبيون حاملين صلباناً بأيديهم، ويتقدمه أسقف راكب وبيده صليب، وجميع هذه الصلبان من ذهب، وجميع الفرسان والعبيد الذين معه، هم من السود. وكان يرافقه أسقفان آخران توفيا في الطريق، كما توفي بعض مرافقيه بسبب الثلج والجليد. لم يكن أبناء الرقة قد نظروا مثل هذه المشاهد من قبل.

بعد أن أمضى عيد الميلاد في الرقة، نزل الى بغداد فاحتفى به الجيش في الشوارع، وحل في أحد القصور الملكية، ومكث هناك من شباط حتى آب. أما سبب تأخيره فهو: ان نوبياً ممن كانوا يجبون ضرائب الملك من النوبيين الذين في بلاد المسلمين، تمرد على الملك وأشهر اسلامه، فقبض عليه وكبله بالسلاسل، فكتب ذاك الشقي الى خليفة المسلمين يقول «ان هذا رجل محتال وليس ابن ملك». فأرسل الخليفة الى مصر من يحقق في أمر ذلك المتمرّد. لذا تأخر دخول جاورجي الى ابي اسحق، ولما أكّد التحقيق بأنه ملك وابن ملك، أرسل بطلبه، وأمر القوات العسكرية أن تستقبله بكامل أسلحتهم وزينتهم، فاجتاز بينهم وهم منتظمون على جانبي الطريق، يعلو رأسه اكليل، ويعلو تاجه صليب. وهياً أبو اسحق مجلساً أكثر عدداً من المأمون، ولما دخل أمسكه من يده وأجلسه أمامه. وعرف عن طريق المترجم، انه جاء للسلام عليه، فرحب به بحرارة ونفحه بهدايا ثمينة ذهبية وفضية.

فصل

في دخول ابي اسحق خليفة المسلمين ارض الروم، واندحار
ثاوفيلس ملك الروم. وهدم مدينة امورين المؤلم. وأحداث
فضائية. وبعض الاحداث الكنسية التي جرت في هذه الفترة

عندما كانت تسوء العلاقات التي بين الممالك، كانت الكنيسة تتمتع
بشيء من الاستقرار، فالمؤمنون كانوا يقعون دائماً تحت وطأة الضرائب
الباهظة التي يفرضها الحكام، كما كانوا ضحية الحروب والنزاعات التي
تتشب بين الملوك. ولكن الاضطهاد الذي أثاره ابليس في سروج، كان
بسبب النزاعات والفتن التي جرت بين صفوف المؤمنين والقائمين على
ادارة الكنيسة. وكان ذلك عن طريق رجل مسلم ساقته غيرة شريرة الى
البحث عن الذين ارتدوا الى الاسلام ثم عادوا الى المسيحية، واکراههم
على العودة الى الاسلام من جديد، فالقى القبض على الكثيرين الذين
احتملوا العذاب بشجاعة. غير ان هذه الزوبعة هدأت فيما بعد بواسطة
امرأة من قرية بسمان صمدت في الجهاد ولم تتخاذل ابداً أمام قسوة
العذاب مثل الذين سقطوا. فلما وقف حاكم الرقة على أمرها وأخذت اليه،
أثر كلامها الذكي والحكيم به، فاستدعى ذلك الرجل وأمر بضربه وزجه
في السجن. وهكذا تمّ الخلاص.

انشقاق في صفوف الخلقيدونيين

حدث في هذه الفترة انشقاق في كنيسة الخلقيدونيين الانطاكية،
ولحقت الالهانة لجميع رؤساء الكهنة لدى اجتماعهم لانتخاب خلف
لبطريركهم أيوب. اذ رشح آل شماساً صديقاً لأيوب، فيما رشح خصوم

أيوب اسطاثاوس تلميذ باسيليوس مطران صور، وكان عامل انطاكية يساند انتخاب الأخير لكونه من أبناء صور، فاستدعى المعارضين وألزمهم بالموافقة. وان القس الذي حمل الرسالة الى اسطاثاوس قال له قبل أن يسلمها اليه: اني موفد اليك والى نيقلالوس الدمشقي. ولكن اذا أعطيتني كذا دينار سأنتخبك. وازاء طلبه المال، سحب اسطاثاوس ترشيحه، فمحا اسمه من الرسالة وكتب اسم نيقلالوس، فرحب بعض الأساقفة به ورسموه في حلب، فاقسم حزب اسطاثاوس على رفضه. فلما زار نيقلالوس انطاكية استقبله بعضهم في حين رجمه البعض الآخر بالحجارة. وكان المسلمون واليهود يسخرون منهم ويقذفون المسيحيين بالتراب، وأخيراً انتصر جماعة اسطاثاوس فلم يسمحوا لنيقلالوس بالدخول الى كنيستهم، وحذرهم أرخدياقون الكنيسة الكبرى من أن يتخطوا عتبة المدينة باعتباره نائباً للبطريرك، وله الصلاحية أن يحدد مناطق نفوذ الأساقفة. فظلوا خارج المدينة مدة شهرين، ثم التجأوا الى ابي سعيد أمير سورية واستحصلوا أمراً منه الى عامل انطاكية ليسمح بدخوله الى المواليين له. فدخل محاطاً بالمسلمين الذين كانوا يضربون المعارضين، فيما هتف المسلمون واليهود قائلين: انكم أيها المرتدون تستحقون أن تستقبلوا رئيسكم بضرب العصي بدلا من الصليبان والشموع والأناشيد. ولدى وصولهم الى كنيسة قاسينا، أغلق المعارضون الأبواب، فكسرها الجنود ورضوهم وأرسلوهم الى السجن. وفي الكنيسة حدثت مناخة وقتل عندما أخرجوا الكرسي الفضي ليجلس عليه. وفي اليوم التالي فتح نيقلالوس خزانة الكنيسة وأخرج الآنية الذهبية والفضية وأعطاهم للعامل وجنده، واستعمل القوة مع المعارضين ليتناولوا منه قربانه، غير أنهم كانوا يرمونه من أفواههم ويطأونه. وعيّن الأمير رجلا يتقاضى منهم ثلاثين دينارا شهريا، ليجلس في المذبح ويراقبهم لئلا يقتل بعضهم البعض.

وحصل حزب اسطاثاوس على أمر من الأمير برسامته، فرسمه أسقف الرقة المعزول وأسقف آخر، بطريركا دون أن يكون قد اقتبل

درجة الكهنوت بعد. وحيث انه لا يُعترف برئاسته ما لم يجلس على الكرسي، لذا رشى عامل انطاكية بخمسمائة دينار، فأخبر حزب نيقلوس وأخرجوا الكرسي اذ كانوا قد أخفوه، فجلس عليه اسطاثاوس يحيط به الجند، ثم قسموا الكنائس. واجتمع نفر من الطرفين في كنيسة والددة الله في قاسينا وتراشقوا بالحرومات. وفي كنيسة الرقة كان يقدم الذبيحة كاهنان على مذبح واحد. كل من جهة ويحرم أحدهما الآخر.

سنة ١١٤٩ استعد الخليفة أبو اسحق للدخول الى بلاد الروم، فقسم جيشه الى معسكرين، الأول بأمره أفشين، فدخل وادي حدث. وقاد الخليفة المعسكر الثاني فدخل وادي طرسوس خمسون ألف محارب وثلاثون ألف من التجار ومستأجري الدواب والعبيد، ونحو خمسين ألف جمل وعشرين بغل، ماخلا خيول الملك والجيش. وفي منتصف، اكتشفوا جاسوساً للروم فقتلوه، ولدى وصولهم الى مدينة نيقية الخربة، هدموا أسوارها، ومن هناك رحلوا الى أنقرا التي هجرها أهلها وهربوا الى مدينة أمورين الكبيرة، فأمر الخليفة بهدم سور أنقرا المشيد بحجارة ضخمة جداً، وقبضوا على تسع مركبات تنقل اناساً من أنقرا وأتوا بها الى المعسكر. وجاء الملك ثاوفيلس الى معسكر أفشين المؤلف من ثلاثين ألفاً، فقتل الروم ثلاثة آلاف من المسلمين، وللفور أرسل الله مطراً غزيراً فتوقف القتال وتبدد معسكر الروم، وانعزل، ثاوفيلس مع ألفي جندي حتى اعتقد الباقيون بأنه قتل فهربوا الى القسطنطينية. فلما توقف المطر وصحا الجو ورأى ثاوفيلس ان الروم تبددوا ترجل والذين معه وتجمعوا حول الملك، فأحاطت بهم قوات أفشين البالغة ثلاثين ألفاً، لكنهم لم يتمكنوا من ايقاع الأذى بالألفين اللذين مع ثاوفيلس، فجاؤا بالمنجنقات ليرجموهم بالحجارة، فانتفض الروم وشقوا صفوف المسلمين وهم يقاتلون، ولما خيم الظلام هدأ القتال. فأضاء الروم معسكرهم ورحلوا الى أمورين مسرعين فنجوا ثاوفيلس.

بعد ذلك أوفدت اليه والدته شخصاً يخبره بأن الروم الذين وصلوا الى العاصمة، أشاعوا أنك قتلت، وسوف يقيمون ملكاً آخر، فأسرع بالقدوم. فحرك ثاوفيلس القوات التي في أموريين وأمر بغلق الأبواب، فصارت أموريين كالوعلة التي تنن على أولادها. فلما وصل الى القسطنطينية قتل الرؤساء الذين أرادوا أن يقيموا ملكاً آخر، وعاد الى أموريين وشاهد الدمار الذي تركه المسلمون فيها، فلام نفسه لأنه خرب زوبطرا أولاً، وتنبه الى أنه ضرب مؤخرة السفينة فقط. فأرسل البطريق باسيليوس الى أبي اسحق حاملاً رسالتين وهدايا، يعترف في الأولى بذنبه ويطلب الى البطريق اطيوس أن يطلق سراح الأسرى المسلمين ليتحقق السلام. وضمن الثانية شتائم وتهديدات في حالة رفضه للسلام. فرحب بحرارة برسالة، وطلب أن يطلق الروم سراح جميع الأسرى المسلمين، ونصر الكردي وابنه وعمانوئيل. فأجاب باسيليوس. هذا غير ممكن، فقال: اذن ارحل. ثم سلم اليه رسالة التهديد، فقرأها واستشاط غضباً وأعاد هدايا ملك الروم مع موافده، وأمر أبا سعيد قائد الجيش ان يعد مكامن في ارض الروم، وخوله السلطة على بين النهرين وسورية. ولدى وصوله الى حلب. أمر بكسر جرار الخمر كما سكبت خمر الزقاق في الشوارع. فزاره أسقف خلقيدوني وطلب اليه الرأفة بالمسيحيين، غير أنه قال: لا تتعب نفسك أيها الأسقف، فأنتم شعب اكرهه جداً ولا يمكن أن يجد مني حسنة، فصلوا أن تكون نهايتي مع الروم لئلا أراكم.

فلما تحرك ليدخل ارض الروم، أخذ المقاتلين الى ناحية، وترك الرئيس بشير مع أبناء المصيصة في ناحية أخرى، وبعد أن غنم بشير وأسر الكثيرين، لحق به نصر زعيم الأكراد وأنقذ اسرى الروم، فأدركه أبو سعيد فتخاذه نصر فقتله بشير وعلق رأسه على الرمح. فلما رأى الأكراد أن زعيمهم قتل، تصوروا الموت أمامهم، فترجلوا وسحبوه وقاتلوا راجلين حتى انتهوا، فأوعز الأمير بجمع رؤوسهم وجاء بها الى المصيصة وملحوها ليرسلوها الى الخليفة، فاكتشف ان معظمهم من أبناء

المصيصة حيث تعرفت النساء على رؤوس أزواجهن، فكانت مناحة كبرى وانقلب فرحهم حزناً. أما الخليفة فسر جداً بمقتل نصر الذي دمر زوبطرا، وعلق وساماً ذهبياً في عنق بشير ونفحه بالهدايا.

مأساة مدينة أمورين

كان لأبي اسحق خليفة المسلمين ولد يدعى داود يكره المسيحيين، وبتأثيره أصدر والده قراراً بمنع وضع صليب خارج الكنائس أو دق النواقيس ورفع الأصوات أثناء الصلاة أو في الطريق خلال تشييع الجنازة، وحرّم وجود خمر في المدن أو في الطرقات. فغدا الناس فريسة للعملة الذين كانوا يتعاملون بهذا القرار بقدر ما يدفع لهم.

(في عام ١١٤٩ ظهر مذب في الجهتين الشمالية والجنوبية وامتدت أشعته الى الغرب ودام ١٦ يوماً. وكان يظهر في الفجر حتى اختفاء نور الشمس).. لما رأى أبو اسحق خليفة المسلمين ان الأمور في بلاد الروم لاتسير بحسب رغبته، استاء وقال: لقد أخطأنا بدخولنا هنا. فلما هم بالخروج، قال له كاتبه أحمد، لايجدر بملك مثلك أن يترك المنطقة دون أن يجني فائدة ما، فان مدينة أمورين ليست بعيدة عنا، لنذهب ونحتلها. فأخذ بمشورته مثل احتوفيل، فلما رأى الخليفة تحصيناتها، أقام حولها تلالاً ترابية، وأخذوا يقذفون المدينة من الخارج بحجارة المنجنيقات، وظلوا الشمس بسهام أقواسهم وهم يرشقون الذين على السور، في حين أقام آخرون خياماً مغطاة بالجلود لحماية الذين كانوا يحفرون أنفاقاً تحت السور. أما الذين في الداخل، فكانوا يقاتلون بالسهم واللبن والعرادات (آلة أصغر من المنجنيق)، ويرشقون الذين يقتربون من السور بالحصى ليعدوهم، حتى صاروا وكان سحابة من الرمل والرماد تغطيهم. وقد قتل من كلا الجانبين ثلاثة آلاف شخص خلال ثلاثة أيام من القتال، وأخيراً امتدوا الى بقعة متخلخلة في السور، فصوبوا اليها

المنجنيقات والعرادات حتى انهارت بعد عدة أيام من قذف الحجارة، فراح الذين في الداخل، وانشرح الذين في الخارج. فاجتمع المقاتلون حول الثلثة، وارتفع عدد الجثث بحيث حالت دون دخولها الذين في الخارج، فانزعج أبو اسحق وجمع جنده وعبيده الأتراك الذين وضعهم في المقدمة يتبعهم الجيش، وأمر بقتل كل من يهرب. فطلب الروم أن يلتقوا به، فأذن لهم، فجاء الأسقف وثلاثة زعماء وطلبوا الرحيل عن المدينة، فقسى قلبه ولم يوافق، فلما هموا بالرجوع، التفت اليه واحد من الزعماء يدعى جوادين ووعده بتسليم المدينة بالحيلة، فرحب الخليفة بالفكرة وأعطاه عشرة آلاف درهم، فأعطاهم كلمة السر حيث قال: عندما أقف على السور وأرفع قبعتي من رأسي، اعلموا إني نحييت المقاتلين عن الثلثة، فتقدموا وادخلوا.

لدى رؤيته جودين يعود الى الخليفة، أدرك الأسقف انه سيسلم اليه المدينة، فأخبر أهل المدينة بذلك، فاتجه بعضهم صوب الكنيسة وهتفوا: يارب ارحم، وآخرون هتفوا وهم في بيوتهم، وغيرهم نزلوا الى الآبار والحباب، واحتضنت النساء أولادهن كالدجاجة كي لايفارقوهن سواء الى السيف أم الى العبودية. وأخذت سيوف المسلمين تعبت فساداً وتكوم أكداً أكداً من الجثث. وبعد أن ارتوى سيفهم من الدم، صدر أمر بالتوقف عن القتل والشروع باخراج الناس ونهب المدينة، ثم دخل الخليفة المدنة وانبهر لجمال الأبنية والشوارع، لكنه انزعج من نبأ بلغه، فأضرم فيها النار وأحرقها. وكانت تزخر بأديرة النساء، وسبيت أكثر من ألف راهبة الى جانب اللواتي قتلن واللواتي أعطين للجنود الأتراك والماديين لإذلالهن المجد للأحكام غير المدركة.

لقد احترق جميع الذين كانوا مختبئين في البيوت وقلالي الكنائس. ثم جمعت غنائم المدينة في مكان واحد، ورأى الخليفة أن الناس مازالوا كثرة، فقتل أربعة آلاف رجل آخرين، واختطفت كافة الأواني الذهبية

والفضية والنحاسية، بل خطف الجند الناس ايضاً، فارتفع عويل وبكاء الرجال والنساء والاطفال الذين كانوا يخطفون من أيدي آبائهم. فلما سمع الخليفة صوت العويل، تأثر لأنه لم يأمر باختطاف الناس، فنهض غاضباً وقتل بيده ثلاثة رجال لاقاهم وهم يصطحبون عبيداً، وأمر باعادة الناس الى حيث كانوا مجتمعين. فأعطى بعضهم لقواته والبعض الآخر لرؤساء جيش الأتراك، ولحاشيته وباع بعضهم للتجار، حيث كانت تباع العائلة جملة دون التمييز بين الأبناء والآباء.

تم خراب أمورين في ٦ تموز عام ١١٤٩، وفيها اضمحلت المملكتان، مملكة الروم بسبب ما أدركهم من نكبات، ومملكة العرب الذين زعموا، انهم عرفوا عن طريق السحر، بأن مملكتهم ستزول يوم يفتحون مدينة أمورين الحصينة، إذ لم يستطع أحد احتلالها قبل أبي اسحق الذي فتحها خلال ١٢ يوماً، ووجد فيها شعباً كثيراً وأموالاً طائلة هي أموال المدن المجاورة المخزونة فيها. على هذه الصورة كانت نهايتهم.

فصل

في نهاية الملكين ابي اسحق خليفة المسلمين وثاوفيلس ملك الروم اللذين تصالحا وتوفيا بعد فترة وجيزة. والاحداث الرهيبة التي جرت. وظهور المتمردين مرة اخرى في مناطق المسلمين. ونص الاحتجاج والالتماس الذي قدمه الطوباوي مار ديونيسيوس في ختام كتابه. ووفاته التي حلت في هذه الفترة

ان الاحداث التي دونها مار ديونيسيوس التلمحري الواردة في هذا الكتاب، دونت بشكل دقيق، وقد ذيل كتابه في آخر ايامه بكلمة التماس مقترنة بالنصح والارشاد، هذا نصها:

«لقد اشتد الضيق على الناس في هذه الفترة أكثر من اية فترة اخرى من حكم العرب، بسبب جشع الحكام. فان اية زيادة في الضرائب كانت من حصة الحاكم، وكان يفرضها بسبب هواه. وقد عين مدراء لكل دائرة لكي يبتلعوا المساكين بشكل أو آخر. ففي الرقة، عينوا حاكماً يدعى قادي، وجابياً للضرائب، وعاملاً لمراقبة عابثي الفساد، وآخر لمراقبة الناس وارسال اخبار المنطقة الى الخليفة، وآخر على غلات الصوافي، وآخر للنظر في تظلم الناس، لكنه كان يظلم أكثر من الكل. وهذا ما فعلوه في كل مدينة. ولكي يتطلع الناس الى اية درجة من الخبت أوصل الجشع الحكام، أسرد بعض أعمالهم.

لما سمع علي حاكم دمشق أن ثرياً توفي، استدعى أولاده واتهمهم بقتل والدهم، فأجابوا بأنه مات موت ربه. قال: كلا، بل قتلتموه لكي

ترثوه. فكلهم بالسلاسل وزجهم في السجن. وفي الليل أمر باخراج والدهم من القبر وذبحه واعادة دفنه. وفي الصباح دعاهم وقال لهم: ان كنتم صادقين اخرجوا اباكم من القبر، ففعلوا دون أن يدروا بما جرى فوجدوه مذبوحاً، فجلدهم وصادر ثروتهم.. وكان يشتري جمالاً هزيلة ويفرض على القرى تسمينها في الشتاء، ولشدة ضعفها كانت تموت، فكان يدعي بأنها جمال الخليفة فيأخذ ثلاثين ديناراً ثمناً لكل واحد.. فيما كان حاكم قورس يتجول من قرية الى اخرى شاهد جمالاً يتبول في الطريق فقال لصاحبه لماذا تدع جمالك يتبول في الطريق، فان المسلمين سيمرون من هنا وينزلقون ويسقطون، فسجنه مع جماله حتى دفع له. وفي اليوم التالي شاهد شخصاً سقط من حماره وفتح رأسه، واذا علم بأنه حماره وانه نفر وأسقطه، أمر بقتل الحمار باعتباره قاتل صاحبه. فاضطر المسكين الى دفع دينارين للحاكم، وأنقذ الحمار.. عندما كان يشتكي شخص على آخر، كان يسحب كليهما ويفرض عليهما الجزاء، فامتنع الناس من رفع الشكاوي اليه، وتمسكوا مضطرين بالوصية القائلة «لا تجاز الشر بالشر».

وكان الحكام يمنعون من جني الكروم في مواسمها حتى يتقاضوا من كل واحد ألف دينار عن الكروم، وكذا الأمر بالنسبة الى المعاصر، اذ كانوا يمنعون عن العصر حتى يدفعوا ما يطلبون، وكانوا يختمون الخمر التي في الجرار حتى يتقاضوا من البائعين والشاريين. وكانوا يفرضون الضرائب حتى على الطرقات وأبواب المدن، ويأخذون قسماً من الأكديس أثناء الحصاد. وكذلك يفعلون خلال جني الزيتون. كل هذه القرارات الجائرة أصدرها أحمد بن أبي داود.

واذا ما تحدثنا عن أعمال أفراد عشيرته (الاتباع) يتيه العقل ويعقل اللسان من كثرة جرائمهم. فقد تجبروا ولم يستطع أحد أن يقاومهم أو يردعهم عن اشباع رغباتهم فكان (التابع) يحل فدان المسيحي من حقله، ويحرق حقله هو، ويسخر الرجل وعائلته لحصاد حقله والعمل معه، ولم يكن الحاكم ليردعهم. واذا ما رغب التابع في قرية ما، ضاعف على

ابنائها الضرائب حتى يضطروا الى بيعها فيشترئها بأبخس الأثمان. وبهذا الاسلوب اغتصب أحمد عدة قرى. وقد احتمل الناس حتى المسلمين الكثير من العنف من الحكام والاتباع.

ادرج ادناه احدي قصصهم التي تدعو الى السخرية وتفضح رياءهم. فلقد دخل زوجة أحد مسلمي المنطقة شيطان من النوع الذي يتكلم من الداخل، فأتى والدها بساحر ليخرج الشيطان، غير ان الشيطان شتم الساحر أمام الجمهور الذي احتشد ليشاهد هذا الوهم. ولما فشلت تمتمات الساحر، اعتمد سيفاً وهدد بقتل الشيطان، فصرخ الروح الشرير بقم المرأة قائلاً: اسمعوا ايها المحتشدون، فأنا ولئن كنت من ابناء الأرض غير اني انتمي بجنسي الى عنصر الاتباع، فأنا تابع من أصدقاء أحمد ابن أبي داود، وان هذا يحاول قتلي. فلما سمع الساحر اسم « الاتباع » هرب لئلا يقتلوه، غير ان الاتباع حاولوا الانتقام من الشيطان الذي التجأ اليهم. وهكذا التجأ الكثير من الناس الى الاتباع مثل الشيطان لكي يحموهم من الحكام الذين على يدهم ويد اتباعهم كانت تتطاير غلات المساكين، ولم يكن من يغيث، ولم يكن الملك يفتح أبوابه للناس. والأنكى، أن الله ايضاً غض طرفه، فان دعونا لا يستجيب لأننا اغضبناه بأعمالنا السيئة، ولأننا، كما يقول الرسول، صرنا نتحدث بالاثم والغش ونفكر بالسوء والامور المشينة. وبسبب هذه الاعمال وامثالها، أسلم الله المسيحيين بأيدي الأعداء، فتسلط عليهم مبغضوهم الذين حاولوا القضاء على الحرية التي تضمنتها شرائع المسيحيين، الى جانب ما كبدوهم من المآسي.

وعليه، فإني بألم شديد وحزن عميق، أدون هذا التأديب، لكي أظهر كيف أن الله أفاض غضبه علينا واستل سيفه وامتد قوسه، مهياً لنا وسائل الغضب. والآن أقول: حتى متى احتملكم ؟ مالذي كان علي أن أعمله ولم أعمله، وقد استهنتم بالتوبة وقسيتم قلبكم بسبب طول أناتي لكم. اكنترتم لكم كنز رجز ليوم الغضب. وقد تردون علي قائلين: لماذا، وأنت

تمسك بزمام الكنيسة، لاتسهر عليها بجدية لكي يسمع الرب صلاتك ويبعد عنها غضبه كما فعل موسى الذي صلى من أجل اسرائيل فاستجيب؟ ولمثل هؤلاء أقول: أنا أيضاً خاطئ كسائر الناس، ولا دالة لي كدالة موسى. وقد يقال: أن تقواك أنتُمنت على نواميس الرب غير المدركة، وأعطيت وكالة على هذه الحياة المتنوعة التي تعتبر ادارتها فن الفنون ومعرفة المعارف، وقد أدركت بالخبرة الصعوبة التي يلاقيها الرعاية لاسيما اذا كان لهم قلب حساس، يكون له كالسوس بالنسبة الى العظام. ليس لي أن أعطي صورة لفتنتك عن مدى العذاب الذي أعانيه. فكم من ليلة قضيتها دون نوم وكم من نهار لم أذق طعم الراحة، إضافة الى الأفكار المزعجة التي تحرق القلب وتتشتر الحمى في الجسد، لأن كل واحد انتحى جانبا وليس من يفهم ويطلب الله. فلو كنت قديساً مثل موسى، ورؤوفاً مثل أرميا كان باستطاعتي أن أفيد الشعب الذي يصر على موقفه ولا يغيره. فموسى لم يصل لمفرده ولئن كان صامتاً، لكنه شارك الشعب في الصلاة. فما رفعوا أنظارهم ورأوا المصريين. خافوا كثيراً كما كتب فصرخوا الى الله. فصرخة الشعب وتوبته فتحت الباب أمام صلاة موسى. أما نحن، من منا هو تائب، أو من يقبل الارشاد ويتقيد بالقوانين ولا يهزأ ويهز رأسه ويسخر من القوانين وواضعي القوانين. انه لمن العدل أن يقال لنا ما قيل لأرميا «لاتصل لأجل هذا الشعب، لأنني لا أسمعك» وقوله أيضاً «ان وقف موسى وصموئيل أمامي لاتكون نفسي نحو هذا الشعب» (١٥).

وعليه نقول مع ارميا «الويل لنا لأننا أخطأنا» فسكر قلبنا وأظلمت أبصارنا. كما نصرخ مع بولس «هوذا الزمان قصير» و «أدركهم الغضب الى النهاية». واليوم، توجد علامات كثيرة، احداها، التأديب الذي يقول عنه الرسول « عند مجيئه سيظهر ابن الهلاك» لذا فاني أرثي لحالي أنا الشقي الذي، بسبب خطاياي، أوشكت أن أجرع الكأس حتى الثمالة، وأتألم ويحزن قلبي عندما أرى بأم عيني المآسي التي يتكبدها أبناء الكنيسة، وفي كل يوم تضاف اليها نكبات جديدة. واني الآن أتخيل العقاب الرهيب الذي

لامناص منه، والعتيد أن يكون في الآخرة، وأنا واقف على الباب. وان الحل الوحيد من وثاقات الخطيئة هو الموت الذي اشتاق اليه كأفضل شيء ايجابي بالنسبة الي. وعلى أمل بلوغ ذلك اليوم فاني أتذكر وأغذي نفسي بما كتبه أحد القديسين الى شخص كان يتألم من أجل الكنيسة مثلي، حيث قال لاتستسلم للخيال في ما يخص آلام الكنيسة العامة، بل غذ نفسك بالرجاء والفضيلة، وتذكر ماقاله الرب لتلاميذه «ان كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم» وما قاله بولس لطيماتاوس «وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون».

بعد احتلاله أمورين وتدميرها حرقاً، علم أبو اسحق أن ابن أخيه عباس ينوي قتله، فقبض على كاتبه وطبيبه النسطوري فكشفا له مؤامرة عباس والمشاركين معه، وفضحا ايضاً تواطؤه مع تاوفيل ملك الروم، والشرط الذي وضعه على أهل بغداد، ومفاده أن ينادوا في الشوارع والمساجد بالعباس خليفة فور سماعهم بمقتل ابي اسحق والقائد عوجيف وكبلهما ووضعهما على الجمال وغادر أمورين التي لم ينج منها سوى نزر يسير، واصطحب معه البطريق اطيس والوالي وبودين المسلم، وعاد فخوراً الى بلاده. في حين توفي عباس في منبج تحت تأثير العذاب والجوع ووجه الخليفة رسالة عامة جاء فيها «ليطلع الجميع، ان عباس بن المأمون ظهر عدواً لمملكتنا وانه كان يهيء لتسليم معسكر المسلمين للروم، فيجب على الجميع أن يلعنوه».

في هذه الأثناء غزا الروم انطاكية عن طريق ميناء البحر ونهبوا التجار وسبوا أهلها وعادوا على متن سفنهم، لذا أمر أبو اسحق أن يبني حصن في الميناء.. وفي هذا الوقت، فكر منكشور ابن اخت افشين بالعصيان، فأخذ يسلب التجار، ومنهم احد تجار أرمينيا، فذهب ليشكو أمره الى أفشين، فكتب اليه ليعيد الأموال، وفي الوقت نفسه كتب اليه سراً يقول: لماذا لم تقتله؟ لذا قتله وأرسل رأسه الى الخليفة مدعياً بأنه رأس

صهر بابك، وقد قتله لأنه عزم على اعلان العصيان. ففرح الخليفة وطاف بالراس في شوارع شومرا. وأخبر منكشور، قاتل التجار، عن تاجر مسلم في ارمينيا، فأرسل في طلبه، فرفض الذهاب لعلمه بما ارتكبه سابقاً، ولأنه سيستولي على أمواله لا محالة. فألب له جيشاً وأعلن العصيان. فأخبر منكشور الخليفة بعصيانه، فأرسل الخليفة من يقول له: لا بد من مجيئك طوعاً أو قسراً، فحضر بكل سهولة واطلع الخليفة على ما فعله منكشور بالتاجر الذي قطع رأسه وأرسله الى الخليفة زاعماً بأنه كان مزماً على التمرد. وقدم للخليفة براهين كثيرة على هذا. فأرسل الخليفة قوة من الجيش وقبضوا على منكشور، فاعترف بأن أفشين حرضه على العصيان، لكن أفشين أنكر وكذبه. فقتل الخليفة منكشور في السجن وعزل أفشين.

سنة ١١٥٢ غزا أبو سعيد بلاد الروم وسبى، فلاحقه الروم في قيليقية وانتصروا عليه وأبادوا السبايا. ثم كرر أبو سعيد غزوه للروم وعاد يجر أذيال العار. وبالمقابل غزا الروم حدث ومرعش ومنطقة ملطية.. في هذه الأثناء أرسل ثاوفيل ملك الروم هدايا الى أبي اسحق خليفة المسلمين وطلب تبادل الأسرى بين الروم والمسلمين، فقبل أبو اسحق الهدايا وقدم له بالمقابل هدايا أفخر قائلاً: نحن العرب نأبى أن نقارن المسلمين بالروم لأن الله أعطاهم كرامة أعظم، ولكن اذا قدمت لي أسرى المسلمين دون مقابل، فسنكافئكم اضعافاً، واعلم اننا نحن المنتصرين. فعاد الوفد ومعهم خمسون حمل حمل من الهدايا الفاخرة. وهكذا تم السلام بين الملكين. أما أفشين الذي ارتفع مثل كفرناحوم ثم هبط الى الهاوية برذل الخليفة اياء بسبب ابن اخته، فقد فكر بالعصيان واغتيال الخليفة، فأخذ رفاقه من الخرسانيين ليذهب الى خرسان ويقتل عبد الله بن طاهر ويتسلم ملك آبائه في خرسان. ولكن القي القبض على رسوله فأخبر الخليفة بالمهمة التي أرسله بها أفشين، وسلم اليه رسائل كتبت باللغة الخرسانية، فكتب الخليفة الى عبد الله ليقبض على حسن بن أفشين حاكم خرسان ليحول دون

عصيانه اذا ما علم باعتقال والده. وأمر الخليفة أن يطرح أفشين في أعماق الأرض وتصادر جميع أملاكه. فكتب ابن طاهر الى ابن أفشين أن يأتي بأمر الخليفة ويستلم مكانه، فصدق وتوجه الى نحشور فقبض عليه، وكبله ابن عبد الله وقال له: بأمر الخليفة أن توقع التفريق بزوجتك ففعل حسن مكرهاً، فأرسلت الى ابيها أشنوق صحبة العبيد وأسرة حسن، وأرسل حسن مكبلاً الى الخليفة فسجن في الاعماق مع والده الذي مات تحت العذاب واشيع عنه بأنه لم يكن مختوناً، ويسجد للصنم الذي وجد في بيته.

سنة ١١٥٣ ظهر في فلسطين شخص يدعى تميم الملقب بأبي حرب، زعم انه ملك، فتبعه ثلاثون ألفاً من الجياع والعراة، وكان يغطي وجهه بالمنديل ويتظاهر بالغيرة على شريعة النبي، وانه جاء من اجل المستضعفين. ولم يكن لياخذ جزية أكثر من أربعة قروش، ففرح به الكثيرون. غير أنه لم يستمر على هذا الاسلوب، بل أخذ يسلب ويقتل. فصعد الى القدس، فهجرها المسلمون والمسيحيون واليهود، ودخل الجوامع والكنائس. وبعد أن اغتصب كل شيء حاول أن يحرق كنيسة القيامة وغيرها، فأرسل له البطريرك مالاً وفيراً. ثم أرسل اليه رجاء على رأس ثمانية آلاف. ولما وصلوا الى الرقة وردهم نبأ وفاة ابي اسحق، فاستعدوا للنهب، غير أن الله أشفق، اذ ورد للحال نبأ خلافة ابنه هرون، فترجع المتمردون وهدأت الحالة. بيد أن ارييوس الدمشقي جمع خمسة آلاف رجل فسلب وقتل، فلحق به رجاء وقتل أربعة آلاف من رجاله وتشنت الباقون. ثم وجه رجاء أنظاره الى أبي حرب، ومسك أحد جواسيسه، وبعد أن أخبره عن مكانه، أكرمه وأجزل له العطاء وأرسله الى أبي حرب ليدعوه الى السلام، وقال: انه لن يتحرك من مكانه حتى يأتيه الجواب، لكنه غادر مساء ذلك اليوم، وفي الصباح هجم على أبي حرب وقتل ثمانية آلاف، وأسر الفاً مع أبي حرب وهو مصاب، وأرسلهم الى الخليفة.

في هذه الأثناء، أخذ أهل نصيبين ودارا وآمد يمارسون اللصوصية. فأرسلت إليهم قوة من الفرس. ودار قتال بالقرب من دارا، فقتلوا نحو ألف مسلم، ونهبوا كل شيء، ولم يقتلوا المسيحيين لأنهم كانوا ناقلين على المسلمين، ونجا عدد كبير من المسلمين بحملهم صلباناً.. مات أبو اسحق وترك ثروة هائلة، لأنه كان يستوفي الضرائب عن كل شيء حتى الأموات، وبنى مدينة سامراء وأغناها، بلغت كلفة إنشاء الحمام ٣٢ ألفاً من الفضة. وكان يتقاضى ضريبة الدخول إلى سامراء ٣٠ ألفاً من الفضة سنوياً. كان شبقاً ومدمناً على شرب الخمر، تحرر بموته ثمانية آلاف عبد، وترك ٤٠ ألف فرس خاصة للركوب و ٢٠ ألف بغل خاصة بالحمل، و ٣٠ ألف سائس من العبيد.. في نفس السنة التي توفي فيها، توفي كذلك ثاوفيل ملك اليونان.

في أيار عام ١١٥٤ ظهرت في الجهة الشمالية من السماء، علامة حمراء كالنار، وتكرر ظهورها في ٢٦ نيسان لثلاث ليال متتالية، حيث كانت تظهر في الجهة الشمالية في أول الليل وتستمر حتى الصباح، كما كانت تشاهد أشعة مضيئة كالمشاعل. وفي العاشر من الشهر نفسه أرسل الله غمامة كثيفة ممطرة، لم نسمع أو نرى حتى ولا الشيوخ نظيراً لها، حيث أن السيول جرفت حجارة ضخمة، واستحالت البقاع إلى بحيرات، وأصاب حاران أضرار جسيمة من جراء انسياب جداول من جبل حسما والجبل المعروف ب «راكب رأسه» أي المنفذ، وتكوينها نهراً عظيماً اجتاح قرى المنطقة حتى بيت قوبا، فامتلت الدور والفنادق والحوانيت بالماء وسقطت، وفي بعض المناطق سقطت البيوت على الناس وأغرقتهم. ولولا أن السيل حدث في النهار فجمع الحاكم الناس وأقاموا سدوداً، لبادت المدينة بأسرها. ووصل الفيضان إلى الرقة، تاركاً وراءه دماراً وخراباً.. بعد ذلك، حدث رعد هائل في قبليقية ارمينيا في حزيران، فسقطت ثمانية أبراج من سورها وعدة دور، ومات نحو مئتي نفس، وظل الناس في العراق مدة شهرين خوفاً من الرجوع التي لم تهدأ ليل نهار.. وفي تموز

تلك السنة شب حريق في بغداد والبصرة في نفس اليوم ونفس الساعة، فاحترق أكثر من ١٥ ألف حانوت في بغداد وكذلك في البصرة. وفي اليوم ذاته انقلبت إحدى المدن في خرسان وغطت سكانها واستحالت إلى تل، ولم ينج منها سوى رجل وحصار فقط.. وفي ٢٤ أيلول ظهرت في الجهة الشمالية من السماء ما يشبه سحابة نارية ابتدأت من الشرق واتجهت نحو الشمال ثم نحو الغرب، وكان جزؤها العلوي أحمر كالدم، والسفلي كلون القمر، وكان نوره ينعكس، في الجهة الشرقية، على كافة الأسوار والبيوت، في حين كانت الجهة الجنوبية مظلمة. وكانت هذه العلامة تشهد اعتباراً من الساعة الثانية مساءً حتى صياح الديك، حيث يسود الظلام أكثر حلقة.. سنة ١١٥٤ ذابت ثلوج الجبال بسبب كثرة الأمطار وغزارتها، قبل مياعدها، ففاضت الأنهار والجداول في كانون، وفاض دجلة في شومرا وقضى على أكثر من عشرة آلاف نسمة، ودمر معظم الأبنية.

في هذه الفترة سيطر على آل ربيعة القتل وسفاكي الدماء، شخص من قبيلتهم يدعى مالك، وقبض على معظم قطاع الطرق منهم وسجنهم في مدينة بلد، فكسروا أبواب السجن ليهربوا، فشر أهل بلد وقتلوا ثلاثة منهم، فاجتمع نحو خمسمائة من أقرباء القتل وخرّبوا مناطق العرب ودمروا القرى. ولما علم آل حسن رئيس بني ربيعة، خرجوا للنهب، وكان الخليفة قد سيطر على قراهم مقابل ثلاثة آلاف درهم التي كانت في ذمة أبيهم حسن من بقايا الضرائب. وخرّبوا مناطق نصيبين وسنجار وطور عبيد وجبل قردو. فأرسل الخليفة نجدة إلى مالك، فطاردهم، وملاً من جثث بني ربيعة الجبال والبقاع.. في هذه الأثناء كان في دمشق حاکمان، الواحد مسؤول عن جمع الضرائب ومتطلبات البلد ويدعى رجاء والآخر واسمه علي، مسؤول عن القتال وحماية المناطق من العابثين ورفع رجاء شكوى ضد علي إلى الخليفة فخوله السلطة على المنطقة بأسرها، واذ علم علي، كتب رسالة عن لسان الخليفة يعتبره

الحاكم المطلق على المنطقة، فاستدعى رجاء وذبحه وأولاده واستولى على ممتلكاتهم الخاصة التي بلغت ثلاثين ألفاً، مع أربعين ألف أخرى هي ضرائب الخليفة، وذهب وفضة وثياب وأشياء أخرى، وفيما أخذ علي يفتك بالناس، وصل عمال آخرون وكبلوه بالسلاسل. وفيما كانت المدينة واقفة على شفير الهلاك، جاء عون الله، حين طلب الخليفة أن يرسل إليه علي، فتظاهر بالجنون وكان روحاً شريراً قد دخله، وبذلك نجا من الموت.

سنة ١١٣٥ خلا الشتاء من المطر فلم تثبت الزروع حتى أيار حيث توالى سقوط الثلوج واشتد البرد. فشح القمح وقل الدخل وساد الجوع والمرض والموت. والأنكى من هذا، تلك الضرائب الباهظة القاسية، وخبث الحكام المتعطشين الى دماء المساكين، ولم يكن الفقير يدري الى أين يفر، كما لا يدري هل يسد رمق أبنائه الجياع أم يجمع الضريبة للمحصلين الأوباش، أو يعتني بالمرضى من أفراد أسرته. وكان بود الكثيرين من الفقراء الخروج لالتقاط حطب للنار أو أعشاب ليأكلوها بدلاً من الخبز، لكنهم لم يتمكنوا بسبب البرد القارص، فكان الجوع والبرد ينهشهم في البيت. ولما لم يجد الأغنياء خبزاً ولا زرعاً في الأرض، قرروا عدم بيع القمح لئلا ينتفع الفقراء. وفي نيسان سقطت الأمطار وتحسنت الزروع، وأرسل الله برداً ودمر عدة قرى في الجزيرة والغرب، ثم أرسل جراداً وزحافاً يأكل الزروع المتأخرة، ونمت الأشواك، وهبت عاصفة قلعت الأشجار من أصولها وقذفتها في الفضاء، وشوهت اتربة الحقول تنتقل الى حقول مزروعة وتغطي الزروع فتغدو وكأنها بيادر الحنطة. وفي هذا الشتاء نفسه احتشدت الجيوش في منطقة قردو لمحاربة موسى المتمرد زعيم الأكراد، فاحتل أبناء المنطقة ضيقاً شديداً بسبب الجنود الذين كانوا يحلون في بيوتهم يأكلون ويشربون، فعم الغلاء فبيع كيل الملح بأربعين قرشاً وواقيتا جبن بقرش، وخمسون جوزة بقرش، في حين كانت المنطقة تصدر الجوز والجبن. ولم يتمكن الفرس من الأكراد، لأن الاخيرين لا يخرجون للقتال الا بعد أن يأكلوا ويشربوا ويناموا، في

حين جمدَ البرد القارس الفرس وتناثرت أصابعهم ، وقتل منهم نحو ١٥ ألفاً. وانتشر وباء واستمر سنتين، بدأ في مابين النهرين واجتاز الى الغرب، وكان تأثيره أشد في فلسطين وساحل البحر، فاقفرت عدة قرى، وظلت الحقول بلا حصاد. وقد أخرجت خمسمائة جثة من مدينة الرملة في يوم واحد. ولعجزهم عن حفر القبور، كانوا يحفرون خنادق طويلة ويرمون فيها الجثث. هذا وقد فني ثلثا سكان فلسطين بهذا الوباء.

هنا أنهى العلامة البطريرك ديونيسيوس الملقب بالتلمحري تاريخه الذي وضعه في جزئين وطواه على ١٦ مقالة، ثماني مقالات في كل جزء، مقسمة الى فصول. وقد كتبها تلبية لرغبة ايوانيس مطران دارا، وضمنها كل ما جرى خلال مئتين وستين سنة، بدءاً من حكم مورريقي أي سنة ٨٩٤ حتى سنة ١١٥٤ اي التي فيها توفي ثاوفيل ملك الروم وابو اسحق خليفة المسلمين، وحكم العرب هرون ابن ابي اسحق، وحكم الروم ميخائيل بن ثاوفيل، وهو صبي قاصر، وكانت والدته تدير شؤون الدولة.

بانتهاء المقال ١٢ تكون أخبار ٦٥ سنة قد انتهت اي من سنة ٨٩٨ حتى سنة ٩٦٣ ي. قام خلالها ثمانية ملوك للروم وستة خلفاء في دولة المسلمين. المجد لله رب الازمنة والاوقات دائماً ابداً .

ايضاح

حيث اننا جمعنا، بعون الله، أخبار العصور الاولى والاحداث التي جرت فيها، من كتب المؤرخين القدامى الثقات، واستقينا نتفاً من كتب الرجال الحاذقين الذين كتبوا وخلفوا للأجيال اللاحقة، عن الأحداث التي جرت قبلهم والتي جرت في ايامهم حتى رحيلهم عن هذا العالم أمثال القديس ديونيسيوس الذي أغنانا كتابه في كتابتنا التاريخ حتى هذا اليوم. وبعد تاريخ وفاته. وبعد هذا التاريخ بدأنا نضيف الى نسيج الادلة. ولم يكن لنا مرجع آخر بعد البطريرك المذكور، سوى اغناطيوس مطران ملطية الذي بدأ تاريخه من عهد قسطنطين الكبير، ولكن باختصار كثير، اذ كان يمر بالاحداث مر الكرام. وقد اضعنا هذه النبذة وغيرها الى كتابنا حتى هذا الوقت. أما من هنا فصاعداً فاننا سنعتمد كتابه فقط الذي تضمن، كما قلنا نبذاً مختصرة، اقتصرت على أخبار ملوك الروم فقط، كما اقتصر الجدول الذي وضعه على رؤساء كهنتنا فقط. ولم يتطرق الى دولة العرب السائدة يومذاك كما فعل ديونيسيوس، ولا الى دولة الأتراك التي ابتدأت في أيامه أو قبلها بقليل، والمسيطرة الآن. كما لم يعن بكنائس الطوائف، فلم يضع لها اية جداول تذكر. وعليه فانه من الضرورة بمكان ان ننقل الصحيح من تواريخ الشعوب ونضيفها الى ما سبق، لكي لا يأتي هذا النسيج ناقصاً، بل يُنسج من البدء وحتى نهاية حياتنا، لكيما يكون أساساً يبني عليه المعنيون بالشؤون التاريخية، في زمانه حتى نهاية هذا العالم الزائل الفاني.

فصل

سنة ١١٥٥ وجد في القسطنطينية بطريرك ساحر وقذر، كتب ضده الخلقيدونيون انفسهم فقالوا: بعد وفاة الملك ثاوفيل، ساست زوجته المملكة وأمرت بعدم السجود للأيقونات تجنباً لتجدد عبادة الاوثان. فلم يذعن البطريرك لأمر الملكة، لذا نحي عن كرسيه وأقاموا بدلا منه، واكتشف فيما بعد أنه يمارس السحر والشعوذة ويسجد للأصنام، لذا سجد للأيقونات، فنحي هو الآخر عن كرسيه، ويقال أنه كان السبب في رفع الحجب من كنائسهم، لأنهم شاهدوه يدمدم داخل المذبح ويمارس الشعائر الوثنية القذرة. فيا لشقائهم أن كانوا صادقين لأن كهنوتهم يتسلسل من أناس هم تحت عبودية الشيطان أما اذا كانوا كاذبين كعادتهم في مثل هذه التهم، فعليهم أن ينسبوا حب الزعامة الى رؤسائهم. وبالرغم من ذلك فهم لايتبرأون، وينطبق عليهم قول النبي «تركوا طريق الحق وسلكوا الطريق المؤدي الى الموت». لقد انحرفوا عن طريق الرسل الطوباويين والآباء الملهمين، ولهم استعداد للزلل في كل مايؤول الى الفساد والتدهور. ولم يكن بوسعهم سوى الاعتراف بعزل من مارس السحر وسجد للأصنام واقامة غيره، وقد ظهر هو الآخر من شيعة سلفه، فعزلوه ونفوه، فقال: خذوا مني الرئاسة التي بسببها تتهمونني بعبادة الأوثان، وأنا لست كذلك. وهكذا عزلوه دون شفقة.

سنة ١١٥٥ ملك على الروم ميخائيل بن ثاوفيل وعمره ثلاث سنوات، ونظراً الى صغر سنه، تولت والدته تيودورة ادارة شؤون الدولة، وعين عمثوئيل قائداً عاماً للجيش.. وفي دولة العرب، وبعد وفاة أبي اسحق (المعتصم) خلفه ابنه هرون الملقب (الواثق) فتفاهل الناس اعتقاداً منهم بأنه سيخفف عنهم الضرائب الباهظة التي فرضها والداه. لكنه انهمك

بالشرب والغناء والتتزه والموبقات ، وترك شؤون الدولة بيد ثلاثة رجال فلم يجد الناس متنفساً من الضيق الذي كانوا عليه ، بل ازداد النير الموضوع على رقابهم ثقلاً بالضرائب الأكثر مرارة . وقد عامل هؤلاء الثلاثة المكلفون بإدارة شؤون الدولة من قبل المسمى الواثق ، الناس بالظلم والقسوة ، ولم يكن الخليفة يدري ما الذي يجري في البلاد لانشغاله بالشرب والمنكرات ليل نهار . لقد استمر حكمه خمس سنين وتسعة أشهر ، ولم تتشب حرب في عهده بين المسلمين والروم .

سنة ١١٦٨ توفيت الملكة تيوره بعد أن أدارت شؤون دولة الروم مع ابنها ١٤ سنة، وتولى الحكم ابنها ميخائيل. وخلال فترة حكم ميخائيل، تولى عند المسلمين ستة خلفاء هم على التوالي: بعد وفاة الواثق، حكم أبو جعفر المتوكل أربع سنوات واغتيل. ثم حكم محمد الملقب بالمنتصر، وبعد ستة أشهر وبضعة أيام قتله أحمد، وارتكبت في بغداد عدة جرائم قتل بسبب انقسام الشعب حزبين، حزب موال لمحمد وآخر لأحمد. وبالكاد استطاعوا، بعد ثلاثة أيام، رفع رأس محمد على الرمح حتى تأكد حزبه من مقتله فهربوا واختفوا، فتولى أحمد الملقب بالمستعين، الحكم مدة ثلاث سنوات، غير أن المسلمين قاوموه لاستسلامه للفسق، ولدى سكره كان يأمر بالقتل دون رحمة ولا هوادة ومن دون أي مبرر. ولم يعر أي اهتمام بشؤون الدولة. ثم جاء الى بغداد.

مقدمة كتاب اغناطيوس الملطي

لقد كتب عن العصور الغابرة، المؤخون القدامي الثقافات أمثال أوسابيوس القيصري وسقراط وسوزمين وزكريا ويوحنا الآسيوي ومار يعقوب الرهاوي، والبطريرك ديونيسيوس التلمحري وغيرهم من مؤثري العمل. فمنهم من أسهب في كتابة تاريخ الكنائس، ومنهم من أوجز، غير أن كل ما كتب هو مفيد. فقد أرخوا حتى سنة ١١٥٤ اي ومنذ ذلك التاريخ

فصاعداً لم يظهر بين شعبنا السرياني من يدون بصورة كاملة اخبار الملوك أو الكنائس. الأمر الذي دعاني أنا الضعيف أن أبذل مافي وسمي واكتب بايجاز حتى عن مقامات الملوك وسردت الأحداث بصورة بسيطة لتسهل قرائتها وفهمها من قبل محبي الحقائق والميالين الى الايجاز.

تناولت في هذا الكتاب الأحداث التي منذ عهد قسطنطين الكبير حتى وقتنا الحاضر، وأرجو العذر لعدم تدويني كافة الأحداث، لأن عملاً مثل هذا يتطلب وقتاً طويلاً وشرحاً وافياً. فقد ثبت أقوال بعض الملافنة، أمثال يعقوب الرهاوي وديونيسيوس التلمحري دون أن أحور بها أو أضيف عليها شيئاً من عندي. وان معظم المعلومات وجدتها وقد جمعت من هنا وهناك في كتاب باللغة اليونانية، وأرجو ان لا ينحو أحد علي باللائمة اذا ما وجد في هذا الكتاب زيادة أو نقصاناً بالنسبة الى حقيقة عدد السنين. والسبب هو تأخير في قيام خلف للملك، مدة سنة أو سنة ونصف أو أكثر أو أقل، وكذلك الأمر بالنسبة الى البطاركة. فقد تتأخر رسامة خلف لبطريك سنة أو أكثر أو أقل. فتشتبك الامور ببعضها، علماً بأن لا ضرر من هذا.

لا يخفى على اللبيب ما سبقنا وقلناه من اننا بدأنا هذا الكتاب منذ عهد قسطنطين الكبير. وهذا هو مطلع الكتاب. وسبقنا وقلنا ايضاً، اننا ادرجنا أحداث هذه الفترة أي منذ عهد قسطنطين حتى عهد ميخائيل بن ثاوفيل بحسب التسلسل الومني. وعليه فاننا نتابع أحداث هذه الفترة ونقول:

لقد توفي البطريك مار ديونيسيوس التلمحري في ٢٢ آب ١١٥٦ في عهد ميخائيل ملك الروم وهرون خليفة المسلمين. ووري جثمانه الطاهر في دير قنسرين. خدم البطريكية ٢٧ سنة، ورسم ١٠٠ اسقف وكتب تاريخاً متقناً، وقام لنا بعده نحن الارثوذكسيين، وفي عهد ميخائيل ملك الروم، يوحنا من دير مار زكي بجوار الرقة، بطريكاً على

كرسي انطاكية وتمت رسامته في دير مار شيلا بمنطقة سروج حيث كان
المجمع منعقداً، وذلك في ٢١ تشرين الثاني سنة ١١٥٨، ووضع عليه اليد
مار حبيب اسقف طرسوس. خدم البطريركية ٢٧ سنة ومضى الى ربه
في رأس العين يوم الخميس ٣ كانون الثاني سنة ١١٨٥. رسم ٢٦ اسقفاً
واودع جثمانه في دير سفولس. وكان البطريرك الاسكندري في مصر
يومذاك، مار يوسف الذي ذكره البطريرك ديونيسيوس التلمحري في نهاية
كتابه.

فصل

في حكم ملكي الروم باسيل ولاون، وحكم المهدي خليفة العرب، وبعد احمد المعتمد. مع ذكر رؤساء الكهنة الذين قاموا في كنيستنا الواحد تلو الآخر.

سنة ١١٨٠ وفي عهد الملك لاون، شب حريق في القسطنطينية العاصمة، واحترقت البيوت والاسواق والفنادق وكنيسة مار توما الرسول ولم يبق فيها أثر، كما احترقت اجزاء من كنائس اخرى، وأوشكت النار ان تلتهم المدينة بأسرها.. وفي السنة نفسها حدث كسوف في منتصف النهار فظهرت الكواكب في الفلك. وحدثت في اليوم عينه رعود وبروق رهيبه جداً دون أن تظهر غيوم في الجو. وبعد سبعة أيام هبت رياح شديدة ومزعجة أدت الى هدم معظم الابنية العالية، فخاف الناس حتى قيل ان نهاية العالم قد اقتربت.. وفي تلك الايام نفسها شب حريق آخر ليلاً في العاصمة احترق فيه نحو سبعين شخصاً من البلاط، الى جانب ما احترق من دور سكنية وبنيات وكنائس، واحترق الكثيرون في أماكن اخرى لدى محاولتهم اطفاءه. حدث في هذه الفترة زلزال هائل في تراقية، غارت على أثره قرى كثيرة في الارض واندثرت.

بعد ان حكم ٢٥ سنة، توفي ميخائيل ملك الروم سنة ١١٧٩ دون أن ينجب، فخلفه شخص يدعى باسيل هو الذي عناه اغناطيوس بقوله، لم نعثر في كتب اليونان على عدد السنين التي امضاها في الحكم. أما نحن فقد عثرنا في كتاب عربي تضمن جدولاً بعدد السنين التي حكم كل ملك، على انه حكم مدة سنتين. وبناء على ذلك وضعنا عدد سني حكمه. ثم خلفه ابنه لاون الذي حكم ٢٥ سنة و٨ أشهر. وفي هذه الاثناء توفي

المهتدي خليفة المسلمين، فخلفه في بغداد احمد الملقب المعتمد ولمدة ٢٣ سنة وشهرين.

بعد أن حكمت الملكة ثاوفكا زوجة باسيل مع ابنها لاون مدة ١٢ سنة، حدث خلاف بينهما، وآلت القضية الى أحد الامرين، اما أن يُغتال هو أو يقتل والدته جهاراً. لكن الله اشفق عليهما، فقد مرضت وماتت الملكة المشهور لها بالعفة والرحمة والمناقب الحسنة. فخلا الجو للاون وحكم بعد موت والدته بصفة امبراطور. وبعد سنة واحدة توفيت زوجته، فاستهان بالنظام المتبع من قبل اسلافه الملوك، وتزوج ثانية فسقط من عيون الناس، وآلت اموره من سيء الى أسوأ، وزاد من تعديه الشريعة، فطلق تلك المرأة دون مسوغ شرعي، وتزوج الثالثة، ولم يجرؤ أحد على زجره. كما استهان بطول اناة الله واحكامه الخفية، فتزوج امرأة رابعة وصارت له زوجتان. ولكي يبرر نفسه، حاول أن يضع قانوناً يخول المسيحيين تعدد الزوجات حتى الزوجة الرابعة، وكذلك الامر بالنسبة الى المرأة. فطرده بطريركهم من الكنيسة، ثم اصيب بالمغص ومات، فخلفه ابنه الكسندروس الذي حكم سنة واحدة وشهراً واحداً، وقد استسلم للسحرة والعرافين، وانحرف قلبه عن الله كلياً. ولما شعر بضربة العدالة وبدنو اجله، سلم الملك لأخيه قسطنطين من ام ثانيت، فأمضى في الحكم ٥٥ سنة. واذ كان طفلاً لدى تسلمه الحكم، عُين له والده اوصياء يقومون بادارة شؤون الدولة حتى بلوغه سن الرشد.

في فترة حكم قسطنطين بن لاون، انتقل الحكم لدى دولة العرب الى آل عباس، وهم قبيلة ترجع بأصلها الى بنيتهم، وتسلم الحكم ابو العباس الملقب بالمعتضد الذي حكم عشرين سنة وثمانية أشهر و٢٨ يوماً.. في عهد قسطنطين بن لاون وجه سمعان زعيم البلغار نظره السيء نحو العاصمة، فقهر اليونان وسجنهم في العاصمة، ثم قاد جيشاً لجبا وحفر خندقاً من بلغاريا حتى باب الذهب، وان العديد من زعماء وقادة الرووم

العسكريين، ذهبوا ضحية الحروب التي اثارها هذا الرجل الذي لم يهدأ من محاربة العاصمة طيلة حياة الملك قسطنطين.

في السنة ال ٢٣ لقسطنطين، حكم العرب ابو محمد الملقب «بالمكتفي» مدة ست سنوات. وفي السنة ال ٢٩ لقسطنطين حكم المسلمين جعفر المقتدر ٢٤ سنة. وفي السنة ال ٥٣ لقسطنطين، حكم المسلمين ابو منصور قاهر مدة سنتين، وفي السنة ال ٥٤ لقسطنطين، حكم المسلمين ابو العباس ٧ سنوات. وفي سنته ال ٥٥ وبعد أن مرض وشعر بدنو اجله، عين مكانه صهره رومنس، وقد وضع قسطنطين والبطريك التاج على رأسه.

رسم البطريك اغناطيوس من دير حربا خلفاً للبطريك يوحنا، وتم تتصيبه في دير مار زكى في الرقة في ٢ حزيران سنة ١١٨٩ ووضع اليد عليه مار طيمثاوس اسقف شمشاط. خدم البطريكية ٤ سنوات و ١٠ أشهر، وانتقل الى ربه في بلدة مريية يوم الثلاثاء الآلام ٢٦ آذار، ووري جثمانه في كنيسة مريية الكبرى. رسم ٢٦ اسقفاً. وفي عام ١١٨٠ رسم مار توما اسقفاً لمطية، وهو رجل عالم وحكيم وقديس، وخلفه على كرسي مطية سنة ١٢٠٠ رجل قدير آخر يدعى حزقيال...

بعد وفاة مار اغناطيوس من دير حربا، ترملت الكنيسة ٤ سنوات لعدم وجود آنذاك شخص قدير مشهود له بالتقوى يتفق عليه الجميع. فانقسم الاساقفة، فعندما كان يقترح احدهم شخصاً ما، تطرح اسماء فلان وفلان ايضاً، وجميعهم متقاربون بالمزايا. فكل اسقفين او ثلاثة رسموا شخصاً. وبعد مرور اربع سنوات أخذت الغيرة الشعب، فضغطت كل ابرشية على اسقفها. وبعد مناقشات حادة انتهوا الى القاء القرعة على المرشحين. فكتبوا اسماء ١٢ شخصاً ووضعوها على مذبح الاسرار الالهية. فوُجعت القرعة على مار ثاودوسيوس من دير قرتمين. فنصب في

آمد يوم الاحد ٢٥ شباط سنة ٨١١٩، ووضع عليه اليد مار طيمثاوس اسقف شمشاط، وخدم البطريكية ٨ سنوات و ٤ أشهر، وتوفي في ١ حزيران سنة ١٢٠٧ واودع جثمانه في دير قرتمين نفسه. رسم ٣٣ اسقفاً. وفي السنة التي توفي فيها مار ثاودوسيوس، اجتمع الاساقفة في بيت باتين في حران، واجروا الانتخاب بطريقة القرعة، وفاز ديونيسيوس من دير بيت باتين ومن قرية اشيت سروج، ونصب يوم الثلاثاء الثالث من نيسان سنة ١٢٠٨. وضع عليه اليد مار يعقوب اسقف حمص، وخدم البطريكية ١٣ سنة وتوفي في نيسان يوم الثلاثاء من اسبوع الراحة في دير بيت باتين نفسه، واودع جثمانه الطاهر في الدير نفسه. رسم ٥١ اسقفاً، وخلفه البطريك يوحنا من دير العمود في قورزحيل بمنطقة انطاكية، وتمت رسامته في دير تل صفرا خارج حران يوم السبت ٢١ نيسان سنة ١٢٢١، وضع عليه اليد مار يوحنا اسقف مرعش، وخدم البطريكية ١٢ سنة و ٧ أشهر، توفي في السبت الاخير من تشرين الثاني، في رأس العين وفي دير سفولس. رسم ٤١ اسقفاً.

وفي سنة ١٢٣٧ تم تنصيب البطريك باسيليوس من دير سفولس بمنطقة رأس العين. وفي بلدة مريية رأس كيفا، يوم الجمعة ١٨ آب، وضع عليه اليد مار يعقوب اسقف نازربا. خدم البطريكية ١١ سنة و ٧ أشهر، وتوفي يوم اربعاء الآلام ٢٥ آذار، واودع جثمانه في الدير الشرقي. رسم ٣٢ اسقفاً. في هذه الاثناء رسم غريغوريوس المنطقي من دير شيلا مطراناً لمطية وكلوديا، وقرلس للقدس وهو من جبل الرها، وفيلكسينوس من دير سفولس للرها، واوانيس من دير مار برصوم بمنطقة شمشاط لآمد. وفي عام ١٢٤٧ تم تنصيب البطريك يوحنا من دير المتوحدين بمنطقة الجبل الاسود يوم الاحد ٨ آب في بلدة تلعدا الخاضعة لأنطاكية، وضع عليه اليد مار اثاسيوس اسقف طرسوس. خدم البطريكية ١٩ سنة و ١٠ أشهر، وتوفي في ٣ تموز في الدير نفسه.

فصل

في بدء حكم رومانوس ملك الروم. قام خلاله خلفاء ضعفاء للمسلمين، فقوي جانب الروم، فاحتلوا مدناً من المسلمين. وقصة تشييد ديرين خلال هذه الفترة

خلال حكم رومانوس للروم، أعاد سمعان البلغاري الكرة في الهجوم على القسطنطينية، فدمر وأحرق مناطق تراقية ومقدونية، وحاصر مدينة ادريانوبوليس وشدد عليها الخناق، فتضايق أهلها من الجوع وأسلموها إليه. فأراد رومانوس مصالحته بالهدايا والاحتيايل. فاشترط أن يقابل الملك أولاً ومن ثم المصالحة. فأعد الملك مكاناً مناسباً في البحر فالتقيا في الزورق وعبراً عن حب تام. فلما أمن الروم هدوء الجهة الغربية وجهوا انظارهم الى جهة الشرق. وحيث كانت مناطق قبادوقية وارمنيا وبين النهرين وسوريا وفلسطين والقدس وانطاكية خاضعة لسيطرة المسلمين منذ استيلائهم عليها في عهد عمر بن الخطاب ثالث خلفاء العرب، وفي عهد هرقل ملك الروم، أي منذ سنة ٩٥٠ ي حتى سنة ١٢٦٨ أي ٣٦٨ سنة. ولما كان الخلفاء ابو العباس والذين خلفوه ضعفاء وجبناء، منهمكين في الرقص والطرب والقذارات، ضعفت دولة المسلمين، لأن الذين ينساقون وراء شهواتهم يفقدون حتى القوة الجسدية، ويقال ان النفس الملوثة بالشرور تفقد فطنتها. لذا لم يفلحوا في مقاومة الروم لدى مهاجمتهم اياهم.

في هذه الفترة، ظهر بين الروم رجل جبار ومحارب ماهر يدعى قوريقس، جاء الى ملطية ارمنيا الصغرى الخصبة في مقاطعة قبادوقية، وكانت محصنة بسورين ومحاطة بخندق مليء بالماء. فضايقها عن طريق

الحصار الذي استمر اربع سنوات دون أن يتمكن من فتحها عسكرياً، غير أن الجوع الجأ أهلها الى ان يعدوا بتسليم المدينة ان هم ارسلوا رسولا الى الخليفة ولم ينجدهم، فأمهلهم الروم مدة اربعين يوماً بحسب طلبهم. ولما غادر رسولهم ملطية قبض عليه الروم، فوعدهم أن يسلمها اليهم خوفاً من الموت، وهكذا كان. فدبر مؤامرة على الوجه التالي: أخذ رسالة بيده ودخل المدينة وادعى بأنه زار الخليفة، وتلك رسالة منه تبشر بوصول القوات قريبا، وعليهم أن يفتحوا الابواب حال وصولهم ليدخلوا ويرتاحوا ومن ثم يطاردون الروم. فطمأنهم بمثل هذا الكلام، وتظاهر بأنه يخرج ليأتي بقوات المسلمين، لكنه توجه الى الروم وأخبرهم بما دبّر، وقاد القوات الرومانية، فوصل في الليل فتظاهر وكأنه يصل من مكان بعيد جداً عن معسكر الروم، فتحرك الروم ورفعت ابواقهم هتاف الحرب، وتقدم المستعدون منهم ووصلوا ليلاً الى البوابة الشمالية ففتحت الابواب ودخلوا وسيطروا على الابواب والاسوار. وفي الصباح دخلت المدينة جميع قوات الروم، ولم يقتلوا احداً من المسلمين لأنهم اقسموا بذلك لذاك الرسول. لكنهم ندموا بعد أن غادرها المسلمون لتركهم اياهم على قيد الحياة، خشية أن يعودوا ثانية. وبمشورة تافهة خربوا اسوارها وتركوا فيها ثغرات، ونقلوا بعض العرب الى ثاودوسيوس في ارمنيا، فقويت معنويات قوريقس الجبار، فاحتل، بمساعدة اخيه، فسيلين بمنطقة كرشنا، وحصن منصور وكيسوم وسائر قبليقية، فسيطر اليونان على انطاكية وسائر سورية وفلسطين والقدس، لأن الخوف عمّ المسلمين.

ثم حاصر الروم الرها وهددوها بالحرب. وخلال هذا الحصار، جمع رجل مسلم يدعى ابن حمدان جيشاً، وجاء الى ملطية الخربة ودخلها ونهبها وسائر قبادوقية. وفيما كانت الرها محاصرة، أرسل أهلها رسولا الى الملك رومانوس يقول: اذا امر برفع الحصار عنها، فانهم سيسلمون اليه المنديل الكريم الذي ارسله يسوع المخلص للملك المؤمن ابجر فوافق. وبعد أن تسلمه امر بابعاد الروم الى خارج حدود الرها. ويقال: ان الملك

هو الذي فرض على الرهاويين تسليمه المنديل. في هذه الاثناء توفي القائد قوريقس وعين مكانه شخص من ابناء جلدته يدعى شوموكي الملقب زيوني، فنال شهرة اعظم. واخيراً مات رومانوس وسلم المملكة لصهره قسطنطين المولود على الارجوان (القصر الملكي).

في هذه الفترة، رسم مار باسيليوس من دير قرتمين مطراناً لتكريت والمشرق، ويوسف من دير مار برصوم لآمد، وابراهيم من دير العمود أي دير تلعدا للرها، واوانيس لمطية، وارميا للقدس.. نصب البطريرك الانطاكي مار اوانيس سنة ١١٦٥ في عهد الملك رومانوس، وذلك يوم الاحد ١٦ تموز، في بلدة تلعدا، وقد دُعي من دير العمود في قورزحيل الواقعة على نهر عفرين. وضع عليه اليد مار يعقوب اسقف الرقة، خدم البطريركية سنتين وستة أشهر ونصف، رسم عشرة اساقفة، وتوفي في الجمعة الاخيرة من كانون، واودع جثمانه في دير مار سليمان في دليك. وفي عهده رسم مار ايليا من دير زوقنين لمطية.. وفي هذه الفترة تمت رسامة البطريرك مار ديونيسيوس من دير قرتمين، وذلك يوم الاحد ٢٨ تشرين الثاني في بلدة تلعدا نفسها، ووضع اليد عليه مار يعقوب مطران الرقة نفسه. خدم البطريركية سنتين وستة أشهر، وتوفي يوم الأحد ٢ حزيران، واودع جثمانه في دير قرتمين. رسم ٨ اساقفة. وفي عهد هذا البطريرك وايليا مطران مطية، شيد دير سرجيسية ودير جاجي، وقد ضمنا هذا الكتاب بعضاً من اخبارهما. وان التاريخ الذي كتبه لعازر بن اخي الربان داود من الدير نفسه، يبتدىء من يوم انشاء دير سرجيسية الذي انشئ على حدود جوباس، وبناه رجل يدعى كيسا وهو فارسي من مدينة اشونوك، اشتهر بمحتده الكريم وجماله وبره، لم يستطع اخفاء فضائله في بلده فتغرب متنقلاً من مكان الى آخر حتى وصل الى شواطئ الفرات، وسكن ديراً مجاوراً لقرية تورسانا، ومن هناك اجتاز الى منطقة كلوديا وابتنى ديراً بالقرب من مدينة جرجرينا، وبعد فترة جاءه ثلاثة رهبان من دير مار حنانيا في ماردين هم: نوح وساويرا وعمنويل.

فلم يرغبوا في البقاء هناك، فتوجهوا واياهم الى نواحي جوباس فرحب بهم
ابناء المنطقة، ووجدوا هناك منطقة ملائمة للدير يقطنها نفر من الناس مع
مواشيهم، واذ راققت لهم تلك المنطقة، طُرد اولئك الساكنون فيها، وأخذ
ابناء المنطقة مار كيسا الى الضابط يوسف رئيس حاشية البلاط المعروف
«جومايا» فرحب به، فأقاموا ذلك الدير، وبذل هو والرهبان الذين معه
ويوحنا من ابناء جنسه، جهوداً مكثفة في انجاز بنائه. وبعد انجازه اطلقوا
عليه اسم سرجيسيه تيمناً بالشهيد القديسين سرجيس وباكوس، لأنهم
كانوا يحملون بعض ذخائر هذين الشهيدين. تم ذلك في عهد البطريرك
ديونيسيوس، ومار ايليا مطران ملطية وجوباس الذي دُعي من دير
زوقنين سنة ١٢٦٩.

لقد فاضت شهرة هذا الدير، فجاءه مار يوحنا الناسك من جبل
الرها. وكانوا قد زينوا الكنيسة التي شيدت من الخشب واللبن بكل ما
يلزم، واضطرموا بالمحبة، فاستقدموا اليهم مار يوحنا تلميذ مارون الذي
نال ثقافة عالية على يد مار أمقيم ابن جبل الرها العظيم، الذي تبحر
بالمناطق والمعرفة المدنية، وتضلع من الكتاب المقدس وتحلى بشتى
الفضائل وتسامى في القداسة، وشرع يعلم فطارت له شهرة عظيمة في
العلم أكثر من سائر معاصريه، وجاءهم الربان داود ابن خالة يوحنا
الناسك والقس موسى. وبعد أن رئس مار كيسا الدير مدة ١٢ سنة وشعر
بدنو أجله، دعا يوحنا الناسك، ويوحنا تلميذ مارون وتلميذه ايليا الذي أوكل
اليه رئاسة الدير، وورقده بالسلام ودفن في ايوان باحة الكنيسة الجنوبي
المطل على الشمال. وبعد أن تسلم ايليا زمام الرئاسة وانضم الى الدير
عدد من الرهبان، هدم الكنيسة ووسعها وعلاها وزينها بالمفروشات
وجهزها بالكتب وأنية ذهبية وفضية. وكان يوسف حاكم المنطقة ينفحهم
بالعطايا وقد ترهب في اخريات ايامه. وعين ايليا الراهب يوحنا نائباً له،
وبعد أن اشتهر الدير بالعلم والمعرفة وتفسير الكتاب والمناقشات مع يوحنا
تلميذ مارون، قصده الكثيرون، ولم يكن ليشاهد احد في الدير الا وقد

أمسك كتاباً يطالعه. وبرز فيه خطاطون كثيرون. وقد اعتاد البطريرك يوحنا المعروف بـ «سريغتا - ذي الحصيرة أو الحصيري» على ارتياد الدير، وعزم على البقاء فيه لولا اضطره حسد الهراطقة على مغادرته.

ان يوحنا الناسك وابن خالته داود، ترهباً في يوم واحد واقتبلاً الكهنوت سوية وسكناً قلاية واحدة، وتوفياً في غضون اسبوع واحد. نذكر هذا لكي يمجد الجميع الله بسببهما. اما موسى زميل يوحنا الناسك فقد عاش بعده اربع سنوات. ولما شعر بدنو أجله حفر له قبراً بيده، وبعد يوم من انجاز القبر توفي، كما توفي في الدير نفسه القس داود، وايليا رئيس الدير الذي عشق البرية، فعين مكانه يوحنا المذكور أعلاه رئيساً للدير، وصحب مار دنحا اسقف شمشاط وتجولا زائرين اصحاب الفضائل في سورية وبين النهرين وفينيقية، ووصلا الى القدس وحجا، ثم انتقلا الى برية مصر، وعادا الى سورية بعد سنتين. وختم الاسقف دنحا حياته في الجبل الاسود بالقرب من انطاكية، وعاد ايليا الى الدير حيث رقد فيه.

دير ابن جاجي

طلب بطريق المنطقة المدعو طوكوس والمعروف بـ «كوليب» بالحاح، الى يوحنا تلميذ مارون ان يصطحبه ليزين الدير الذي اشتراه ورممه في المنطقة، واسكن فيه رجلاً تكريماً يدعى الربان ايليا بن جاجي، لكنه توفي قبل انجاز العمل، فألزم البطريرق مار يوحنا ان يذهب لينجز بناءه وزخرفته ويزينه بتعاليمه، فذهب وأنشأ كنيسة باسم الاربعين شهيداً وغرفاً في الداخل، واطلق عليه اسم ابن جاجي الذي اقتناه، فتجمع فيه الرهبان وتلقنوا فيه العلوم الدينية وبلغ عددهم ١٢٠ راهباً. وبعد أن أمضى مار يوحنا هناك ١٢ سنة، اشتاق الى العزلة، فرحل عنه ليلاً واجتاز الفرات ووصل الى الموقع المدعو «الجبل المبارك» والذي كان القديس هرون قد أسس فيه ديراً. فلما عرف الاخوة مكانه، التحقوا به لكنه

رفض العودة الى دير ابن جاجي. ثم جاء رهبان دير سرجيسية ليأخذوه الى ديرهم فرفض وبعد أن أمضى أربع سنوات في هذا الدير، أكمل سعيه المحمود ودفن في الجبل المبارك، وحلت وفاته في حزيران ١٣٢٤ يوم عيد مار يوحنا المعمدان.

بعد أن تم تنظيم الطلاب والمعلمين، فكر يوحنا رئيس دير سرجيسية في إعادة بناء الكنيسة. فأعد الله راهباً من حران يدعى عمانوئيل تلميذ المفريان قرياقس، الذي ارتأى أن تشيد الكنيسة بالحجارة والكلس، فسر بذلك رئيس الدير، ففتش عمانوئيل عن حجارة ملائمة، فكسرها وصنع كلساً لعدم توفره هناك. ودفع ٣٠٠ دينار لبناء الكنيسة، وعقدوا قبتها بالقرميد واقاموا فيها ثلاثة مذابح، وبنوا جناحاً جنوبياً من الخشب بدورين وخصصوه للمعلمين والطلاب، وبيضوا الكنيسة من الداخل والخارج بالجص، وابتنوا الى جانب الجناح غرفاً للعامة، كما خصصوا غرفة للطعام وداراً للغرباء، واستغرق العمل ثلاث سنوات، وحضر تدشين الكنيسة ايليا أول رئيس لهذا الدير ويوحنا تلميذ مارون الذي كان مازال على قيد الحياة، واوانيس اسقف ملطية، وثاودوسيوس اسقف مرعش. وبعد التدشين عاد كل واحد الى مكانه. وتوفي الراهب عمانوئيل بعد تكريس الكنيسة ودفن في زاوية العمود الغربية سنة ١٣١٢، ومدّ يوحنا بن ماروثا، وهو تاجر من تكريت الانابيب لايصال الماء الى الجناح الكبير امام الكنيسة، كما بنى صهريجاً الى الشرق منها لسقي خضروات الاخوة. وكان القس يشوع يساعد يوحنا رئيس الدير في توفير الراحة للغرباء مدة ثلاثين سنة. وفي تلك السنة توفي بحر المعرفة، أي يوحنا تلميذ مارون حيث وجد ميتاً على سريرته. ولم يمرض قط. فاودع تحت القسطنطين، وخلفه ابراهيم السمندي في رئاسة الدير.. لقد دخلت الدير انا لعازر سنة ١٢٩٠ ودونت هذا الخبر بايجاز بعد مرور ٤٥ سنة.

فصل

في حكم قسطنطين وخليفته رومنوس آخر ومن ثم نيقيفور.
وحكم المسلمين في هذه الفترة ابو اسحق، ثم ابو قاسم ثم
مطيع. وفي تنصيب يوحنا ذي الحصيرة بطريركا وهو الذي
بنى دير البار

بعد مار ديونيسيوس، رسم مار ابراهيم من دير ترعيل بمنطقة
حلب، بطريركا للكرسي الانطاكي في بلدة تلعدا، يوم الاحد ٢٥ ايار سنة
١٢٧٣، وضع عليه اليد مار ايوب اسقف زوغما، خدم البطريركية ٩
أشهر و ٥ أيام. المجد لمقاصد الله غير المدركة، ربما أسرع في نقله لئلا
يتهاون وتتقص عزيمته. قيل عنه انه كان متواضع القلب ويتصرف
بمنتهى الوداعة، وحتى في بطريركيته لم يغير اسمه ولا ثيابه ولا طعامه،
ولم يستعمل السرج في ركوبه، لكنه كان يركب حماراً بسيطاً لفترة
قصيرة، لدى شعوره بتعب الطريق. كان تلميذاً لأنسطاس رئيس دير
قرقيون بمنطقة مرعش، وهو الذي رسم استاذة اسقفاً لحلب، ولما شعر
بالمرض توجه اليه وتوفي عنده في ٤ ايار، فجنزه استاذة بحضور ثلاثة
اساقفة آخرين. وأكثر من ٢٠٠ كاهن وراهب وشماس وجمع غفير من
المؤمنين، وحزنت الكنيسة لرحيله. رسم سبعة اساقفة، أحدهم قرياقس
الذي رسمه مطرانا لتكريت.

في عهد الملك نيقيفور، تمت رسامة البطريرك مار يوحنا من دير
ترعيل ايضاً. وذلك في ٢٩ تموز بمدينة كفرنابو بمنطقة سروج، ووضع
عليه اليد مار سرجيس اسقف سروج. رسم ٤٨ اسقفاً، أحدهم اغناطيوس
اسحق الساعي الذي كان يتجول في جبل الرها يومياً زائراً الدير،

وموزعاً العطايا، ومن هنا لقب بالساعي. وقد شيد ديراً في حدود المدينة يعرف حتى اليوم بدير الساعي. وبنى أيضاً كنيسة ملطية الكبرى.. لقد جاء البطريرك يوحنا المعروف بذى الحصيرة الى منطقة ملطية بدافع التمسك. وهنا نرى لزماً أن نتحدث ببعض الاسهاب.

مقر البطريكية الانطاكية بعد الفتح العربي

ان البطاركة الذين رؤسوا كنيستنا الارثوذكسية منذ الفتح العربي لسورية، كانوا يتنقلون ما بين انطاكية وحران والرقّة والرّها. والآن بعد أن سيطر اليونان على سورية، ورأى الملك نيقيفور ان ملطية وهنزيط قد خربتاً، فكر في أن يوطّن اناساً فيهما، فلم يوافق الروم على السكن فيها خوفاً من المسلمين. فأشار اليه بعضهم أن يوطّن فيهما السريان المتواجدين في المناطق الاسلامية لأنهم اعتادوا معاشة الشعبين، الروم والمسلمين. فاستدعى الملك البطريرك مار يوحنا المعروف بذى الحصيرة، ووعدّه باجراء مصالحة بينه وبين الخلقيدونيين وبمنعهم من ايداء شعبنا، اذا ما وافق على اسكان السريان في ملطية وهنزيط وقليسوريا، كما وعد بتشييد مقر له فيها، فلا يعود الى المناطق الاسلامية. وبعد أن تسلم البطريرك خاتم الملك كشاهد على وعوده هذه، وافق على الإقامة في هذه المنطقة لسببين، الاول: لكي يبتعد عن البطاركة الخلقيدونيين في انطاكية، الذين كانوا يلحقون الاذى بكنايسنا واساقفتنا منذ حكم الروم لسورية، والثاني: اعتقاداً منه بأن الملك سيقى بوعوده. فلما جاء البطريرك مار يوحنا الى ملطية وعجت المنطقة بالسكان الذين جمعهم من كل حدب وصوب، وشيدت الاديرة، اختار موقعا يسمى البارد وشرع يبني فيه كنيسة وديراً. وبذلك يكون البطريرك قد أنجز رغبة الملك. غير ان الملك لم يف بوعدّه لأنه مال الى حيل اليونان، فاستدعى البطريرك الى العاصمة بحجة التفاوض، ولكن غايته الحقيقية كانت القضاء على ايماننا الارثوذكسي.

ففي سنة ١٢٨٠ وصل البطريرك الى القسطنطينية يرافقه توما مطران القدس شقيق انسطاس رئيس دير البارد، ومار قسطنطين اسقف مرعش، وسرجيس اسقف اوفيميا ويعقوب اسقف سيمندو، فاجتمع معهم الاساقفة الخلقيدونيون، وعلى رأسهم بطريركهم الخنثى. وفي غضون شهرين قاموا باحدى وعشرين جولة من الجدل، حيث كانوا يدعونهم للاجتماع كل يومين أو ثلاثة، وفي كل جولة يُهزم الخلقيدونيون. فلما رأوا انهم عاجزون عن ادانتهم عن طريق التفاوض، حرضوا الملك، فاستدعى البطريرك والاساقفة الذين معه وقال لهم بفضاضة: اما أن تدعونا لمعتقدنا وتحظوا بالكرامة المضاعفة، أو تُنفون، فأجابوا: مستحيل أن نقول بطبيعتين للسيد المسيح أو نقبل مجمع خلقيدونية، فزجهم في السجن ريثما يفكر في مصيرهم. فأمضوا أربعة أشهر في السجن. وفي هذه الاثناء اغتال شومشكي نيقيفور وتسلم الحكم وأمر بتحرير السجناء، فعاد البطريرك والاساقفة وتلامذتهم من المنفى، وجاء البطريرك الى دير مار برصوم في ملطية، وعاد ورمم دير البارد واستقر فيه مدة ١٥ سنة بعد نجاته من الاثمة، وفيه توفي واودع جثمانه الطاهر.

في هذه السنة، دخل البطريرك الخلقيدوني اغابي انطاكية، ورأى كثرة عدد الارثوذكسيين فيها وقد رسخوا اقدامهم منذ بدء عهد المسلمين، فرجع الى القسطنطينية وأخذ أمراً من الملك وعاد ثانية الى انطاكية، وأخذ يمارس في أول الامر اسلوب الاغراء والهدايا لجذب الاعيان واعادة معمودية اطفالهم، وكان يقوم هو نفسه بمهمة الاشبين ويوجه اليهم الدعوات. فلما سرق هؤلاء الاعيان، ضغط بشدة على الباقيين ليقبلوا مجمع خلقيدونية، وطرد الذين لم يذعنوا واخرجهم من المدينة واغتصب بيوتهم وأموالهم كالوثني وهدم الكنيسة الكبرى. ورمى الطغاة في النار الاتجيل وبقية الكتب والميرون والقربان المقدس. غير أن الله صنع اعجوبة زجراً لهم وتشجيعاً للمؤمنين وهي عدم احتراق الكتب والقربان المقدس. وبالرغم من ذلك مثلوا دور فرعون في قساوة القلب، فلم يعطوا المجد

لصانع المعجزات، بل زادوا في تجديفهم قائلين: انه عمل من أعمال السحر. فتم فيهم قول الانجيل «من جدف على الروح القدس لا يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي». لقد كان نبوخدنصر وثنياً، ومع ذلك لما رأى الفتيان الطوباويين لم يتأثروا بالنار، اعترف ومجد اسم الههم. أما أغابي الهرطوقي فجدف على الروح القدس، وأخرج الارثوذكسيين صباح يوم العيد. ولما خرجوا الى الباب المعروف بباب الماء الواقع على ضفة نهر زوريطي الذي يسميه المسلمون «المقلوب» اي المنحرف (لعله نهر العاصي)، احتفلوا برتبة تبريك الماء. ومن هنا انطلقوا الى عدة مناطق. في حين استمر أغابي يضطهد شعبنا والشعب الارمني، ولم يدع احداً منهم في المدينة حتى ادبه الله تاديباً قاسياً.

سنة ١٢٦٨ حكم الروم قسطنطين صهر رومنوس، وهو رجل متقف ثقافة عالية، رزين وفاصل. وفي السنة نفسها تولى الحكم لدى المسلمين ابو اسحق المكنى المكتفي، لمدة اربع سنوات وشهرين. وفي هذه الاثناء أرسل الملك قسطنطين ابنه باسيل لمحاربة المسلمين الذين كان يقودهم ابن حمدان الذي لم يستطع الصمود أمام الروم. فهاجم الروم شمشاط واحتلوها، وفي نفس الوقت نمي اليهم نبأ وفاة قسطنطين وتسليم الحكم لابنه رومنوس سنة ١٢٧٢، وفي هذه السنة توفي ابو اسحق خليفة المسلمين، وتولى الحكم ابو القاسم الملقب هو الآخر بالمكتفي، وقد حكم ست سنوات وشهراً واحداً. أما رومنوس بن قسطنطين فكان يرصد تصرفات المستشارين والزعماء ويبيدي عزة نفس. ولما كان ابن حمدان قد قاتل الروم في عهد رومنوس، اضطر الاخير ان يرسل نيقيفور ولي عهده ويوني وشموشكي على رأس جيش رومي لمحاربة المسلمين، ولدى وصوله الى حلب سلموها له فانزعج المسلمون من سيطرة الروم على حلب عام ١٢٤٧. وفيما كانوا يتأهبون لقتال المسلمين وردهم نبأ وفاة ملكهم رومنوس، فتراجعوا فطاردهم المسلمون، فكروا عليهم فهزموهم، فهرب ابن حمدان، غير انهم لم يستطيعوا التأخير كثيراً لأن الأخبار كانت

تتوالى اليهم للعودة وتتصيب ملك لهم. وفي قيصرية قبادوقية اتفق الجيش مع شموشكي ونادوا بنيقيفور ولي العهد ملكاً سنة ١٢٧٥ فعين شموشكي ولياً للعهد وأرسله لمحاربة المسلمين، ودخل القسطنطينية وأعلن ملكاً، وقاد شموشكي الجيش ودخل قيليقية وحارب المسلمين وانتصر عليهم واحتل طرسوس والمصيصة وبقية المدن، ولدى وصوله الى انطاكية غادرها المسلمون. وهكذا سيطر الروم على سورية.

في هذه الاثناء توفي ابو القاسم خليفة المسلمين، وتولى الحكم، الفاضل سنة ١٢٧٨ ولمدة ٢٩ سنة وثلاثة أشهر.. كان نيقيفور ملك الروم ضعيفاً، وبعد أن حكم ١١ سنة، تأمرت عليه زوجته ثاوفينا لعدم امانته الزوجية، واتفقت مع شموشكي فدخل ليلاً وقتل نيقيفور بحجة عدم مبالاته بشؤون المملكة، وتولى هو زمام الحكم.

لقد استمال الخلقيدونيون اسطيفان الخصي مطران امصيا واقاموه بطريركاً في القسطنطينية فاحتقره الجميع.. جاء شومشكي، في فترة توليته العهد، الى نيوقيصرية حيث التقى بمتوحد يدعى انطوان امضى ليلته معه في الجبل، وفي الصباح قال له المتوحد: عمّا قليل ستتولى الحكم. ولما تحقق ذلك بنى في ذلك الموقع كنيسة لا نظير لها في كل بلاد الروم، اذ شيدها بالمرمر وطلاها بالذهب والفضة، ووضع عليها صليباً ذهبياً كبيراً بطول قامته، حتى ان الاتراك عجزوا عن تنزيله، وتدعى قيرانطون حتى يومنا هذا.

فصل

في تولية شومشكي الحكم على الروم وخليفتيه باسيل
وقسطنطين ابني رومنوس. وكان يحكم المسلمين آنذاك،
الفاضل وابو بكر وغيرهما. ومغادرة الشعب الارمني ارمينيا
الى قبادوقية

في آب عام ١١٣٣ حدث في ملطية زلزال رهيب عقبته عاصفة
هوجاء، وانهارت الابنية وانجرفت الحنطة والتبن من البيادر الى نهر
الفرات.

سنة ١٢٨٧ تولى حكم الروم ايوني شومشكي الخبير في الشؤون
العسكرية، وكان قوي البنية محارباً شجاعاً، اقام قبل توليه الحكم في
ملطية وهنزيط وغيرها من الاماكن الشهيرة التي ما زالت قائمة حتى
الآن. وكان شريفاً ايماً، أطلق السجناء وبنى كنيسة كبرى في العاصمة،
وكان محبوباً لدى جيش الروم لانتصاراته المتتالية وضمه مدناً ومناطق
عديدة تحت سيطرتهم. وبعد توليته الحكم بثلاث سنين توفي فحزن عليه
الزعماء وكافة الشعب. وفي عام ١٢٩٠ تولى الحكم باسيل وقسطنطين
ابنا الملك رومنوس، اللذان تربطهما اواصر المحبة الصادقة. وحيث ان
باسيل كان أشد بأساً، ترك أخاه قسطنطين في العاصمة، وخرج لقتال
المسلمين، واستمر حكمه ٥٥ سنة. واشتهر بانتصاراته واخضاعه عدة
بلدان، وأمضى حياته في القتال في ارمينيا الكبرى والمناطق الغربية.

استيطان الارمن في منطقة قيليقية

سنة ١٣٠٠ باشر الارمن بمغادرة ارمنيا الكبرى الى قيليقية، واذ كان الملك باسيل قد أخذ من الارمن مناطق الملك سنحريب، عوضهم عنها بسبسطية قبادوقية، فازداد عددهم هناك وانتشروا في سائر انحاء قبادوقية وقيليقية وسورية. ويقال ان اسم سنحريب دخل الى الارمن عن طريق الآراميين. وبعد أن قتل اولاد سنحريب الآثوري اباهم كما جاء على لسان اشعيا النبي «وفيما هو ساجد في بيت نسروخ الهه، ضربه ادرملك وشرأصر ابناه بالسيف ونجوا الى ارض اراراط» (٢ مل ١٩). هربوا الى المناطق الكردية، وامتزجوا هناك بالشعب الارمني وصاروا زعماء وذاع صيتهم، وعرفت قبيلتهم بـ «السنحريبيين» وبالارمنية «سينكريبيين».. أخضع الملك باسيل البلغار ايضاً واستولى على ممتلكاتهم. وبعد أن ساس المملكة بهدوء وبروح ملكية خمس وخمسين سنة، توفي، وسلم الحكم لأخيه قسطنطين سنة ١٣٤٥، وعاش قسطنطين بعد انفراده بالحكم سنتين وعشرة أشهر، وهو الآخر كان طيباً وابياً النفس وحكماً في ادارته، وسلم الملك الى ابن اخيه رومنوس. في ايام هؤلاء الملوك، تولى الحكم عند المسلمين على التوالي كل من: الفاضل ٢٩ سنة، ابو بكر ١٩ سنة، ابو العباس ٤٢ سنة.

في هذه الفترة، كان بطريرك الارثوذكس في مصر اي بابا الاسكندرية، مار ثاوفيلس، وخلفه بعد وفاته، مار مينا.. لدى وفاة البطريرك يوحنا في دير البارد، اجتمع الاساقفة وانتخبوا الراهب لعازر من دير شجر هارون المعروف بالصلحي ودعي اثناسيوس، ورسم يوم الخميس ٢١ تشرين الاول سنة ١٢٩٨ في قرية قطينة بمنطقة كحص (لعلها حمص). وضع اليد عليه مار لعازر اسقف انازربا، رسم ٣٩ اسقفاً. وفي عهده رسم ايوانيس من دير البارد مطرناً لملطية وهو ابن قيقى الذي أسلم فيما بعد، لأن الشيطان صاده بفخ الزنا، الامر الذي أغاض التكرارة

فطردوا الزانية، لكنه لم يدعها تبتعد، فاجتمع نحو سبعين شخصاً من الفضلاء وطلبوا اليه ابعادها لأن الشك ساور الشعب بسببه، فرفض، واخيراً قرر طرده ان لم يذعن. واذ كان مدعواً من قبل الخليفة، أهانهم وتناول محبرة ورمها بالارخدياقون، فأخرجوه من الكنيسة فوراً، فنزل الى بغداد ليقدم شكوى ضد التكرارة وكان احد انسبائه كاتباً للخليفة. فاجتمع نحو مئتي شخص ونزلوا الى بغداد ايضاً. ولدى وصوله الى بغداد فوجيء بتشبيح الشخص الذي اكل عليه، فتم فيه ما قيل ملعون الرجل الذي يتكل على الانسان ويجعل البشر ذراعاً، وعن الرب يحيد قلبه، ويكون مثل العرعر في البادية (ارميا ١٧). فخاب امله، ولما علم بوصول التكرارة خاف من الموت، فالتجأ الى الخليفة مشهراً اسلامه حباً بالانتقام من التكرارة. وكان الخليفة يعرفه، فقال له: ان كان احد من جماعتك قد ضايقتك وتود الابتعاد عنهم، فسنتظر في هذا الامر، فخاف ان يقول امام المسلمين، انه اشهر اسلامه بسبب ارتكابه الزنا، فقال: اني اعلن اسلامي بعد ان تأكد لدي ضلال المسيحية وحقيقة الاسلام. وبعد أن شفي من ختانه، دخل الى الخليفة وكله أمل بأنه سيقضي على التكرارة، كما ان المؤمنين انفسهم توجسوا خيفة من العاقبة. لكن الله سبحانه وتعالى القى الرعب في قلب الخليفة، فلم يعر له اهتماماً، ولم يبد له احتراماً كما اعتاد ان يعامله سابقاً. فمكث واقفاً طيلة الوقت ثم أخذ يبكي ويضرب على رأسه، ولما سئل عن السبب، أجاب: عندما كنت كافراً، نلت كرامة، ولما اصبحت مسلماً فقدتها. قال له الخليفة: ايها الغبي، اننا باكرامنا اياك كنا نكرم الشعب برمته والرئاسة الممنوحة من الله. اما وقد نبذت رئاستك بارادتك وتركت ذلك الشعب وجئتنا، فانظر، من ايّ من هذه الربوات من المسلمين الماثلين امامي، انت أفضل، لكي اميزك عنهم بالتكريم. ثم أمر الخليفة ان يطرد خارجاً وان لا يرى وجهه بعد، فخاب امله وخجل، وارتفع رأس المؤمنين وأخذوا رسالة من الخليفة وجازوا الى البطريرك يوحنا، فرسم لهم اثناسيوس من دير والدة الله بالقرب من ملطية الشهير بدير الساعي.

اما ذلك الجاهل، ابن قريقي، فأخذ يستعطي خبزا ويلحق بنفسه اللعنة التي يورثها الشيطان لاتباعه. وحيث ان البطريرك اثناسيوس كان يقيم في دير بازيد حيث توفي سلفه، لذا رمّمه وجملّه، واستطاع بادارته وحكمته وعلمه، أن يوفر راحة وسلاماً لرعيته الانطاكية، حتى ان بطريرك انطاكية الخلقيدوني، كان يخجل من فضائله، التي يستحق من تحلى بأمثالها الملك. فقد كان يقظاً في خدمته، ينفذ القوانين الرسولية بدقة وقاد سفينة الكنيسة بكل حكمة وانهى حياته بشيخوخة صالحة. خدم البطريركية ١٦ سنة، وورقد في دير مار برصوم الكهنوتي الشهير الواقع بمنطقة كلوديا. وادع فيه حثمانه الطاهر.

في هذه الفترة، كثرت الاديار بمنطقة ملطية، وبرز رجال فضلاء وعلماء اذاذ حتى اخذ الهراطقة اليونان في ملطية يهدّدوننا. ولما توفي كل من البطريرك اثناسيوس ومار يوحنا مارون بحر العلوم، قبضوا على مار ايوانيس اسقف ملطية وسبعة رهبان فضلاء ملافنة، وأرسلوهم الى القسطنطينية مكبلين وزجوهم في السجن، فانهاوا حياتهم بشهادة حقيقية. كما اختطف اليونان كنيسة الكبرى المعروفة بكنيسة الساعي.

فصل

في عهد رومنوس بن باسيل ملك الروم، وابي العباس قادر خليفة المسلمين. والبطريك القديس مار يوحنا بن عبدون الذي نفاه الخلقيدونيون الى القسطنطينية حيث وافاه الاجل.

سنة ١٣٤٨ حدثت مجاعة كبرى في المعمورة، فازدادت حالات الموت بين البشر والبهائم والوحوش البرية والطيور حتى اعتقد الجميع بدنو نهاية العالم.. اثار الخلقيدونيون الطغاة اضطهاداً على الارثوذكس في ملطية وضواحيها، وقادوا البطريك مار يوحنا بن عبدون والاساقفة الى القسطنطينية عنوة، ونفوهم بلا رحمة كما ورد في سيرة مار يوحنا.

ذهب رومنوس لمحاربة المسلمين فخذل وهرب، ودخل المسلمون معسكره وغنموا اواني ذهبية وفضية كثيرة، وتجولوا في المناطق التي كانت تحت سيطرة الروم، ولدى وصولهم الى حلب، غادرها الروم فأعاد المسلمون سيطرتهم عليها، ولم يخطر على بال اليونان الطغاة ان أسلاف هذا الملك لم يهدأوا من اضطهاد المسيحيين في كل مكان. وقد عادوا اليوم الى عواندهم القديمة، فنفوا البطريك والاساقفة، لذا كسرهم الله أمام أعدائهم، وسيطر عليهم مبغضوهم في كل مكان.

يوم الخميس الخامس من تموز سنة ١٣٤٨ رُسم البطريك القديس مار يوحنا في دير والدة الله بمنطقة جودقي المسماة بندقة. وضع عليه اليد مار بطرس أسقف حران، رسم ٤٩ أسقفاً. وفي عهده ارتسم أغناطيوس بن أتونس لملطية الذي اعتنق الخلقيدونية فيما بعد كما اسنوضح لاحقاً.. كان اغناطيوس ابن قيقى الذي أسلم كما أسلفنا، قد اقتبل

الرسامة من اثناسيوس، ورسم بعده مار يوحنا هذا، اثناسيوس لتكريت
والمشرق.

من سيرة مار يوحنا بن عبدون

كان والدا هذا الطوباوي يسكنان ملطية حيث ولد وتربى على
الفضيلة. ولما بلغ الثامنة عشرة تاق الى الحياة الرهبانية المقدسة، فقصد
دير الساعي القريب من المدينة حيث اتشح بالاسكيم المقدس. ولما علم
والده اعاده الى المدينة عنوة وألح عليه بترك الزي المقدس والنزول الى
معتك الحياة ليرث ثروته. وبناء على نصيحة مار اغناطيوس الساعي،
ترك القديس الدير وقصد دير مار برصوم وصلى أمام ضريح القدس.
ولكي يبتعد عن والديه، نزل الى شاطئ الفرات وسكن كهفاً وعراً،
وأرهب نفسه بالتأمل والتهدد، ووهبه الله نعمة صنع المجزات والأشفية
وروح النبوة، بحيث كان يعرف مسبقاً الأمور التي ستطرح عليه، فطارت
له شهرة مستفيضة في عدة بلدان. وذات يوم قصده معوز طالباً صدقة ولم
يكن الأخوة موجودين، فأخذ ما كان لهم من قمح وألقى به في خرج ذلك
المعوز، فأخذه وجاء به الى بيته، وانصرفت سنة وستة أشهر وهم يقتاتون
منه دون أن ينفذ حتى مرت أزمة المجاعة من المسكونة. وجيء اليه
بطفل معذب من الروح الشرير، وقد أعوج فمه وارتخت يداه ورجلاه،
ووضعوه ازاء الصخرة التي اعتاد الطوباوي أن يؤدي صلاة الساعة
التاسعة بالقرب منها. فلما جاء وجد مرمياً هناك لوحده، فرثى لحاله
ووضع اصبعه على عينيه وأذنيه فشفي للحال ونهض، وكان والده يراقبه
عن بعد، فأسرع وخرّ أمام الطوباوي الذي أوصاه أن لايقول لأحد بأنه هو
الذي شفاه.

ذات يوم، وبينما الطوباوي يتمشى على شاطئ الفرات، رأى شبح امرأة يتبعه، فقد أخفى الله عنه بأن الشبح الذي ظل هو ظل شيطاني، فقال في نفسه، هوذا يومك يا يوحنا، أما أن تقتل أو تقتل، ورسم علامة الصليب واندفع نحو النهر كي لا تلحق به المرأة، فاجتاز الى الضفة الثانية مشياً على الماء، فاخفى الشيطان. ومنذئذ نال الطوباوي نعمة أخرى من الله وهي السير على الماء كالسير على البر، فعرف الأخوة الذين معه ومجدوا الله. كان يقطع مسيرة يوم بيومين خلال الصيف نظراً الى شدة الحر، وذات يوم أنهكه العطش فنام وهو واقف، ولما استيقظ وجد ماء يتدفق من صخرة فتعجب، ثم سمع من يقول له: مجد الله يا يوحنا وأطفئ ظمأك. ولما تأكد من أن الأمر ليس خيالياً، صلى ورسم علامة الصليب على الماء وشرب.

على أثر هذه المعجزات، ذاع صيته في تلك المناطق، فأراد الابتعاد عنها، فقصد دير مار برصوم للصلاة، ومن هناك رحل الى الجبل الأسود. وكان في دير مار برصوم يومذاك رجل قديس هو يوحنا تلميذ مارون، قال بوحي من الله، غدا سيحضر هنا رجل فاضل مزعم أن يترأس كنيسة الله. وفي الليلة الأولى من وصوله الى الدير، تراءى له القديس مار برصوم محاطاً بجموع نورانية. وفي الليلة التالية سمع صوتاً يدعو الى الصلاة فقام ووجد باب الكنيسة مغلقاً وسمع صوت ترتيل الملائكة من الداخل، ومن هناك توجه الى الجبل الأسود، وانتصر في حربه مع الشياطين وأبناء الظلام بمآتيه الجبارة وسيرته الفاضلة.

بعد جهاد أربعين سنة، توفي البطريرك مار اثناسيوس، فاجتمع الأسقف وأجمعوا على انتخابه راعياً لهم. وفي الرؤيا، شاهد الطوباوي نسرًا يحلق بقوة في أعالي السماء تتبعه طيور جميلة وتدعوه ليحط ويظلها بجناحيه فلم يشأ، فسمع صوتاً من السماء يقول: لا تهرب أيها النسر المبارك، واهبط الى الأرض فأنا الذي أعطيتك لهذه الطيور التي

تطلبك. واليوم أسلمك سلطاناً في العلى وفي العمق. فتأكد ان دعوتَه من الله، فسلم نفسه ولم يكن آنذاك قد اقتبل حتى رتبة الشماسية تواضعاً منه لأنه كان يتهيب الرتب الكهنوتية، فرسموه شماساً في ٢٤ تموز، وفي ٢٥ منه رسموه كاهناً، وفي ٢٦ منه رسموه بطريركاً وقد بلغ الستين من عمره، وحضر رسامته بطرس أسقف حران وهو الذي وضع عليه اليد، وثاودوسيوس أسقف مرعش وتوما أسقف أنازريا وبولس أسقف طرسوس، وقرياقس أسقف جيحون، وإيليا أسقف سيمندو. وبالرغم من تمسكه الشديد بالقوانين المقدسة، فقد كانت تعوزه الخبرة في الشؤون الإدارية، لذا سلم إدارة الأبرشيات الى سكرتيه الراهب داود الذي أساء كثيراً الى الكنائس، وكان الطوباوي يجنح الى صنع المعجزات.

لما سمع حاكم انطاكية الروحي المصاب بالجذام، ان الله يصنع الأشفية على يد الطوباوي، طلب اليه أن يشفيه، فصلى على زيت وأرسله اليه فتناوله بايمان ومسح نفسه فشفي. ولما علم بطريرك انطاكية الخليقيدوني بهذه المعجزة، تاق ان يرى الطوباوي، فتبادلا الرسائل، وأرسل الطوباوي ثوباً من ثيابه فكان البطريرك اليوناني يرتديه في الأعياد.. في ملطية جيء اليه بطفل مجنون أخرس فشفاه، كما شفى امرأة نازفة بشربها ماءً مباركاً، بعد أن وعدت بالتوبة عن خطيئتها.. كان الشيطان قد زرع أفكاراً سمجة في قلب أحد الرهبان فسببت له لعزاب، فعلم الطوباوي بالروح وصلى من من أجله فتحرر منها.. وراهب خر، اتهمه زملاؤه بارتكاب ذنب ما، فطلب الى الطوباوي أن يحرمه اذا وُجد مذنباً حقاً، فشعر الطوباوي بالروح بأنه مذنب فقال له، اعترف بذنبك، فاستمر بعناده، ثم قال له الطوباوي، اذهب ولا تكرر ذلك الفعل، والا سيعذبك الروح الشرير، وقد عذبه فعلاً، فاعترف بذنبه.. لقد دعت الحاجة الطوباوي الى أن يمد جسراً على نهر جيحون، وفيما كان الناس يحملون خشباً، سقط صبي في النهر وغرق، فأخرجوه وشيعوه، وحينما هموا بدفنه منعهم الطوباوي وأمضى الليل كله في الصلاة، وفي الصباح ختمه بالزيت

فعاش ، فأراد أن يخفي المعجزة، فقال للجمهور، ألم أقل لكم ان روحه مازالت فيه. غير أن الشعب أدرك أنها معجزة فمجدوا الله والدموع تسيل من مآقيهم.. وجيء اليه أيضاً برجل أبكم وأصم، فوضع اصبعه في فمه وأذنيه، وللحال نطق وسمع.

لقد صنع الله الكثير من امثال هذه الآيات على يد هذا القديس، لكننا نكتفي بهذا المقدار منها لنلا نحمل الكتاب اكثر من سعته. ونأتي الى خاتمة حياته فنقول: بعد أن أمضى ٢١ سنة في خدمة رئاسة الكهنوت، حسده الشيطان، فأثار عليه، بل على كنيسة الله، تجربة عبر مطران ملطية الخلقيدوني الذي لم يتحمل ما سمعه من اخبار المعجزات التي صنعها الله بواسطة القديس، فترك ملطية وشخص الى القسطنطينية وقال: اني لا أستطيع أن أقوم بالرعاية حيث يتواجد ذلك الساحر الذي جذب اليه اليونان، فلم يعر له الملكان باسيل وقسطنطين اهتماما. ولما حكم رومانس زميل المطران في الدراسة، ألح عليه فأرسل رسائل الى زعماء ملطية ان ينقلوا البطريرك بسرعة الى منطقة المسلمين، وقال لحاملي الرسائل لا ندري مكان بطريرك اليعاقية، وكان هؤلاء من تلاميذ المطران. وقبل أن يصلوا الى ملطية اعطوا ثلاثين من الفضة ليهودا آخر من رومنه يدعى ابن جيغرا الذي وعدهم بأنه سيدلهم على مكانه. فقالوا للحاكم، نحن نعرف اين هو، وما نريده منك هو ان تزورنا بجند مسلحين، واذ عجز الحاكم عن انقاذه، هيا تسعة فرسان. فقال يهودا الثاني: هؤلاء لا يفون بالحاجة، اذ يوجد هناك اكثر من الف راهب يحولون دون اصطحابه، فأخذ برأيهم، وهجموا على دير الباردمفاجئين الرهبان وابناء المنطقة. فامتأ الدير من الجند صباح الجمعة، ووقف الحاكم على باب القلاية. ولما علم البطريرك بوجوده على باب القلاية، استغرب، لكنه لم يتحرك حتى نهاية الصلاة. ولدى اطلاعه على حقيقة الامر، قال لتلاميذه لا يد وانهم سيأخذونه الى العاصمة، فلتكن مشيئة الرب. فخرج وأمسك بيد الحاكم وادخله الى القلاية وقال له: لم يا صاحب السيادة كل هذا الاهتمام؟

أجاب الحاكم بهدوء: لا تضطرب ايها القديس. فان الملك أراد أن يراك في العاصمة. فقال: ولم اجهدتم نفسكم بهذا المقدار، فان جندياً واحداً كان يكفي ليأخذني. ثم اصطحبوه ودخلوا ملطية بين دموع الرهبان وابناء ملطية الذين كانوا وكأنهم على نار. واخيراً رشوا الزعماء من اجل ان يبقى في الدير خلال الشتاء. وبعد الاحتفال بعيد القيامة حتم الجميع ذهابه والحواء عليه ان يرسم حتى الاطفال شمامسة، ظناً منهم بأنه سوف لن يقوم لهم بطريك بعد ان حزن الارض على فراقه كان اعرق من حزن شعبنا، وحتى الخلقيدونيين اليونان في ملطية حزنوا عليه. فكان الجميع يبكون وهم يتدافعون لنيل البركة بتقبيل يديه. وتوقع الكل حلول غضب الله القاسي على عاصمة الروم. وقد حدث ذلك فعلاً.

غادر البطريرك ملطية يرافقه ستة أساقفة هم: مار ايليا أسقف سيمندو، واوانيس أسقف حدث، وأغناطيوس أسقف ملطية، واسحق عرقا، وموسى أسقف حصن زياد، وديونيسيوس أسقف تل بطريق، وعشرون راهباً وكاهناً، بينهم يشوع رئيس دير ابن جاجي، وباسيل رئيس دير البارد، وتلاميذ البطريرك، داود ويشوع واوانيس وموسى وغيرهم. وفي منتصف حزيران دخلوا القسطنطينية يوحنا أسقف الملكيين الخلقيدونيين، وكانوا قد تأخروا ١٢ يوماً في كروسبوليس. ولدى دخولهم وجدوا ٢٠٠ أسقف خلقيدوني منتظرين مقابلة الملك الجديد، فذهبوا الى كنيستهم المسماة أجيا صوفيا، ولم يحضر بطريك انطاكية وأساقفته الاجتماع، فلما سئلوا عناء، قالوا: نحن نعرف أن هؤلاء مسيحيون فلا يليق أن نستفسر عنهم، قالوا ذلك لعلمهم بأن الطوباوي يوحنا هو رجل الله. غير أن مطران ملطية، قيافا الثاني، أوعز الى من ينادي في الشوارع، بأن هؤلاء لايعترفون بأن العذراء هي والدة الله وما الى ذلك، فانها عليهم البصاق، وألقيت من الأسطحة النفايات على رؤوسهم، وتتمر المطران الغضوب حتى على بطريركهم وزعمائهم، فلم يأذن لهم الجلوس، ولا يبحث موضوع العقيدة معهم، غير أن راهباً من رهباننا أفحم جميع علمائهم كما أشار

يوحنا أحد أساقفتهم. فكانوا يلزمونهم بالوقوف أمامهم منذ الصباح حتى الساعة التاسعة، وكان البطريرك وايليا أسقف سيمندو يُسندان نظراً الى شيخوختها فسألوهم بغضب: لماذا تستهينون بمطران ملطية ؟ أجاب البطريرك: ان كنتم قد أتيتم بنا هنا من أجل هذه القضية فحلها سهل، وهو انه من المستحيل الاستهانة بكم وانتم الحكام ونحن تحت نفوذكم. فخلوا ثم سألوا عن العقيدة وكان هناك وثيقتان تتضمنان عقيدتنا، احدهما بخط أحدهم وهي حديثة والأخرى بخط شخص من عندنا، كانت قد نسخت في أيام المرحوم البطريرك يوحنا، وبعد أن تصفحوا جزءاً منها، قالوا: نحن لم نأت بكم هنا لكي نتعلم الايمان، بل لنعلمكم الايمان، فاعترفوا مثلنا بطبيعتين بعد الاتحاد. وكان المترجم واسمه ثاودورس قد عينه المطران من أتباعهم من ملطية، فغرر به فغير الكلام فوبخه أسقفهم يوحنا. قال البطريرك: لانقول بطبيعتين ولا نغير عقيدة آبائنا. قال له المطران: ألا تقبل عقيدة الملك ؟ أجاب البطريرك: نحن تحت امره الملك القديس في كل شيء، أما أن نغير عقيدتنا فهذا مستحيل، وهنا مدَّ المطران يده الآثمة وبغضب صفع البطريرك على وجهه، فأدار له الجانب الآخر. فلما رأى معظم الرؤساء هذا المشهد تألموا كثيراً وسالت دموعهم، فخرج أحدهم وقال: اني لا أستطيع أن أجلس وأرى المسيح يُدان ويلطم على خده، وعقبه باقي الرؤساء معبرين عن تدمرهم. وعلى هذه الصورة انتهى اجتماع اليوم الأول، فنقلوهم الى دير مار ميانا، وفي اليوم التالي أخذوهم الى دير مار غريغوريوس. وفي الاجتماع الثاني تغيب الرؤساء احتجاجاً على ماجرى في الاجتماع الأول، لاسيما لعدم سماحهم للبطريرك بالجلوس كما تقضي القوانين، لذا أوعزوا بجلوس البطريرك وايليا أسقف سيمندو في الاجتماع الثاني. وبعد حوار طويل فشلوا في اخضاعهم، فطلبوا اليهم ألا يضعوا زيتاً في البرشانة (خبز الذبيحة)، ولا يرسموا علامة الصليب باصبع واحدة بل باثنتين، على أمل جذبهم الى عقيدتهم شيئاً فشيئاً، ففشلوا بهذا أيضاً، ففكروا أنذاك بتفريقهم عن بعضهم، فسجنوا

البطريك وديونيسيوس في دير ما طيلة شهر تموز، ووضعوا كل اثنين من الباقيين في مكان.

ثم دعا الملك أربعة منهم هم: أغناطيوس واوانيس موسى واسحق، يرافقهم ذلك المطران، وقام بالترجمة بطرس صرفي الملطي الذي غرر به المطران هو الآخر فغير الكلام، وقد ضربه الله كالأول ومات. قال اوانيس للملك ثلاثاً: لا نغير ايماننا مطلقاً، فأما أن تطلق سراحنا، والا فنحن على أتم استعداد لنموت من أجل المسيح. فأصدر الملك حكماً بسجنهم في نومره، فأمضوا هناك الفترة ما بين آب وتشرين تحت تعذيب شديد، وقد غضب الملك على المطران لأنه كان السبب في اتيانهم، وهذا ما جعله يتحايل ويخدع كل واحد على انفراد عله يصطاد بعضهم ليعظم قدره عند الملك. وقد تمكن فعلاً من التغرير بأغناطيوس الشقي أسقف ملطية وموسى أسقف حصن زياد واسحق أسقف عرقا الذين أضلهم الشيطان بواسطة ذلك المطران الذي قال لهم: نحن لا نكرهكم على تغيير عقيدتكم، وكل ما نريده أن تقدموا الاكرام للملك والبطريك وتتصرفوا الى ابرشياتكم، فاذعنوا لذاك الحقير، فأخذ تواقعهم الى الملك لدى سماعهم بأنه سيطلق سراحهم، وطلب اليه أن يترث قليلاً حتى يقنع جميعهم، فأرسل الملك يقول للبطريك: سنعطيك كرسي انطاكية اذا قبلت عقيدتنا. فاجاب الطوباوي: لي كرسي رسولي في الأرض والسماء، ولا أريد شيئاً آخر غيره، واذا كنتم تريدونني أن أغير عقيدتي لتعطوني كرسي غنيا بالمال والشعب، فاعلم اني لن أغير عقيدتي حتى لو أعطيتني عرشك. وهكذا خاب بهم أملهم. فقال الملك للمطران، تأكد من موافقة الذين تعهدوا لك، والا فليطلقوا جميعاً، فأرسل اليهم سراً من يأخذ رأيهم. فأجابوا: لا نستطيع أن نفعل شيئاً مادام هذا الشيخ هنا. فأمر باخراج البطريك من نومره وأخذه الى القسطنطينية، فنقل الى دار ذلك المطران فأهانته كثيراً واحتقره وبصق في وجهه وقال: أين الذين كانوا يسعون امامك وحواليك في ملطية؟ أنا الذي أتيت بك الى هنا أيها المنافق. قال

هذا ليثير غيرة البطريك فيحرمهم، فينقل ذلك الى الملك فيصدر حكماً بموته. فقال الطوباوي، وقد امتلأ من الروح القدس: لم يأمرني ربي أن ألعن مضطهدي، بل وضع لي شريعة محبة الأعداء. فاذا كان ربك قد أمرك بالبغضاء والاضطهاد فأنت أدري بذاتك. وبعد أن أشبعه أهانة وشتائم أرسله الى دير غايوس في ١٣ تشرين الأول.

ثم أوعز الملك الى ذلك اللعين فأخذهم الى داره وناقشهم مطولاً في أمور كثيرة محاولاً التغرير بهم. ولما لم يذعن كل من ايليا أسقف سيمندو ومار ايوانيس أسقف حدث ومار ديونيسيوس أسقف تل بطريق، أعادهم الى نومره، وأخذ الثلاثة الذين سقطوا الى دار برصوم الصرفي، ولما مثلوا أمام الملك، سألهم: هل وقّعتم أمام المطران بارادتكم؟ أجابوا، نعم سنتابع، هل تحرمون سويريوس وديوسقورس؟ فلم يعيروا جواباً. فقال الملك، انهم غشاشون. فقال لهم المطران، لم لا تجيبون كما تعهدتكم، فاذا كذبتكم فسوف تقتلون باعتباركم كذبة. وهنا وخوفاً من الموت، قالوا: نعم. واذ لاحظ الملك ترددهم، أرسلهم الى البطريك الذي طلب اليهم أن يحرّموا الآباء، ففعلوا، وبذلك يكونون قد سقطوا في شرك الهلاك، فقد استدرجوا رويداً رويداً الى سخرية ابليس دون أن يدروا. فقال لهم: اذن ستقبلون الآن العماد لتنتصروا ثم تتقدموا لنيل الكهنوت. فقالوا، نحن أساقفة ولا مكان لمثل هذا الكلام، فقال لهم، أيها المساكين ان الكهنوت الذي كان لكم متسلسل من سويريوس وديوسقورس، اللذين حرمتهما الآن، فلم يبق لكم كهنوت، فأخذتهم الحيرة، وظلوا كذلك من تشرين حتى عيد الفصح حيث استدعاهم البطريك باشارة من المطران، يوم أربعاء الآلام وقال لهم متظاهراً بالتقيد بالقوتين: يشهد عليكم هذا المذبح بأنكم تقدمتم طوعاً لا كرهاً. وبعد انتظار عدة أيام عمدوهم بماء عمد فيه مسلمون، فخرجوا خجلين كاليهود. لقد ندم اغناطيوس بن اتونس أسقف ملطية ومات كمداء. أمّا موسى أسقف حصن زياد واسحق أسقف عرقا فهربا الى سورية وختما حياتهما تائبين.

بعد أن أفحمهم مار ايليا أسقف سيمندو ذلك الشيخ القديس العالم،
رجموه بالحجارة أمام البلاط، واستشهد تلميذه اسطيفان، في حين ختم
ايوانيس أسقف حدث حياته في السجن. وأطلق سراح ديونيسيوس أسقف
تل بطريق ضمن العفو العام للسجناء الذي صدر في أعقاب وفاة الملك،
وعاد الى كرسيه معترفاً حقيقياً.

من يروم الوقوف على أخبار البطريرك يوحنا، والمعجزات
الباهرة والرؤى الالهية التي أنعم به الله عليه خلال سنوات نفيه في دير
اليونان، وبقية أعماله الرسولية، بإمكانه أن يطلع عليها من سيرة حياته
ورسائل تلميذه، ومن مذكراته والرسالة التي أرسلها الطوباوي الى سورية
حول الذين جحدوا، وأوصى بقبولهم في حالة توبتهم. لتكن معنا صلته
وصلاة الذين ثبتوا على الايمان المستقيم الحق، وتحفظنا جميعاً آمين.

(... فاستشاط غضباً وأمر أن يطردوا من بيوتهم، فغادر عدد
كبير من الرجال المعروفين، وتفرقوا في مدن الجزيرة وسورية. وحيثما
استقروا شيدوا كنائس وأديرة فاخرة. ومنهم أعيان ملطية الفضلاء
المعروفين بآل عمران المشهود لهم بالمآتي الجليلة، أولئك الذين من الله
عليهم بثروة غزيرة مثل ابراهيم وأيوب، فأنفقوها في بناء الكنائس
والأديرة، وعلى الفقراء والمعوزين. ففي ملطية انشأوا عدة كنائس وأديرة
للنساء. كما بنوا خارج المدينة أديرة للرهبان، وكانوا يوزعون الصدقات
على الفقراء كل يوم جمعة، منذ الصباح حتى منتصف النهار. ويقوم
بتوزيع الحسنات، الشيخ أبو سالم بنفسه. كان بنو عمران ثلاثة أشخاص
تميزوا بالسيرة الحميدة، حتى أن ملك الروم حسدهم وفرض عليهم سك
عملة المملكة لسنة كاملة، فنفذوا ذلك دون أن ينقص شيء من ثروتهم،
فأدرك الملك، انها بركة الله الذي قال بلسان النبي «لي الفضة ولي
الذهب». ولدى عودة الملك باسيل من أرمينيا، أدركه الشتاء في جوباس
فاحتاج الى المال، لأن موفديه لم يتمكنوا من إيصال المال اليه بسبب

الثلوج، فجاء اليهم الملك وطلب قرضاً منهم، فلما عرفوه بالغوا في اكرامه وأعطوه مئة قنطار ذهب بحسب طلبه. واذ كان عادلاً، أعاد اليه قرضهم وذات مرة غزا الأتراك ملطية وأسروا الشيخ أبا سالم وهو عائد من الدير الذي أنشأه، فتفاوض مع الأتراك ودفع خمسة دنانير من حسابه الخاص عن كل أسير، وكان عددهم ١٥ ألف أسير. هذا غيظ من فيض من مآثرهم. نذكرها ليمجد القراء الله ويصلوا لأجل راحتهم).

وجدت هذا الخبر على هامش احدى الأوراق لم أعرف مصدرها ، لأن مقدمتها كانت مخرومة .

فصل

في نهاية حياة رومنوس . وبه (الفصل) ينتهي المقال الثالث عشر

لقد توفي الملك رومنوس فجأة، لأن الله لم يرض بالاضطهاد الذي أثاره ضد المؤمنين. فملك ميخائيل سنة ١٣٥٤ لمدة ٨ سنوات. وفي هذه الأثناء كان يحكم دولة المسلمين، أبو العباس.. تمرد على ميخائيل وشخص من أبناء جنسه يدعى قلافاط، واستمرت حالة التمرد خمسة أشهر، حتى قبض عليه وسُملت عيناه. وفي عهد الملك ميخائيل هذا، سلم المسلمون الرها للروم. وبعد وفاته أدارت شؤون المملكة زاي وتيودورة ابنتا قسطنطين، مدة ثلاثة أشهر.

آمد مقر للكرسي الرسولي

أمضى الطوباوي يوحنا بن عبدون سبع سنوات منفياً في دير للروم في جبل غايوس، وتوفي في ٢٢ شباط سنة ١٣٥٧ يوم عيد دخول الرب الى الهيكل وشيعه تلميذه أيوني الذي سجل المعجزات والرؤى التي تمت بيد الطوباوي خلال فترة نفيه. فاجتمع الأساقفة في قرية طمنين بمنطقة كلوديا، ودُعي حايا (عائش) رئيس دير لعازر بمنطقة جوباس، وانتخب وارتسم في دير مار دمياط في نفس المنطقة وسمي ديونيسيوس. فنقل خلقيدونيو ملطية الخبر الى القسطنطينية فصدر أمر بالقبض عليه وارساله الى هناك. غير أن أعيان ملطية المؤمنين، أخبروا البطريرك بالأمر، فانتقل فوراً الى منطقة المسلمين حيث اجتاز الفرات وبلغ آمد، يرافقه مار ابراهيم أسقف قليسوريا^(١) لقد أنشأ مار ابراهيم هذا كنيسة دير

مار برصوم القديمة سنة ١٣٣٥. الذي وضع عليه اليد. ومنذئذ غدت آمد مقراً للكرسي البطريركي لأنه أقام فيها ورسم أساقفة. وأرسل والي ملطية اليوناني هدايا الى حاكم آمد من أجل أن ينفذ ارادة الملك فيلبي القبض على البطريرك ويسلمه لهم. لكنه أجاب، «ان قوانيننا لاتسمح بالقبض على الذين يلتجأون الينا وتسليمهم الى أعدائهم، كما لاتسمح باكره شخص على اعتناق عقيدة ما»، فخجل اليونان رغم أنهم لايعرفون للخجل معنى ولا للزجر كما يقال. لقد أمضى مار ديونيسيوس طيلة أيام حياته في منطقة المسلمين، حيناً في دير مار حنانيا الى الشرق من ماردين، وحيناً آخر في آمد نفسها. خدم البطريركية عشر سنوات، وتوفي ٢١ آذار سنة ١٣٦٨ وأودع جثمانه كنيسة آمد الكبرى. رسم ٣٦ أسقفاً.

قام في مصر البطريرك شنودا.. رسم لملطية مار يوحنا من دير مار شينا بولاية مرعش، بدلا من ابن تونس الذي جحد.. رسم البطريرك ديونيسيوس يشوع رئيس دير مار ابهاي مطرانا للرها، وسمي اثناسيوس، وقد صنع الله معجزات على يديه واشتهر كأحد الرسل القديسين.

بانتهاء المقال الـ ١٣، تنتهي فترة ٢٥٠ سنة، قام خلالها ١٢ ملكاً للروم و ١١ خليفة للمسلمين

المقال الرابع عشر

نخص هذا المقال بالأتراك الذين أخذوا. يسيطرون على المدن والبلدان ونقسمه فصولاً

الفصل الأول

في أن الأتراك هم الأتراك أنفسهم، وفي أصلهم ومناطق سكنهم

يعود الأتراك بأصلهم الى يافت ومن فرع ماجوج كما كتب النبي موسى من أن ماجوج هو ابن يافت بن نوح، ومنه انحدر هذا الشعب وانتشر في الأرض. واستقروا في الجهة الشمالية الشرقية، وهم الذين عناهم حزقيال النبي بأنهم سينطلقون الى المعمورة ويصلون الى اورشليم. وهذا نص النبوة وكان اليّ كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج أرض ماجوج رئيس روش ماشك وتوبال.. واجمعكم واضع شكائم في فكيك واخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرساناً كلهم لابسين أفخر لباس، جماعة عظيمة مع أتراس ومجان، كلهم ممسكين السيوف، فارس وكوش وقوط معهم كلهم بمجن وخوذة، وجومر وكل جيوشه وبيت توجرمه من أقاصي الشمال مع كل جيشه، شعوباً كثيرين معك، استعد وهيء لنفسك أنت وكل جماعاتك المجتمعة اليك فصرت لهم موقراً، بعد أيام كثيرة تفتقد، في السنين الأخيرة تأتي... وهكذا قال السيد الرب، هل أنت هو الذي تكلمت عنه في الأيام القديمة على يدي أنبياء اسرائيل... وأنت يا ابن آدم تتبأ على جوج وقل: هكذا قال السيد الرب هأنذا عليك يا

جوج رئيس روش ماشك وتوبال وأردك وأقودك واصعدك من أقاصي الشمال.../٣٨ و٣٩، هذا وكثير من أمثاله أظهره لنا الروح النبوي بخصوص هذا الشعب. وقد كرر الكلام مرتين مشيراً الى الصعود الثاني. وحيث أن المفسرين الملهمين اقتصروا على الحديث عن الصعود الأول، لذا فاننا نسير على خطاهم ونقول:

ان هؤلاء هم المعنيون بنبوة النبي. وقد أيد قول حزقيال هذا، القديس يعقوب الرهاوي عندما تحدث عن الشعب التركي. وهؤلاء هم قوم جوج وماجوج الذين خرجوا في عهد قوميسوس ملك الفرس الذي يسميه العرب نبوخذنصر الثاني الذي دعا الفانا قائد قواته، كما جاء في سفر يهوديث، وقال له: اخرج على جميع ممالك الغرب وخصوصاً الذين استهانوا بأوامري، وقد ١٢٠ الف رجل مقاتلين و ١٢ الف فارس ارباب (قسي /٢). أما متى وفي عهد اي ملك خرج الاتراك لأول مرة، فهذا موضح في الكتب. فان خروجهم الاول يسبق ميلاد الرب بالجسد ب ٨ سنوات. ومنذ ذلك الحين وحتى خروجهم الثاني، لم يكتب عنهم شيء. وورد ذكرهم في المجلد الثالث من تاريخ يوحنا الاسيوي الذي قال «في السنة السابعة لملكه، أرسل يوسطنيان ملك الروم وفداً الى الشعب التركي، وعادوا بعد ثلاث سنوات وقالوا: انهم رأوا الاتراك شعباً لا حصر له كالجراد والزحاف، وكان لهم تسعة ملوك. فلما رأى ملك الاتراك وفد الروم، بكى، ولما سُئل عن السبب قال: لقد قال لنا اباؤنا، عندما يأتينا وفد من ملوك الغرب يحين وقت خروجنا الى الارض لآبادتها». ويرد ذكر الاتراك في الحديث عن الايام الاخيرة لآخر مملكة الفرس المعروفة بآل ساسان، حيث قيل، عندما هزم يزيدجرد آخر ملوك المسلمين في مرو مدينة الاتراك. كما ان شخصاً تركياً قتل ابن حايا في عهد المسلمين الذين سيطروا بعد الفرس، ويذكر ديونيسيوس التلمحري في مجلده الثاني لدى حديثه عن مدينة امورين، ان ابا اسحق خليفة المسلمين، لما خرج عليها، هياً اربعة آلاف تركي للقتال.

الفصل الثاني

في تصرفات الاتراك

استوطن الاتراك، وهم قوم جوج وماجوج، في الجهة الشمالية الشرقية، وقد وقفنا على ذلك ليس فقط من النبوة، بل ممن سمعنا منهم ورأينا نحن واباؤنا. فقد نزحوا وينزحون من هناك، وتقع المنطقة في اول المشرق من حيث تشرق الشمس وحتى نهاية الشمال بالقرب من الجهة الغربية على امتداد بعيد طولاً، وحتى نهاية جهة المعمورة الشمالية عرضاً. ويقال عن تلك المنطقة بأنها محاطة بجبال وعرة، وفيها منفذان هما بمثابة بابين للخروج والدخول منها واليها، الاول في الناحية الشرقية على مسافة من فارس، ويقع الثاني داخل ايبيريا، وفيها ابنية حصينة قوية. وان الباب الذي يقال انه انشئ بأمر الاسكندر الكبير المقدوني لمنع تلك الشعوب من الخروج، هو اليوم بيد الايباريين، والمنفذ الذي قلنا انه يقع في الشرق، هو عبارة عن طريق يمتد مسافة يومين مشياً، واقامت في نهايته ابنية حصينة يقيم فيها الحراس لمنع البرابرة من الخروج. وكان الحراس يُعينون، في العصور الغابرة، من قبل ملوك الشرق. اما في عهد المسلمين الذين خلفوهم في الملك، فان الاتراك الذين نزحوا من هناك واستوطنوا منطقة مارجاني، هم الذين كانوا يحرسونها. يشهد على هذا، الاخبار المدونة في العديد من الكتب، ومنها ما قيل من أن طيبيريوس ملك الروم ارسل وفداً الى ملوك الاتراك. فسألهم الاتراك عما اذا كان الروم خاضعين للفرس، أجابوا، كلا، بل بالعكس. فكثيراً ما خضع الفرس للروم حتى ان طيبيريوس ملك الروم اقام له تمثالاً في فارس واکرهم على السجود له. فلما سمع ملوك الاتراك هذا، طردوا الفرس من مارجاني لأنهم كانوا يخدعونهم. وعندما خرب شابور الفارسي مدينة دارا، انتقى

الفتيات من السبايا وارسلهن الى ملك الاتراك، وهؤلاء من اولئك اللواتي القين بأنفسهن في النهر بمنطقة مراجاني. يستدل من هذه الامور وغيرها، انّ الشعب التركي الذي عُرف «بسالب الأرض» نزح منذ أمد بعيد من منطقة الجبال الوعرة.

نكتفي بهذا المقدار في ما يخص موطنهم. اما من حيث بربريتهم وسوء اخلاقهم ، فيقال، انه لم يكن لهم شريعة تميز ما يأكلون، وعليه فقد كانوا يأكلون كل ما يدبّ على الارض من الحيوانات والبهائم والدبابات والهوام والطيور، حتى الجيفة والمشايخ التي تنزل من الوالدات، وجثث الموتى من البشر، وكانوا يصطادون ويأكلون اي انسان غريب ليس له دليل. هذا ما يتحدث عنهم جيرانهم الايباريون الذين كانوا يحرسون المنافذ. ومن مزاياهم، البساطة والوداعة، ويسلكون سبيل الدهاء في ما يخص قوام حياتهم، ويحظرون الزنى والفسق، ولم يكن لهم قانون يمنعهم من تعدد الزوجات، وكانوا جهلة بعيدين عن كافة صنوف العلوم، ولم يسمعوا قط بموسى أو أي من الانبياء حتى ولا بمجيء المسيح الاله. ومن المعتقد عدم وصول أي من الرسل او المبشرين اليهم. أضف الى هذا عدم اعتيادهم ارتداء ثياب القطن أو الحرير، وكانت كسوتهم تصنع من صوف الغنم وشعر الماعز، لا سيما وانهم يربون الحيوانات كالخيول والثيران والغنم التي تعج بها مناطقهم، وكانت تربيتهم للحيوانات والبهائم مدهشة، وهم لا يحبون كثرة الكلام. يعترفون باله السماء الواحد بالفطرة لانهم يعتبرون جلد السماء هو الآله، ولم يسمعوا شيئاً آخر، كما انهم لم يكونوا مستعدين للسمع.

فصل

في خروج الاتراك الثاني واستيلائهم على فارس وآثور وبين النهرين وارمنيا وسورية وفلسطين وقيليقية وحتى البحر ومصر

مثلاً جاء خروج الاتراك الاول طبقاً لنبوة حزقيال، قد يكون
خروجهم الثاني كذلك ايضاً. وليعلم اللبيب، ان خروجهم الاول كان بأمر
الله حيث سبق الوحي الالهي واعلن للنبي ليتنبأ عنهم. وان خروجهم
الثاني كان هو الآخر بأمر الله، وقد تم ذلك، بحسب تصوري، على النحو
التالي:

بعد أن سيطر العرب، وزال حكم الفرس الوثنيين تماماً، هرب
اليونان الذين كانوا يضطهدون المؤمنين. وكانت مملكتهم مزدهرة طالما
حكما ملوك عدول لا يضطهدون المؤمنين. وبعد حجب العون (عون
الله) عنهم لعدة سنين، عادوا وسيطروا على سورية وفلسطين وارمنيا
وقبادوقية. وللحال عادوا الى عوائدهم الرديئة، فأخذوا يضطهدون مؤمني
هذه البلاد بعنف، فغضب الله عليهم عدلاً، لذا حرك الاتراك فكان
خروجهم هذا الثاني الذي جرى كالاتي:

عندما ضعف العرب أي المسلمون وسيطر اليونان على عدة
بلدان، اضطر المسلمون الى الاستعانة بالاتراك كعبيد لا كسادة، وحيثما
يمموا اظهروا كياسة، وعادوا ظافرين.

فقد اعتادوا على الانتصارات ونقل خيرات الارض الى بلادهم وعرضها على الآخرين لحثهم على الخروج معهم والاستيطان في ارض جيدة تفيض بمثل هذه الخيرات ووضعوا نصب اعينهم الخروج الى هذه البلاد التي تقطنها بعض الشعوب. وقد أخذ بعض الرجال والنساء هنا وهناك، لاسيما في الرها، يئنون ويصرخون كالمجانين في شوارع المدينة قائلين: هوذا ينزح ويحل بينكم شعب بربري من الجهة الشرقية، وجوههم وجوه بشر وقلوبهم قلوب كلاب. وكان المسيحيون يسخرون منهم، وبالرغم من ضغط الولاة عليهم ليسكتوا فلم يسكتوا، وقد أكد اقوالهم ما حدث فيما بعد، حين نزح الشعب التركي وغطى الارض، حتى ضاق بهم الأتراك الأوائل ذرعاً، لأن المنطقة لا تستوعب جميعهم، فاضطروهم على تركها. ولما شرعوا بالمغادرة، تراءى لهم ذاك الذي ارشد الأوائل وهو شبيه بالكلب. فسار أمامهم دون أن يتمكنوا من الدنو منه. وعندما يهّم بالرحيل، كان يصرخ ويقول: انهضوا فينهضوا ويسيروا وراءه حتى يجلس فيحطوا الرحال. وبعد أن قادمهم بضعة أيام تواری ولم يعد يُرى أو يُسمع عنه شيء. ولا نستطيع ان نجزم فيما اذا كان دليلاً يرشد كلاً من الشعوب الى ما يساعده على ممارسة ما اعتاد عليه، مثل العبرانيين بالنسبة الى ذبائح الغنم والثيران، والمجوس بالنسبة الى الكواكب. فهل ترى ظهر لهؤلاء بهيئة الحيوانات التي ألفوها؟ هذا ما لا نقوى على اثباته.

ومهما يكن من الامر، فان الأتراك، بعد غياب مرشدهم ووصولهم الى مناطق يحكمها ملوك، رأوا أن المنطقة لا تستوعبهم، فانقسموا ثلاثة أقسام، بقصد أن يتجه كل قسم الى جهة معينة، سواء الى الجنوب أو الشمال أو الوسط. فأخذوا ثلاثة قضبان ورموها الى أعلى حيث يوجد الله بحسب معتقدتهم، فسقطت على الأرض، فاتجه الذين مال قضيبهم في الجنوب الى مناطق الهند المرتفعة. وقد سبقوا وتعهدوا بأن تتقيد كل قبيلة بعبادة آله الشعب الذي سيحلون بينهم ويلتزمون بمعتقدتهم. فالذين اتجهوا الى الجنوب، التقوا بمسيحيين ووثنيين فتبعوهم حتى هذا اليوم، فمنهم الآن

مسيحيون، ومنهم وثنيون عابدو الأوثان. والذين وقعت قرعتهم نحو الشمال، هم الآن مجاورون لدولة اليونان من الجهة الشمالية ويعرفون بـ «القومنائيين» نسبة الى اسم المنطقة، وهم يتبعون المسيحيين الذين وجدوهم هناك ولئن كانت شؤونهم غير منظمة. أما الذين وقعت قرعتهم نحو الغرب أي في وسط المسكونة، فقد امتزجوت بالعرب واعتنقوا دينهم. والحديث هنا يدور حول هؤلاء. فبإمكاننا أن نقول: ان كل هذا قد تم بوحى من الله الذي يدير كل شيء بالشكل الذي يناسبه. ونقول مع النبي «مايريده الرب يصنعه في السماء وعلى الأرض وفي البحار وكل الأعماق». بالحقيقة أن الرب عظيم وجبار وهو وحده له السلطان على مصلحة البشر، يمنح النصر لمن يشاء، ويقيم فيها من يشاء حتى من البؤساء.

فصل

في كيفية خروجهم من موطنهم، تلك المنطقة المحصورة

لما كان موطن الأتراك الأم محصوراً داخل الجبال في المنطقة المعروفة «بمنطقة سالي الأرض»، لم يكن بوسعهم الخروج إلا من منفذين. فعندما يحتاجهم الملوك، يختارون منهم العدد الذي يريدونه من الرجال لمقاتلة أعدائهم، ثم يعيدونهم إلى بلادهم. وبهذه الطريقة أخرج ملوك الفرس والماديين والآشوريين الذين سيطروا على تلك المنطقة، العديد من الأتراك، فشاهدوا الأرض فتحدثوا إلى مواطنيهم، لدى عودتهم، عن خيراتها التي حملوا اليهم منها، كالفواكه والأواني الرائعة. الأمر الذي شجع الشعب على الخروج والاستيطان في تلك المناطق التي تكثر فيها هذه الخيرات. وذات مرة، طلب اليهم الفرس الخروج معهم، وبعد أداء مهمتهم وعودتهم ووصولهم إلى منطقة الحصون والحاميات، تشاوروا وقتلوا مرافقيهم الفرس واحتلوا الحصون لئلا يخرج الحراس الذين في الداخل ويخبروا الملك. واتصلوا بزملائهم في الداخل فخرجوا وقتلوا الفرس الموجودين في الحصون، وسيطروا على هذا المنفذ، ومن هناك انطلقوا وسيطروا على تلك المنطقة حتى مراجاني التي اتخذوها مركزاً لدولتهم. وان ملوك الأتراك التسعة الذين زارهم وفد من الروم في عهد الملك يوسطنيان، كانوا في تلك المنطقة، أي خارج وطنهم الأم وقد شددوا الحراسة على ذلك المنفذ لكي لا يخرج الذين في الداخل إلا عندما يريدون هم.

أما عن زمن خروجهم واستلائهم على منطقة مراجاني، فيبدو أن ذلك تم في نهاية مملكة الفرس قبل وصول العرب بمئة سنة، أي قبل هذه

الفترة بستين سنة أو أقل. ويُقال عنهم: لدى انتقالهم من المشرق الى المغرب، انهم شاهدوا حيواناً يشبه الكلب يسير أمامهم دون أن يعرفوا ما هو ومن أين جاء، ودون أن يتمكنوا من الدنو منه. غير أنه كان يناديهم بلغتهم أثناء الرحيل ويقول: انهضوا فينهضوا. ويستأنفون السير وراءه حيثما يتجه، ويحطون الرحال حيثما يقف، حتى وصلوا الى هذه البلاد التي استولوا عليها، فلم يعد يترأى لهم ذلك المرشد، ولم يتعدوا تلك المنطقة.

فصل

حول وحدة العقيدة بين الأتراك والعرب المسلمين

لقد اتحد الأتراك مع المسلمين، وقبلوا عقيدتهم ببسر لثلاثة أسباب: الأول لاعتقادهم بآله واحد منذ وجودهم في وطنهم الأم، ولئن اعتبروا السماء التي تبدو لهم هو ذلك الاله، ولا يزال حتى اليوم بعض السذج منهم، اذا سألهم أحد عن الله، يجيبون « قن طنجري » فكلمة قن بلغتهم تعني الأزرق، وكلمة طنجري تعني الله. اعتقاداً منهم بأن السماء هي الله. فلما علموا بأن المسلمين يقولون بآله واحد تبعوهم. والثاني: كان خروج الدفعة الأولى من الأتراك الى منطقة مراجاني، في عهد الفرس. وبعد فترة وجيزة ظهر محمد وتبعه العرب ومن ثم الفرس، بعد أن قويت دولة المسلمين ودالت دولة الفرس وغيرها من دول المشرق، فتبعهم الأتراك في مراجاني شأن الشعبيين الفارسي والكردي. ولما خرجت الدفعة الثانية من الأتراك والتقوا بأبناء جنسهم ولغتهم، اعتنقوا عقيدتهم استناداً الى تعهد سابق بينهم. والثالث: لقد تم اتحاد الأتراك مع المسلمين على النحو التالي: كان المسلمون يستأجرون الأتراك في حروبهم مع اليونان، فيدخلون مناطق تفيض بالخيرات فيحملون ما يستطيعون من الغنائم. وبناء على دعوة المسلمين اياهم، قبلوا دعوة محمد ونبذوا عبادة الأصنام وغيرها من المخلوقات واعتنقوا مذهبهم، مقابل اعطائهم منطقة خصبة، فوافقوا على أن يختتموا ويلتزموا بتقاليد الشريعة القديمة مثل الوضوء قبل الصلاة .

هذه هي الأسباب التي دعت الأتراك أن يقبلوا محمداً، فاتحدوا مع المسلمين وصاروا شعباً واحداً، وقبل المسلمون بدورهم الأتراك، كما

رضوا أن ينادى بمن يملك منهم، ملكاً للمسلمين شريطة أن يتم تعيينه من قبل زعيمهم الديني المعروف بالخليفة. ولمثل هذه الأسباب اتحد الأتراك مع المسلمين في العقيدة. ولما دخلوا بلا الفرس وسيطروا على الفرس وسيطروا على المدن أرادوا أن يقيموا لهم ملكاً، فاجمع نحو سبعين رجلاً، واحد من كل قبيلة كبيرة وكريمة ووقفوا على هيئة دائرة، ورسموا دائرة على الأرض، وقرروا أن يقام ملكاً من سقطت عصاه في وسط الدائرة، فرمى كل منهم بعصاه الى فق ما استطاع، فسقطت جميعها خارج الدائرة باستثناء عصا واحدة سقطت في الوسط، تعود الى رجل من قبيلة صغرى نسبياً، فأقيم ملكاً. هذه الأمور كلها لم تخرج عن نطاق التدبير الالهي القادر على الكل والمتسلط على الأوقات والأزمان. فاجتماعهم لالقاء القرعة وعبادتهم الله، انما كان اصبع الله. ذاك الذي به وحده يليق المجد من الآن والى ابد الأبد، أمين .

المقال الخامس عشر

يبدأ من سنة ١٣٦١ وهي سنة ١٠٣١ ميلادية، و ٤٣٠ هجرية التي فيها ابتدأت دولة الأتراك القائمة الآن. وهذه هي سنة ٦٠٥٠ من آدم أي منذ بدء العالم. وفيها حكم قسطنطين مونومكس الروم، وحكم أبو العباس قادر المسلمين. حكم طوغريك أول ملك تركي في خراسان. وفي هذه السنة قام لكنيستنا البطريرك يوحنا ابن أخ القديس يوحنا بن عبدون

فصل

سنة ١٣٥٦ غرقت بأمر الله، مدينة ايزنجي الأرمنية، وكانت فيها عائلة سريانية من قوريقس. ففي حين غطت المياه المدينة بأسرها، لم تدخل بيت اولئك المؤمنين فنجوا بالرغم من احاطة المياه اياهم من كل جانب، وكانوا اصحاب بر واحسان. بقدمت هذه المعجزة بأذن الله القادر على كل شيء لتشجيع وتقوية المؤمنين .. وحدث يوم الجمعة التي تلي اسبوع صوم نينوى، من السنة نفسها، زلزال هائل ومرعب جدا، فانهارت عدة مناطق. وفي هذه الاثناء حدث في انطاكية حادث مؤسف. فقد تخاصم، بفعل الشيطان ومطامع بشرية، ابناء كنيستنا الارثوذكسيين، حتى التهب الغضب القبيح في بعضهم فذهبوا الى البطريرك الخلفيدوني الموجود هناك، وفي غمرة غضبهم صاروا هراطقة، فسنحت لهم فرصة لامتصاص الدماء. فاغتصبوا كنيسة الارثوذكسيين المشيدة حديثا، وعلى اثر ذلك تخاذل الكثيرون وانضموا الى اليونان، وقبلوا الخلفيدونية بسبب تجدد الاضطهاد، وممارسة البطريرك صنوف اساليب الاضطهاد ضد

الرافضين لمجمع خلقيدونية. وظل الارثوذكسيون فترة طويلة لا يستطيعون ان ينظروا انطاكية .. ان الرب الذي يكيل الضربات للبغاة، ضرب كنيسة فسيان الكبرى بالبرق واحرق البطريرك المضطهد وهو يقدم الذبيحة، مع جميع من كانوا في الكنيسة. حدثت هذه النكبة في الساعة الثالثة، وعم الخوف الجميع، واعترف المضطهدون بان الحادث هو انتقام لاغتصابهم غير الشرعي للكنيسة. فوقفوا عن الاضطهاد، وعاد الارثوذكسيون الى مساكنهم، ولم يكن لهم كاهن او كنيسة في المدينة. فكانوا يخرجون في الربيع الى القرى ويشتركون بالاسرار الالهية حيثما وجدوا كاهنا ارثوذكسيا.

لصوص من الارمن في دير مار برصوم

في هذه الفترة، اي سنة ١٣٧٧ تمردت جماعة من الارمن الشهيرين بـ « بني خزريج » على الملك، بحجة نزوح الاتراك، واخذوا يمارسون اعمال اللصوصية، وانضم اليهم نحو ٣٠٠ رجل من السفلة وسفاكي الدماء والذئاب الخاطفة، تحت اسم المسيحية، واقترفوا جرائم بشعة في عدة اماكن، واخيرا اتجهوا صوب كورة ملطية، واحتموا في الجبال، ونهبوا مناطق كلوديا جرباس ودير مديق ومار آسيا ودير الشهداء، ودير مار مرقس وسرجيسين، ورموا الاسرار الالهية والميرون على الارض، وحطموا بالعصي عظام الشهيد سرجيس وباكوس وغيرها من زخائر القديسين الموجودة في الكنائس والاديرة ورموها على الارض، واخذوا النعوش، واذا ما وجه اليهم اللوم، تذرعوا بعدم المعرفة، غير انهم كاذبون ووثنيون في افكارهم. وقدّر ما اخذوا من قرية سرجيس بالف ومئة دينار ما خلا الثيران والحمير، وما اخذوه من مديق بخمسائة دينار، واخيرا تعهد لهم زعماء ملطية ان يعطوهم حصّة من منطقة جوباس وكلوديا، وحصلوا لهم على فرمان من الملك بوضع اربع قرى من المنطقة تحت تصرفهم، لكي يستقروا ويعيشوا معهم بسلام، مازدادت

قوتهم. وبعد فترة اخذوا يسلمون الفقراء ويكذبون امام الزعماء. واخيرا دفعهم الشيطان الى ان يتآمروا على دير مار برصوم فيسيطروا عليه ويقتلوا الرهبان ويستقروا فيه ويعلنوا العصيان ويعيشوا من نهب المدن والارياف. وفيما كانت هذه الافكار الشيطانية تراود أذهان اللصوص الارمن، اذا بصوت الاتراك يُسمع، فيدخلون ملطية بغتة، فيهرب ابناء كلوديا الى جبل دير مار برصوم، يرافقهم هؤلاء اللصوص. فدخل معهم اولا عشرة منهم، متظاهرين بالتسك، غير ان بعض الرهبان شعروا بحيلتهم، وكان في الدير حراس أشداء من تل طورا، فقبضوا عليهم وقتلوا عددا كبيرا منهم بالسيف ورجموا الآخرين بالحجارة. حدث هذا دون ان يعلم رئيس الدير والعدد الاكبر من الاخوة باستثناء المدبر الراهب ايوانيس والحرس العلمانيين. ولما نمي الى زملائهم مقتل كل الذين صعّدوا الى وق، هربوا، فارسل قرينوطيس حاكم ملطية وجمع اسلحتهم.

حدث هذا في ٩ آب ١٣٧٧ وفي ٢٠ تشرين الاول، وفيما كان الرهبان والاسرى عائدين من ملطية، هجم عليهم بغتة اللصوص الموجودين في جبل كلوديا وفي الموقع المعروف بـ «خرورين». فتبادلوا السهام، وقتل عشرة رجال من الارمن، وقتل كل من الرهبان والاسرى التالية اسمائهم: داود وموسى وايوانيس، ومن الحراس: برصوم وايليا. من يقرأ ليصل من اجلهم لانهم قتلوا القتلة، وقتلوا في سبيل الدير المقدس. والقي القبض على سبعة من اولئك اللصوص وسيقوا الى ملطية، وكان اللعين جيرى قد أخذ رشوة من الذين تأمروا على الرهبان وقتلوهم، ومن ثم قتلوا هم الآخرون. وعلى أثر مصرع حاكم ملطية، دخل هؤلاء اللصوص أنفسهم دار جيرى اللعين وقتلوه وسلبوا كل ما وجدوه في داره وخرجوا، لأن ملطية مسورة بعد. لتكن ذكرى جيرى واللصوص للجنة .. سنة ١٣٨٠ وبعد هذه الأحداث، بنى الرهبان برجين عاليين. وبعد ٣٢ سنة أي سنة ١٤١٢ أقيم برج جديد بين هذين البرجين، بعد ٤٥ سنة أي سنة ١٤٥٧ شيد البرج الثامن.

سنة ١٣٦١ تولى الحكم على الروم، قسطنطين مونومكس مدة ١٢ سنة، وكان كبير النفس سخياً، وكان مصاباً بالنقرس. وفي نفس الفترة كان يتولى الحكم في دولة الأتراك في بلاد فارس، حيث حكم خراسان، السلطان طوغربك سنة ٤٣٠ هجرية، وأرسل جيشاً الى بلاد أرمينيا الخاضعة للروم، فنهبوا وسلبوا وحرقوا بصورة همجية، وكرروا هذا الفعل عدة مرات دون أية مقاومة، حتى وصلوا الى مدينة ملطية. فقد وصل اليها ثلاثة آلاف شخص في شتاء عام ١٣٦٩ ولم تكن مسورة، لأن سورها كان قد دمره قوريقس عندما احتلها المسلمون، فهرب الناس الى الجبال، ينهشهم البرد ويعرضهم الجوع، ومنذ اليوم الأول أخذ الأتراك يفتكون بهم دون رحمة حتى تمكن الكثيرون من الاختفاء بين جثث التلى. وعسكر الأتراك خارج المدينة على مقربة من رابية، ولم يكن أي منهم يبيت خارج المعسكر، وكانت شموع الكنيسة تضيء طوال الليل. وفي اليوم التالي أخذوا يعذبون الناس ليدلوهم الى مواضع الكنوز، وقضى العديد منهم تحت التعذيب مثل الشماس المعلم بطرس الذي قبض عليه وهو ينسخ فنقيثا (كتاب الصلوات)، ويكتب عبارة « يشبه رأس يوحنا عنقوداً قطفته هيروديا. واذ وجدوا لديه عدداً كبيراً من الكتب، ظنوه رئيساً للمسيحيين، واضطروه الى أن يطأ الصليب فلم يذعن، فأشبعوه ضرباً وتعذيباً ثم ألقوه في النار. والتصق شعره برأسه فأذابوا قيلاً وصبوه على رأسه، ووضعوا جمر نار على صدره. وقبل أن يسلم روحه، شاهد ناراً ملتصقة برجليه فقال « نعماً لكما فقد تطهرتما » وفاضت روحه. وليكن ذكره للبركة .

ظل الأتراك في ملطية عشرة أيام، ينهبون ويخربون، واخيراً احرقوا المدينة البانسة، كما دمروا وأحرقوا كل الأرياف التي مروا بها في طريق عودتهم .. وفي هذا الغزو ومّر ونهب دير ابن جاجي.. لكنهم ضلوا الطريق فواجهتهم جبال وعشرة وانهار كبيرة، فحلوا في واد قريب

من جبل السينيسين، وحال ثلج كثيف دون مواصلة مسيرتهم. فنزل السينيسيون وأغلقوا الطرق من جميع الجهات. فهلكوا من الجوع والبرد، وما تبقى منهم قتلهم السينيسيون. ولم ينج منهم شخص واحد. أما شعب ملطية المسيحي فنجا من القتل وعاد الى المدينة البائسة، كما عاد أيضاً أولئك الذين اختفوا في الجبال. وقد نظم الراهب يوسف الذي كان ضمن المسيبيين، ثلاث قصائد حول هذه الأحداث، كما نظم مار يوحنا أربع قصائد على البحر السباعي، في خراب ملطية وقصيدتين على البحر الخماسي. ولما سمع الملك والمستشارون ما حدث للمدينة الممونة، تألموا جداً. في هذه الأثناء توفي الملك مونومكس وتولت ابنته تيرودورة الادارة لسنة واحدة، ثم تولى الحكم ميخائيل الشيخ لسنة واحدة أيضاً، كان وديعاً يعيش من ثمن الملاعق التي يصنعها سرا. وقد استغل الأتراك وداعته وإيمانه، فضغطوا كثيراً على مملكة الروم. فلما رأى أن الأتراك وصلوا الى بحر بنطس وهم يسبون وينهبون ويحرقون، دفعته شفقتة على المسيحيين الى أن يرسل خيولا وعجلات حملات أسرهم وحشرهم في البحر. فأقمرت المدن والقرى من السكان، فجاء الأتراك يعبثون فساداً في منطقة بنطس حيث وجدوا لهم مستقراً. فانحى الجميع على الملك باللائمة. أما أنا فأقول: ان هذا التدبير لم يكن من عنده، بل من فوق.

انتخاب البطريرك يوحنا

ترملت الكنيسة بوفاة البطريرك مار ديونيسيوس، وحاول بعض الأساقفة الانتقال من كرسي الى آخر خلافا للقوانين، فغار بقية الأساقفة واجتمعوا في آب عام ١٣٦٠ لانتخاب البطريرك، وطرحوا اسم الراهب ثاودورس من دير ابن جاجي في كورة ملطية، وهو ابن أخ القديس يوحنا بن عبدون الذي أنهى حياته شهيداً في المنفى، فأجمع عليه الأساقفة والمؤمنون، غير أنه اعتذر وهرب الى منطقة دليك، فتوجه الأساقفة الى هناك، فتوارى واختفى بين الحقول، وخلال بحثهم عنه، جلسوا على

شاطئ النهر وتركوا البهائم ترعى. وفيما كان حمار يرعى وصل الى المكان الذي اختبأ فيه الطوباوي، فوقف هناك. فرماه بالحجارة فلم يتحرك بل نهق، وفرحوا اذ سمعوا صوته لأنهم اعتبروه مفقوداً. فلما رأهم يتجهون نحو الحمار، نزل الى الماء ليختفي بين الأعشاب، فتبعه الحمار، كم كان فرحهم عظيماً لدى عشورهم على الطوباوي، فأخذوه عنوة ورسموه في فرز مني. وم كل من ايليا أسقف زوغما الذي ترأس المجمع ووضع عليه اليد، واثناسيوس أسقف كرشنا، وكيرلس أسقف قورس، وباسيليوس أسقف حران، وابراهيم أسقف شمشاط، وباسيليوس أسقف حدث، واثناسيوس أسقف الرها، وفيلكسينوس أسقف دليك، واثناسيوس أسقف لامين، واوانيس أسقف انزربا. ويوحنا اسقف كيسوم، فلما نصب راعيا للكنيسة، قوم المنحرفين من الأساقفة، وفصل الوقحين عن الرعاية، ورسم زكريا أسقفاً لأورشليم، وبعده توما، وقسم ابرشية شمشاط شطرين، ورسم باسيليوس لحصن منصور، ديوسقورس لشمشاط وسمي يوحنا تيمنا بعمه. ورسم سرا ثلاثين اسقفاً، وطيلة فترته كان يتنقل بين مدينة آمد وضواحيها. خدم البطريركية ١٤ سنة وعشرة اشهر، وتوفي في آمد يوم السبت ١٤ ايار واودع جثمانه في كنيسة والدة الله .. في هذه الاثناء كان خريستوبولس بطريرك لاسكندرية ومصر.

انتخاب خلف للبطريرك يوحنا

على أثر وفاة البطريرك يوحنا ابن أخي البطريرك يوحنا بن عبدون، حدث شقاق في كنيستنا، وذلك أن اثناسيوس أسقف ارشمشاط. كان قد ترك ابرشيته قبل وفاة البطريرك واعتكف في دير شجر (مار هرون). فلما توفي البطريرك يوحنا في آمد، اجتمع أساقفة الغرب وانتخبوا اثناسيوس حايا (عايش) ونصبوه بطريكا، فشكك فيه المشاركة باعتباره أسقفاً، والحقيقة لأنه نصب دون موافقتهم، فاتفق بعضهم وأكروهوا يشوع الكاتب على قبول البطريركية. وكان سكرتيراً ملازن يوحنا وربيبه،

وهو رجل عالم، ورسموه في أمد. ولكن كما كان أكثرية الأساقفة قد انتفخوا على رسامة أثناسيوس حايا، المنتخب بالقرعة، أسندت إليه الرئاسة بعد أن رسم ثانية بصورة غير نظامية لأن الرسامة تمت في دير قاريس في حصن منصور. ووضع عليه اليد مار باسيلوس أسقف حران أما يشوع بن شوشان (الكاتب) فقد انتقد ابن حايا، مركزاً انتقاده على رسامته الثانية التي خلقت شكوكاً في أبناء الكنيسة لأنها لم تكن شرعية، في حين كان حايا وحزبه يكيليلون الشتائم لابن شوشان الذي سمح لنفسه أن يرسم بعد رسامته حايا، بينما ملأ ابن شوشان الكنيسة من قصائد ورسائل السخرية، إلى درجة أن الغير فعلها أخذت حايا وحزبه ليطرحوا قضية الكنيسة أمام الملك. فلما علم ابن شوشان بذلك. فضل الاعتزال فترك الرعاية متفرغاً للكتابة. فثبت حايا وخدم البطريركية خمس سنوات ونصف، رسم ٢٠ أسقفاً.

يقول جماعة حايا، وهم الكثرى، أن انتخابه شاهد على رسامته الأولى، ومشهود له أيضاً بالتقوى، وهذا مادعا إلى تنحي ابن شوشان.. رسم اغناطيوس ابن أخت البطريرك، أسقفاً لمطية، وهو من دير مار هرون شجر وأسرع في رسامته نظراً إلى وفاة مار يوحنا أسقف مطية يوم الجمعة العظيمة ٣ نيسان سنة ١٧٠٤، وتمت الرسامة يوم الأحد ٢٥ من الشهر نفسه في دير شجر، واصطحبه البطريرك لدى زيارته لمطية، وبرفقته باسيلوس أسقف طرسوس، واخوانيس أسقف الحصن، واخوانيس أسقف قليسوريا. وأقاموا له حفلة التنصيب.

فصل

في صعود الأتراك الى منطقة قبادوقية. وبناء سور ملطية
واشتداد صراع الخلقيدونيين مع الأرثوذكس،
ومع بعضهم البعض

سنة ١٣٧٢ أمر قسطنطين ملك الروم الملقب بـ «دوقس» ببناء
سورين وخنادق حول ملطية ن وملاً الخنادق بالماء كالسابق. وعلى أثر
صدور قرار الملك هذا، غادر العاصمة بعض الزعماء المقيمين فيها
والقادمين أصلاً من ملطية التي تضم رفات آبائهم، ومعظمهم من السريان
الأرثوذكس. وبوشر بالعمل فوراً، فتجمع الحرفيون والمهندسون من بلاد
الروم وانطاكية وانضموا الى الذين في المدينة. وتبنى كل من الزعماء
القادمين من العاصمة احدى الجهات، فأنجز بناء السورين بفترة قياسية
مدهشة. لكنهم لم يتمكنوا من اضافة شيء جديد جوهرى الى ماكانت
عليه، بل بنوا على الأسس الأولى، لأن الحروب والغزوات كانت تتوالى
عليهم من كل جانب .

في هذه الفترة، قرر بطريرك القسطنطينية اضطهاد كل من لايقبل
هرطقتهم من السريان والأرمن الموجودين في العاصمة. ولما لم يذعنوا
رغم كل الضغوط، أمر ماري بجمع كافة الكتب والآنية وكل ما يوجد في
كنائس السريان والأرمن واحرقها بالفرن .

وقد رموا على الأرض الجسد والدم الأظهرين والميرن المقدس
ووطأوها. لكن غضب العدالة أدرك على الفور هذا البطريرك الباغي،
حيث انه انفجر ومات في اليوم التالي وهو على سريرته دون أن يمرض

أو يطرأ عليه حادث. فهنا انتهى الى هذا المصير المرعب، فيما ينتظره هناك القضاء العادل.

في حين صعد الأتراك الى بلاد الروم واعملوا فيها سلباً ونهباً وتدميراً وحرقاً، صار ع الروم أنفسهم بعضهم البعض. فقد أثار ايساقيوس وهو قومنانس حرباً ضد العاصمة، فتقدم بجيش جرار نحو مدينتي نيقميدية ونيقية في بيتونيا، ووصل الى العاصمة وانتزع الحكم بقوة السيف، ورحل ميخائيل الى الدير الذي أنشأه وقص شعره وترهب . وهناك انتهى بقية أيامه. وبعد أن تولى ايساقيوس الحكم سنة ١٣٧٥، وجه أنظاره نحو الغرب، وأثار حرباً ضروساً ضد الفسطينيين وانتصر عليهم، وكان متجبراً متعجرفاً محباً للمال. وفي عهده أيضاً غزا الأتراك ملطية وبلاد الروم فسبوا ونهبوا دون أن يقاومهم أحد. وبعد سنتين فقط من الحكم، مات ايساقيوس، فتولى الحكم قسطنطين دوقس سنة ١٣٧٧ وهو من منطقة بابلا الداخلية، فأعاد بناء سور ملطية، وتوفي بعد تسع سنين من الحكم، فساس المملكة زوجته وأولاده مدة ثمانية أشهر. وفي هذه الأثناء اغتيل قرينوط حاكم ملطية مع زوجته وأولاده، ومنذئذ لم تعد تتمتع بالسلام.

رسم اغناطيوس ابن أخت البطريرك حايا مطراناً لملطية، وكان متضلعا من اللغتين السريانية واليونانية والكتب المقدسة بكلا العهدين القديم والجديد. أضف الى هذا تضلعه من العلوم المدنية، من نحو وفصاحة وفلسفة وغيرها من علوم المنطق والترجمة من لغة الى لغة أسوة بمار يعقوب الرهاوي وتوما الحرقلي، وكان بسيطاً ووديعاً ورحيماً ومتقشفاً الى درجة أنه لا يبقى شيئاً في قلايته لليوم التالي. وفي هذه الفترة، أثار الخلقيدونيون اضطهاداً ضد الأرثوذكس، ليس على شعبنا فحسب، بل على الأرمن الذين تحت سيطرة الروم. وكان هذا الاضطهاد أكثر قساوة من الاضطهادات التي أثارها الوثنيون على المسيحيين في السابق. ففي

الوقت الذي كان المسيحيون معرضين للاضطهاد والنهب والسلب من قبل الأتراك في الخارج، كان ضيق الخلقيدونيين من الداخل أشد عليهم. وليعلم القارئ أن العدالة لم تنتظر طويلاً.

فقد قبض على البطريرك أثناسيوس حياً ومن معه من الأساقفة وسجنوا في دير مطرن خارج المدينة، وبعد خمسة أشهر صدر أمر بنقلهم إلى القسطنطينية، فوصلوا إلى عرقاً في طريقهم إلى العاصمة، حيث توفي البطريرك أثناسيوس فنقلوا جثمانه إلى دير مار هرون، شجر حيث ووري. وبعد وفاة البطريرك قبض على ابن اخته اغناطيوس. الذي كتب يقول: لقد لحقتني، أنا اغناطيوس مطران ملطية، اضطهاد قاس عنيف.

وان ما اكتبه عن الضيق الذي احتملته، ليس حياً بالمجد الباطل، بل لعلم القارئ، لئلا يتخاذل فيما لو حدث شيء من هذا القبيل في المستقبل، ولا يتوانى في تقواه بسبب ضيقات آنية فيحرم الحياة العتيدة.. لقد أخذونا إلى القسطنطينية ومثلنا أمام بطريركهم كمدنيين وكان متشبتاً في الشكوى الموجهة ضدنا. وقال لم نيقولاوس أسقف ملطية: هذا هو الشخص الذي سي جذب المدينة بأسرها إلى عقيدته لكونه عالماً وحكيماً. فطلب إلينا البطريرك معلومات عن إيماننا، فأوجزنا وقلنا:

« نؤمن بثالوث مساو في الجوهر غير منفصل مساو بالقوة الكرامة، ليس فيه الأدنى والأسمى، له السجود والملك، مساو في المقام، بلا كيفية أو كمية. الأب غير مولود والابن مولود، والروح منبثق. وان واحداً من الثالوث، الله الكلمة، تجسد أي تأنس، بصورة لاتقبل التغيير، من العذراء والدة الله مريم ن وهو واحد، وهو ابن ورب يسوع المسيح، مساو للأب في جوهر اللاهوت، ومساو لنا نحن البشر في الناسوت. واحد من اثنين، اللاهوت والناسوت، لهما الكمال كما قال الآباء القديسون، طبيعة واحدة للكلمة المتجسد، واقنوم واحد، ... التي تتركب منها الواحد

الوحيد. لم يخضع للتغيير أو البلبلة، حاشاه، بل ظل دون تغيير. وكما هو معلوم، فاننا نقبل المجامع المسكونية الثلاثة في نيقية والقسطنطينية وأفسس. ولانقبل الذين أتوا بتحديد جديد فقالوا بطبيعتين وجوهرين وفعلين ومشيتين. وان براهين الآباء القديسين تكفي لاطهار الحقيقة». وقد طرحت مواضيع كثيرة لانود التطرق اليها خشية أن نخطئ الهدف.

واذ لم نخضع لهم ولو بأمر واحد، حكموا علينا بالنفي الى جبال أغيوس في مقدونية، وهذا ماكانوا ينوونه، وليس صحة العقيدة. فأمضينا هناك ثلاث سنوات، وجهت الينا خلالها الاهانات والمضايقات دون مسوغ أو نقاش. ولما مات الملك قسطنطين دوقيس، أمرت الملكة أدوقيا باطلاق جميع السجناء سواء الذين في السجون أو في المنافي، وكان قد نفى العديد من المستشارين خشية التمرد عليه وخلعه نظراً الى فظاظته ان انعدام الخبرة في الحسنات يولد مثل هذه التصرفات لذا أشار بعضهم الى الملكة أن تصدر هذا القرار لكي يستقر لها الملك. وبناء على ذلك أطلق سراحنا مع المنفيين الآخرين، وعدنا الى ملطية ون أن يشعر بنا البطريرك الخلقيدوني، ودون أن ندعن لهم بكبيرة أو صغيرة بالرغم من المعروضات المغرية التي قدموها لنا. فقد حافظنا، بعونه تعالى، على ايماننا القويم، ولم نختلط بالهرطقة.

فصل

في بدء حكم رومنوس ريوجنيس ملك الروم، واندحاره أمام الأتراك والقاء القبض عليه. والأحداث التي جرت في الكنيسة في هذه الفترة

بعد قيام دولة الأتراك في خرسان، وتولي السلطان طوغرل بك للسلطة، أرسل جماعة من الأتراك بقيادة بيساري، فوصل الى كلش وأقام فيها سنة، ثم عاد الى خرسان. وفي عام ١٣٧٩ خرج ثانية ووصل الى حلب. وهذا أول خروج للأتراك الى سورية الداخلية وسواحل بحر فلسطين، فاستولوا على هذه البلدان واطلقوا العنان للنهب والسلب .

تولى رومانس ريوجنيس الحكم على الرومان سنة ١٣٨٦ لمدة ثلاث سنوات و ٨ اشهر، وكان صارما جدا في احكامه. اثار حربا على هيرابوليس (منبج) واستلمها واخرج المسلمين منها .. في السنة نفسها توفي اول ملك تركي، وخلفه في خرسان أربلسلان من نفس القبيلة، فأرسل سليمان أحد انسبائه للغزو ثم لحق به هو نفسه، فسيطر على مناطق الارمن. فجمع الملك رومنوس جيوشه وتوجه نحو ارمنيا الكبرى وجابه الأتراك وقال متبخترا، انه سيحرق الأتراك بالنار اذا ما تغلب عليهم. في حين فكر ملك الأتراك ان يتعامل بالرحمة مع ديوجينيس في حالة تغلبه على الروم ويعيده الى بلاده بسلام. وقد افتضحت هذه الامور باعجوبة، اذ تخاصم زعماء الروم مع ملكهم، من جهة، ومن جهة اخرى تمردت الجيوش الارمنية بسبب ضغط الروم عليهم لقبول هرطقتهم، فهربوا. فتغلب الأتراك المتحدون على الروم. وجرى خلال هذه الحرب حدث ذو اهمية. فقد طلب سليمان ابن عم السلطان أن تسلم له ادارة القتال فيجلس على كرسي السلطان فوق رابية. فأذن له، فجمع اولاده الاثني

عشر واعطى كلا منهم الف فارس فتسلحوا ونزلوا الى الحرب مع الروم، فلما اشتبك الطرفان، طلب ابن أخت السلطان السماح له بالتزول الى الحرب، فلم يأذن له اولا، ولكن أذن له بعد الحاح. فصادف وأن تقابل مع الملك ديوجنيس المعروف بقوته وشجاعته، والذي استمر يقاتل بالرغم من هروب معظم الزعماء والارمن الذين كانوا معه. فضربه ذلك الرجل واسقطه أرضا وتقدم ليقضي عليه، فاعلمه بأنه هو الملك، فسّر التركي وقبض عليه واتى به الى ملكهم. فصادفه في الطريق شخص آخر وسأله عن هوية الاسير، فاخبره بأنه ملك الروم. فاراد ذلك الشقي ان يكون النصر له، فطعن الرجل بالسيف، وكبل الملك وجاء به الى السلطان. واذحل المساء ولم يعد ابن أخت السلطان، ارسل بعض الرجال للبحث عنه، فوجدوه مطروحا على الارض حيا، فجاءوا به فعرفه ديوجنيس وقصّ ما حدث. فامر الملك باعدام ذلك المحتال واعطاء املاكه للمظلوم .

ثم سأل السلطان ديوجنيس عما كان ينوي ان يفعله به في حالة عدم القبض عليه؟ فاعترف بأنه كان ينوي احراقه بالنار. فقال السلطان، اما انا فقد نويت ان اعاملك بالرحمة في حالة القبض عليك. فاعلم اذن ان الله يستجيب لمن يفكر بالحسنى. وارسله برفقة بعض الجند حتى الحدود وترك هناك. يقال ان السلطان اريلسلان كان عادلا، وتؤثر عنه اعمال حسنة كثيرة. ولما سمع اليونان بالقاء القبض على ملكهم، اقاموا ميخائيل بن قسطنطين ملكا، فعين وليا للعهد شخصا يدعى أيوني، فلما علم بنجاة ديوجنيس اقسم للملك كذبا، فصدقه وانصرف. ولما عاد قلع عينه فمات بعد يوم واحد. هكذا يتصرفون في كل امورهم دون رحمة .

(ملاحظة) «وجد في كتب المسلمين، ان اسم السلطان الذي قهر اليونان هو ابو الفتح. وان الحرب بين الروم والاتراك دارت بالقرب من آمد. وقد يكون لقب أريسلان اعطاه اياه الخليفة لدى تعيينه سلطانا».

انتخاب البطريرك يوحنا ابن شوشان

بعد وفاة البطريرك مار اثاسيوس، اجتمع الاساقفة في دير مار ابهاي على نهر الفرات واجمعوا على دعوة يوحنا (يشوع الكاتب ابن شوشان) لرعاية الكنيسة. وهو رجل علم وتقوى، ليس فقط بالنسبة الى العلوم الدينية، بل والمدنية ايضا، لبق في الكلام، وقوي الحجة وبخاصة ضد الهرطقة، جمل نفسه بالفضائل وسلك طريق التقشف، فلما دُعي، اعتذر وافصح عن ندامته لموافقته السابقة. لكنه اذعن بعد ان اكد له بعض المتوحدين والقديسين بانهم رأوا بالروح ان الله اصطفاه لرعاية الكنيسة، فقبل التماس الشعب والحاح الاساقفة المشروع. فأقاموا حفلة جلوس في دير مار ابهاي نفسه، فوضع ٢٤ قانون، وعزم على تطبيقها على نفسه وعلى الاساقفة وسائر ابناء الكنيسة. ولدى اذاعتها، شكك فيها بعضهم، اما الاتقياء فرحبوا بها، وقوم الاساقفة الجبناء، وعزل خمسة منهم وازاحهم عن الرعاية، ورسم بدلا منهم رجالا مختارين مشهود لهم بالفضائل. ولم يغير سلوكه التقشفي، بل كان يذيب جسده بالصوم والسهر، ويتنقل مشيا على الاقدام، واذا ما شعر بتعب الطريق، امتطى حمارا ليرتاح بعض الوقت، ويوعز الى من يتعب من الرهبان المرافقين ان يركب الحمار ويسير هو معهم بكل وداعة. ولم يكن ليهدأ عن الكتابة، حتى في اوقات الراحة خلال تنقلاتهم، فملا الدنيا بالرسائل الحاملة تعليما سليما وتفاسير وتوجيهات طيبة. وكان يعقد المجمع في كل سنة بمقتضى القوانين، وتتم التعديلات وفق القانون، كما كان يولي اهتماما خاصا بالعلم والتصنيف، وقد ركز اهتمامه على دراسة تعاليم مار افرام ومار اسحق. وجمعها في شيخوخته في مجلد واحد، غير ان حياته انتهت قبل ان ينتهي منه. رسم ١٧ اسقفا. خدم البطريركية ٩ سنوات، وكان يفضل العيش في منطقة المسلمين تهربا من خبث اليونان، فسكن حران وميافرقاط وآمد حيث رقد، ووضع جثمانه في جرن مرمرى واودع في كنيسة والدة الله الى جانب ضريح استاذه ومربيه البطريرك يوحنا. ليكن ذكرهما للبركة. صلاتهما معنا آمين .

فصل

في حكم ميخائيل بن قسطنطين ملك الروم، وبدء حكم آخر
للاتراك بمنطقة بنطس. والاضطرابات التي حصلت في الكنيسة
في هذه الفترة

وفيلارطوس الأرمني

لم يعد الروم يستطيعون مجابهة الاتراك بعد هزيمتهم. فقد تملك
الخوف الملك ميخائيل الذي تولى الحكم سنة ١٣٨٩، واصغى الى
مستشارين تافهين فلزم البلاط ولم يخرج لمجابهة الاتراك، لكنه جمع ما
تبقى من الشعب بمنطقة بنطس واركبهم البحر، ولم يبق سوى حاميات
لحراسة الحصون والمدن. اما الاتراك فبعد ان احرزوا انتصارا باهرا
وسيطروا على ارمنيا، ارسل السلطان اريلسلان، وهو ابو الفتح الملقب
بالعادل، ابن عمه سليمان الى مناطق قبادوقية وبنطس، وخوله الصلاحية
للمناداة به سلطانا. فانهزم الروم امامه، فاحتل مدينتي نيقية ونيقوميديا
واستقر فيهما ثم عجت المنطقة بالاتراك. فلما سمع الخليفة في بغداد،
ارسل له الهدايا ونادى به سلطانا أي ملكا وثبت في الرئاسة، فصار
للاتراك ملكان، واحد في خرسان، والآخر في بلاد الروم، اضافة الى
الذين في مراجاني .

وفي سنة ١٣٩٦ اختلف المصريون مع دولة العرب الاولى حول
الزعامة، ولئن كانوا عربا أصلا، وذلك بسبب اختلاف المذهب بين الذين
في مصر والذين في آثور وبابل. فارسل سلطان خرسان اميرا يدعى
أقسيس من عائلة ارطوس، وانتزع دمشق من المصريين، ثم استولى

على القدس وسائر فلسطين وصور وصيدا، لان الروم هزموا أمامه
وفروا الى البحر. واذ علم السلطان سليمان بضعف اليونان في انطاكية،
ولم يبق منهم فيها سوى نفر ضئيل، اخذ ثلاثة آلاف فارس بلا عوائل،
وسلكوا طريق الجبل وباغتوها ليلا واحتلوها وقتلوا فيها عددا كبيرا،
واحالوا كنيسة القسيان الكبرى مسجدا.

في سنة ١٣٩٦ نفسها ظهر بين الاتراك أمير يدعى طوشمان،
دخل منطقة قيادوقية، واستولى على سبسطية وقيصرية وغيرها من
المناطق الشمالية. ومن هنا ابتدأت رئاسة آل طوشمان. وفيما كانت هذه
الاحداث تأخذ مجراها، اذا بسلطة أخرى تبرز بغتة في المنطقة على يد
جماعة من اللصوص الارمن الذين شكلوا عصابة من خمسين شخصا
ودخلوا المنطقة مع الاتراك خلسة ومارسوا اعمال اللصوصية، والتقوا في
منطقة مرعش بشاب ارمني من قرية شيركا يدعى بلردوس .

على اثر وفاة البطريرك مار يوحنا ابن شوشان، جدد بعض
الأساقفة القلاقل في الكنيسة لدى اجتماعهم في حصن منصور ليقيموا
راعيا عاما. ولما لم يتم الاتفاق على شخص معين، قرروا القاء القرعة.
وكان يوجد راهب أديب وفاقه يدعى عبدون سليل عائلة البطاركة
القديسين مار يوحنا بن عبدون، ومار يوحنا الآخر يتوقع هذه الرتبة، لكن
الأساقفة لم يجمعوا عليه بسبب وقاحته، وكما يقال: « الرجل الوقح يلقي
الرعب في القرية ». وبما أن بعض الأساقفة رشحوه، لذا أدرج اسمه في
القرعة، لكن القرعة أصابت الراهب باسيل وكيل دير مار برصوم، غير
أنه اعتذر باصرار حتى أنه قص لحيته بغية أن يتركوه وشأنه، وكان
رجلا وديعا ورزينا وبسيطا نوعا ما وتقيا بحيث كان يتهيب من عظمة
هذه الرتبة. بيد أن الأساقفة لم يدعوه ولئن قص لحيته، بل رسموه بطريكا
في حصن منصور في كانون الثاني سنة ١٣٨٥ وسموه باسيليوس. وضع
عليه اليد مارمار اثناسيوس أسقف الرها، فرسم الراهب عبدون المشار

اليه رئيس دير ابن جاجي مطرانا لسيمندو وسماه يوحنا، كما رسم يوحنا مطرانا لتكريت. وبعد وفاته تمردا كلاهما وأقلقا الكنيسة وأخلاً بنظامها الويل لهما من الله. بعد أن خدم مار باسيليوس البطريركية سنة واحدة وستة أشهر، وافاه الأجل في ميافرقاط، فاودع جثمانه في كنيستها .

قال بعض الأساقفة ممن اشتركوا في القاء القرعة، لعبون، ان القرعة كانت من نصيبه، غير أن رئيس المجمع وفلاناً وفلاناً تلاعبوا. وأما الكذاب الذي نقل هذا فكان سمعان أسقف كيسوم الذي أراد أهلاً ملطية مطرانا لهم يوحنا بعد عمه الملقب بالمصري، لكن البطريرك حياً أسرع يومذاك ورسم اغناطيوس ابن أخته لمطية، فحنق عبدون على اغناطيوس، لذا لم يصدق أحد كلام سمعان، لاسيما وان رئيس مجمع الانتخاب كان قد توفي. وحيث ان كذبة سمعان لم تتطّل على الأساقفة الذين كانوا يقرفون من فظاظة عبدون وعجرفته، رفضوه، فانزع عبدون مخافة الله من قلبه، وأخذ يحرك كل ساكن، بالرشوة التي قدمها للحكام. ورغم كل الشكاوى التي قدمها والرهبان وبقية الاكليروس لينادوا به بطريركاً، ودفع أموالاً لطائلة لغيلارطس قائد الجيش، فقبض على عشرة أساقفة من منطقة ملطية وسواها وسجنهم بغية أن يقبلوا عبدون، وأعطى مئة لكل منهم، لكنهم أصروا على عدم قبوله .

انتهز يوحنا مطران تكريت هذه الفوضى الضاربة اطنابها في الكنيسة، فرمى هو الآخر مخافة الله جانبا ووطأ القوانين، ورسم أسقفاً، ولكن سرعان ما أدركه الغضب فمات، فرسم بديلاً عنه، وسيطر على منطقة طورعبدین، فقاومه رهبان دير قرتمين. هذا وقد اختطف بعض الأساقفة من أتباع سمعان مطران كيسوم واثناسيوس مطران شمشاط، ابرشيات ليست لهم .

فصل

في فترة حكم نيقيفور والكسندر ملكي الروم، وتولي أمراء الأتراك الحكم. ومعارضة الأساقفة لعبدون

امتدت دولة الأتراك حتى بين النهرين وسورية وفلسطين، في الوقت الذي كان لا يزال عض أمراء العرب هنا وهناك. إذ كان العرب والأتراك متعايشين كشعب واحد. كما سيطر الأتراك على أرمينيا الكبرى والصغرى وقبادوقية وبيثونية وبنطس، وقاوموا الروم. وكلما ظهر أمير من خرسان وسيطر على جزء من بلاد الروم، ثبت حاكماً لذلك الجزء من قبل سلطان خرسان وخليفة بغداد الذي كان زعيماً دينياً لهم. وهكذا حكم أرمينيا الكبرى أمير من قبيلة سوقمان اسمه بالفارسية شهرامان، وعين حكام آخرين في بين النهرين يسمون أراتكة، وحكم آل طونشمان في سبسطية وقيصرية وبنطس، وحكم جماعة سلطان في نيقية نيقوميديّة وايقونية. وفيما كانت دولة الأتراك والعرب في هذا الواقع، كان ميخائيل ملك الروم يفضل العزلة. فتمرد عليه نيقيفور الملقب بوطانيقس سنة ١٣٩٧، وألب جيشاً واتجه إلى القسطنطينية، فحاصرها مدة ثم دخلها واعمل السيف فيها. ولما وصل إلى البلاط، خرج ميخائيل ماشياً وبيده التاج وعرضه عليه مقابل التوقف عن قتل الشعب قائلًا: لو طلبتها مني لأعطيتك إياها دون حرب، ففرض عليه قص شعره، وتزوج امرأته، فاحتقره الجميع وزالت منه النعمة، وسيطر عليه الخوف ولم يعد يخرج من البلاط للحرب.

لما رأى القائد الكس أن نيقيفور تسلم السلطة بصورة غير شرعية، وأساء الإدارة، فتبلبلت شؤون المملكة، اتفق مع الزعماء على أن

يتولى هو الحكم، فكان يتحين الفرصة المناسبة. وفيما كان ذات يوم يجلس مع الملك لوحده أراد أخوه أن يدخل فمنعه الحرس فحدثت ضجة، فخرج الكس ولما عرف سبب الضجة خشي أن يشعر الملك، وسلم رسالة الى شخص وأمره وقد تضمنت خبراً بدخول الأعداء أراضيهم، فأوعز الملك الى القائد أن يجمع جيشاً ويجابه الأعداء. وبهذا الخبر الكاذب بلغ الكس مأربه. فأخذ الزعماء المواليين له وخرجوا الى مكان ملائم حيث نادوا به ملكاً، ثم دخلوا المدينة على الفور دون معارضة، ولدى وصولهم الى البلاط غادره نيقيفور. وهكذا عومل كما عامل غيره، وشبع اهانة واحتقاراً .. تولى الكس الحكم سنة ١٤٠٠، وبذلك تكون فترة حكمه ٢٩ سنة وليس ٣٨ كما ورد في بعض الكتب. فقد أحصينا هذه السنين كي نبين جهة الصواب بالنسبة الى الأمور التي سنتطرق اليها خلال ايرادنا التسلسل التاريخي .

بعد أن أصر الأساقفة على رفض عبدون رغم ضغط حران بلردوس عليهم، اجتمعوا وحرّم على نفسه نفسه المنصب أربعين مرة. ولكي يبعد الأساقفة احتمال عن سيطرة عبدون على الكنيسة، تغاضوا عن الحرم والحوّا على لعازر بقبول المنصب أربعين مرة وكان معروفاً لدى الحاكم وبلردوس نفسه، فأذعن ورسم يوم جمعة الأربعاء من الصوم، وطلبوا اليه أن يقّس الميرون يوم خميس الأسرار، ولم يتمكن لأن يده قد يبست. خدم سنة واحدة، ولم يرسم أسقفاً ما، وتوفي في حصن منصور .

وأخذ عبدون المتمرد يثير الشغب، فاجتمع الأساقفة، مدفوعين بالغيرة الالهية، وأعلنوا حرم هذا الهرطوقي، وعمموا رسائل بهذا الصدد في كل الجهات. وانتخب خلال هذا المجمع، يوحنا المتوحد من من منطقة كرشنا، ورُسم في كنيسة مار جرجس بملطية سنة ١٣٩١ ووضع عليه اليد مار اغناطيوس مطران ملطية. خدم البطريركية سنة ونصف ورسم

خمسة أساقفة. توفي وأودع جثمانه في دير البارد. وكان هادئاً ووديعاً وبسيطاً .

في هذه السنة، غزا جراد منطقة جيحون، فخرج البطريرك والشعب للدعاء. فلما سمع البطريرك تهديدات المساكين وعويل الأطفال، رق قلبه عليهم، وبكل بساطة أمر الجراد أن لايعبث الفساد في الزروع، باستثناء الحقل الذي كانوا واقفين فيه. وبقدرة الله تجمع الجراد في ذلك الحقل فقضي عليه .. حدثت هذه المعجزة تمجياً لاسم الله .

وظل المؤمنون لعدة أجيال، يأخذون من تراب ذلك الحقل، وحيثما يرمونه، وكان الله يصنع معجزة .. كان بطريرك مصر في هذه الأثناء، البابا كيرلس ..

بعد وفاة مار ايوانيس، تحرك عبدون بمساندة البعض الذي زعموا بأن انتخاب به من الله، متذرعين بوفاة البطريركين السابقين في غضوب فترة وجيزة. وكتب يقول «لقد تركوني أنا ينبوع الحياة وحفروا أباراً سريعة العطب لاتجمع ماء» .

وبالرغم من كونه محروماً، تجاسر ورسم أربعة أساقفة، وعم المؤمنين ضيق شديد بسبب بليلة شؤون الكنيسة، وأصابت الكثيرين خيبة الأمل، لقلة الايمان .

فصل

في فترة حكم الكس ملك الروم، وفيها قويت دولة الأتراك
كثيراً. وتدهور أحوال الكنيسة

سنة ١٣٩٣ تولى الحكم في ملطية شخص يدعى قرهؤل. وفيها
حدثت مجاعة. فبيع رطلا. خبز بدينار، وكذلك رطلان من الخمر. كما
حدث في السنة في نفسها زلزال سقط فيه ٨٦ برجاً.. وعام ١٣٩٦ حدث
زلزال في القسطنطية سبب غرق عدة ربوات.. وفي عام ١٤٠٧ وأثناء
حكم ميخائيل اليوناني لملطية معيناً من قبل الأتراك، قتل الرئيس أبو سالم
صهر آل عمران المرحومين، وابن عقيل.. وفي ٢٨ نيسان سنة ١٤٠٨
قتل ميخائيل نفسه ثمانية من أشهر التجار وأبرز المؤمنين الحقيقيين، وهم
برصوم ابن الراهبة وولديه، وكوركيس العريس وولديه، وباسيل حاوا
وابنه وعبد الله العرقي، وسهدو شماس طنطيني، وابتز من بيوتهم ومن
أبي منصور أموالاً طائلة، ونهب من كنيسة الأسقف صلبانا ومباخر وجرة
الميرون وكل الآنية الكنسية، ودمر بيوتاً وأقام قلعة وسورا.

في مطلع تولية الكس الحكم على الروم سنة ١٤٠٠، تولى الحكم
في دمشق شخص تركي يدعى التخش البرسلان تاج الدولة، وقتل في
أفسس. وفي السنة نفسها حكم في حلب بعد صلحي، ابنه محمد وهما من
العرب. وفي السنة نفسها اغتصب علي بن منقذ أبو الحسن، مدينة شيزر
التي كان يتولاها اسقف معين من قبل الروم. وفي سنة ١٤٠٤ توفي
محمود بن ناصر بن صلحي، وتولى الحكم في حلب أبناؤه الثلاثة وهم:
سبق وشبيب وعطية. وفي السنة نفسها داهمهم مسلم بن قورش وانتزعها
من القاضي الذي كان يحكمها وقتله. وفي نفس السنة توجه شرف الدولة

بن قورش الى دمشق وانتزعتها من تاج الدولة بن سليمان التركي. ثم ذهب لينتزع انطاكية من سليمان بن قطرميس التركي الذي كان قد انتزعتها قبل فترة من شرف الدولة بن قورش .

ثم صعد السلطان أبو الفتح وأخذ حلب طوعاً من مالك بن سالم وأعطاه قلعة جعبر التي كان قد احتلها بالسيف، وقتل صاحبها سابق. وفي هذه الفترة احتل الأتراك طرسوس والمصيصة ونازربا وسائر مدن قيليقية. فكان الضيق يشتد على مملكة الروم من كل جانب .. وفي هذه الأثناء خرج الروم مع الأفرنج من رومية لمقاومة الملك الكس، فحاربوا القسطنطينية لينتزعوها من اليونان. وفيما كان الكس سجيناً ومحارباً من قبل الأفرنج، دخل العرب والأتراك المناطق التي كانت تحت سيطرة الروم. فقد كان في ملطية حاكم يوناني يدعى جبرائيل معين من قبل بلردوس وقد خلفه في الحكم. فلما رأى هزيمة اليونان أمام الأتراك، أرسل زوجته الى الخليفة في بغداد وحصلت منه على كتاب يثبتته في رئاسة ملطية، وكان يحكم الرها أدروس بن حاتم ..

لما جاء الأمير التركي الفريج الى ملطية سنة ١٤٠٦، احتال عليه جبرائيل وأخذه الى الرها حيث سقاه سمّاً وقتله، وخدع الأتراك فأتى بهم الى ملطية متظاهراً بأنه سيسلمها لهم، فتركهم خارجاً وأغلق الأبواب. أما هم فأقاموا لهم رئيساً يدعى تاوت، وسبوا المنطقة وهجموا على المدينة، وأخيراً جاء طونشمان من سبسطية ووفق بينهم .

في هذه الفترة، اقترفت جريمة أخرى بحق الكنيسة، من قبل مرقس رئيس دير الباراد الذي كان ذا مال وفير والمال يحرق حتى الحكماء فقد انتهز فرصة البلبلة التي خلقها عبدون في أنظمة الكنيسة، ودفع لبلارطس ثلاثة آلاف دينار، الفان من ماله الخاص والألف الأخرى من الدير، فألزم أسقفين عنوة أحدهما اسقف عرقاً الذي كان قد اغتصب

ابرشية جيحون، وأقاما مرقس بطريكا بأمر بلردوس لكي يدافع عنه. أما الأساقفة بما فيهم مطران تكريت، فقد نبذوا مرقس شأن عبدون. وبعد ٦ سنوات من الفوضى، اجتمع الأساقفة واختاروا أهون الشرين، حيث قبلوا مرقس من أجل ابعاد عبدون المتمرد، وذلك بالتماس من يوحنا مطران تكريت الذي اسندت اليه نصيبين، فرسم ودعي ديونيسيوس. خدم البطريكية سنة واحدة و ٧ أشهر، ورسم ١٠ أساقفة، وتوفي ودفن في دير زرنومقا بمنطقة ملطية. فحاول عبدون مرة أخرى اختطاف البطريكية. فرفضه الأساقفة الذين اجتمعوا سنة ١٤٠١ والقوا القرعة في بلدة قراميس بمنطقة ملطية، فكانت من نصيب الراهب أبو الفرج من دير مار برصوم، وهو من مواليد مدينة آمد في ما بين النهرين، وقد تربي وتثقف في ملطية وترهب في دير مار برصوم، فلما وُجّهت اليه الدعوة، أي فأوقفه الأساقفة عن الخدمة، واستمر الحال مدة تسعة أشهر، أما امتاعه فكان بسبب الشغب الذي أثاره عبدون في الكنيسة. ولما رأى الأساقفة اصراره على الرفض، استعانوا بجبرائيل والي ملطية اليوناني، فأرغم على الموافقة، وتمت رسامته في كنيسة الساعي بملطية، يوم الأحد الفاتح من كانون الأول سنة ١٤٠٢، وضع عليه اليد طيمثاوس أسقف تل بطريق الذي ترأس المجمع، واغناطيوس اسقف ملطية، واوانيس أسقف عرقا، وباسيليوس أسقف لاقبين، واوانيس أسقف ارشميشاط .

لقد زار عبدون الوالي جبرائيل ووعدته بألفي درهم ليمنع قبول اثناسيوس غير أنه رده لأن الرسامة تمت في مدينته. وكان يتوقع زيارة البطريك حاملا مالا كهدية شكر، لكن أمته خاب، فاستقدم البطريك عنوة من دير مار برصوم. فلما وصل باب بيته خرج جبرائيل ليستقبله ويتبرك منه فرفض البطريك قائلا: انك يوناني ونحن سريان، فغضب وأمر بسجنه في دار احدي المومسات زيادة في اهانتته. فأمر لبطريك باغلاق الكنائس وعدم النواقيس حتى يطلق سراحه، بيد أن المؤمنين

جمعوا مالا ودفعوا الى جبرائيل اللعين ٩٠٠ دينار، فأطلق سراح
البطيريك. فجاءوا الى دير مار برصوم .

قصة انشاء دير فسقين

في هذه الفترة بوشر بانشاء دير فسقين وعلى النحو التالي: كان
في ير مار أبهاي ناسك فاضل يدعى الربان داود يمارس مع نخبة من
الزملاء، أعمال النسك ويتسامون في أعمال الفضيلة والسيرة الصالحة،
فأهلهم الله أن يروا رؤى ويصنعون المعجزات. وجاءهم فلوطين الشيخ
الجليل من كرشنا والمتسك في دير مار برصوم. فاتخذه داود وزملاءه
مرشداً وموجهاً. وذات يوم أخبرهم بأن الله أوحى اليه بأن مغارة على
شاطئ الفرات، كان بقربها يوما دير يعرف بدير الشميطيين، ستصبح
ديراً لرهان أفاضل، فقصدوها وعاشوا في كوخ يمارسون الصوم
والصلاة والسهر ليل نهار، فتقدموا في أعمال النسك، وجرت على أيديهم
أشفية كثيرة، وقصده ابن حاكم المنطقة وهو شاب معذب من الأرواح
الشريرة، فشفي، فترهب كما ترهبت والدته أيضاً، التي ارتفعت، خلال
فترة قصيرة الى درجة عليا من الفضيلة، حتى أن العديد من المرضى
والمجسوسين نالوا الشفاء بصلاتها. كما أن الربان باسيل اقتبل هو الآخر
نعمة الشفاء والرؤى. فأراد ديونيسيوس أسقف ملطية وسعيد وأبو غالب
ابنا الصابوني، أن يحرموا رهبان فسقين والشيخ فلوطين، على اعتبار
انهم يعتقدون سرا هرطقة «المصلين» وان كشف الشيخ فلوطين عرض
الأمور للذين يقصدونه، كقوله: ان هذا ارتكب خطيئة، وذاك فعل كذا أو
كذا: انما هو بتأثير الأرواح الشريرة التي تتراءى له، غير أن البطيريك
اثناسيوس لم يوافقهم وقال: عندما يُضل الشيطان فانه يبيد الروح والجسد

ولا يمكن أن يبني، وان النعمة التي كانت للأولين، والتي بها ازدهروا في شفاء الأرواح والأجساد، هي من لدن الله. ونحن بدورنا نؤيد رأيه .

خلف الربان داود في رئاسة الدير، حبقوق فبني الكنيسة، وطبق القوانين التي وضعها الربان والتي تمنع من اقتناء كرم أو حقل أو سلالا للنحل، كما تمنع الرهبان من أن يطلبوا شيئاً من أحد وغيرها من الفضائل.

فصل

في حمل الافرنج على القدس. وزيارة البطريرك اثناسيوس للخليفة في بغداد

كان لشعبنا كنيسة في القسطنطينية حتى عهد الملك الكس، وكنيسة أخرى للأرمن، يخدم كل واحدة منهما، كاهن واحد، وتضم جماعة من التجار وسواهم. وذات يوم زار كاهن سرياني القسطنطينية، فلم يقبله كاهن كنيستنا الذي كان من سيمندو، فدخله الشيطان وقال لليونان، ان السريان والأرمن الذين في عاصمتكم متفقون مع الأتراك. فغضب الملك وأمر باحراق هاتين الكنيستين وطرد كاهناهما، فانضم الشعب الى الهرطقة .

بعد أن سيطر الأتراك على سورية وفلسطين، أخذوا يسيئون الى المسيحيين الذين يحجون الى القدس، بالضرب والاهانة والضرائب الباهظة التي كانوا يتقاضونها في مدخل المدينة وفي الجلجلة وعن القبر. أضف الى هذا اغتيالهم المسيحيين بشكل أو آخر لاسيما أولئك الوافدين من رومية وايطاليا، وقد راح ضحية ذلك عدد كبير. وهذا ما دعا الى تحرك الملوك والأمراء في رومية، فجمعوا جيشاً من تلك الأصقاع وجاءوا الى القسطنطينية بحراً، فمنعهم الكس ملك اليونان من الاجتياز، فقررروا احتلال المدينة وانتزاعها من اليونان، فحاربوا أهلها مدة سبع سنوات من سنة ١٤٠١ حتى سنة ١٤٠٨ .. في فترة انشغال الافرنج مع أهل القسطنطينية، حدث زلزال في انطاكية، وظهر في أساس أحد الأبراج التي سقطت، معبد كبير يضم تماثيل نحاسية ضخمة، تمثل الافرنج وهم يمتطون خيولاً ومتقلدون سلاحاً من رماح وسيوف، وكلها من نحاس، وهم مكبلون بالسلاسل. فأمر الحاكم اغوسين التركي بالبحث عن

حقيقتها. فلم يعرفها أحد، ولم يشر إليها أي كتاب. لذا اعتبروها. أصناماً وثنية. فأمر الملك بتحطيمها. غير أن امرأة عجوزاً عمياء قالت: سمعت الأولين يقولون ان تحت أحد الأبراج طلسم تخص الافرنج لتحذيرهم من اجتياز البحر، فلما سمع الحاكم قول تلك المرأة ندم لتحطيمه اياها. وسألها: هل سمعت كيف صنعت، وهل يمكن صنعها مرة أخرى، ولما أجابت بالنفي، قتلوها .

لقد تعهد الافرنج أمام الله في حالة دخولهم القدس، بأن يعطوا الأمان لكافة الكنائس المسيحية، ويعطوا كنائس وأديرة لكل شعب مؤمن بالمسيح .. خلال ذلك قتل سليمان من قبل الأتراك وبرسلان .. كان الافرنج الذين وصلوا الى انطاكية ملكين و ٧ أمراء، فالملكان هما مأمون وطنجري، والأمراء هم: راجيل، بيموند، بغدوين، جوسلين، غلاران، جندفر وسلفس، فلما سمع تادرس بن هيثم الذي حكم الرها بعد مقتل وبزان، ان الافرنج أحاطوا بانطاكية: وعدهم باعطاء دوقاس لجندفر، ففرحوا وقالوا: مثلما آمنت الرها بالمسيح قبل القدس، هكذا فان المسيح أعطانا اياها قبل القدس. فأرسل جندفر أخاه بغدوين وتولى الحكم في الرها وحاربوا انطاكية لمدة تسعة أشهر، وكان يتولاها الزعيمان التركيان قسيان واغوسين. ونظراً الى مضايقة الافرنج لها، غادرها اغوسين الى حلب، فلاقاه في الطريق جماعة من الأرمن وقطعوا رأسه وأتوا به الى الافرنج. كما اتفق أخوان أرمنيان مسؤولان عن حراسة الأبراج، وسلما المدينة الى بيموند ليلاً. ولما سمع السلطان في خرسان بحملة الافرنج على انطاكية، أرسل جيشاً قوامه مئة ألف فارس بقيادة بوربغد. وفي اليوم الذي دخل فيه الافرنج انطاكية، وصل الأتراك الى بغرس، وكانت القلعة مازالت بيد الأتراك. فحاصروا المدينة، فتضور الافرنج جوعاً حتى أكلوا خيولهم والتجأوا الى الصلاة. ثم رأى الملك طنجري في الحلم، فتحه في كنيسة قسيان ورأى داخلها مسامير صليب الرب وقد صنع منها صليباً ورمحا رومانياً، وتقلدهما وخرج لمحاربة الأتراك. وفعلاً نصر

الله الافرنج وامتلات الأرض من الجثث، فطاردوا الأتراك مسيرة يوم كامل. وبعد أن تمت سيطرة الافرنج على انطاكية، غادر الأتراك بين النهرين، وأتوا الى المعرة وسروج اللتين لبني عوطير .

قبل مجيء الافرنج، كان المصريون قد غزوا القدس وانتزعوها من الأتراك، ولما جاء الافرنج احتلوا أولا يافا، ثم توجهوا الى القدس التي كان يحكمها فاضل المصري، وأقاموا برجاً خشبياً في وسط الباب الشرقي الذي .. اسطيفانس. وفتحوها في تموز سنة .. وهي السنة الثانية لانطلاقهم. وقتل فيها عدد كبير من العرب فعجت بالجثث وبخاصة هيكل هلقون المسمى هيكل الرجاء، وأحرقوا الجثث بالنار. وتولى الحكم فيها جندر مرة سنتين كأول ملك للافرنج، ثم حكم بغدوين سبع سنوات .

في تشرين الأول سنة ١٤٠٦ توفي اغناطيوس الكاتب مطران ملطية، ورسم خلفاً له اثناسيوس سعيد بن الصابوني، العالم الحاذق والكاتب الماهر والمتضلع من اللغتين السريانية واليونانية. وتمت رسامته يوم عيد الصعود في مدينة قنقرت بمنطقة آمد، ودعي يوحنا. وتم انتخابه نزولاً عند رغبة الحاكم جبرائيل. ف جاء الى المدينة يوم كان الأتراك يحاربونها، وبعد أن دخلها أغلقت أبوابها بسبب الهجوم: الذي شنه عليها ميغرسلان سلطان ايقونيون، فطلب جبرائيل الى الأسقف أن يقف الى جانبه ويلاحظ الحرس، فأولى الأسقف الأمر اهتماماً بالغاً، وشجع الشعب، فأرس السلطان شماساً منتفذاً لمفاوضة الأسقف. وبإذن من الحاكم، استقبله الأسقف وكان جبرائيل متخفياً يسمع حديثهما، فقال الشماس، اذا سلمتم المدينة للسلطان، فانه مستعد أن يتعهد لكم بالسلام والخيرات، والا فسيأخذها بالسيف، فتسفك الدماء وينتقم الله منكم لدماء الشعب. فقال الأسقف للشماس: لا تتوهم، لم يستطع أحد احتلال هذه المدينة ولن يستطيع مطلقاً. وفيها من الطعام ما يكفي لأكثر من عشر سنوات. فصرف الشماس بمثل هذا الجواب، ثم التفت الى جبرائيل وقال: لقد سمعت ياسيدي ماقيل،

فالأفضل أن نسلمها بارادتنا. ومنذئذ حقد جبرائيل على الأسقف كما مقتته اليونان، وأخذ الافرنج يوشون به عى اعتبار انه يريد تسليم المدينة للأتراك، لاسيما عندما كان يحرجهم في جداله اياهم حول العقيدة .

وصادف أن كان الأسقف يقيم فوق السور، صلاة الساعة الثالثة يوم الجمعة والشعب يردد وراءه، لاحظ جبرائيل واليونان تمسك الشعب به، فقرروا قتله. ولدى نزوله من السور، أخبر بأن جبرائيل أمر بقتل أحد المؤمنين فسارع يرفقه كاهن للالتماس من أجل ذلك المظلوم، فوجدوا جبرائيل اللئيم يمتطي فرساً بين السورين، ويحيط به بعض المشاة. فقال له الأسقف ملتماً: ارحم أيها السلطان المبارك هذا المسكين، لايجوز أن يكون قتل من الخارج وقتل من الداخل. واذ كان اللئيم ناوياً قتل الأسقف، قال: وأنت يافلان تريد أن تسلم المدينة للأتراك؟ وفي غمرة غضبه أمر أحد حاملي السلاح أن يرميه بسهم، فلم يجرو ذلك، انتزع منه القوس ورماه بيده، فسقط الأسقف صريعاً يوم الجمعة ٤ تموز سنة ١٤٠٦، فتشتت الكهنة واهتزت المدينة برمتها وتجمهر الناس في موقع استشهاد الأسقف بين قصب البستان، وبعد يومين شُيع وأودع جثمانه في كنيسة الساعي الكبرى .

لم يكن البطريرك اثناسيوس في منأى من المخاطر وهو يدير شؤون الكنيسة، بسبب مكاييد عبدون المتمرّد، الأمر الذي اضطره الى النزول الى بغداد لزيارة الخليفة أبا جعفر، ليأخذ منه رسائل الى كافة الولاة والحكام، العرب منهم والأتراك، الذين في منطقة آثور والجزيرة وما بين النهرين وسائر سورية وقبادوقية، تتضمن أمراً لعزل اثناسيوس ونبذ عبدون. وكان المتمرّد قد رسم أربعة أساقفة، أولهم ايوانيس أسقف تل حمدون الذي نهشته الكلاب، وابدوكس اسقف عرقا الذي عُزل فانضم الى الهرطقة، واغناطيوس أسقف ماردين الذي تاب وقبل، وابن كوزيرا الذي اعتنق الاسلام في آمد.

فصل

في سيطرة الآتراك على ملطية للمرة الأولى، ومقتل جبرائيل وابن هيثم، وبدء حكم ميغريسلان، وبناء سوركيسوم، وأحوال الكنيسة في هذه الفترة

بعد عودة البطريرك من بغداد بقليل، مات عبدون المتمرد في حصن منصور، وأوصى أن يُدفن أمام باب الكنيسة لكي يدوس عليه الشعب جزاء ما اقترفه بحق كنيسة الله. واشترك البطريرك مع الأساقفة في تشييعه وتلا صلاة استغفار خاصة وقال: ولئن تملكه حب الرئاسة ووطئ القوانين المقدسة، ولكن علينا أن نصلي لكي يُرحم كخاطئ لأنه لم ينحرف عن الإيمان القويم .. بعد مقتل سعيد ابن الصابوني (المطران يوحنا)، وتدمير الآتراك المدينة وضواحيها نظراً إلى علمه وحكمته. فدخل ديونيسيوس أسقف جوباس ابن المعترف، إلى ملطية في الفاتح من كانون الأول عام ٤١٣. وكان قد ترهب في دير ابن جاجي على يد البطريرك يوحنا ابن شوشان، ومنه اقتبل الرسامة الأسقفية لجوباس. وعلى أثر دمار جوباس خلال غارة الآتراك الأولى، جاء إلى دير أبا الفرج الذي صار بطريركا ورسمه كاهناً وكافأه في شيخوخته باعطائه كرسي ملطية، فوجدها تفتقر إلى المعرفة، فأخذ يعلم القراءة والكتاب المقدس بعهديه والشعر والأدب. بعد ذلك رسم البطريرك أبا غالب ابن الصابوني شقيق سعيد الذي قتل في ملطية، أسقفاً للرها. وقد اشتهر كلا الأخوين بالعلوم الدينية والمدنية واللغتين السريانية واليونانية، وبرعا في جدال الهراطقة، وبعبارة أخرى، فانهما كانا عين جيلهما بالنسبة إلى الأرذوكس. وبالرغم من كل المؤهلات، فقد كانا يفتقران، كما يقال، إلى تواضع القلب مصدر سائر المحاسن وعلّة ازدهار الفضائل.

فسعيد المدعو يوحنا الذي رسم مطرانا لملطية، قتله جرائيل في ملطية، بعد اربعين يوماً من رسامته كما ذكرنا. أما أبو غالب فقد رسم مطرانا للرها ودعي باسيل، واصطدم بالبطريك ولما مضت اربعون يوماً على رسامته، فمنعه من الخدمة. فعكر هذا النزاع صفو الكنيسة كما سنوضح فيما بعد .. لما سيطر الافرنج على انطاكية، أبعدا اليونان عن الكنائس الكبرى وطردها كهنتهم، وأقاموا بطريكاً منهم ورسوموا عدة أساقفة، واحد لطرسوس، وآخر لمصيصة، وثالث للرها. ورابع لكرسي منبج في دليك. وخامس لاوفيميا، وسادس لطرابلس واللاذقية. وأقاموا آخرين في جابولا وقورس ومرعش وحارم، كما رسم بطريكهم في القدس أساقفة لكل من بيت لحم، حبرون، السامرة، يافا، الناصرة، قيصرية، صيدا، وبيروت. ولما احتلوا صور رسموا لها أسقفاً هي الأخرى، ذلك أن بطريك انطاكية لم يدفع لهم .. ان أول مطران للأفرنج في الرها، يدعى مبارك الذي رأى في الحلم رفات مار ادى وأبجر. والتي اكتشفت داخل نعش مار يوحنا .

بعد مقتل سليمان أول حاكم تركي في ايقونيون، خلفه ميغرسلان، وهو أول من تعين في ملطية في عهد جبرائيل الذي اغتال المطران، فلما سمع بمقدم ميغرسلان، ترك ملطية وذهب ليحتمي بلاده. فجاء اليها طونشمان من سبسطية، ولثلاث سنوات متتالية، كان يدمر المنطقة ويستحوذ على الغلال ويعود في الشتاء. وكان جبرائيل يضطهد المساكين في الداخل أكثر من الأتراك، ومنهم تادرس بن هيثم قورابلاط الذي قتله الرهاويون .. ولما سيطر الافرنج على الرها، حاول جبرائيل أن يدخلهم الى ملطية، وكان فيها يومذاك جماعة من الأرمن يحكمون بعض المناطق منذ أيام بلدروس، احدهم باسيل، حاكم كيسوم ورعين، وفي هذه أعيد بناء سور كيسوم الذي كان قد تهدم لدى دخول المسلمين ن كما كان جماعة من الأرمن يحكمون بعض مناطق من قيلقية وهم المعروفون بـ « أبناء رافان » .

لقد انطلق الأرمن في عهد الملك باسيل، وانطلق الأتراك في عهد ميخائيل الذي عين بلردوس حاكماً على قبليقية ليقاوم الأتراك بعد أن برهن على كفاءته كما سبق بيانه، ومنذئذ استوطن الأرمن قبليقية سورية. وبعد مئة عام، وعلى أثر مضايقة الأتراك لكاثوليكوس الأرمن في أرمينيا، نقل زعماء الأرمن مقره الى قبليقية .. تلقى جبرائيل الملطي ضغطاً من طونشمان، وكان قد أقسم للافرنج ثلاثاً بأنه سيسلم اليهم ملطية، وزوج ابنته من قوميس الرهاوي ابن أخت ملك القدس، الذي صار فيما بعد ملكاً للقدس. ونظراً الى كل ذلك، جاء مامن مطمئناً من جهة دخوله ملطية، ولما وصل الى مناطق نفوذ الأرمن الذين خافوا أن يهجرهم في حالة توليته الحكم، راوغوه وأرسلوا سراً يطلبون يطلبون مساعدة طونشمان. وكذلك فعل جبرائيل لدى وصول الملك الى جبينا، فلم يدعه يدخل، بل أخذ يراوغه حتى وصل طونشمان ووضع له الكمائن وقبض عليه، وهكذا تسنى للأتراك أن يرسخوا أقدامهم أكثر عن طريق الأرمن وجبرائيل. فأرسل طونشمان الملك مأمون الى سبسطية، وذهب لمحاصرة ملطية. حين زاد جبرائيل. الأثم من شروره بالنهب والسلب والقتل دون رحمة. وبذلك يكون عميلان قد سلما المدينة للأتراك. فدخل طونشمان يوم الأربعاء ١٨ أيلول سنة ١٤١٣ ونهبوا كل ممتلكات المدينة. لكن طونشمان لم يسمح بقتل أي شخص، حيث اعتبر الناس من حصته وأعادهم الى بيوتهم، وكان يجلب الخبز والثيران وغيرها من الضروريات من بلاده ويقدم لهم. وحرر الذين كانوا قد سبوا الى بلاده منذ أمد بعيد وأعادهم الى المدينة، وتمتعت، ملطية في عهده بمختلف الخيرات والنعم، فشبع الناس واكتفوا. وعين لها والياً يدعى باسيلغ وهو رجل عادل وتقي.

لقد أخذت العدالة مجراها بالنسبة الى جبرائيل، فعذبه الأتراك بقسوة، وضربته جماعة من المسيحيين انتقاماً، مذكرين اياه بقتله الأسقف البار والزعماء المغلوب على أمرهم وغيرهم من الجرائم التي ارتكبتها،

فأشبعوه اهانة وسقوه مرارة وأخذوه الى حصن منيع منعزل حيث كانت قد وضعت زوجته، فألزمه الأتراك أن يطلب الى زوجته لتسلم الحصن. وهنا حاول خداعهم، اذ أرسل اشارة وقال، انها الى ميداس وهي تعني «سلم الحصن». فيما ان العبارة التي نطق بها تعني باللغة الأرمنية «لاتسلم». شعر الأتراك بخداعه فقتلوه ورموا جثته للكلاب. ثم جلب طونشمان الملك مأمون الى ملطية وباعه بمئة ألف دينار. وبعد أن تحرر مأمون، أعطى انطاكية لابن اخته طنجيري وعاد الى بلاده، وأنجب ابنا سماه باسمه وصار فيما بعد حاكماً لانطاكية. وجمع سنجيل جيشاً، وبقتال مرير، انتزع طرابلس من المسلمين بعد أن انتزع القدس، وأعطاهم لأولاده وعاد الى بلاده مستصحباً الرمح الذي كان قد اكتشف في انطاكية. ولدى وصوله الى القسطنطينية علم الملك الكس في الأمر، فطلب الرمح ليتبرك به ويعيده اليه، ومن غباوته أرسله له، وفي تلك الليلة صنع آخر مشابها له وارسله الى سنجيل. اما هذا الرمح فهو الذي طعن فيه اليهود ايقونة في طبرية من قبيل الاستهزاء، فجرى منها دم وماء.

حدثت مجاعة في ملطية خلال السنوات الثلاث التي حاصرها طولشمان. فبيع مناً واحد من حنطة الوالي بدنيار .. سنة ١٤١٤ وقع خلاف بين المسيحيين في ملطية ونواحيها وحتى في القسطنطينية، حول مدخل الصوم الكبير، فصام الارمن ثمانية اسابيع واحتفلوا بالعيد في ١٣ نيسان، واحتفل به الخلقيدونيون في ٢٦ نيسان، ولما انتشر خبر ظهور النور في القدس في ١٣ نيسان، اخذ اليونان يجدفون على النور لان الحق ظهر لدى السريان والارمن.. في شباط، وفي الاسبوع الاول من الصوم سنة ١٤١٤ حدثت هزات ارضية في كافة البلدان، فنسب بعضهم حدوثها الى التشويش الذي حدث حول الصوم في العام المنصرم، واعتبروها علامة غضب .

فصل

في حصار ملطية الثاني، وما حدث من اضطراب في بعض مناطق دولة الاتراك في هذه الفترة، مثل مصر وسورية وارمينيا. وبعض شؤون كنسية

في الاسبوع الاول من الصوم الاربعيني سنة ١٤١٧ ظهر في المغرب مذب اتجاه ذيله نحو المشرق، واستمر من المساء حتى آخر الليل.

في هذا الزمان، استقر حكم الاتراك في خرسان، وكانوا سوية مع العرب في كل من آثور والجزيرة وبين النهرين، حيث كان العرب يحكمون بعض المناطق فيها، وكذلك في مصر. ولما حارب الاتراك بعضهم البعض في خرسان، ارتفعت منزلة العرب .. وفي سنة ١٤١٢ انطلق ابن مولعيب العربي من حمص واحتل اوفيميا. وفي السنة عينها، تولى الحكم في دمشق دوقاس العربي، وتولى حكم حلب رطون ابن ملك عربي. وفي سنة ١٤٠٢ سيطر عمر بن سالم العربي على سكره وحاربوا، فنشبت حرب بين العرب والأتراك. أما في قبادوقية وبيثونية الخاليتين من العرب، فكانت حرب الأتراك مع اليونان، أو مع بعضهم البعض. فقد حارب السلطان ميغوسلان ملطية، لكنه اضطر الى مغادرتها ليحتمي بلاده من الافرنج على أمل أن يعود ويحتلها، فجاء طونشمان واحتلها كما أسلفنا. ومن هنا بدأت العداوة بينهما وامتدت عبر أجيالهم.

بعد أن اطمأن السلطان ميغوسلان من ناحية الافرنج، وبعد وفاة طونشمان في سبسطية بعد حكمه لملطية مدة سنتين، جاء الى ملطية وكان

يحكمها اغوسين بن طونشمان، فهجم عليها في ٢٨ حزيران، فحمي وطيس معركة عنيفة، فأقام تلا على البرج المستدير في الناحية الشمالية والمتجهة نحو شرق المدينة. فلما أيقن سكانها من سقوطها، طلبوا تعهداً وسلموها، فتولى حكمها ميغرسلان دخلها في ٢ أيلول ١٤١٧. وفي هذه الأثناء نشب نزاع بين الأتراك والعرب في منطقة آثور. ذلك ان سلطان خرسان غياث الدين، أرسل ابا منصور جاولي لمجابهة الافرنج، ولدى بلوغه بغداد، وجه أنظاره نحو الموصل التي كان يحكمها آنذاك كرميش وأدخله الى الموصل مكبلاً، وبعد بضعة أيام توفي كرميش وتحرر جاولي، والب جيشاً في منطقة حابورا ليعود الى الموصل، وكان أهلها قد ولوا عليهم ابن كرميش، فخافوا من مواجهة جاولي. فأرسلوا وفداً الى ميغرسلان في ملطية عارضين عليه زيارتهم ليسلموه المدينة، فاجتاز الفرات. وخاف ولاة مدن بين النهرين، وكلهم أتراك ومن قبيلة ارتق، من مجيء السلطان، فحاولوا تأدية واجب الاحترام له. وهم: برشافك من حصن زياد، ابراهيم من آمد، وغازي من ماردين. فلما رآهم جاولي الحكم في رحبوت، غير أن السلطان توجه على رأس جيش جرار لمحاربته، فنشبت معركة على شاطئ نهر الخابور، فهزمت قوات السلطان بسبب نزاع خلقه الأعداء بين صفوفها، وظل هو يحارب وأبدي بطولة فائقة خلال هذه الحرب، وحاول اجتياز النهر فغرق ومات بسبب ما كان يحمله من حديد، فتولى جاولي الحكم في الموصل ونصيبين، وأذاق معارضية الأمرين وجمع أموالاً طائلة وعاد الى خرسان. فجاء غازي نجم الدين من ماردين واحتل مدينة نصيبين .

بعد احتلالهم لفلسطين وطردهم المصريين منها جاء الافرنج الى حبرون وبنوا كنيسة فخمة، وتراءى لبعض الذين يصومون ويصلون، ان المغارة التي كان ابراهيم قد ابتاعها تضم أضرحة لثلاثة من الآباء. فجملواها بأبنية مدهشة يعود سبب الخلاف الذي نشب في كنيستنا في هذه الأثناء، الى أن البطريك طلب من ابن الصابوني بعد رسامته اياه

مطراناً للرّها ومن الرهاويين، الأناجيل التي كانت من ممتلكات
البطيركية والتي كان عبدون المتمرّد قد تركها في الرها كرهينة مقابل
المال الذي أخذ من ليرشي الحكام في حينه. فلما طالبهم البطيرك بها،
وعد أبو غالب والرهاويون الذي حضروا الرسامة بارسالها إليه فور
عودتهم بعد أن يطلوها بالفضة والذهب، ووقع ابن الصابوني تعهداً بعدم
ممارسته رئاسته الكهنوت قبل ارساله الكتب غير أنه نقض تعهده بعد
رسامته بحجة ان زعماء الرها يمتنعون عن تسليمها. ومن هنا بدأ الخلف
فقد أوقف البطيرك ابن الصابوني وقال له في رسالة بما أنك كتبت
ووقعت بيك فأنت مفصول من قبل الله فلا يحق لك أن تخدم ولا أن تدعي
رئيس كهنة فدافع عن نفسه بقوله لايجوز منعي عن الخدمة لأن الكتب لم
تحجب برغبتني فانقسم الرهاويون قسمين الأول يحرض البطيرك ضد
المطران والثاني يحرض المطران ويشجعه على التمرد .

فصل

في اشتداد الضيق على ملطية بعد وفاة السلطان. وتفاقم قوة الأفرنج وأنقسامهم واضطرابهم. وقيام رئيس جديد للأتراك في خراسان ومجئيه الى الرها. وتدهور الأحوال البيعية

لقد توأقح (ابن الصابوني) فرسم كهنة وشمامسة في فترة ايقافه. الأمر الذي أغضب البطريرك فشدد في منعه، فتعكر بذلك صفوف الكنيسة، وانتشر الاضطراب في كافة الأبرشيات وبخاصة في الرها، وكان حاكمها الأفرنجي يساند المطران. فأوقدت عدة وفود من مؤمني المدينة والأفرنج الى البطريرك للعفو عنه، فلم يستجب، وأخيراً جاءه ديونيسيوس مطران ملطية يرافقه سبعون مؤمناً، وهو في دير مار برصوم، فسقطوا على وجوههم أمام رجليه قائلين: لن نرفع رؤوسنا عن الأرض ما لم تصل من أجل مطران الرها. ومع ذلك رفض. فاجتمع الأساقفة كلهم وقدموا اليه التماساً.

فأجابهم: احضروا جميعكم في نيسان وليحضر هو أيضاً معكم، وسيبحث موضوعه ويتم حله في المجمع، وهكذا صرفهم فارغين. ولم يعقد المجمع ولم يسامح ابن الصابوني، لابل عزل من رعية ملطية الشيخ ابن المعترف لمساندته لابن الصابوني. اما ديونيسيوس اسقف ملطية فخدم ١٢ سنة، وعلم ونظم وأدخل اليها تقاليد سليمة، وأغناها بالعلم الذي مازالت الأجيال ترتشف منه، ولما أبعد عنها البطريرك، التزم الصمت.

أما سبب عدم دعوته الى انعقاد المجمع فهو: بعد أن رفض البطريرك التماس الأساقفة وخرجوا يائسين، قرر ديونيسيوس أسقف

ملطية وايوانيس أسقف جيحون أن يبرء ابن الصابوني في حالة انعقاد المجمع، وفي حالة عدم انعقاده، فسوف يعتبر أنه محلولا وبريئاً. فسمع البطريرك واستشاط غضباً على الأساقفة ولم يعقد مجعماً، وانتزع ملطية من ابن المعترف مطران جوباس، ورسم اليشاع رئيس دير البارد أسقفاً وسماه ايوانيس. في تشرين الثاني سنة ١٤٢٥ طلب منه الحاكم مالا، فدفعت المدينة عنه مئتي دينار ذهب وقبلوه. ولكن سرعان ما جروه اذ اكتشفوا أنه شريب خمر.

عندما وافى نبأ وفاة السلطان ميغرسلان، عينوا في ملطية ابنه الصغير المدعو طوغرسلان، وعينوا وصياً له، رجلاً شيخاً يدعى فزميش الى جانب شخص آخر اسمه أصلان الذي تأمرت معه أم الصبي فقتل فزميس وتزوجها. وارتكب جرائم جسيمة بحق أبناء المدينة بما في ذلك جمعه الذهب بحجة استعداده لمقاومة الروم. فلما علمت الزوجة بذلك، انفقت مع ابنها وقبضت على اصلان وزج في السجن حتى ظن أنه قتل. وبعد سنة أخرجه وأرسلوه الى السلطان. وكان لميغرسلان ثلاثة أولاد كبار آخرين هم: عرب وشاهنشاه ومسعود، وقد قتل عرب من قبل الأمير غازي طونشمان، ونودي بشاهناه سلطاناً، فزج أخاه مسعود في السجن مكبلاً، وشخص الى الملك الكس في القسطنطينية، فتمرد عليه قائد جيشه فأطلق سراح مسعود، وأقاموا الأمير غازي بن طونشمان سلطاناً. ولدى مغادرة شاهنشاه القسطنطينية محملاً بالذهب، كمنوا له وقبضوا عليه وسلموا عينيه .

انتهز الافرنج فرصة محاربة الاتراك بعضهم بعضاً، فجاء بيموند واحتل ابلستين ومنطقة جيحون ثم خضعت له مقاطعة ملطية برمتها. وفي الرها احتشدت جموع كبيرة للتعبير عن فرحتها بالنصر. لكنهم تخاصموا حول تقسيم المناطق التي سيحتلونها، فانتهز الاتراك هذه الخلافات وتهيأوا لمحاربتهم. في حين شك الافرنج في بعضهم البعض بسبب تقسيم

المناطق. وادى وصولهم الى حران استقبلهم اهلها وسلموا اليهم المفاتيح، فلم يتسلمها بغدوني والي الرها ولئن كانت حران من حصته، خشية أن يدخلوها اولا فيدمروها، فتركوها ومضوا، فزاد خلافهم اكثر لعدم دخولهم حران. التي تركوا فيها عوائلهم. وعليه فقد هزموا امام الاتراك لدى مجابتهم اياهم، وقبض على بغدوني وجوسلين واقتيدا الى الموصل. وهرب طنجري الى الرها، وعين ريشارد رئيسا لها. جرت هذه الاحداث سنة ١٤١٤ على نهر البليخ الذي ينبع من فدان ارام ويصب في نهر الفرات عند الرقة. وقد اقيم هناك مسجد المسلمين دعي «بيت ابراهيم» .

اذاق ريشارد اهل الرها مر العذاب، ثم غادر الى انطاكية، ولم يحاول انقاذ جوسلين لما بينهما من نزاع. غير ان جماعة من تل بشر، اتفقوا مع الاتراك على فدية مالية، ودخلوا السجن كرهائن ريثما يذهب جوسلين ويعود بالفدية، غير انهم تقبوا البيت الذي كانوا مسجونين فيه وهربوا، وهكذا ذهب جوسلين دون فدية، فيما حدد مبلغ ٧٠ الف دينار لفدية بغدوني، فأخذ جوسلين ٣٠ الفا وذهب الى قلعة جعبر، وقدم نفسه رهينة عن الباقي واخرج بغدوني. فاستغرب حاكم الموصل لدى سماعه بتقديم جوسلين نفسه رهينة وعودته الى السجن، فطلب ان يراه، اذ لم يكن قد رآه من قبل لاسيما وقد سمع عن قوامه الفارع الجميل، فذهب جوسلين الى الموصل، فلما رآه الحاكم خصم عشرة الالف دينار من قيمة الفدية فانحنى جوسلين أمامه حتى الارض، ومن اجل هذا الانحناء خصم عشرة الاف أخرى، ثم تناولوا ما لذ وطاب. وفي الصباح خرج الحاكم وجيشه، وامر جوسلين ان يركب وانتزع منه السلاح، فلما رأى الحاكم والشعب جمال جوسلين وبأسه، اخذتهم الدهشة، فاعفاه عما تبقى من فدية بغدوني. فعاد فرحا. وبعد ان تحرر بغدوني من الاسر، ذهب للحج الى القدس، ولدى وصوله يوم اربعاء الشعانين سنة ١٤٢٨ وجد ملك القدس مشرفا على الموت على اثر سقوطه من الفرس، وكان قد عهد بخلافته لبغدوني ملك الرها هذا، وهو ابن اخته. واذ وصل دون ميعاد، تأكد الجميع من ان

اختياره هو من الله، ففرحوا به، ونُصب يوم الثلاثاء الآلام ٩ نيسان، فاعطى الرها لجوسلين الجبار .

لقد لاحظ بعض الارمن الدهاة، ان الاتراك يغزون مناطق الرها، وقد وصلوا الى السور، فاتفقوا معهم وأدخلوهم الى أحد الأبراج اعتقاداً منهم بأن الأتراك سيحتلون الرها لغياب رئيسها. لكن الله أحضر برحمته جوسلين في تلك اللحظات. فلما رأى الأتراك في البرج، دخله لوحده وقد ارتدى درعاً ووضع قلة خمر فوق القلنسوة ليحمي رأسه من الحجارة التي سيرميها بها الأتراك. وما أن صعد حتى قتل ٣٠ رجلاً بالسيف، والقي الآخرون بأنفسهم، وقطع سلالم الكتان بالسيف، فسقط الذين كانوا يصعدون بها وتحطموا. وهكذا أنقذ المدينة .. سنة ١٤٢١ خرج من خرسان قائد يدعى ماما داود على رأس مئة الف مقاتل، وحاصر الرها لعدة أشهر، فتصدى لهم الافرنج. فهربوا .

سنة ١٤١٩ شوهد بمنطقة جيحون، في منتصف الليل نور يشبه نور الشمس استغرق ثلاث ساعات. وفي الرابع من نيسان تلك السنة. غطى قرص الشمس ظلام دامس شبه رمل عكر، استغرق ١٢ يوماً. كانت عتمتها تشتد من ساعة الصباح الأولى حتى الساعة الثالثة، ثم تخف قليلاً فيظهر نور خروف خافت. من الساعة الثالثة حتى العاشرة، وفي الساعات الثلاث التالية، كان قرصه يتحول الى كتلة نارية فلا يضيء اطلاقاً. وفي ٢٥ أيار استغرق الظلام ثلاث ساعات .. وفي الفاتح من حزيران شوهد مذنب امتد ذيله كالرمح نحو الشرق واستمر ١٥ يوماً، وكان يتقدم نحو الأمام .. وفي أيلول تلك السنة، حدثت هزة أرضية عنيفة فتهدمت عدة مناطق .

فصل

في دمار مرعش بالزلازل، وبلق التركي. وظهور جماعة من الأرمن باسيل اللص وتادرس وليون وقسطنطي. وغيرها من الشؤون المدنية والكنسية

لقد تمادى ابن الصابوني في وقاحته، ضارباً قرار البطريرك بإيقافه عن الخدمة، عرض الحائط، حيث رسم كهنة وشمامسة، غير أن البطريرك أعاد رسامة جميع الذين رسمهم أبو غالب ابن الصابوني. ومايثير الدهشة، هو موقف الرهاويين العقلاء الذين اقتبلوا منه الرسامة بالرغم من معرفتهم بأنه محظور عليه ممارسة أية خدمة. فانهم رفضوه بمحض ارادتهم وطلبوا الى البطريرك اعادة رسامتهم، نابذين ومستهينين برسامتهم الأولى .. لقد أتى البطريرك اثناسيوس أمراً آخر يستثير الدهشة أيضاً. فقد وافته ذات يوم جماعة من الرها ممن رسمهم ابن الصابوني شمامسة ثم كهنة، فحلهم جميعاً وأعاد رسامتهم دون أن يتحقق عن الشماسية أو القسوسية. وبعد رسامتهم حدث لخط بين الحضور، ومناقشة حول رتبة الشماسية لدى هؤلاء، والى من ينبغي أن تتسبب رسامتهم شمامسة. فلما اعترفوا بأن ابن الصابوني رسمهم شمامسة، صار أمرهم موضع شك - هكذا ينبت النزاع والهوى الرديء ثماراً مليئة بالشكوك الأمر الذي دعا البطريرك الى أن يفرض عليهم، عدم ممارسة الكهنوت الا في نطاق ما هو من صلاحية الشمامسة .

نتحدث هنا عن الذين حكموا، في هذه الفترة، بعض المناطق المنكوبة مثل قيليقية وسورية. ان اليونان، لدى انزاعهم من العرب بعض المدن في قبادوقية وارمينيا وسورية، استقدموا حشداً كبيراً من أرمينيا

الكبرى، فاستوطنوا هذه المناطق، وازداد عددهم، فتسرب بعضهم الى القسطنطينية، ووصل البعض الآخر الى مصر. ولما نزع الأتراك من خراسان، وملأوا هذه المناطق، وضعف اليونان جداً وزالت سيطرتهم من سورية وقبادوقية وارمينيا: دخل بعض الأرمن الى مناطق مستعصية في جبال وعرة وتحصنوا فيها. وكان في جبال قيليقية هذه، ابناً قسطنطين بن رافان، وكان في الجبل المجاور لدير مار برصوم في كورة شمشاط، قسطنطين وتابدوج وخريسطفور أولاد سبل، وهم من السريان. فلما سيطر الأرمن في جرجر، امتزج بهم كل من قسطنطين وميخائيل وانيس في كل من جرجر وغوتي وبابيللا. وفي كيسوم ورعبان وجبال زوبار، كان يوجد كوجاباسي وغاباسيل، والمرأة نوغباكس، وهي مربية الطفل وليست أمه. وكان لهم مدبر يدعى كورتج، رجل شرير يكره السريان، وهو الذي ضغط على زوجة كوجاباسي واغتصب الدير الاحمر من السريان في كيسوم الذين سكنوه منذ اجيال، وطردوهم وأعطوا الدير للجاثليق غريغوريوس والرهبان الأرمن. كما طرد كورنج الرهبان من أديرة زوبار المعروفة ب « بيت القصب » وهي خمسة، وكانت تعج بالرهبان، وأخرج الآخرين من حصن عرنيش ووضع فيه حامية من الجيش، والزم الرهبان بدفع الفي دينار، وكان يعذبهم بلا رحمة حتى قضى على جميعهم، واحيلت الأديرة الى قرى .

ثم جاء الملك طنجري من انطاكية وحاصر كيسوم مدة سنتين ثم احتلها. وكان كورتج ينتقل بين الحصون، وله قلعة رومية لم يفلح الافرنج في احتلالها، فاحتالوا عليه وزوجوه امرأة افرنجية اسمها قلامري فقتلته بالسم .. كان بالق من الأرائقة الحاكمين في ما بين النهرين، فلما مات الأمير طفشك، احتل بالق حصن كولا الواقع الحاكمين في بين النهرين، فلما مات الأمير طفشك، احتل بالق حصن كولا الواقع على نهر ارسينوس، وانطلق من هناك وسيطر على عدد من المناطق، وانتصر في عدة حروب، واخضع تحت سلطته ملوك الافرنج زعماء اليونان، وعددا

من الأتراك، كما سنوضح فيما بعد، عندما نترج في سرد الأحداث سنة بعد سنة .

سنة ١٤٢٢ انتزع أريج أي مربي سلطان ملطية منطقة جيحون من الأفرنج. وفي سنة ١٤٢٤ تركت زوجة ميغرسلان ملطية وسلمت أولادها لأريج أي المربي، وذهبت الى بالق امير بابولا، لأنها سمعت السلطان يقول: لا يوجد بين امراء الأتراك في هذه المناطق، من يشبه بالق قوة وحكمة، لذا احبته وأخذت اسمه، فارتفع شأنه كثيراً .

صباح يوم الأحد ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٤٢٦، نظر ذلك الذي ينظر الى الأرض فترتعد فصار زلزال عنيف جدا، غارت على أثره مدينة مرعش، وانقلب عاليها سافلها وغدت قبراً لسكانها ومشهداً مرعباً لناظريها. وبتأثير هذا الزلزال سقطت كنيسة مار يوحنا في كيسوم، وكنيسة الأربعين شهيداً وأعيد بناؤهما بهمة مار ديونيسيوس اسقف المدينة، كما تهدمت شمشاط هي الأخرى في هذا الزلزال، وذهب ضحيته مع من ذهبوا، قسطنطين صاحب حصن جرجر. وتهدمت أجزاء بعض المدن والقرى الأخرى .. سنة ١٤٢٧ بعض زوبعة كثيفة مظلمة ودكت المبني والأشجار .. وحدث ودكت المباني الأشجار .. وحدث فيضان في الرها وهدم مدة مار أدى الرسول. وفي هذه الفترة، سحب ابن حالي عين الماء الى الرها .

قصة الفرير (الاخوة) الأفرنج

في مطلع حكم بغدوين الثاني، جاء من رومية شخص أفرنجي حاجاً الى القدس، وناذراً بأن لا يعود الا بعد ثلاث سنوات، يساعد خلالها

والفرسان الثلاثين الذين رافقوه: الملك في حروبه، ومن ثم يترهب في القدس ويمضي فيها طيلة حياته. ولما راهم: الملك يقاتلون بمهارة، ويمدون المدينة بالعون الفعلي والخدمة خلال السنوات الثلاث، أشار اليه أن ينخرط والذين معه في الجيش، ويترك فكرة الرهبنة وخلص نفسه فقط ويحموا البلاد من اللصوص. فوافق فاين وهذا اسمه واتفق معه الفرسان الثلاثون، فأعطاهم الملك قصر سليمان لسكناهم وقرى لمعيشتهم، كما أعطاهم البطريرك بعض القرى العائدة الى الكنيسة. ولقد حتموا على انفسهم أن يسلكوا بمقتضى قوانين رهبانية، فلا يتزوجون ولا يرتادون الحمامات ولا يقتنون شيئاً خاصاً، بل تكون أموالهم مشاعة للجميع. فازدهرت فيهم هذه السيرة، وطارت شهرتهم الى كل الأرجاء، وأخذ يقصدهم من كل حدب وصوب، ابناء الملوك والزعماء والعامّة لينتموا الى هذه الاخوة الروحية. واشترط على من يود الانتماء الى اخويتهم، أن يهب كل مقتنياته المنقولة وغير المنقولة الى خزانة العامة. فازداد عددهم وتوسعوا وامتلكوا عدة مقاطعات، ليس في فلسطين وحسب، بل في بلاد ايطاليا ورومية الشاسعة أيضاً. ووضعوا لهم القوانين وحددوا طريقتهم. فمن أراد أن يصير أخاً لهم، وضعوه تحت التجربة مدة سنة واحدة، يتلون عليه القوانين خلالها سبع مرات، ويقال له في كل مرة: انظر، لعلك تتدم ولا تستطيع حمل عبء هذه القوانين حتى النهاية، اعترف وعد الى بيتك. فاذا صمد حتى نهاية السنة وتعهّد بحمل النير، يتلون عليه الصلاة ويوشحونه باسكميهم. واذا مانكث أحد بعهده، يُقتل بالسيف دون شفاعاة أو رحمة .

ومن شروط مسلكهم، عدم اقتناء أي شيء خاص، مالا كان أم بيتاً أم غيرها من الأطيان. وعدم المغادرة دون اذن الرئيس، وعدم المبيت في غير دارهم الخاصة، وعدم الأكل من مائدة الآخرين. وعدم الامتناع عن الذهاب الى أي مكان يؤمر به، حتى لو كان الموت ينتظره، بل عليه تنفيذ المهمة بكل ايمان حتى الموت، وبحسب تعهده. واذا ماتوفي احدهم،

يقيمون اربعين قداساً لراحة نفسه ويطعمون المساكين مدة اربعين يوماً، اربعين شخصاً في كل يوم، ويقام له قداس أيدي في كنائسهم، ويُعتبر الذين يقتلون منهم في الحرب شهداء. ومن حاول أن يخفي شيئاً عن الجماعة أو وجد له شيء بعد موته لم يعطه للجماعة، لا يحتفلون بدفنه. أما زيهم فهو ثوب أبيض بسيط. ويحظر عليهم ارتداء أي شيء آخر. كما لا يجوز أن يبدلوا ثيابهم أو يحلوا احزمتهم أثناء النوم. أما طعامهم فهو كالوجه التالي :

يأكلون اللحم كل يوم أحد وثلاثاء وخميس، ويتناولون في بقية الأيام الحليب والبيض والجبن ويشربون الخمر يومياً مع الطعام فقط. يخدم الكهنة والشمامسة منهم الكنائس، ويمارس الفرسان والمشاة الأعمال العسكرية في الحرب. ويعمل كل صاحب حرفه بحرفته، وهكذا يفعل الفلاح، فإنه يزرع في القرى والمدن وحيثما وُجد لهم مركز، يكون له رئيس وكيل، فلا تمارس أية خدمة الا بأمره، كل في عمله. يقيم رئيسهم العام في القدس، وهو يرئس جميعهم ولا يقتني أي شيء خاص اطلاقاً. ويوزعون على المساكين عشر دخلهم من الحنطة والخمر وغيرها، ويوزع على الفقراء عشر الخبز الذي يخبز كل يوم وفي كل بيت. وكل مازاد من مائدة الأخوة يُعطى للفقراء. اضافة الى هذا فهم يوزعون على الفقراء طعاماً وشراباً مرتين في الأسبوع .

واقترنت مهمتهم في بادئ الأمر على حماية الحجاج في الطرق، لكنهم أخذوا فيما بعد يرافقون الملوك في حروبهم مع الأتراك. وازداد عددهم حتى بلغ مئة الف، واقتنوا حصوناً، وانشأوا قلاعاً حصينة في سائر المناطق التي يسيطر عليها المسيحيون. وازدادت أموالهم من ذهب وانواع الأطيان، واسلحة من كل صنف، وامتلكوا قطعاناً من الماشية والخنازير والجمال والخيول اكثر من كل الملوك، في حين انهم متقشفون لا يملكون شيئاً خاصاً. وهم في وفاق ومحبة مع كل الذين يسجدون

للصليب، وحيثما تواجدوا، وبخاصة في القدس، انشأوا مستشفيات
للمرضى، فصار بإمكان أي غريب يمرض، أن يجد مأوى ومن يخدمه
ويهتم به، فإذا شفي أعطوه نقودا وأرسلوه بسلام، وإذا مات اهتموا بدفنه .

فصل

في بدء حكم ايواني بن الكس ملك الروم. وازدياد الحرب بين الأتراك والافرنج في هذه الفترة. وسبي منطقة البيرا، خضوع القومنين لليونان. وبعض الشؤون العالمية والكنسية

في الساعة الثالثة من يوم الخميس الأول من كانون الثاني سنة ١٤٣١ حدث زلزال عنيف، دمر عدة مناطق.. حدثت في هذا الزمان مجاعة كبرى في القدس. وكان الفرير أو اخوة الله كما يسمونهم، يوزعون للفقراء كعادتهم دون تفتير. فلما شحت عندهم الغلال المخزونة، طلب الوكلاء الى الرؤساء والاداريين أن يدخلوا ويروا كيف فرغت المخازن، ولم يبق فيها سوى نزر يسير. فلما اطلعوا قالوا فيما بينهم: ان ما تبقى لا يكفي لنا حتى ولئن حجبنا حصة الفقراء، لذا يجب أن يوزع كالعادة ولا يحجب شيء عن الفقراء. فوافق الجميع على هذا الاقتراح ووزعوا على المساكين دون تفتير، لذا افتقدهم الله الذي أشبع الآلاف في البرية من أرغفة يسيرة، ففاضت مخازن الحنطة والشعير والخبز والحبوب، فأذيعت هذه المعجزة في كل مكان تمجيداً لاسم الله .

في مطلع كانون الثاني سنة ١٤٣١ شب حريق في القسطنطينية ودمر عشرة آلاف دار وحانوت.. وفي أيار تلك السنة غزا جراد طيار ملطية وأكل قسماً من الزروع، فرفعت دعوات متتالية مقرونة بالايمان، فتوقف عن ابادة الزروع، لابل باد وتلاشى. وبعد فترة ظهر جراد ناعم التهم جزءاً من الزروع ثم اختفى.. وفي السنة نفسها، غارت بغتة مدينة في فارس اسمها اردبيل، واستحالت بحيرة وغرق جميع سكانها.. وفي

سنة ١٤٣٢ مرّ شتاء قارص جداً استمر أربعين يوماً، وتجمد الفرات وغيره من الأنهار، وأمكن الاجتياز عليها كاليابسة.. وفي ٣٠ أيار من السنة نفسها شوهد قوس كامل الأمر الذي لم يحدث منذ أجيال عدة، ويعتقد بأنه أمر يفوق الطبيعة، أو خارج عن نطاقها، ذلك انه كان يرى في الليل كاملاً وليس، كما هي العادة، عندما تصير الشمس تحت الأرض أو وراء الجبال يُقال، أي عندما تميل نحو الشمال. انه لأمر يثير دهشة من يتأمله، لكنه ليس بعسير بالنسبة الى القادر على كل شيء الذي: يفعل مايشاء.

سنة ١٤٢٥ توفي طنجري صاحب انطاكية وخلفه ابن اخته دوليل. وفي ٢٥ ايلول من هذه السنة، قهر فورسك التركي.. وفي السنة ذاتها تمرد المسؤول عن حصن زياد التركي وغزا المنطقة وباع أهلها عبيداً، وسبى ابراهيم منطقة عرقاً، وعجت ملطية بالأسرى. غير أن حرارة ايمان المؤمنين دفعتهم الى اقتنائهم.. لما عادت الخاتون من لدن بالق، طردت اتيج، واقامت مع ابنها في القلعة متخذين اسم بالق، فانزعج التركي الذي كان في حصن زياد، فقايض به مع سلطان ملطية بأماكن اخرى مع كمية من المال. ولدى دخول رجال سلطان ملطية الحصن، فاجاهم ابن سلطان خرسان بجيش عرمرم، فسلموا له الحصن دون حرب، فساد السلام.

في ١٥ ايار سنة ١٤٢٩ غزا الأمير منجوج صاحب قامج منطقة ملطية، فأرسلت خاتون ملطية الى جوسلين حاكم الرها، ناشدة السلام والعون.. في آب تلك السنة توفي الكس ملك الروم، الرجل الحكيم الجبار الذي تمكن بحكمته من انقاذ مدينتهم من الافرنج ومن القومنيين والمصريين واللجنيين. فقد حارب جميعهم وحامى دولته التي ساسها بجدارة مدة ٢٩ سنة. فخلفه ابنه ايوني سنة ١٤٢٩ فتآمر عليه اخوه واخته وأمهم، فنفى اخاه واخته وادخل أمه الدير فاستقرت الأمور. وفي

أيار عام ١٤٣٠ غالب الأمير الأمير غازي بن طونشمان سبعة آلاف تركي غزا بهم منطقة انطاكية، فتصدى لهم راجيل صاحب انطاكية على رأس عدد كبير من المشاة، فكمن لهم الأتراك، ودخل الافرنج وسط الكمائن فأحاط بهم الأتراك قتلوا راجيل وعدداً كبيراً منهم، ومن ثم سبوا المنطقة بكل سهولة واحتلوا حصوناً منيعة وقتلوا عدداً من الرهبان في الجبل الأسود. وارتكبوا جرائم فظيعة خلال وجودهم هناك، حتى جاءهم بغدوين ملك القدس، فكمنوا له، غير انه استطاع أن يقهرهم، بالرغم من أن الكمائن دمرت الصفوف الخلفية من جيشه، ثم لحق بهم فدمرهم عن بكرة أبيهم وطارد غازي. فهرب قسم من الأتراك الى حلب، وبقي القسم الآخر مع غازي. حقاً لقد طالتهم في ذلك اليوم ضربة قاضية. اما الافرنج الذين نجوا، فأنقذوا ماكان الأتراك قد سبوا ودخلوا انطاكية مع الملك .

في تلك السنة، اخضع سلطان ملطية منطقة جيجون وابلستين، كما ضمت الى ملطية منطقة القطيعة.. وفي شباط تلك السنة غزا الافرنج منطقة ملطية في حين غزا الاتراك منطقة جرجر. وتصدى اليونان للأتراك على ساحل البحر مدة شهرين، ثم انصرفوا دون حرب.. لقد غزا سلطان ملطية وعامله بالق، منطقة قامج، فهرب صاحبها ابن منجوج الى طربيز نطون والتجأ الى اليونان برفقة جيرس. ثم تحالف بالق وسلطان ملطية مع غازي بن طونشمان وحاربوا اليونان وهزموهم، وقبض على جيرس وابن منجوج، وبيع جيرس بثلاثين الف دينار. أما ابن منجوج فأنقذه غازي لكونه صهره، الأمر الذي خلق جواً من العداة بين السلطان وبالق من جهة، وغازي من جهة أخرى .

في تلك السنة، خرج ايواني ملك اليونان وانتزع ثلاثة حصون من الأتراك، كما جمع غازي جيشاً ودخل منطقة الراعي وحرق الزروع، واذ لم يلق مقاومة، دخل منطقة انطاكية وتأهب وعاد الى بلاده. وسيطر بالق

على حصن زياد والمناطق المجاورة لملطية وفرض هيبته على جميع
الأمرء. غير أن الأرمن في جرجر كانوا يمارسون أعمال السطو في
منطقته، فوعد ميخائيل ملك حر حر أن يدفع له الف حمل حنطة سنوياً اذا
منع عنه اللصوص، كما أعطاه ثلاث قرى في منطقته، احرق لصوص
ميخائيل في تلك الليلة قريتين في هنزيط ونهبوا عدداً آخر من القرى
وقتلوا عدداً من الأتراك، ولم يلتزموا جانب الحذر، لاعتمادهم تعهد السلام
واستلامهم الحنطة. فلما علم بالقبض بما يجري غضب وأخذ يتحين الفرصة
ضد الأرمن حتى اصطادهم وساقهم الى الهلاك. فقد انتهز فرصة الشتاء
حيث غطت الثلوج الجبال، وكان أهل جرجر آمنين على انفسهم، فاجتاز
على الفرات المتجمد الى جوباس، وتظاهر لأهل جرجر انه يتوجه الى
الجبل الوعر المسمى «الشمع» وسير أمامه آلاف من الفرسان فتكسر الثلج
واجتازت قواته، ووصلوا في غضون يوم واحد الى دير مار برصوم.
وفي تلك الليلة عبوا جبل جرجر، وفي الصباح هاجموا المنطقة المنكوبة
وسلبوها. وكان ذلك يوم الاثنين الأول من كانون الثاني سنة ١٤٣٢، ولم
ينج شيء من يد الأتراك، فقد جمع (بالق) كل شيء في حي النسر والبهائم
وغادر، فخلت المنطقة. غير أن بالق عامل الشعب بالرحمة ولم يسمح
بابادة أحد، ولم يتخذهم عبيداً، لكنه حافظ على أموالهم ومقتنياتهم
وأعطاهم قرى واسكنهم منطقة هنزيط، واقسم عليهم بأن لا يعودوا الى
جرجر، وهدد الذين يهربون ويعودون الى جرجر، بجعلهم عبيداً في
الغزو التالي، والذي تم فعلاً في السنة التالية حيث جاء الى جرجر
وأحرق القرى والكروم والزيتون، وأسر كل من وجد هناك واتخذهم
عبيداً. ثم جاءه جوسلين فهرب الى الجبل، ولما لم يتمكن منه الا فرنج
عادوا ادراجهم وعاد هو الى منطقته .

سنة ١٤٣٣ ارسل سلطان خرسان قائداً على رأس مئة ألف،
ودخلوا ليبريا بقصد السيطرة عليها، لكن ملكها أغلق الأبواب من كل
جانب وقضى عليهم بحد السيف.. وفي تلك السنة غزا جوسلين منطقة

جوباس. وفيها أيضاً دمر ايواني ملك اليونان القومنين، ومنذ ذلك الحين خضعوا لليونان .

القومينيون

كتب باسيليوس اسقف الرها الذي كان حاضراً هناك عن القومنين فقال: لما جاء القومنيون الى القسطنطينية، تظاهر الملك ايواني بالتعهد معهم على السلام، فانتشروا في المدن بما فيها القسطنطينية. ثم اصدر أمراً بالقبض عليهم في أن واحد حيثما وجدوا. فقبضوا على ثلاثة آلاف في معسكر الملك بالذات، مخلاً الذين قبض عليهم هنا وهناك. وفي اليوم الذي قبض فيه عليه، ذهب الملك وقواته الى معسكرهم، لكنهم كانوا قد احاطوه بحواجز كعادتهم، فأخذوا يقاتلونهم، وانصرفت عدة أيام دون أن يتمكن الملك من اختراق الحواجز، فترجل وأمر الفرسان بالترجل والقتال، فحمي وطيس المعركة، وقفزوا فوق الحواجز وقضوا على معهم، وقبضوا على رؤسائهم وغيرهم، وساقوهم كعبيد الى القسطنطينية، فاستقرت أمور الملك بهذا النصر. أما القومينيون فهم جماعة من الأتراك، يتكلمون اللغة التركية، لكنهم: لا يعرفون أياً من الأنبياء. لاموسى ولا المسيح الرب ولا محمد، وحيثما توجهوا اصطحبوا معهم نساءهم وأطفالهم، وأحاطوا معسكرهم بحواجز خشبية شبه سور حيثما حطوا رجالهم. ارادوا السيطرة على القسطنطينية. فغادروا شواطئ نهر دنبيس وجاءوا اليها. فانتصر عليهم الملك واستعبدهم لليونان .

لقد تحول ابن الصابوني من سيء الى أسوأ، فشكا البطريرك القديس مار اثناسيوس الى بطريرك الافرنج في انطاكية، فغدت الكنيسة الاوثوذكسية موضع تعبير من قبل الآخرين. فاستدعى بطريرك الافرنج، مار اثناسيوس من دير أقشر في تلك المنطقة، فدخل انطاكية مرغماً. فأخذوه الى كنيسة مار بطرس الكبرى المسماة قسينا وطلبوا اليه أن يعفوا

عن ان الصابوني، فلم يفعل فاتخذ الافرنج هذا الموقف ذريعة ليوجهوا ضربة الى السريان والبطيريك. فلما اتوا بالبطيريك الى كنيستهم، احاطوه بالاحترام وقالوا: تطف وصل على هذا المطران من أجل الرها مدينتنا. فقال البطيريك: لقد تمادى في الذنب، فلم يفهم المترجم قوله، فقال: انه يطلب مالا. فقال الافرنج هذه هي سيموفنية وليست من روح بطرس، فلا يليق بالمسحيين من يعزلوا رئيس كهنة من رتبته من أجل المال. واذ لم يوجد من يتيقن الترجمة، اضاف الافرنجي قائلاً: ان كنتم تتعاملون بالمال بحسب قوانينكم، فاعتبر أنك أعطيت اليوم هذه الكنيسة عشرة آلاف دينار، وحررت من النفي هذا الذي التجأ اليها. واذ لم يستطع البطيريك الرد عليهم وعد بأن يصلي من أجل ابن الصابوني، فطلبوا اليه ان يمنحه حلاً تحريراً وقدموا له ورقة فتناولها وشرع يكتب، ونظر الى ابن الصابوني، وكان قريباً منه، وقال له: انظر يا ابا غالب الى أين أتيت بي. فلم يسكت الصفيق بل اجاب بوقاحة: اذا كنت أنا ابا غالب، فأنت أبو الفرج، فطار صواب البطيريك ورمى الورقة ومد رقبته وقال: اقطع رأسي فاني لا أحل هذا قط. فأمر الافرنج بضربهما. فقال أحد أساقفتهم الشيوخ لبطيريكهم، ولئن استهان هذا الشقيان، وهما يستحقان الضرب، ولكن ليس من اللياقة أن يستعمل الضرب داخل الكنيسة، فهذا غضبهم وأطلقوا البطيريك ومن معه، فخرجوا من الكنيسة الكبرى وجاءوا الى كنيسة والدة الله السريانية في انطاكية. ومنع الافرنج خروجه من المدينة حتى يعقدوا مجمعاً، فأرسلوا دعوة الى أساقفتهم. ومكث مار اثاسيوس في الكنيسة كئيباً مغموماً .

بعد خمسة أيام من وضعه في القلاية واغلاق الباب دونه، ودون أن يؤذن لأحد بالتحدث اليه، وقد عم الحزن جمهور الشعب والاكليروس: ذهب بعض الكهنة وأتوا بالفيلسوف عبد المسيح ابن أبي درة الرهاوي الخلقيدوني الذي كان يحب البطيريك ويثق بتقواه، فدخل الى البطيريك وتجادبا أطراف الحديث، ثم تقدم البطيريك من روكيل حاكم المدينة

يومذاك، وقدم له هدايا ثمينة واستحصل أمراً منه بمغادرة البطريك
المدينة الى دير ه. وقال روليل لبطريركهم: لاسلطة لك على السريان ...

فصل

في قبض بالقي على ملك القدس وجوسلين، والتمرد الذي جرى في حصن زياد، وموت بالقي، وشؤون أخرى عالمية وكنسية

في ١٨ كانون الأول سنة ١٤٣٣، اهتزت الأرض اربع مرات في الليل، واربعا في النهار، فتشقت الصخور في منطقة صمحا على شاطئ الفرات وغرقت عدة مناطق وغدت قبورا ساكنيها.. وسنة ١٤٣٤ شحت الأمطار في كل الأرجاء فحدثت مجاعة كبرى لا سيما في المشرق.. وفي السنة نفسها شب حريق في القسطنطينية راح ضحيته عدد كبير من البشر والبهائم، الى جانب الدور والكنائس والأديرة .

وفي عام ١٤٣٤ نشب عراق بين الطيور، حيث خاضت معركة في الفضاء، وكان هناك غالب ومغلوب. أما لماذا أو كيف جرى ذلك، فهذا ما لا يعرفه أحد سوى ذلك الذي يعرف كل شيء ويدرك كل حقيقة. وقد جرى القتال كالتالي: تجمعت اللقالق فجأة من كل حدب وصوب، كما تجمعت الكراكي وشكلت معسكرين فوق نهر تل كوم. واستمر الحشد لعدة أيام، ولوحظ ارسال وفود من معسكر الى آخر مدة ١٥ يوما، وفجأة بدأ الطرفان باطلاق اصواتهم عالية، وشرعت تصارع بعضها البعض فتتساقط على الأرض وتموت، فتجمعت على الأرض أكداس كثيرة من اللقالق والكراكي الميتة، واستمرت المعركة من الساعة الثالثة حتى التاسعة نهاراً، وأخيراً هزمت اللقالق فمات معظمها وهربت البقية فطاردها الكراكي حتى أعشاشها وقتلت صغارها .

سنة ١٤٣٤ دخل بالق منطقة انطاكية فتصدى له الافرنج. وتقابل المعسكران مدة اربعة اشهر، ثم انصرفوا دون قتال .. توفيت زوجة جوسلين فتوج من ابنة دركيل والي انطاكية، وفي طريقه الى الرها، كمن له بالق وقبض عليه وأرسله الى بولا، فاشتهر بالق بين الأتراك والتفت حوله جماهير غفيرة، فدخلوا ثانية منطقة الافرنج. ولما علم ميخائيل الأرمني الجرجري ان الاتراك سيطروا، أعطى جرجر للملك وأخذ لنفسه قطعة في منطقته، فوضع الملك حامية في جرجر وجمع قواته لكي يخرج الأتراك من حصن منصور وكيسوم. وفيما كان الافرنج معسكرين على نهر سنجا، باغتتهم كمائن بالق وضربت معسكرهم وقبضت على الملك وابادت من معه. كما قبض على جوسلين وجران فجر عيد الصليب، وقبض على الملك بغدوين يوم اربعاء البياض من السنة نفسها. فلما أسر ملك القدس ولم يبق فيها رئيس أو مدبر، فكر المصريون في احتلالها. فجاءوا اليها بجيشين، واحد عن طريق البحر، والآخر عن طريق البر، فكسر الله الذين جاءوا براً امام الذين كانوا يصومون ويصلون وبعد سبعة أيام من الصوم والصلاة، اندفعت من القدس حشود غفيرة، فانهزم المصريون امامهم، لكن الذي خذلهم هو الله وليس الناس. فغنموا جمالهم ومقتنياتهم وأدخلوها الى القدس بفرح عظيم، ثم استمروا مواظبين على الصوم والصلاة مدة ٢١ يوماً. أما جيش المصريين الآخر، فقد جاء على متن السفن في البحر، فقبضوا عليهم فور وصولهم، ذلك ان الله أعد شعب البندقيين الذين وصلوا تلك الأثناء للحج. فلما رأوا المصريين قادمين استعدوا للقتال. فأعطاهم اله النصر فأبادوا المصريين وأجهزوا عليهم، فتشجع أهل القدس وانضموا اليهم وغزوا صور.

بعد قبضه على الملك، غزا بالق حصن منصور فسلموها أياه سلماً، غير أن الأتراك سبوا الشعب وأحرقوا المدينة وضواحيها. غادر الافرنج جرجر فدخلها الأتراك، وسجن بالق الملك وجوسلين وبقية الافرنج في جب بحصن زياد، ونزل وانتزع حلب وحران وتل بشر من

العرب، وثلاثة حصون أخرى من المسلمين والافرنج، غير أن عصياناً أثير ضده في حصن زياد. فقد وجد في الحصن بعض الحرفيين من الأرمن متذمرين من قلة أجورهم. فانتهزوا فرصة خلو الحصن الا من نفر قليل، وهبوا بغتة وتناولوا السيوف الموجودة هناك وقتلوا حراس الباب الثلاثة، وأخرجوا الملك وجوسلين والآخرين، وقتلوا عدداً من المسلمين وسيطروا على الحصن. فتألب ضدهم سكان المدينة وثار بهم، فانتهز جوسلين الفرصة وغادر ليلاً برفقة شخص أرمني ليحشد جيشاً ويعود بحسب قسمة للملك، ويبقوا في الحصن في حالة سيطرتهم عليه، أو يصطحبوا الملك ويغادروه في حالة فشلهم. وبعد مغادرة جوسلين، عالج بالقي الأمر، فأقام أربعة منجنيقات، فسقطت الأسوار وخرج الافرنج. وبعد أن عذبوهم وقتلوا ٧٠ شخصاً منهم، اصطحب بالقي الملك وابن اخته جبران وعاد سريعاً، لأنه صمم على أن يسيطر على المعصرة. فلما حاصر منبج، أرسل أهلها الى جوسلين مناشدين اياه انقاذهم من بالقي وعارضين دفع الضريبة له مقابل ذلك. فجاء جوسلين واشتبك معه بمعركة استمرت من الصباح حتى المساء، قتل خلالها صاحب كيسوم المدعو بلدوين جافراً، وكان راهباً، غادر رومية الى القدس، وأبدى شجاعة قتالية نادرة فعين قائداً للجيش، واصطحبه الملك عندما جاء لحماية المنطقة، وأعطاه كيسوم ورعين ومرعش، وانتهى بمقتله في هذه المعركة. وفي صباح اليوم التالي جاء بالقي الى السور ليختار موقعاً للمنجنيق، فأصابه سهم من داخل السور وجندله فهرب جيشه الى حلب، وأقاموا ابن عمه قائداً لهم، وهو الذي حرر الملك مقابل مئة دينار، فعاد الملك بغدوين الى القدس، وعاد بعض الأتراك الى حصن زياد برئاسة سليمان زعيم قبيلة الاراتكة .

في ٢٦ نيسان عام ١٤٣١ توفي ديونيسيوس ابن المعترف وأودع كنيسة ملطية. خدم رئاسة الكهنوت ٥٠ سنة، منها ٣٢ سنة كأسقف و١٢ كمطران ملطية، و ٦ سنوات بعد أخذها منه .. لقد رفض البطريرك

اثناسيوس البقاء في منطقة الافرنج بعد أن ترك نطاكية غاضباً، ومضى الى مدينة آمد في مابين النهرين كانت ابرشية خاصة بالبطريركية، واستقر في دير قنقرت، وشدد الخناق على الرها بسبب ابن الصابوني، فأغلق كنيسة و منع قرع أجراسها، فازداد الاضطراب في كنيسة الرها، وتمرد الكهنة وخاصم بعضهم البعض، وترك الشعب كنيسة وارتاد كنائس ذوي المعتقد الآخر، ومنذئذ اعتاد الرهاويون تعמיד أولادهم في كنائس الافرنج. كل هذا لم يحرك مشاعر الرعاة. الحق يقال، ان أضراراً جسيمة لحقت بالكنيسة الارثوذكسية بسبب هذا الاضطراب بين الرعاة .

لما أطال مار اثناسيوس اقامته في آمد، برز له مشكل آخر نتيجة القساوة والتعنت ان نزاعاً كان قد نشب بين عائلة البطريرك المعروفة بآل كامرا وبين بعض الأعيان من عائلة قريا يسكنون بلدة قنقرت. فلما استقر البطريرك: في دير قنقرت، تنازع هؤلاء مع البطريرك حول الدور والحقول التي يمتلكونها في المنطقة، فوشوا بالبطريرك أمام الحاكم، فحرم بدور الشمس اسحق آل قريا، فاشتد النزاع وعم الاضطراب، ونحقت أضرار جسيمة في آمد وبقية أرجاء ابرشيته، واضربت أمور البطريرك نفسه، كما سنوضح لاحقاً.

فصل

(لقد أدرجنا هذا الفصل في نهاية هذا المقال، لأننا اقتبسناه من كتاب باللغة العربية، لذا وردت فيه أحداث جرت قبل هذا التاريخ، وذلك لسببين: الأول لأن المسلمين يعتمدون السنين القمرية. والثاني لأننا لم نعثر على الكتاب إلا بعد وقوع هذه الأحداث. فلينتبه القارئ الى بقية ما كتب عن نجم الدين الارتكي الذي حكم حلب قبل بالق المذكور أعلاه، لأن بالق حكم حلب بعد موت نجم الدين. ترجم «الفصل» عن كتب عربية في آثور وبابل)

في السنة ال ٥٠٠ للهجرة، وفي عهد المستظهر خليفة المسلمين في بغداد، وغيث الدين سلطان خراسان، قتل الاسماعيلون وزيره المدعو ابو المدفر، ما قتلوا في السنة نفسها كوسدكين أحد كبار رجال السلطان. فتحرك السلطان غياث الدين وقضى على جميع الاسماعيليين المتواحدين في بلاد المسلمين. والاسماعيليون ولئن يعتبرون عرباً، لكنهم قبيلة خاصة لا تنتمي لا الى العرب ولا الى الأتراك سواء من الناحية العقائدية أو التقاليد. ويقولون عن المسيح، ولئن كان هو نفسه الذي تتبأ عنه الأنبياء، غير أنه ليس المخلص، لذا عزم اليهود على قتله فهرب الى السماء، وهو عتيد أن يأتي وينجز الخلاص. ويذكرون محمداً بالسوء ولا يقبلون كتابه، ويقدمون ذواتهم للقتل دون شفقة في سبيل الانتقام ممن يحادونهم، على أمل نيل الخلاص في العالم الثاني. وفي تلك السنة ذاتها، احتل سيف الدولة صديق بن دوبيس ملك العرب، تكريت بحجة وجود شخص ديلمي ظالم شرير يدعى قباد بن رسب، هدم جامع المسلمين

الكبير المجاور للقلعة، فضج عليه المسلمون، فاغتصب كنيسة المسيحيين الكبرى وأعطاهما للمسلمين. ففي سنة ١٤٣ سنة ١٤٣١ اغتصب كنيسة تكريت الكبرى المعروفة بالخضراء بما فيها من مقتنيات ودور وحوانيت .

لما ازداد الخلف بين المسيحيين والمسلمين، وارسل السلطان غياث الدين أميراً يدعى اقسنقور، فحارب تكريت مدة سبعة أشهر، فاضطر صاحبها الى تسليمها لصديق ملك العرب ومغادرتها، ومات بعد ١٤ يوماً. ولما سمع السلطان غياث الين أن صديق بن دوبيس حكم تكريت وتمرد عليه، حشد جيشاً من الأتراك وجاء لمنزلته، فألب صديق جيشاً من العرب، فدارت معركة على شاطئ نهر قني، هُزم فيها العرب وقتل صديق ملكهم، وبذلك تكون دولة العرب قد انتهت عام ٥٠٠ للهجرة، وهو عام ١٤٣٣ اي. وبعد ثلاث سنوات من مغادرة الأتراك، وهي سنة ٥٠٢ هجرية، خرج أمير يدعى مودود بسماح من السلطان غياث الدين لمجابهة الافرنج، وأعطاه الموصل والجزيرة ونصيبين وأمر معظم الأمراء بمرافقته غير أن جاولي رفض تسليم الموصل، فسلط عليها المنجنوقات وحاربها بضراوة، ويوم الجمعة حين كان المسلمون يصلون، تسلق رجاله السور ليثيروا بلبلة، فتحصن جاولي ورجاله في القلعة، فأقسم لهم مودود. فخرج جاولي ورجاله وتوجه الى نجم الدين بن أرتك في ماردين. فجمعوا جيشاً لمحاربة الافرنج لكي ينالوا حضوه لدى السلطان الكبير، لأن مودود لم يجابه الافرنج بل عاد الى السلطان. وتحالف جوسلين حاكم الرها مع جاولي لأنه أكرمه في الموصل، وتحالف رضوان حاكم حلب مع ذلك الملك، فهزم جاولي وجوسلين .. سنة ٥٠٠ هجرية انتزع الافرنج طرابلس على ساحل البحر من أبي علي بن عمرام بعد معارك طاحنة، فدخلوها وقتلوا الجنود وسبوا الشعب وكافة المنطقة وباعوهم عبيداً .. وفي تلك السنة توفي البزميش بن أرتك على أثر ضربة حصان، فاستولى الافرنج على هوزرب وقتلوا فيها الفين وجاءوا الى منبج فاحتاوها وسلبوها، ووصلوا الى بالش وأحرقوها .

بعد عودة ابن رضوان من بغداد، رأى أنه عاجز عن مجابهة
الافرنج، فأرسل لهم ٣٢ ألف دينار و ٢٠ بغلا و ٤٠ ثوباً اطلس. وأرسل
لهم طغر لديبين اتيج صاحب دمشق عشرة آلاف دينار، وصاحب حماه،
ألفين وصاحب اشقلون، اربعة آلاف وعقدوا صلحاً .. وفي عام ٥٠٥
أرسل السلطان غياث الدين جيشاً مع مودود لمقاتلة الافرنج. فلما بلغوا
احتلوا عدة حصون، لكنهم فشلوا في احتلال الرها، فحاربوا تل بشر فلم
يفلحوا، فجاءوا الى حلب، فلم يؤذن لهم بالدخول.. مرض سومان صاحب
دلت فأخذوه (للعلاج) لكنه توفي في الطريق.. اشتبك مودود مع الافرنج
ثلاث مرات في يوم واحد، انتصر في المرة الأولى، لكنه هزم فيما بعد
وهرب الى دمشق وفيما كان يتنزه بعد صلاة الجمعة ماسكاً يد صاحبه،
باغته الاسماعيليون وضربوه بسكين فمات. وفي تلك السنة قتل رضوان
صاحب حلب، وتولى الحكم ابنه الأخرس. وسنة ٥٠٨ انطلق جيش
السلطان غياث الدين بقيادة ابنه ابي الفتح مسعود، وقاسم الدولة بن
اقسنقور لمحاربة الافرنج. ولدى وصولهم الى الموصل استقبلهم تمرغ بن
رسلان وزنكي بن اقسنقور. ثم جاءوا الى الجزيرة، وكان حاكمها قد
عينه مودود فسلمها لهم، وانضم اليهم أهل نصيبين. وفي ماردين رحب
نجم الدين غازي بابن السلطان. وأرسل معه أياز على رأس ٣٠٠ فارس،
وبعد أن اجتازوا نبختان، ارسل نجم الدين من يشجع الافرنج، فعلم
السلطان بذلك فقبض على ابن نجم الدين وكبله بالسلاسل وسبي بلده،
ونزل الى دارا، فانتقل نجم الدين الى شهرزور وحشد جمعاً غفيراً وجاء
الى ركن الدين ابن عم صاحب حصن كيفا وأخيه الآخر بالق برهم لينقذ
ابنه. فوصلوا الى قورديس بالقرب من دارا، ولم يعرفوا أن أحد جيوش
ابن السلطان موجود هنالك، فأوا جماعة من الفرسان بينهم تمرغ صاحب
سنجار وصاحب نصيبين وصاحب مكين، فقبضوا عليهم. فلم علم ابن
السلطان بهزيمة جيشه، ترك عدرا وهرب الى نصيبين، فاستولى نجم
الدين على الخيام وما فيها .

لقد انتهز ابن نجم الدين ارتباكهم، واذ خيم الظلام وليس من يهتم برفيقه، ألقى بنفسه من البغل وهو مكبل بالسلاسل واختفى في كنيس يهودي، فأخبر رجل كردي والده، فأرسل عشرة رجال ليحملوه، فكان فرح عظيم لبني أرتك. أما ابن السلطان فعاد الى والده وشكا اليه نجم الدين، فهدده السلطان لاستهانتته بسلطة الأتراك. أما نجم الدين فتحالف مع الافرنج ومع اتيج صاحب دمشق، وأقسموا على مساعدة بعضهم الآخر. ولما عاد كل الى بلده وبقي نجم الدين لوحده، جاء ايلاً صاحب حمص فوجده ثملاً لايعي نفسه، فحملوه الى حمص وأخبروا السلطان. واذ تأخر الجواب، أفرج عنه بكفالة، بعد أن ترك ابنه رهينة. لكنه جمع جيشاً وضغط على صاحب حمص ليطلق سراح ابنه، فطلب ذاك قوة من السلطان، فأنجده فعقدوا صلحاً وأطلق سراح نجم الدين، وغزت قوات السلطان أراضي الافرنج، فتصدوا لهم وأبادوهم، ويقال ان ثلاثة آلاف منهم أحرقوا بالنار. وفي عام ٥١٣ سلم صاحب حلب المدينة الى نجم الدين لأن الافرنج انهكوها. وفي السنة نفسها احتل الغازي نجم الدين نصيبين، ثم توجه الى حلب ليعقد صلحاً مع الافرنج، فلم يوافقوا. فجمع عدداً لا يحصى من الأتراك الموالين له وبينهم ألف أمير. فلما تجابه الطرفان، لم ينتظر صاحب انطاكية وصول الملك، لذا هزم وكان النصر لنجم الدين، ولدى عودته الى ماردين سمع أن أهل حلب قد تمردوا، فأسرع وقضى على المتمردين، وفي طريق عودته الى ميفرقات، توفي وأوصى أن يخلفه ابنه تامرطاش حسام الدين، لغياب ابنه عن ماردين اذ كان برفقته. فأتى بجيشه الى ميفرقات حيث دفنه، وتولى الحكم فيها، فيما تولى تامرطاش الحكم في ماردين سنة ٥١٦ سنة هجرية.

ملاحظة: يجب أن يتقدم هذا الفصل الفصول السابقة، لأن بالق تولى الحكم في حلب بعد نجم الدين .

انتهى المقال الخامس عشر الذي تناول أحداث فترة ٨٠ عاماً قام خلالها عشرة ملوك في مملكة الروم، وأربعة خلفاء عرب في بغداد، وثلاثة سلاطين أتراك في خراسان، وأربعة سلاطين في بيثونية، وأميران في قبادوقية وثلاثة ملوك أفرنج في القدس. المجد والاكرام لسيد الكل والعارف بكل شيء
الى أبد الأبدين أمين

المقال السادس عشر

يضاف هذا المقال الى النسيج ويبدأ بسنة ١٤٤٢ وهي السنة
١١١٢ لميلاد مخلصنا، والسنة ٥٠٩ لدولة العرب، والسنة
٧٠ للآتراك. وهي السنة ٦٦١٠ لآدم أي منذ بدء العالم

الفصل الأول

في حصار ملطية، وشؤون كنسية وعالمية أخرى

كانت أحوال الكنيسة في هذه الفترة التي نتحدث عنها مستقرة،
بسبب محاصرة اليونان الخلقيدونيين في بحر بنطس، وتولي الحكم أبناء
ماجوج بأمر من فوق (السماء) الأمر الذي شغلهم عن اضطهاد
الارثوذكسيين كما اعتادوا أن يفعلوا بغية افسادهم في هرطقتهم. وفي
الوقت الذي كانوا محاصرين في البحر كما قلنا، كانوا يرسلون أبناء
عقيدتهم في مناطق سورية ليهتموا بمن ينضم اليهم. وكان رعاتنا وكهنتنا
في منأى من الأذى لدى الافرنج أي الرومان الذين سيطروا على انطاكية
والقدس. وكان لهم كما أسلفنا، رؤساء كهنة في مناطق نفوذهم، لأن
الافرنج ولئن اتفقوا مع اليونان في عقيدة الطبيعتين، إلا أنهم يختلفون
عنهم في كثير من قضايا الايمان، وبعيدون عنهم جداً في التقليد، كما
سنوضح لاحقاً في المكان المناسب. وما نود الحديث عنه هنا هو: ان
الافرنج، لدى سيطرتهم على فلسطين وسورية، كان لهم رؤساء كهنة في
كنائسهم، غير أنهم لم يضغطوا، بسبب العقيدة، فعندهم ان كل من ابناء
المعتقدات الأخرى من المسيحيين الذين يتكلمون بلغات مختلفة. وعندهم

ان كل من يسجد للصليب هو مسيحي دون نقاش أو جدال. أما الأتراك الذين سيطروا على عدة بلدان، فلم يعرفوا شيئاً عن اسرار المسيحية، لابل ان المسيحية في نظرهم هي ضرب من الضلال. لكنهم لم يسنوا أي قانون يعاقب الذين يختلفون عنهم في الدين، ويخول اضطهاد أي شخص بسبب عقيدته، كما كان يفعل الشعب اليوناني الهرطوقي الشرير .

نتحدث في مطلع هذا المقال، عن حصار ملطية، لأن نسيج الاحداث في المقال السابق امتد الى فترة وفاة بالق الذي باسمه حافظ ابن السلطان على ملطية. في حين وزعت البلدان التي كان يسيطر عليها بالق على عدة أسياد، فأخذ تامرطش حسام الدين حلب. وأخذ سليمان حصن زياد. واخذ سلطان ملطية، مرا وجرجر. وبسبب ذلك نشب نزاع بين صاحب حصن زياد وصاحب ملطية، الأمر الذي مهد الطريق أمام الأمير غازي بن طونشمان صاحب سبسطية، للسيطرة على ملطية والتحالف مع صهره السلطان مسعود. فحشد جمعاً غفيراً وهجم على ملطية يوم الجمعة ١٣ حزيران سنة ١٤٣٦ وسلبوا المنطقة بأسرها وحاصروا المدينة مدة شهر، ثم عاد غازي وترك ابنه محمد والجيش في قرية بسامن القريبة من المدينة، وأوصاهم بضربها يوميا وبخاصة الأبواب، لئلا يدخل أحد منها أو يخرج، فتضايق السكان من ضراوة الجوع، وارتفع سعر كيل الحنطة الى ٣٦ ديناراً، وأخيراً نفذ الطعام كلياً، فصاروا يأكلون أوراق الأشجار وقشور الخشب الرطب، وحتى القلط والحمير كانت تؤكل حيثما توجد حية أو ميتة، وكان الدم يُشرب. وكانوا يمضغون الجلود غير المدبوغة وحتى جلود الدروع وغيرها. فقد ضربت المدينة المنكوبة بثلاث ضربات فمن الخارج، بالسيف الذي كان يجهز على كل من يهرب أو يخرج. والجوع الذي لا يطاق، ومن الداخل، الحكام الطغاة الذين كانوا يذيقونهم مر العذاب في السجون بغية جمع المال. والحق يقال: انه لمشهد مريع أن يرى الأطفال يموتون جوعاً أمام والديهم العاجزين عن اسعافهم وحتى عن البكاء عليهم ودفنهم. وكان الشيوخ والعجائز يرمون في الشوارع كما

تُرمى الحجارة، فسيموتون وقد ترهلت اجسادهم وانتفخت وبحثت اصواتهم، ولم يكن من يسعف حتى بكأس ماء. ترى من يستطيع أن يتحدث عما جرى آنذاك دون أن تخنقه العبرات ؟

لقد خرج حاكم المدينة ليلاً واستأجر الافرنج بثلاثين الفاً، وبعد أن تعهدوا له بالمجيء، تخلفوا متذرعين بانشغالهم في حصار حلب. وان اليزابيت الثانية والدة الحاكم، أُلقت في السجن جميع الأحرار وكل من يُعتقد بأنه صاحب مقتى، فكانوا يُعذبون بلا رحمة وسلب أموالهم، ثم قرر الحكام القضاء على كافة المسيحيين بحد السيف، وترك المدينة خالية لكي يهملها الأتراك. واذ لم يبق للمؤمنين أمل (في النجاة)، اشفق الله وابتسم لتلك القلة من المؤمنين .

ففي ليلة الأربعاء العاشر من كانون الأول سنة ١٤٣٦ دب الخوف بغتة بين صفوف الأتراك، فخرجت الخاتون وابنها وأتباعها الأتراك، ودخل الأمير غازي ورأى المدينة خالية من السكان باستثناء نفر ضئيل كانوا وكانهم خارجون من القبور، فشجعهم وأعلن الحرية للموجودين وللاذين سيعودون اليها، وأعطى الفلاحين حنطة ليزرعوها، جلب بقرأ وثيرانا وغنماً، فأخذت المدينة تنتعش، وفي تلك السنة توفي سليمان في ميفرقاط، فتولى الحكم فيها اخوه تامرطش حسام الدين صاحب ماردين، وحيث ان حصن زياد كان تحت امرة سليمان المعروف بشمس الدولة، حاول الأمير غازي السيطرة عليه، غير ان الأمير داود، وهو سلالة ارطوس، سبقه اليه، ما حدا الأمير غازي أن يسبي أهالي منطقة هنزيط ويأتي بهم الى منطقة ملطية، ثم كرر غزوه وسبى من كان موجوداً هناك، واحتل مسراً. فجاء داود لمحاربتة، ولما أدرك انه ليس بمقدوره مجابهته، هرب بعد أن أضرم النار في قرى منطقتة .

وفي تلك السنة عينها، توفي الخليفة المستظهر في بغداد، وخلفه ابنه المسترشد، كان امير عربي يدعى صديق قد تحالف مع الأراككة. فلما دخل الخليفة دار والده، طرد المطربين وحرق آلات الطرب أمام الباب، كما طرد ثلاثة آلاف امرأة غانيات، اعتدن على معاورة الخمرة مع والده. وقد أثار هذا الاجراء ضجة في صفوف المسلمين وقالوا: ان المؤتمنين على الايمان يمارسون الفسق سراً، وهذا سر ادالة دولة العرب ولكي يأخذ الأمير صديق بالتأثر، شن حرباً ضد الخليفة واتهمه بالفسق هو الآخر، في حين وقف الأتراك الى جانب الخليفة ضد دوبيس بن صديق، فغضب وترك المسلمين والتجأ الى الافرنج، وجاء بهم الى حلب ليحتلوها ويسلموها له. فحشد بورسوقي جيشاً لمجابهة الافرنج، فعاد الافرنج الى منطقتهم، فتشجع بورسوقي ودخل حلب اعتقاداً منه بأن الافرنج هزموا أمامه، وجاء ليحتل عزاز غير أن ملك القدس الب جيشاً من الافرنج وخاضوا حرباً مع بورسوقي فدمروا معظم قواته، في حين نجا وهرب الى حلب مع نفر يسير .

شوهد في هذه السنة كوكب هائل وطويل جداً امتد من الجنوب الى الشمال، عرضه بعرض رقبة الحصان. ودام مدة شهرين .. وفي سنة ١٤٣٥ شوهدت كواكب تتناثر، واستمرت من الهجمة الثالثة ليلاً حتى الصباح. في سنة ١٤٣٦ حدثت مجاعة كبرى في المشرق .

فصل

في انتزاع الأفرنج مدينة صور مع ساحل البحر من العرب المصريين. وبقية الأحداث التي جرت في العالم في هذه الفترة

لئن لم تسنح فرصة لليونان الأشرار ليقعوا بالأرثوذكسيين كما كانوا يفعلون سابقاً، غير أنهم لم يكتفوا عن خبثهم. فقد كان بطاركتهم في البلدان الإسلامية يحركون ضد السريان والأقباط والأرمن كالحية التي رضُّ رأسها فحركت ذنبها فقد اعتادوا في كل من سورية وفلسطين وارمينيا ومصر، أن يحرصوا، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ضد بطاركة وأساقفة شعوبنا الثلاثة أي نحن السريان وأخوتنا الأقباط والأرمن، وحتى ضد النوبيين والأحباش إذا سنحت لهم الفرصة. كما حارب النساطرة في فارس وآثور الأرثوذكس. وفي انطاكية والقدس، كان اليونان عشاق الشر، يحرصون رؤساء كهنة الأفرنج ضد جميع الأرثوذكس على حد سواء. أما في منطقة نفوذ الأتراك، فإن الكنيسة كانت مرتاحة نوعاً ما من أذى الخلفيونيين، رغم حدوث بعض الشيء من هذا القبيل. غير أن الإيمان ضعف في الكنيسة بسبب نزاع البطريرك مع ابن الصابوني وثلاثة من الأساقفة الشيوخ، منهم ابن المعترف الذي أبعدته عن ملطية، وأسقف قليسورا وأسقف طور عبيدين، حيث أنه أوقفهم عن الخدمة، لاسبب الهرطقة أو تعدي الشريعة، بل لأنهم استهانوا به. ورفض كل الالتماسات التي قدمت لأجلهم وماتوا دون أن يعيدهم إلى الخدمة.

بعد انتصارهم على المصريين، جاء البندقيون برئاسة دوكس إلى عكا عن طريق البحر، وحاصروا صور الواقعة في قلب البحر وحاربوها بتحريض من بطريرك الأفرنج في القدس. وفي هذه الأثناء نجا بخديون

الملك من يد الأتراك بفدية مقدارها مئة ألف دينار .. وفي سنة ١٤٣٧ عينها، قتل الافرنج صاحب حماه في كفر طاب، وانتزعوا جبله من ابن عمار .. وجاء ملك القدس لنجدة البندقيين ضد صور، فسلم المصريون صور الى طنغديين صاحب دمشق، فجاء لمحاربة الافرنج، والتقوا في مرج صفر أي مرج النحاس، فدحروه ودمروا جيشه فهرب الى دمشق باليسير الذي تبقى معه، ووجهوا أنظارهم نحو صور وحاصروها وحاربوا براً وبحراً وبكل صنوف الأسلحة واحتلوها في تلك السنة. وفي السنة نفسها، قادم بورسوقي الافرنج للمرة الثانية فاندحر وهرب، ثم أعاد الكرة للمرة الثالثة فجاءه بخدوين ملك الرها فدمر ١٢ ألفاً بأزر من الله .

بعد ان احتل الأمير غازي ملطية، حشد الملك عرب ثلاثين ألفاً، وجاء ليحارب أخاه مسعود لامتناعه عن مساعدة اخيه في ملطية، فتركها لغازي وهرب الى القسطنطينية والتجأ الى ايواني ملك الروم. فاتجه الملك عرب الى ايقونيون عاصمة أخيه السلطان مسعود. اما ايواني فرحب بمسعود بحرارة ونفحه بالمال، فغادر وجاء الى الأمير غازي وقاتل كلاهما الملك عرب الذي التجأ الى اروس الارمني في قيليقية. وفي صيف عام ١٤٣٨ نصب عرب كميناً من الأتراك والأرمن وقبض على محمد بن غازي، فجاء الأمير يونس لمجابهة عرب فهزم وقبض عليه. ثم جابه غازي فهزمه فبادى الأمر، الا انه صعد الى رابية ونصب فوقها خيمته وأمر بنفخ ابواق النصر ليوهم بهزيمة عرب. فلما اطلقت الأبواق وشاهد الجنود خيمته التّم شمل قواته، وعندما حل الظلام، تبدت قوات عرب، فطاردهم غازي واستولى على خيامهم وخيولهم، ووصل الى قومنا وانقورا وحاربهما بضراوة واحتلها وحرر ابنه محمد المعتقل هناك. غير ان عرب استطاع أن يحشد جيشاً ويستحل عدة مناطق. ووجد في أحد الحصون التي احتلها، واحداً من اولاد غازي يدعى يغين فقتله، فثارت ثائرة غازي فتوجه بجيشه لمجابهة عرب، فهزم عرب

والتجأ الى اليونان .. جرت هذه الأحداث بين الأتراك لحقد بعضهم على البعض. وكثيراً ماكانوا يلتجأون الى المسيحيين .

سنة ١٤٣٨ نفسها جاء موند بن مامن رومية وتولى الحكم في انطاكية. وكان والده الذي يحمل نفس الاسم، من أوائل الذين تولوا الحكم في هذه البلاد. واذ كان موند متعجرفاً، حاول السيطرة على الافرنج كافة، فسبب انقساماً وحروباً بينهم، فانتهز جوسلين الفرصة وسلب كل ماوجده في منطقة انطاكية باستثناء الناس، الأمر الذي اغضب بطريركهم، فأغلق الكنائس وأبطل القرابين والصلوات وقرع الأجراس، وأمر بعدم دفن الموتى. فاضربت الأمور فاضطروا الى المصالحة فأعاد جوسلين ماكان قدسليه .. وفي عام ١٤٣٩ تصدى الأتراك للافرنج في صحراء حلب استعداداً للقتال. لكنهم تراجعوا وتعهدوا بدفع ١٢ ألف دينار سنوياً لجوسلين، وعقدوا صلحاً. ثم غرر الأتراك في البعض في عزاز، فسقوا السم لجوسلين وستة من فرسانه، فمات الفرسان وأنقذ الأطباء والعناية حياة جوسلين، فقتل الذين دسوا له السم مع أولادهم .. في السنة نفسها دخل ايواني ملك اليونان اراضي الهنكاريين واخضعهم .. وفيها هجم السلطان سليمان، الذي حكم حيناً ملطية، ونهب بعض ضواحي المنطقة وعاد ثم يظهر .

وفي آب سبى الأتراك اللئماء منطقة ملطية فلحق بهم داودمن حصن زياد ووجه اليهم ضربة وأعاد السبايا .. وفي السنة عينها مات السلطان الأعظم غياث الدين الذي تميز بالجمال والعدالة والانتصارات، وساد السلام في عهده. فخلفه أخوه سنجر بن ملكشاه وابنه محمود .. وفي سنة ١٤٤٠ دخل جوسلين منطقة آمد، وأباد الأتراك والأكراد في جبل شوما، نهب القرى حتى بوابة المدينة. ولما دخل الأتراك منطقة الرها بصحبة جوسلين، دخلت قواته الى آمد. وكان آنذاك في حوزة حسام الدين صاحب ماردين، فارسان افرنجيان شهيران، أحدهما يدعى ابن

نول والآخر جارات ولم يشأ أن يقتلها، غير أن برسوق هددته بتخريب بلاده ان لم يقتلها، فقتلها. ثم ورد نبأ مفاده ان اسماعيلياً ضرب برسوق بسكين وهو يصلي يوم الجمعة في المسجد، فلم تخترقه لأنه كان لابساً درعاً. فلما قبض على الاسماعيلي، اشار الى زميلين له أن يطعنا برسوق من تحت فطعناه في نهاية بطنه فمات. فندم حسام الدين علة قتله الفارسين الافرنجيين .

كان شتاء عام ١٤٣٨ قاسياً جداً، فنفتت البهائم والحيوانات، وحدثت بعض هزات أرضية في شباط. وفي تشرين الثاني عام ١٤٣٩ حدثت هزتان في النهار وأخريان في الليل، وظلت الأرض تتمايل أربعين يوماً وليلة. وشوهد كوكب منير في الساعة الثامنة من النهار ثم صار كالدخان وسقط .. وخلال كانون الثاني واذار ونيسان سنة ١٤٤٠ ظهر في الجهة الشمالية ما يشبه النار على هيئة اعمدة ينبعث منها النور باتجاه الجنوب.

فصل

في مصرع موند صاحب انطاكية. ووفاة اثناسيوس بطريك
انطاكية. وسائر الشؤون الأخرى العالمية والكنسية

لقد حضر الحاكم على البطريرك مغادرة آمد، لايقافه اسحق بن
قريا عن الخدمة وعدم اكترائه بالتماس العفو له عدة مرات، وقد حضر
شخصياً الى دير قنقرت طالباً العفو لاسحق فلم يذعن، غير أنه أظفأ
غضب الأمير بالذهب. وان الشماس اسحق هو الذي أشار على الحاكم
ليمنع البطريرك من مغادرة آمد، قائلاً له: انه رجل شيخ لن يطول به
الأرجل، وبامكانه حينذاك الاستحواذ على جميع ممتلكاته. لكن البطريرك
شعر وهو في آمد، كأنه في سجن، لذا سأل جوسلين صاحب الرها ان
يطلب له الاذن من حاكم آمد بمغادرتها. فهدد جوسلين بدمار المدينة ان
لم يدع البطريرك ان يغادرها، فأذن له بمغادرتها مرغماً. فتوجه للسلام
على جوسلين، ومن ثم شخص الى دير مار برصوم. وفيما كان يقدم
الذبيحة الالهية يوم عيد العنصرة، ولدى تلاوته صلاة «دعوة الروح
القدس» بدا عليه الضيق وتغير لون وجهه وطار صوابه، فاجلسوه على
الكرسي، واكمل مطران جرجر القداس، ثم عادت اليه عافيته، فرسم
مطراناً لسجستان. وبعد مرض دام سبعة أيام وافاه الأجل فتوفي في
الساعة الثالثة من يوم السبت ٨ حزيران سنة ١٤٤٠ وادع جثمانه مدفن
الدير .

على أثر وفاة طنجد بين حاكم دمشق وخلفه ابنه تاج الملوك أباه،
غزا الافرنج دمشق سنة ١٤٤١. فحذر حاكمها أهل قلسويا من تقديم
القوت للافرنج، وكانوا قد ارسلوا الفأ من المشاة مع خيول لجلب حاجتهم

من المؤونة، فكمن لهم الأتراك في الطريق وبادوهم. فاضطروا أن يتقاضوا من صاحب دمشق عشرين الف دينار، ويعقدوا صلحاً معه ويعودوا الى بلادهم، شريطة أن يقدم لهم هذه الضريبة سنوياً .. وفي تلك السنة توفي طوروس الأرمني حاكم قيليقية فخلفه أخوه لبون فتنازع معه بوهيموند حاكم انطاكية .. بعد أن انتصر الأمير غازي على الأتراك في قبادوقية وانفرد بالحكم، ذهب الى منطقة ساحل البحر التي كان يحكمها شخص يوناني يدعى قسينوس، فخرج طوعاً للالتقاء بغازي وسلم اليه كافة حصون ساحل بحر بنطس، فأعطاه منطقة في بلاده وضمه الى جيشه.

واذ قويت شوكة الأمير غازي وسمع بموت طوروس، أرسل جيشه لمهاجمة قيليقية، فوصلت في الوقت ذاته وصل الأتراك من جهة، والافرنج من جهة أخرى دون أن يدري الواحد بالآخر، فاستهدف الأتراك والافرنج الأرمن، كل من جهته فلما وصل الأتراك الى منطقة عين زربا، ولم يكن مع كيموند سوى عدد قليل من الفرسان، بدأوا المعركة. وبعد سقوط عدد من القتلى بدا التعب على الافرنج. فصعدوا الى رابية، فأحاط بهم الأتراك من جميع الجهات وقضوا على جميعهم بما فيهم كيموند، ولما تعرفوا عليه، قطعوا رأسه وأخذوه مع سلاح الافرنج وعادوا. لقد سيطر لبون على قليسوريا وأباد عدداً من الافرنج. ثم أخذوا رأس كيموند الى الأمير غازي فسلخه وأرسله مع مختلف الأسلحة والخيول الى الخليفة في بغداد، فأكرمه الخليفة كثيراً .

في تلك السنة، أعطى سلطان خرسان الموصل لابنه برسوقي، نظراً الى حنكته وعلمه كما قيل. وكانت له خبرة في النسيج والبناء، وكان مقاتلاً شجاعاً وجباراً ذا بأس، لكنه لم ينجح، لان النصر يأتي من فوق، ولم يدم حكمه أكثر من ثلاثة أشهر، حيث أدركه الأجل وهو في رحبوت، ويُعتقد انه اغتيل بالسم. ثم جاء مسعود بن اقسنقور الى رحبوت

وأثار حرباً ضدها، وتوفي مسموماً .. احتل جوسلين رأس العين، وأباد
عدداً كبيراً من المسلمين، كما غرق بعضهم، وسبى ماتبقى من الرجال
والنساء .

سنة ١٤٤١ ولد أربعة توائم، وبعد عشرة أيام ماتوا فجأة وبنفس
اللحظة واليوم .

فصل

في مغادرة زنكي بغداد وتوليته الحكم في الموصل، وتولي
جوسلين الحكم في انطاكية. وتنصيب البطريرك يوحنا

في تشرين الثاني من سنة ١٤٤٢ شوهدت في الجهة الشمالية كتل
نارية ملتهبة وكأنها جبال، ثم تحولت الى هيئة أعمدة. وفي الوقت نفسه،
سقط كوكب هائل رهيب وأثار ضجيجاً كأنه زلزال .

بعد وفاة مسعود بن برسوقي، عُين الوالي الموجود هناك ويدعى
جاولي وهو من ضباط السلطان الأعظم، فنهب معظم أموال خزينة حاكم
الموصل وأنفذ رسالة الى السلطان بواسطة القاضي بهاء الدين الشهرزوري
الذي رافقه الأمير صلاح الدين محمود بن أيوب: قال فيها، الأفضل أن
أبقى هنا باعتباري مواليا لك. فلما وصلا الى بغداد وقبل مثولهما أمام
السلطان، التقى بهما شخص بارز يدعى نصير الدين جور بن يعقوب من
ابناء جلدة صلاح الدين، فلما أطاعاه على مهمتهما، اشار عليهما أن يطلبوا
زنكي عمر الدين اتيح لأنه قريب السلطان ومقرب اليه، وهو معروف
وجدير بالحكم، فأخذا برأيهما فاجتمعا بزنكي، فاقسم لهما بأنه سينفذ كل
رغباتهما. فطلب القاضي أن يبقى القضاء في الموصل له ولنسله طيلة
حكم آل اتيح، وان يكون قضاة جميع المناطق التي ستكون تحت امرته،
خاضعين له. فأقسم له بذلك معززا قسمه خطياً. أما صلاح الدين فطلب
أن يكون حاجبه لخاص، وطلب أن يكون نصير والياً في الموصل وتسري
أوامره على الولاية برمتها. وبعد أن ثقلوا حاشية السلطان بالهدايا، مثلوا
أمامه. وأعطى زنكي الرئاسة من قبل السلطان والخليفة، ثم غادر بغداد
تحميه ثلة من الجند. ولدى اقترابه من الموصل سبقه القاضي بهاء الدين

والأمير صلاح الدين وقالوا لجاولي: حيث اننا لم نفلح في توليتك على هذه المناطق، لذا حصلنا على أمر بتعيينك والياً على هذه القلعة وستسري سلطتك على كافة المناطق، لذا حصلنا على كافة المناطق، وقد أمر السلطان بأن يكون زنكي اتيح أبناً قائداً لجيشك. فرضي، ففتحت أبواب المدينة والقلعة أمام زنكي، فدخل الموصل وتولى الحكم فيها سنة ١٤٤٢، ثم صعد واستحل الجزيرة، وهكذا أخذت سلطته بالتوسع شيئاً فشيئاً كما هو مدون بحسب التسلسل الزمني. ولقد نفذ عهده كاملاً لكل من بهاء الدين وصلاح الدين ونصير الدين وزين الدين .

في تلك السنة وصل الملك من القدس الى انطاكية بعد مقتل صاحبها بيموند، كما وصل جوسلين من الرها، وذلك لكي يسيطروا على انطاكية. فأغلق أهلها الأبواب، وتركوهما خارجاً. وبعد أخذ ورد استغرق عدة أيام، وافقوا على أن تكون المدينة تحت حماية جوسلين ريثما يتزوج ابنة بوهيموند، فيتولى زوجها رئاسة المدينة. وفيما كان الافرنج محيطين بانطاكية، جاء زنكي صاحب الموصل وسبى منطقتي تل بشر وانطاكية، وضرب الأتراك وقتل من استطاع أن يدركهم، ودخل منطقتهم وأباد الكثيرين واحتل حصنين.. وفي السنة نفسها خرج ايواني ملك اليونان لمحاربة الأتراك، وبنى مدينة على ساحل البحر. وفيما كان يستعد لمجابهة الأتراك، تأمر عليه أخوه وبعض الزعماء، فاكتشفهم وأمر بالقبض عليهم، فهرب أخوه الى الأمير غازي فرحب به وأكرمه كثيراً، وارسله الى جبراس في طربزنتا. وعاد الملك الى القسطنطينية ونفى المتآمرين عليه.. هجم الأمير غازي على سيمندو التي كانت تحت امره اخته وانتزعا منها، ثم توجه الى قيليقية لمقاتلة لبون الأرمني فاحتل حصنين. وتنازل لبون واقسم بأنه لن يدخل مناطق غازي أو يرسل اليها لصوصاً، وانه سيدفع له ضريبة سنوية، فوثق به وتركه وشأنه. غير أن لبون نكث بقسمه ولم يدفع شيئاً. فجاء الأمير غازي الى ملطية وزاره صهره السلطان مسعود واسحاق شفيق ملك اليونان الذي عاد من لندن

جيراس. وأمضوا الشتاء هناك. ثم ذهب اسحق عند لبون، فزوج لبون ابنته من ابن شقيق الملك وأعطاه مدينتي المصيصة وأدنه. ولكن شجاراً نشب بينهما فيما بعد، وأخذ لبون من اليونان كل ما كان لهم، وهرب اسحق وابنه لدى السلطان مسعود .

توفي مقاريوس بابا الاسكندرية في نفس السنة التي توفي البطريرك اثناسيوس. وعندما نعي البطريرك للرها، اجتمع الاكليروس لتجنيزه بحسب المألوف. وفيما كان ابن الصابوني متشركاً في الصلاة، سقط وطار صوابه فأخذه الى قلايته حتى عاد اليه صوابه. وفيما كان المجمع ملتئماً في كيسوم، وصل الى الرها وتوفي دون ان يعاد الى الخدمة. رأس المجمع حينذاك ديونيسيوس اسقف كيسوم. ولدى الاقتراع وقعت القرعة على يوحنا المعترف رئيس دير الدوابير في كورة انطاكية. وذهب اسقفان لاحضار المنتخب، وفي هذه الاثناء توفي ديونيسيوس أسقف كيسوم، فترأس المجمع المفريان ديونيسيوس الشيخ، وشخص الأساقفة والمفريان الى تل بشر بمساعدة جوسلين الذي تكفلهم، وتمت رسامة البطريرك يوحنا رئيس الدير يوم الاثنين من الأسبوع الثاني الكبير ١٧ شباط. ووضع عليه اليد المفريان ديونيسيوس في كنيسة الافرنج الكبرى بحضور جوسلين وكبار رجاله. وبتوسط جوسلين أصدر البطريرك والمجمع حلاً لابن الصابوني واسقف سجستان الذي كان البطريرك قد انزل به الحرم لتركه ابرشيته، وقرر في حينه أن لايقبل في الكنيسة وبعد حله أعطي كرسي سيمندو الشاغر، وبعد فترة وجيزة طرد من هناك. وظل دون ابرشية طيلة حياة مار يوحنا. ولكن بعد وفاة البطريرك، اشفقوا عليه وأعطوه ابرشية ارشميشاط وصمحا، وذلك خلال رسامة البطريرك خليفة مار يوحنا، ولكن سرعان ما نبذ من هناك أيضاً فأخذ يتجول من مكان الى آخر حتى وصل الى القدس، ولم يمكث في ديرنا سوى فترة قصيرة حيث لحق بالافرنج المعروفين ب «الفرير» وأخيراً سقط في التور ومات حرقاً، فصار عبرة للذين يستهينون بقوانين

الكنيسة المقدسة، والذين يتواقحون في حالة حرمهم. وكان البطريرك قد قال له: اذا تركت ابرشية سجستان، فلن تستحق الدفن .

فصل

في وفاة جوسلين الأول وقيام ابنه جوسلين. ومختلف الأحداث التي جرت في هذه الفترة الكنسية وبين الملوك

سنة ١٤٤٣ شوهد قوس قزح ليلاً. وفي السنة نفسها تكالبت الكلاب في عدة بلدان وألحقت أضراراً بالناس والبهائم يقول المنجمون ان تكالبها يزداد حين مشاهدتها ظل الكوكب المعروف بـ «كلب الجبار» (الجوزاء) ويقول الأطباء، ان ما يسبب هذا المرض نبات يسمى «مُر الصحاري»...

سنة ١٤٤٤ حدثت هزة أرضية ليلة ٣ شباط. وفي ٢ آب حدثت كسوف وفي أيلول حدثت هزة أرضية في النهار وقرعة في المساء، وظهرت علامة رهيبة شبه النار. وبعد سنتين من هذه الأحداث شحت الأمطار وتفشيت المجاعة في عدة أقطار لاسيما في جزيرة قبرص. وبسبب الجوع سُمح للمسيحيين أن يأكلوا في الصوم الكبير .. في فترة كسوف الشمس قتل أربعون فارساً من الفريير مع أربعمئة تاجر فارسي من المسيحيين، يوم عيد مار ثاودورس فتجمدوا بالثلج وماتوا .

توجه جوسلين الى حصن يقع بين حلب ومنبج، يسكنه بعض المسلمين يمارسون أعمال اللصوصية، وفيما هم يحفرون تحته، دخل جوسلين ليشاهد عملية الحفر فسقطت عليه الأنقاض وطمرته، فأخرجوه حياً وأخذوه الى تل بشر. فيما هو هناك، جمع الأمير غازي الأتراك الى منطقته، فحشد هو الآخر الافرنج، فحملوه على سرير وخرجوا ليتصدوا للأتراك، فتوفي في الطريق. ولدى سماعه بوفاة جوسلين، أبدى غازي

عزة نفس فتراجع عن الحرب وارسل وفداً للتعزية وكتب الى الافرنج يقول: لن أحاربكم اليوم لنلا يقال اني هزمتكم بسبب وفاة ملككم. فبامكانكم ان تنظمو اموركم بتؤدة، فتقيموا لكم رئيساً. بمقتضى قوانينكم، وتدبروا شؤونكم بسلام، دون ان تفكروا من ناحيتي وناحية جيشي.

لقد غضب ملك اليونان على الأتراك والأرمن، فأباد عدداً كبيراً من الأتراك على ساحل البحر واحتل حصنين. وتآمر عليه كبار رجاله مرة أخرى وأرسلوا بطلب أخيه ليسلموا له السلطة، فعاد مسرعاً. أما الأتراك فاستطاعوا أن يصلوا الى زوسوبوليس لكنهم لم يفلحوا في فتحها بسبب الجوع الذي أصابهم، فنهبوا المناطق المجاورة وعادوا. وأخذ الأمير غازي السلطان مسعود معه وتغلغل الى ساحل البحر، وحاصروا حصناً يدعى زينين. واذ فشلوا في احتلاله، أخذوا أربعة آلاف دينار من الروم الموجودين فيه وعقدوا صلحاً. وفي هذه الأثناء خول خليفة بغداد وسلطان خراسان غازي أن يكون ملكاً على الشمال، فلقب بالملك غازي.. على أثر خلف نشب بين الافرنج وجوسلين الثاني، تآهبوا لحجزه، ثم زال الخلف الى حين، وتجدد بسبب رغبة جوسلين في تولي الحكم في انطاكية بدلاً من والده، في حين رفض السكان والبطريرك ذلك لانهم ارادوا اعطاءها لابنة بوهموند .

سنة ١٤٤٤ صعدت قوات زنكي صاحب الموصل الى الرها، فتصدى لها الافرنج وهزموها .. في هذا الوقت، طلب الأمير الأرتكي محمد شمس الحوجب، الذي يكره المسيحيين، من حسام الدين صاحب ماردين أن يعطيه منطقة نبختان ليقا تل الافرنج، وقد اعتاد على غزو منطقة الرها. فلحق به ستمائة فارس افرنجي وقتلوا الف تركي وقبضوا عليه وأحرقوه عند باب الرها. ثم احتل جوسلين حصن نبختان ودمره. وفيما كن الأتراك محتشدين في منطقة حلب، باغتهم جوسلين، فانسلوا الى منطقة تل بشر وسبوها. فتصدى لهم ٧٠٠ فارس تركوا لحماية

المنطقة، فكمن لهم الأتراك وقبضوا على جميعهم، ثم تغلغوا في أراضي الأفرنج وسلبوها دون أن يقاومهم أحد، لانقسام الأفرنج على ذاتهم.. لقد تحرك ايواني ملك اليونان أيضاً ودخل منطقة انطاكية فتصدى له جوسلين وأباد معظمهم، غير أنهم احاطوه، وبالكاد تمكن من الإفلات ودخول الحصن. فنهبوا تلك المنطقة وجبل المنطقة وجبل لبنان وحاصروا الحصن، فتضايق الأفرنج الذين في داخله من الجوع والعطش. ثم وصل ملك القدس فهرب الأتراك. وحاصر الملك حصن قوصير بجوار انطاكية واحتله عسكرياً. ومن هناك اجتاز الى منطقة عام حيث احتشد الأتراك كالرمل. فخاف منهم الملك، وتعهد بالاتفاق مع جوسلين الذي كان يخشى اللقاء به، ثم أخذ الأفرنج ينهزمون أمام الأتراك لكي يستدرجوه الى الصحراء. فلما هموا بالقتال، تراجل الملك وجوسلين واعتذر الواحد للآخر عن النزاع الذي نشب بينهما. فكان الله معهما. فضربوا الأتراك ضربة قاضية وطاردهم حتى الحصن، وعاد الملك والشعب، وفي منتصف الليل وصل جوسلين، وعاد الملك غازي الى قسطونا واحتلها عسكرياً وقتل من كان فيها من اليونان. فتألم الملك ايواني جداً، فخرج بعزم ولكن دون جدوى، حيث فاجأه نبأ وفاة زوجته ومرض ابنه وولي عهده، فعاد أدراجه الى عاصمته.

بعد رسامة البطريرك مار يوحنا، نشب خلف بين اساقفة المجمع، لأن المفريان ديونيسيوس أراد توسيع منطقة نفوذه، فعارضه الأساقفة، فغادر غاضباً ووصل الى آمد وهو يهدد باقامة بطريرك آخر وعزل الذي انتخب حديثاً. بيد أن الرب الذي يرعى كنيسته ويمحق الأفكار الهدامة، خلق له مشكلة مع صاحب آمد الذي قرر القبض عليه، وبالكاد استطاع التملص. وعاد الى ابرشيته ولم يعد يحرك موضوع النزاع.

في الاسكندرية بمصر، قام كيرلس بعد مقاريوس، وبعد وفاته التي حلت في سنة وفاة البطريرك اثاسيوس، رسم ثاودورس الذي اكتشف

فيما بعد بأنه هرطوقي من اتباع يولييان الخيالي الشقي، فعزل ونصب ميخائيل بطريركاً على كرسي مصر، وخلفه البطريرك جبرائيل وهو عالم وكفاء ومتضلع من اللغة العربية. فلما رأى ان الشعب المصري كله يتكلم العربية منذ سيطرة العرب، اهتم بنقل العهدين القديم والجديد والكتب الطقسية الكهنوتية الى اللغة العربية، لكي يفهم السامعون مايتلى من الكتاب المقدس. عقد البطريرك يوحنا مجمعا في دير مار برصوم، وعزل المطران يوحنا بن اندرواس لأنه لم يرحب به لدى مروره بابرشيته، فاستاء الجميع لأن تصرف المطران لا يستوجب العزل، بل التقويم فقط، وبالقصبة لبالحرية .

فصل

في تولي بيدوي الحكم في انطاكية. وموت بغدوين ملك القدس
وتولي صهره فوقا الحكم. وموت الملك غازي التركي وخلافة
ابنه محمد اياه، وتولي زكي الحكم في حلب، وغيرها
من الأحداث

سنة ١٤٤٥ غزا جراد الرها ومنطقتها، فالتجأ المسيحيون بالقديس
مار برصوم. وأتوا بيمينه، فحصلت المعجزة، إذ أن الجراد رحل دون أن
يلحق أضراراً. فأوغر الحسد صدور اليونان كعادتهم السيئة وحرصوا
بابا الافرنج ليفتح الصندوق للتأكد من وجود اليمين، وامتتع الرهبان من
فتحه خشية أن يلحق الغضب بالمنطقة. فادعى اولئك بان الصندوق فارغ،
فاضطر الرهبان وفتحوه في كنيسة الافرنج، وللحال حدث صوت هائل،
وبطرفة عين انتشرت غمامة قاتمة غطت الجو وقذفت برداً صلباً، فبكى
الشعب وهتف: يارب ارحم، ايها القديس برصوم اعضد. وسقط الافرنج
اكليروسا وشعباً والبابا أمام الصندوق وهم يبكون، أما اليونان فهربوا
واختفوا. وبعد أن هداً البرد، أقام الشعب صلاة مدة ثلاثة أيام. ولما سمع
مسلمو حران بالعجزة طلبوا الى الرهبان أن يزورهم، غير أنهم عادوا الى
ديرهم. نقصدهم أهل ملطية وحملوا ذخائر القديس، فخرجت جميع
الطوائف لاستقبالها بالصلوات والطلبات. فسدّ فم الجراد ولم يؤذ الزرع،
واتجه الى الحقول غير المزروعة ليأكل الشعب اندهشت تلك الطوائف،
ومجدوا الله، كل بلغته، لدى مشاهدتهم المعجزة. واستمر الشعب يقيم
الصلوات ويوزع الصدقات بسخاء، ورجع العديد من المنحرفين الى
طريق الصواب. وصنع الرب اعجوبة أخرى، تتمثل بدخول الجراد حقلاً

للقطن، وأكله الأوراق دون القطن، وكذلك الأمر بالنسبة الى الحبوب
والسمسم وسواها .

سنة ١٤٤٦ غادر ايطاليا شخص فرنجي يدعى بيدوي وتزوج من
ابنة بوهيموند الذي قتل وتولى في انطاكية. وفي تلك السنة توفي بغدوين
ملك القدس، وخطبت ابنته لفوج فتولى الحكم على القدس. وفي السنة
عينها، جاء زنكي صاحب الموصل الى سورية وحاصر حلب. فأغلق
واليها المسلم الأبواب. غير أن أهالي المدينة كانوا يعرفون زنكي جيداً
لأنه ولد وتربى في مدينتهم، كما كانوا يعرفونه والده الأمير اقسنقور
الذي حكمهم وتميز بالعدالة، وعليه فقد فتحوا الأبواب وأدخلوه، فالتجأ
الوالي الى القلعة فاحتلها زنكي بالقوة وسمل عينيه وأرسله الى الموصل،
وأحسن معاملة السكان وعقد صلحاً مع الافرنج، ثم عاد الى الموصل
بسبب النزاع بينه وبين الأمراء الارائكة .. في تلك السنة أرسل خليفة
بغداد وسلطان خرسان الى الأمير غازي صاحب ملطية وفداً ترافقه أربع
كتائب سوداء لتعزف أمامه كملك، وأمر أن يعلق في عنقه نطاق ذهبي،
ويحمل عصا ذهبية ليضرب بها، لكي يثبت له الملك ولأولاده من بعده.
فلما وصل الوفد وجدوه مريضاً فانتظروا ليروا النتيجة، لكن الأجل
وفاه، وسلم الرئاسة لابنه محمد، فوافق عليه الوفد ونودي به ملكاً.

كان الأمير غازي سفاحاً وفاسقاً، له عدد كبير من النساء، حتى
انه تزوج قبل وفاته بأيام قلائل. فأمر سكان ملطية أن يزينوا الشوارع
وكافة الأماكن. وكان شجاعاً بأسلاً وداهية. فتح بلاد الروم وقتل
المتمردين الأتراك الذين كانوا فيها، فساد سلام تام في تلك المناطق. كان
يرهبه اللصوص وقطاع الطرق، ويحبه الفلاحون. وفي احتضاره زار
كالأسد. ولما تولى ابنه الحكم، طبق الشريعة الاسلامية، فلم يشرب
خمراً، واکرم المسلمين وحكم بالعدل، وكان حكيماً ويقظاً جداً، لكنه هدم
الكنائس، وجدد مدينة قيصرية قبادوقية التي كانت قد خربت منذ آمد

طويل. واقتطع بقعة وأنشأ فيها أبنية من مرمر الكنائس المهدمة، وأقام فيها. وفي سنة توليه الحكم أي ١٤٤٤ جاء الملك محمد الى ملطية فتوقع أهلها أن يخفض الضرائب الباهظة التي كان والده قد فرضها عليهم، وغادرها في تشرين الثاني تلبية لدعوة السلطان مسعود الذي أقلقه. بما أنباء عن ملك اليونان. لم يحسن معاملة أهل ملطية، بل أخذ بعض اشرافهم رهائن.. في تلك السنة تمرد ابن داود اسكندر غميش في حصن زياد فقبض عليه والده وكبله بالسلاسل، كما تمرد على الملك محمد، اخواه يجين ودوله، فقتل يججين، اما دوله فغزا منطقة ملطية.. وفي تلك السنة أخذ زنكي، زاربا، بعد أن تعهد للفرنج، غير أنه نكث عهده وحاول اكراههم على الاسلام، اذ لم يستجيبوا قتل جميعهم وتزوج ابنة صاحب الحصن. لكنه هرب لدى وصول الافرنج. وفي السنة ذاتها، دخل اترك ملطية منطقة الافرنج، فنهبوا وعادوا .

كان ابن اندراوس مطران منبج عالماً وتضلعا من السريانية والأرمنية. والحق يقال، انه كان قدوة حسنة، لكنه لم يقدم الاحترام الواجب للبطريك، بل استهان ببساطته ووداعته، فلامه الكثيرون عدلاً. وبالرغم من كل ذلك لم يتنازل لطلب السماح، لأنه كان يعتبر الناطق الوحيد باسم ابناء الكنيسة في ذلك الجيل، لاسيما في ما يخص الجدل مع الأرمن والافرنج، اذ لم يكن من يضارعه باللباقة وقوة الحجة وسرعة البديهة. واعتقد انه اذا ماترك الرعية أو الرعاية، لذا لم يتنازل عن موقفه. ونظراً الى بساطة البطريك وتأثير الوشاة، نحي ابن اندروس وأقام ابن التركي بدلا منه لمدة ثلاث سنوات. وأخيراً ندم الطرفان، لاسيما بعد أن لاحظ البطريك سيرة ابن التركي السيئة. أما ابن اندراوس، فاذا لم يجد من يهتم به أو يشفع فيه لدى البطريك ندم، فرحب به البطريك وسامحه وأعادته الى أبرشيته .

فصل

في المجزرة التي حدثت في دمشق. والمؤامرة على السلطان
العربي في مصر. والحرب بين السلاطين الأتراك في
خرسان وما الى ذلك

في مطلع تموز عام ١٤٤٤ حدثت هزة أرضية عنيفة، وفي
منتصفه، شوهد في منتصف الليل، كوكب يسير بسرعة ويصل الى
القمر، وبدا وكأنه اخترقه. وفي الثاني من آب سقط كوكبان، وتكرر
الحادث في ٢٣ أيلول، أعقبه هطول مطر غزير، وصعق البرق سبعة
ثيران وصبياء، وفي سيمندو صعق شخصاً تركياً فلم يدفنه الأتراك على
اعتبار ان الله هو الذي أحرقه فلا يستحق الدفن.. وفي تلك السنة حدثت
هزة أرضية في أرمينيا الكبرى فانهارت مدينة دوكودون، وكان شتاء تلك
السنة قارصاً جداً. وفي منطقة ملطية، سقط ثلج أحمر - وهذه علامة
عجوبة من نوع آخر - وفي أيار غزا جراد لكنه لم يضر بشيء. وفي
منتصف ليلة ٢١ تموز ظهر في المشرق باتجاه المغرب، نور شبه قنديل
توارى أمامه نور القمر والكواكب، واستمر حتى الفجر. وفي الشهر
نفسه، وبينما كان المسلمون يصلون كعادتهم يوم الجمعة في الجامع الكبير
بمدينة كسكر في خرسان، حدثت هزة وانشقت الأرض وابتلعت نحو عشر
آلاف.. كان شتاء عام ١٤٤٧ معتدلاً، فأخذت الحجول وغيرها من الطيور
تدخل الى البيوت مثيرة دهشة الناس.. وفي ٢٦ كانون الثاني بدأ شتاء
قارص، وجمد الفرات وبقية الأنهار وسقط ثلج بكثافة.. وفي آمد،
أصدر الحاكم قراراً بعدم الحاق الأذى بالطيور والغزلان وغيرها من
الحيوانات التي كانت تدخل البيوت، وباعطائها الطعام حتى شهر نيسان.
ويقال ان تلك التي اقتاتت في المدن والقرى هلكت في أوكارها لدى

صعودها الى الجبل. وهذا دليل على أن كل قرار تأديب على أي من الأجناس هو من فوق. وليس من يحول دون تنفيذه .

في هذه الفترة، كان يحكم دمشق رجل يدعى تاج الملوك بوري طيغديين، وله وزير من الاسماعيليين اسمه ابو علي، وبواسطته، امتلك الاسماعيليون داراً في دمشق عرفت بدار القرية. وكان يعفى من الضرائب كل من ينتمي اليهم، فعظم شأنهم. وكان يدير هذه الدار، رجل من قدموس اسمه ابو علي أيضاً ويلقبونه بالشيخ. فتعرض له، بإشارة من الأمير، أحد زعماء المدينة يدعى ركن الدولة بن صوفي وقتله، فأخذت الغيرة الاسماعيليين، فاجتمعوا في دارهم واستلوا سيوفهم وشرعوا بالقتل والابادة، فتصدى لهم أبناء المدينة. وجُنِّد في ذلك اليوم نحو ٧٠ ألف مسلم، وتسلسل الاسماعيليون خفية واغتالوا الأمير بوري.. في هذه الفترة التي حكم دمشق شخص عربي، كان يحكم مصر شخص عربي آخر تأمر عليه ابنه ليتولى الحكم. ولما علم الملك ان الشعب يميل الى ابنه، دعا الأرمن الموجودين في مصر لمناصرته - وكانوا قد استقروا هناك منذ هجرة الأرمن الى سورية، ولما ازداد عددهم صار لهم جثائيق وأساقفة في مصر وكان للجاثليق أخ يدعى بهرام تزعم الأرمن - فناصروه وحاربوا المسلمين الموالين لابنه وقتلوا الوفا منهم وقبضوا على ابن الملك وقتلوه باذن منه .

في هذه الفترة، تطاول عماد الدين زنكي حاكم الموصل، على أميري ماردين وحصن كيفا، طمرطب وداود الارتكيين. ف فيما كان طمرطب حسام الدين في منطقة سرجا بين دارا ونصيبين، جاءه ابن عمه ركن الدين وحاصروا زنكي، فعجز عن مجابتهم، فخاف وأمر أن يلبس كل واحد من جنوده الدرع ويستل سيفه ويقف عند باب الخيمة، فبدوا وكأنهم سور حديدي وظلوا واقفين منذ الصباح حتى العصر. لكن انقساماً ما حدث بصورة مفاجئة بين حسام الدين وابن عمه فأخذ جيشه وصعد

الجبل فتشرد عدد كبير منهم، فقويت معنويات زنكي ولحق بحسام الدين، فهرب الفرسان الى ماردين، في حين هلك العديد من المشاة. وأخيراً عقدا صلحاً عن طريق الوفود، لأن زنكي اضطر للذهاب الى سورية للقبض على سيف الدولة دوبيس بن صديق، وهو الأمير العربي الوحيد الذي بقي من العنصر العربي. فألقى القبض عليه في فلسطين وجاء به الى الموصل ووضعته تحت الحراسة. فوعد الخليفة المسترشد بالله اتيح زنكي ان يرسله الى دوبيس بن صديق ليعذبه ويقتله اذ كان يكرهه كرهاً شديداً. فرفض زنكي تسليمه، فاصطدم الطرفان، وهزم زنكي وهرب فطارده قوات الخليفة حتى سور تكريت، فأنزله بالحبال من السور ليلاً، فهرب ووصل الى الموصل وأخرج الأمير دوبيس من المعتقل وزوده بالمال وأرسله ليحشد العرب، فيما يحشد (زنكي) الأتراك، ويقاتلوا الخليفة الى الموصل لينحي زنكي عن الحكم، فحصن زنكي الموصل، وصمد ناصر الدين، فلم يستطع قهرهم فعاد .

وفيما كان الخليفة المسترشد في قيلولة في خيمته في معسكر مسعود سلطان خرسان، عند مدخل مدينة مراكا، داهمه عشرة رجال وقتلوه، فخلفه رشيد. أما الأمير دوبيس، فشر وهو لدى السلطان، بأنهم يحاولون قتله، فأراد التخلص فلم يفلح فقال متحسراً: « حتى م أطارد وأطارد، لاشيء أفضل من الموت ». وذات يوم وبعد تناوله خبزاً على مائدة السلطان، ولج السلطان الى الدار الداخلية، وللحال خرج خصي وقال له: بأمرك السلطان بعدم المغادرة، ودونك هذه الرسائل فأقرأها. وفيما هم يقرأ ما يخصه، ضربه أحد الواقفين وراءه ضربة قاتلة. بعد ذلك خطب مسعود سلطان هميان ابنته للسلطان داود، الأمر الذي أفرح الخليفة، فعمل على تفريقهما سرا. ثم جاء لمحاربة مسعود، واذ لم يات صهره داود لنجدته، أدرك بأن الخليفة وعده بالحكم. فبادر مسعود بالهجوم على الخليفة وانتصر وقبض عليه وكبله بالسلال، ثم طارد داود. وهنا تم ماكتب « قتل الخليفة في معسكر مسعود على بوابة مراكا ». فخلفه رشيد.

أما مسعود فاستمر في مطاردة داود الذي هرب الى أرمينيا، فسبى وعاد الى الموصل لدى زنكي. وحيث ان مسعود كان يعارض اتيج دائماً، لذا رافق زنكي داود الى بغداد وطلب الى الخليفة ان يولييه الحكم. فمأطلهم الخليفة مدة عشرة أشهر خوفاً من مسعود، الأمر الذي أثار غضبهم فسلبوا الجهة الغربية من بغداد، فاضطر الخليفة الى تعيين داود. فجاء مسعود الى بغداد، فغادرها الخليفة الى الموصل لدى زنكي. وفيما هو هناك نمي اليهم ان والي نصيبين تمرد على زنكي وانضم الى حسام الدين صاحب ماردين، فجاء زنكي الى نصيبين ومعه خليفة بغداد والسلطان داود، فأعاد اليها الاستقرار وقفل راجعاً الى الموصل وتوجه الخليفة الى بغداد وتصالح مع مسعود عن طريق تبادل الوفود، ثم شخص الخليفة رشيد الى خرسان، وخضع الخليفة للأتراك فانتهدت دولة العرب .

على أثر عزل ابن اندراوس، ترك باسيليوس ابن شومنا أسقف كيسوم رعيته واستقال، احتجاجاً على عدم سير الأمور بمقتضى القوانين الكنسية، وذهب الى دير فسقين للمتوحدين على شاطئ الفرات واعتكف فيه. فأشار بعضهم على البطريرك أن يتخذ كيسوم مقراً للبطريركية بدلا من آمد لأنها في منطقة نفوذ المسيحيين، فاتخذها لمدة خمس سنوات. ورسوم باسيليوس مطراناً لآمد. وبعد عودة ابن اندراوس الى أبرشيته، أعادوا باسيليوس ابن شومنا الى أبرشيته. وفي الوقت عينه رسم باسيل ارخدياقون الرها أسقفاً لها ودعي اثناسيوس، وبعد خدمة سبع سنوات توفي عام ١٤٧٤، كما توفي في السنة نفسها ايوانيس اليشع مطران ملطية، فقامت ضجة بين الاكليروس بخصوص انتخاب راع لها. فباسيليوس أسقف جيحون، وهو رجل مكار كثير التردد الى البطريركية للقيام باعمال الكتابة وتنظيم الشؤون الكنسية، حاول دون رسامة مطران لملطية لكي يضمها الى ابرشيته مستغلاً بساطة البطريرك القديس، فكان يثلب كل من يرد اسمه أمام البطريرك كمرشح لها فيصدق البطريرك. وعليه ظلت شاغرة مدة ثلاث سنوات. وأخيراً استقر رأي أهل ملطية على

رسامة الشمس الاساذ يشوع المعروف بابن قطرا الملطي؁ فانفذوا اليه رسالة تحمل اجماعهم عليه. غير أن أسقف جيحون كتب على لسان البطريرك يوقف يشوع عن الخدمة .

فصل

في ماجرى من أحداث بين ملوك العالم، وفي الكنيسة خلال ثلاث سنوات

بعد أن وصلت الى ملطية، رسالة الايقاف عن الخدمة بحق
الشماس يشوع، والتي كتبت بتأثير أسقف جيحون، وتليت من على المنبر:
تقدم الشماس يشوع العفيف ذو الشيبة المهيبة وتناول الرسالة ووضعها
فوق رأسه. فأتى البطريرك مار يوحنا على تواضعه وفطنته فعفا عنه.
وظلت شؤون ملطية على هذه الحالة حتى وفاة البطريرك مار يوحنا في
ايلول ١٤٤٨ في دير داوير حيث وري جثمانه الطاهر وكان باسيليوس
مطران جيحون الأديب، قد كتب بصورة غير شرعية تثبيتاً مختوماً بختم
البطريرك الراحل مفاده، ان البطريرك ثبته قبل وفاته، على ملطية. وبناء
على هذا، دخل ملطية عنوة بمساندة الحاكم، ورسم فيها كهنة وشماسة،
وكرس الميرون مستغلا عدم وجود بطريرك للكنيسة. وفيما اغتصب
أبرشية ملطية، احتفظ بأبرشية جيحون، فخلق بتصرفه هذا جواً من
الشكوك بين أساقفة الكنيسة. فقد انتقد بعض الأساقفة، البطريرك لراحل
كجهلهم بأنه كان مخدوعاً. أما الذين علموا بأن الأمر من تدبير باسيليوس،
فوجهوا اليه الانتقاد لا الى البطريرك، فيما أيده بعضهم قائلين: انه أقدم
على ذلك مدفوعاً بالغيرة الالهية من أجل تثبيت كنيسة الله .

سنة ١٤٤٧ بأ الأرمن صراعاً مع الافرنج، ذلك ان ميخائيل ملك
الأرمن الذي غادر حصن جرجر في أيام بالق، عاد واستقر فيه بعد
مصرع بالق، فتصدى له قوم يعرفون ب «سيبرك»، كانوا يتبادلون
السطو على قرى بعضهم البعض ويهبونها. وذات يوم أحاط به الأتراك

من كل صوب في كورة الزيوان على نهر الفرات، فلم يعد بإمكانه النجاة، فرمى بنفسه من الكهف الى النهر وقد ارتدى الدرع وبيده الترس. فكان يغطس بالماء ويعوم، وأخيراً نجا عن طريق مجرى خاص، فأعطى جرجر لجوسلين وأخذ سوفرس. وباع جوسلين جرجر لباسيل شقيق الأرمن بخمسمائة دينار، فندم ميخائيل وفكر بالعودة إليه، غير أن جوسلين رفض اعطائه اياه، فحشد جيشاً وغزا منطقة كيسوم، فتصدى له الافرنج وقتلوه، ولما أخرج الافرنج ياسيل من جرجر توجه الى لبون الارمني في قيليقية وصاهره، فألب مجموعة من الأرمن وجاء لمحاربة الافرنج في فرزمان، فقتل هناك معظم الأرمن. وانتهاز الأتراك فرصة قتال الأرمن مع الافرنج، وأرسلوا شخصاً فظاً يدعى أفشين ليغزو منطقة كيسوم، ولما لم يجد مقاومة غزا انطاكية، ثم دخل اللاذقية وعاد بعدد كبير من الأسرى، واصطادوا سمكاً من نهر أورنط العاصي وأكلوا، وبفعل ما أكلوا، بل قل هي ضربة من فوق، مات معظمهم، وهرب البقية خشية الموت وتركوا الأسرى .

عام ١٤٤٨ هاجم ايواني ملك اليونان بعنف لبون الأرمني في قيليقية واحتل بعض المدن، منها طرسوس وأدنه والمصيصة وغيرها. وبعد أن أخضع المنطقة برمتها قبض على لبون وزوجته وأولاده وأرسلهم الى القسطنطينية، وفيها توفي، في حين عاد أولاده وزوجته وسيطروا على المنطقة مرة أخرى .. بعد أن سيطر ملك اليونان على قيليقية وأرسل لبون الى القسطنطينية، فقاتل انطاكية لكنه لم يفلح في احتلالها. فعقد معه جوسلين صلحاً شريطة أن يعطى الملك مناطق سورية أي حلب وسواها للأفرنج، ويعطيه الافرنج بدورهم انطاكية بحسب تعهدهم لوالده الكس. وبناء على هذا خرج بيدوي صاحب انطاكية للقائه، ودخلها الملك ايواني، وشعر في الأمر خدعة، فعاد الى قيليقية، فتوجه اليه الافرنج ووجدوا الاتفاقية، ثم رافقهم الملك الى حلب، وأخذ هو حصن بزعا وترك مقاتلين في شيزر ثم جاء السلطان مسعود من ايقونيون دخل قيليقية واحتل

أدنه عسكرياً، وسبى أهل المنطقة بما فيهم الأسقف وجاء بهم الى ملطية، فلما علم الملك احرق المنجنيقات وعاد الى قيليقية، وعقد صلحاً مع السلطان ودخل القسطنطينية .

في تلك السنة تمرد في دمشق بوزش قائد الجيش على سيده شهاب الدين. فحشد جيشاً واتجه نحو طرابلس، فخرج حاكمها ابن سنجيل فكمن له الأتراك وقضوا على الافرنج وقتل ابن سنجيل وأحرقوا طرابلس العليا، وسبوا المنطقة برمتها، ومروا على طبرية ونهبوها ووصلوها الى نابلس أي السامرة فنهبوها ودمروها. وعلى أثر هذه النكبات، جاء ملك القدس الى زافينا ليطرد الأتراك الذين كانوا يحاربونها، فهاج زنكي معسكره ليلاً وقتل عدداً كبيراً من المشاة، وهرب الملك والفرسان الى الحصن، واستمرت الحرب معهم اربعين يوماً، فأرسلت الملكة التماساً الى بيدوي حاكم انطاكية، وجوسلين. واذ سمع زنكي باستعدادهم لمحابهته، عقد صلحاً مع الملك وعاد. وفي هذه الأثناء، طرد الملك محمد أخاه دولة وانتزع منه الستين ومنطقة جيحون، فاجتاز دوله الى هنزيط ومنها الى آمد، ثم قصد جوسلين وهو يتجول من بيت الى بيت .. سنة ١٤٤٩ كان الأتراك قد أحالوا الرها الى سجن، فلم يكن باستطاعة سكانها الدخول أو الخروج منها بسهولة، فانطلق من شمشاط نحو أربعة آلاف شخص بينهم ٣٠٠ فارس افرنجي، يحملون طعاماً لأهل الرها، ومنهم الشماس الطبيب والفيلسوف أبوسعد. فتصدى لهم الأتراك ليلاً بقيادة حسام الذين صاحب ماردين، فقتل معظمهم واستعبد البقية وبينهم أبو سعد وميخائيل بن شومنا وابنه. وقد فشل أبو سعد كمنجم في معرفة ماكان عتيداً أن يحدث لهم في ذلك اليوم. ثم أخذ حسام الدين طمرطش حصن بسوس من نالافرنج. وفي تلك الأثناء، دخل السلطان مسعود منطقة كيسوم، فنهب وسلب وعاد، ولما رأى أن أهلها هربوا، أعاد الكرة وأحرق القرى وتركها رماداً. ومن هناك توجه الى مرعش. وهذا كل ما صنعه .

لحقت بدير مار ابهاي المعروف بدير «السلام» أضراراً جسيمة، بسبب جماعة من أصل أرمني كانوا مسيطرين على حصن سيبيرك (سامكت)، وكان جدهم يغوساك قد ذهب الى بغداد لدى خروج الأتراك الأول، ومنها الى خرسان وأشهر اسلامه، وأخذ تعهدات من سلطان الأتراك الأعظم ومن الخليفة، بأن يكون حصن سيبيرك تحت سيطرته وسيطرة أولاده من بعده. فهم اذن مسلمون أباً عن جد وفي تلك الفترة، كان يحكم الحصن أمير شرير من ذلك العنصر يدعى عليس، يكره المسيحيين كرهاً شديداً، ويكن حقدًا وبغضاً لميخائيل وقسطنطين الأرمنيين في جرجر، اللذين كانا يسطوان على منطقته ويعيشان فيها فساداً، فيما كان هو بدوره: يغزو جرجر وينهبها. فلما لاحظ ضعف الأفرنج، جمع أتراكاً وغزاً منطقة جرجر، ولما لم يحصل من غزوه ما غطي حقوق هؤلاء الأتراك، وجه انظاره الى الأديرة ليسد حاجته منها، فجاء أولاً الى دير مار ابهاي. واذ لم يفلح في دخوله من جهة الفرات، صعد فوق كهف وأنزل من هناك رجالاً يقذفون الدير بالحجارة حتى دمروا زاوية الكنيسة، فخاف الرهبان وخرجوا لملاقاته، ولما استتب له الأمر، نهب كل المقتنيات والكؤوس والصينيات الفضية والصلبان وغيرها مما وجد هناك منذ عهد البطريك مار يوحنا بن عبدون، كما نهب دير فسقين وطرده المتوحدين أمثال الربان داود ورفاقه في دير شيرا، ولم يبق في ذلك الدير سوى أبي غالب .

فصل

في وفاة سلطان خرسان، وحملة ابنه على مابين النهرين
ورسامة البطريرك مار اثناسيوس، وغيرها من الشؤون
المدنية والكنسية

ظلت كنيسة دون رئيس عام سنة وثلاثة أشهر، كان الأساقفة خلالها يتبادلون الرسائل فيما بينهم لعقد مجمع واقامة بطريرك، فاجتمع أربعة من الأساقفة الشيوخ هم: أسقف جرجر، أسقف صمرىا، أسقف كوديا واسقف جيحون الذي كان قد سيطر على ملطية، وألقوا القرعة بين ثلاثة أشخاص كالعادة، بينهم الأستاذ يشوع شماس قطراً كما أسلفنا، فكانت القرعة من نصيبه، فأرسلوا أسقفين ليأتيا به، فاستحلفهما بالأسرار المقدسة. وبعد أن تأكد من القرعة، رافقهما الى دير مكرونه حيث وشحاه بالاسكيم الرهباني. وبلغوا بوصول المفريان الى آمد، وبرغبة حاكم آمد في عقد الاجتماع في مدينته. وفي دير قنقرت رسمه مطران جرجر كاهناً، وتمت رسامته بطريركاً في آمد يوم الأحد ٤ كانون اول، في عيد الشهيدة بربارة، ووضع عليه اليد المفريان باسيليوس، يعاونه ١٢ أسقفاً، وكهنة ورهبانا وعدد كبير من الشماسة، فنودي به بطريركاً لانطاكية باسم اثناسيوس. وبمناسبة رسامته، أقام مودود بن نيسان رئيس المدينة، وهو مسلم، مأدبة غداء لأعضاء المجمع، كما أن يعقوب شقيق الشماس اسحق الذي تخاصم يوماً مع البطريرك مار اثناسيوس، انفق بسخاء على هذا المجمع. وفي اليوم التالي أمر البطريرك بمغادرة أسقف جيحون ملطية والعودة الى أبرشيته، كما أخرج باسيليوس من آمد وأعطاه قلعة جعبر، لكي تعود آمد مقراً للبطريركية كالسابق .

ومن هنا برزت المشاكل في كنيسة الله. فقد قال باسيليوس أسقف جيحون للبطريرك. ان انتخابك لم يتم بالقرعة وبالصورة الصحيحة، بل بالتزوير، وان أسقف جرجر خدعني اذ أقسم على بقائي في ملطية، وانه كتب اسماً واحداً على الأوراق الثلاث». وقد أثار هذا الكلام شكوكاً بين الناس، وامتنع أساقفة غربي الفرات عن الاعتراف بالبطريرك، لعدم حضورهم الانتخاب والرسامة، لا بل استعدوا لاقامة بطريرك آخر. بينما قال آخرون ان باسيليوس اسقف جيحون أشاع ذلك لطرده من ملطية، فكانوا يلعنونه لاثارته الشكوك. أما هو فجاأ الى ملطية وجمع الكهنة والشعب وعرض عليهم المذكرة التي كتبها وغادر ملطية عائداً الى جيحون. ورسم البطريرك ابن اخت ثاودوسيوس مطراناً لملطية، في دير مار برصوم وسماه اغناطيوس، وذلك يوم أحد العنصرة لتلك السنة. وفي تشرين الأول سنة ١٤٥١ رسم رومنس من دير القدس أسقفاً للقدس وهو من مواليد ملطية، ودعاها اغناطيوس أيضاً. وفي سنة ١٤٥٢ اجتمع مطارنة المغرب مع ابن اندراوس وابن شومنا والبقية في حصن منصور، ووضعوا بعض القوانين وأرسلوها الى البطريرك، متعهدين بالخضوع له إن هو قبلها، فقبلها فوقعوا على وثيقة التصيب، وحل السلام.

بعد وفاة محمود سلطان خراسان، خلفه أخوه مسعود الفطن، والذي اتجه فور تسلمه السلطة، الى بلدان آثور، ماراً باذربيجان ومناطق ما بين النهرين، فوصل الى دارا وعسكر بالقرب من حورتا .. وفي عام ١٤٥٠ تولى محمد الحكم، فدخل بجيشه منطقة قيليقية وانتزع من اليونان حصني بهجي وجنبوفت، ثم تغلغل في منطقة واقينوس على ساحل بحر نيطس ونهب وسبى الشعب بأسره وباعه عبيداً .. وفي تلك السنة صعد زنكي الى دمشق وشدد عليها الخناق، فطلب صاحبها نجدة من ملك القدس مجزلاً له العطاء، فأنجده فهرب زنكي .. وفي تشرين الأول من عام ١٤٥٢ دخل أتراك ملطية الى أديرة مناطق زبار المعروفة « بمنبت القصب » فسلبوا وعادوا دون أن يلقوا مقاومة. وفي أيار جاء الافرنج

لينتقموا من سالي اديرة من أبناء ملطية، فوصلوا الى زوبطرا وعرقا ونهبوا اموال المسيحيين دون أن يتصدوا للأتراك. وبعد مغادرتهم، دخل الأتراك ونهبوا وغادروا. وهكذا صار المسيحيون عرضة للأبتزاز من كلا الجانبين. ثم دخل الافرنج منطقة ابلستين ونهبوا اموال المسيحيين الأتراك وقتلوا بعضهم وساقوا الآخرين عبيداً. وبنفس الاندفاع خرج الأتراك من هنزيط متجهين صوب مناطق الافرنج، والتقى نحو عشرين شخصاً منهم المطران القديس ميسورا وهو يجتاز جبل أبهر، ونظراً الى حنقهم الشديد على المسيحيين، ضربوه والذين معه بقسوة وأوتقوهم استعداداً لقتلهم، لكنهم خافوا فتركوهم موثوقين وهربوا، فجا المطران والذين معه. ولدى دخول الأتراك تلك المنطقة. أجهز عليهم الافرنج بحد السيف فحالفهم النصر لأنهم كانوا متحدين فيما بينهم .

سنة ١٤٥٢ خرج ايواني ملك اليونان لمحاربة الأتراك، فتصدى له الملك محمد وظل معسكراهما مواجهين لبعضهما مدة ستة أشهر. ولما همَّ الملك بالاقتراب من نيوقيصرية، ازداد حقد الأتراك على المسيحيين الذين تحت نفوذهم، حتى أن من نطق باسم الملك، ولئن سهواً ناله السيف، وخطف أفراد أسرته. وبنفس هذا الاسلوب عومل المسيحيون في ملطية أيضاً وغيرها من المناطق، حتى عاد الملك فجأة الى بلاده دون أن يحارب أو يعقد صلحاً أما الملك محمد فدخل مرعش ونهب وسبى .

في تلك السنة عقد زنكي صاحب الموصل صلحاً مع حسام الدين صاحب ماردين. ثم التقيا في السرج، فترجل زنكي أولاً ومن ثم حسام الدين، فأقسما على الصلح، واستعدا لمحاربة داود صاحب حصن كيفا، فلحقا به وأدركاه حول سور آمد، فالتجا الى سور المدينة فهاجما المدينة من الجهة اليمنى، ودارت معركة بين الطرفين استمرت من الصباح حتى العصر، وعند المساء هزم داود وهرب، فيما قتل قسم من جيشه وأسر القسم الآخر، وهرب من هرب. وقبض زنكي على سليمان بن داود

وسلمه الى حسام الدين فأرسله بدوره الى ماردين. وعاد الحاكم من باب آمد وأحاطا بحصن صور القريبة من ماردين والعائدة الى داود، فسلطا عليه ثلاثة منجنيقات وفتحوا ثلثة وحرابا، فارتعب الذين في الداخل وطلبوا تعهداً لحياتهم، فلم يوافقا، بل احتلها عسكريا وساقا الوالي وجماعة داود. وقسما المنطقة أربعة أقسام، فأعطى زكي لحسام الدين، والحصن والسر ج ذا القرنين وساكن. ومن هناك اتجها صوب برعه. فلما علم المسؤول هناك، سلم للفور الحصن لصاحب ماردين. واذ كان الحصن منيعاً، جاء وحاصرا آمد، وهددا بتدمير المنطقة في حالة عدم تسليم الحصن الى حسام الدين، فسلمه صاحبها، فانصرف كل احد الى بلده .

في تشرين الأول عام ١٤٥٠ شوهد جسم أحمر في الجهة الشمالية من السماء، وفي الشهر نفسه حدثت هزة أرضية دمرت أبراج برعه.. وفي حلب مر شتاء قاس، بدءاً من كانون الأول حتى شباط، فجمد الفرات واجتازه الناس مشياً على الأقدام وهلكت الحيوانات والطيور الأليفة والبرية، وفيما كان أربعون رجلاً يسيرون في برية الرقة، أنشقت الأرض وابتلعتهم باستثناء واحد كان قد انتبذ مكاناً لقضاء حاجته، واستمرت استغاثتهم لفترة ما. وتهدمت تارب بهذه الهزة وانهارت كنيسة حارم، وانغلقت احدى القرى المجاورة لجبل قوروس، ثم انهارت بعد أن غادرها سكانها. وفي تلك السنة شحت المياه حتى منتصف أيار. ولما سقط المطر أعطت الغلة المتأخرة.. في الساعة التاسعة من يوم عيد العنصرة، حدث برق هائل قتل امرأتين في ملطية، احدهما كانت على السطح والأخرى في السوق، كما قتل لقلقين .. وفي مساء يوم ٢٢ حزيران شوهدت مايشبه رماحا نارية في اجهة الشمالية ثم اتجهت نحو الجهة الغربية .. وفي ٢٩ تشرين الأول سنة ١٤٥٢ حدثت هزة أخرى، وفي العاشر منه، حدث خسوف، وانتشر وباء في ملطية، ابتداءً باهلاك الطيور. ومات الأطفال بداء الجدري. وفي عيد مار برصوم في أيار، سقط في هنزيط وحصن زياد برد رهيب وحطم الأشجار والكروم. وفي

اليوم ذاته أحرق برق صيباً وبغلا .. وفي حزيران تلك السنة حدثت هزة
هزت شاطئ بحيرة بمدينة قيليقيّة الصغرى المسماة خالينج، وغيرها من
الأماكن في تلك المنطقة على ساحل البحر.

فصل

في وفاة الملك محمد. ووفاة ايواني ملك اليونان في نفس الفترة، ووفاة سيربيوغ ملك الافرنج في القدس. ووفاة داود أمير حصن زياد. وغيرها من الشؤون المدنية والكنسية التي جرت في هذه الفترة

شوهد في الناحية الشمالية مايشبه أشعة نور باهرة في منتصف آب ولغاية أيلول سنة ١٤٥٢.. وفي ٢ أيلول لمع شعاع كالشمس في الجهة الشالية الغربية.. وفي عام ١٤٥٣ غطى البرد منطقة صمحا بأسرها.. سنة ١٤٥٤ أرسل بابا رومية أحد أعضاء مجلسه المؤلف من ١٢ شخصاً الى القدس لاصلاح ذات البين في الكنائس والأديرة ورؤساء الكهنة وغير ذلك. وما ان بدأ بالتحقيق حتى أدركه الأجل، وقيل انه قتل مسموماً. فغضب البابا وأرسل واحداً من الزعماء الأربعة الكبار المعروفين ب «كهاله»، وان كل واحد منهم يمثله شخصياً. فأصلح الكثيرين ونحى البطريرك الموجود في انطاكية وأقام آخر بدلا منه، فنجح في مهمته. ووشى بنا وبالأرمن اليه، اليونان الموغلون في الشرور قائلين: «ان هؤلاء هم هراطقة» فأوغروا صدره، فجاء الى دليك والتقى بغريغور جاثليق الأرمن ثم قاده الى القدس عنوة وعقد مجمعا يوم اثنين البياض، حضره البطريرك ليقاط وأساقفة الافرنج وجاثليق ومطارنة وملوك الأرمن، واغناطيوس مطران القدس والرهبان وجوسلين وبقية الرؤساء. فقال المجمع لليونان: لقد اتهمتم السريان والأرمن بالهرطقة، وضحوا لنا هرطقتهم. أجابوا، نحن لانحضر مجمعا لايحضره ملكنا. وهكذا افتضح أمرهم وأدرك الجميع إنهم بعيدون عن الحق، ثم قدم كل منا، نحن والأرمن، كتاباً يتضمن عقيدتنا فتليا وترجما الى الايطالية. فأقر

الجميع ارتوذكسية هذه العقيدة. ثم طلب الافرنج الى السريان والأرمن أن يقسموا على عدم تغيير عقيدتهم، فرحب السريان بذلك ورفضه الأرمن فاتهموا بأنهم خياليون وسيمونيون .

سنة ١٤٥٣ صعد ليحج الى القدس، فغزا الأتراك المنطقة ودمروها وأحرقوها وبلدة حارم .. وفي تلك السنة توفي صاحب قامح فتولى حكمها الملك محمود .. وفي ٦ كانون الأول سنة ١٤٥٤ توفي لملك محمد في قيصرية وأوصى الحكم لابنه ذنون. وتزوجت ارملة من أخيه يعقوب أصلان وأولته سبسطية فهرب ذنون الى سيمندو والحقت به قيصرية وملطية. واتفق دوله أخوه الآخر مع ياموس حاكم مسرا. فجاء الى ملطية فلم تفتح لهما الأبواب، ولم يكن بإمكانهما محاربتها فعادا الى عرقا، فأرسلت زوجته الي رجل للملك محمد من أجل حماية ملطية. فشر سكانها بأن القادمين يحملون أمرا باخراجهم وأولادهم من بيوتهم ونقلهم الى سبسطية ليستحلوا بيوتهم، فهاجموا واستلوا سيوفهم وتجولوا في الشوارع، فخاف المسيحيون جدا واختفوا في الآبار وغيرها من المخابئ دون أن يروا سبب ما يحدث يوم الأربعاء ١٧ شباط من الأسبوع الأول من الصوم. فتجمع اترك المدينة أمام القلعة وطلبوا مفاتيح الأبواب من الوالي ليخرجوا ويتصدوا للقادمين اليهم فلم يعطهم الوالي المفاتيح، فتقلدوا اسلحتهم وذهبوا راكبين، فكسر شخص يدعى بوريدنه بوري قفل الباب بالفأس وتقدمهم، فيما ظل الآخرون يحرسون الأبواب. ثم ذهبوا في اليوم نفسه وجاءوا بدوله، فهرب أبناء سبسطية، وقدم الوالي الاحترام لدوله، فدخل وتولى الحكم في المدينة وسادها السلام. ثم توجه دوله الى أخيه اصلان واتفقا، ثم أخذ ابلسين وسيطر على منطقة جيحون أيضا .

فلما سمع السلطان، جاء حانقا على يعقوب اصلان فخاف وهرب الى الجبل فدمر السلطان سبسطية وعاد، وارسل الى دوله ليقدم له الطاعة فيوسع منطقتة، فأرسل ذاك زوجته وهي ابنة أخي السلطان، فلم

يستجيب الى التماسها. وفي ١٧ حزيران حاصر ملطية. وبعد أن أقام ابراج الحرب أخذته الرهبة فلم يشن حرباً، وقيل أنه سحر، بعد أن أمضى ثلاثة أشهر في حصارها. فيما كان دولة ينهب أبناء المدينة وبخاصة الزعماء، ويقدم للجنود. وفي فجر عيد الصليب ١٤ أيلول، أحرق السلطان بغتة المنجنيقات وعاد، فتنفس أبناء المدينة الصعداء.. وفي نيسان من تلك السنة خرج ايواني ملك اليونان الى قيليقية. وفيما كان يصطاد كعادته، أخذ سهماً مسوماً ليرمي به خنزيراً برياً، لكن السهم أصاب يده فنفذ فيها السم وانتشر في جسمه ومات. وبعد فترة خرج ملك القدس الافرنجي للصيد هو الآخر فطارد أرنباً، ثم عثر عليه ميتاً وقد دخل رأسه في جسده على أثر سقوطه من الفرس.. وفي تلك الأيام توفي داود حاكم حصن زياد. ان الاربعة توفوا خلال سنة واحدة، وأعني بهم: ملك اليونان، وملك الافرنج، والملك محمد وداود.

سنة ١٤٥٣ توفي مار جبرائيل بطريك مصر، ورسم مار ايوانيس.. جاء البطريرك مار اثاسيوس الى ملطية وقابل الملك محمد، وأقام في كنيسة مار ماما، وكرس الميرون في الكنيسة الكبرى وطالب بدير مار هرون في شجر، وولى مطران ميافرقاط ادارة آمد، ومطران طرسوس ادارة انطاكية.. في السنة نفسها نزل المفريان ديونيسيوس الى بغداد للعلاج فتوفي هناك، فنقل التكراتة جثمانه وأودعوه كنيسة تكريت.. وفي السنة نفسها خنق المسلمون مطران حمص، وطرد مطران طور عبيد من أبرشيته، وقبض الحاكم على مطران الجزيرة. وتنازع مطران دمشق مع ابناء ابرشيته، فصالحهم البطريرك.. وفي تشرين الأول من سنة ١٤٥٤ رسم لعازر من دير سرجيسية ومن بلدة عبرا، مفريانا لتكريت، وكان قد درس في ملطية، وتمت رسامته في دير مار هرون وسمي اغناطيوس، واشتهر في أوساط الكنيسة.. وفي تلك السنة عاد البطريرك اثاسيوس الى ملطية، وكان متواجداً فيها لدى تولي دوله بن غازي حكمها، وزيارة السلطان مسعود اياها.

وشى بعضهم البطريرك لدى جوسلين قوميس، مدعين أن رسامته لم تكن شرعية. وحيث أن البطريرك لم يزر جوسلين للسلام عليه، أمر جوسلين بعدم المناداة باسمه في منطقة نفوذه. ثم استقدم طيمثاوس أسقف جرجر الى شمشاط وتحقق منه عن كيفية انتخاب البطريرك، فلم يؤيد أسقف جرجر ادعاء اسقف جيحون والآخرين. أما البطريرك فغادر ملطية الى دير مار برصوم. ولما علم بأن جوسلين نقل باسيليوس أبا الفرج بن شومنا الى الرها، ثبتته فيها، ورسم الراهب ايليا الملفان العالم اسقفا لكيسوم ودعي ايوانيس، وطارت له شهرة مستفيضة في الكنيسة .

باتتهاء المقال ١٦ ينتهي الحديث عما جرى خلال ١٣ سنة قام خلالها عشرة ملوك يونان وفرنج واطراك.

نظراً الى الهمة التي أبدأها كل من الأسقفين التاليين في ماكتبا، سندرج هنا مقدمة كتاب كل منهما

اوانيس أسقف كيسوم

جاء في مقدمة كتابه « حيث ان زماننا لتعيس قد وصل الى درجة من الوهن والاضمحلال، لاسيما بالنسبة اليانا نحن السريان الذين أوشكنا على الانتهاء، الأمر الذي حدانا نحن الضعفاء ان نعرض غيضاً من فيض مما جرى السنين التي عشناها. وعليه شحذنا الهمة في جمع كتاب التاريخ هذا. فقد جمعنا الأخبار من عدة كتب متنوعة وتركناه ذكرى للذين يخلفوننا، لكي يعرف كل واحد نفسه، ويتذكر ان الحياة زائلة، وان الكثيرين قد زالوا، ولا بد له من أن يفى مثلهم الدين الذي لا يمكن تجاوزه. وان من يتأمل من سبقوه، يجد أن الانسان ينال الشهرة في هذه الحياة بناء على ماتيه. فكم بالأحرى ينال الثواب في الحياة العتيدة» .

ديونيسيوس أسقف آمد

جاء في مقدمة كتابه «لقد أخذ السمع في هذا الزمان العاصفي، يميل الى سماع أحاديث تافهة لاجدوى منها. الأمر الذي استحوذ في أيامنا على الكثيرين نتيجة للاضطرابات والقلق المزمنة منذ آمد ليس بقصير، بحيث تلاشى الخوف من الشريعة، وتفشت اللاشريعة ونبذت المعرفة التي من شأنها تهذيب المبتدئين، والسير بمقتبليها في سواء السبيل. فلدى تأملي، انا ديونيسيوس يعقوب البائس الضعيف، هذه الأمور، عزمت على أن أدون مايساعد الذين يولون اهتماماً بأحداث الزمان، اعتقاداً مني بأن للاطلاع على الأحداث التي تجري بين حين وآخر، فائدة كبرى للفكر. فان أنباء التأديبات السماوية التي تنزل بالناس،

كثيراً ماتكون رادعاً للذين لم يدخلوا التجارب، فيحسبون حساباً للفأس الموضوع على أصل الشجرة، فلا ينجرفون وراء الأحاديث غير العقلانية والتي لا أساس لها من الصحة، وهي مجرد هذين لاجدوى منه. لذا تولدت عندي هذه الفكرة منذ فترة، وقد حذرني المهتمون من اهمال تنفيذها. وعليه فقد تصفحت كتب ماكتبه المؤرخون السابقون، واخترت الأجدد وأهملت الباقي. وبعد أن انجزت هذا واقتسبت مما كتبه المؤرخون الكنسيون الأول، مايلح لنسيج الكلمة هذا، قررت أن اجمع وأوحد ماكتب عبر مختلف العصور معتبراً اياه مرحلة أولى، ثم أدون الأحداث شيئاً فشيئاً حتى عصرنا الحاضر المضطرب الذي نعيشه، فأتحدث عن التعديات والضيقات التي عصفت بالمسيحيين، لكيما اذا دخلت أخبار هذه الأحداث المريرة مسامع الناس، يرتدعون عما ذكرناه أنفاً.

وحيث اننا غضضنا النظر عن الفكرة التي كانت ترمي الى جمع التواريخ السابقة، واستخلاص منها رافداً عذباً يفيد المستفسرين، لذا عمدنا على تدوين ما يحدث في أيامنا وبما يمكن من ايجاز».

المقال السابع عشر

يتناول الأحداث بدءاً من سنة ١٤٥٥ يونانية، وهي سنة ١١٢٥ ميلادية، وسنة ٥٢٤ هجرية، وسنة ٨٣ للأتراك، وسنة ٦٦٧٣ لآدم

الفصل الأول

في تولية مانويل حكم اليونان، وبغدوين حكم الأفرنج، ويعقوب أصلان على الأتراك في سبسطية، وغيرها من الأحداث التي جرت في هذه الفترة

بعد أن وقع باسيليوس بن شومنا تحت الملامة لتعديده القوانين بانتقاله من كيسوم الى الرها بأمر الحاكم، أخذ يدافع عن نفسه بتقديم شهادات مزورة. غير أن البطريرك والمجمع أكدوا تعديده للقانون، لكنه لم يذعن لهم، ولم يستمع للحاكم أو حتى للرهاويين الذين كانوا على خلاف مع البطريرك ولم ينادوا به لرفضه تثبيت باسيليوس لهم، الا أن البطريرك اختار أهون الشرين، فثبت ابن شومنا مطراناً للرها وربح الشعب الرهاوي. ولدى عودة جوسلين من القدس بعد تنصيب ملك جديد، زاره البطريرك في تل بشر، فتصالح معه ومع الأساقفة وأعاد اليهم الأنية الطقسية وانا الميرون التي قد اغتصبها، في ثورة غضبه، من خزانة البطريرك في دير مار برصوم، وكان قد رفض اعادتها لدى زيارة البطريرك الأولى له.

لدى شعوره بدنو أجله وهو في قبليقية، أمر ايواني ملك اليونان أن يخلفه ابنه الصغير لوجود الابن الكبير في العاصمة. فتولى مانويل الحكم في نيسان عام ١٤٥٥، فرحب به أخوه لدى دخوله القسطنطينية وقدم له الاكرام فتثبت في الحكم.. كما توفي في السنة نفسها ملك القدس فخلفه ابنه بغودين، وحيث انه كان صغيراً جداً، أدارت والدته شؤون المملكة.. وفي الفترة نفسها توفي داود صاحب حصن زياد فخلفه ابنه الصغير قرصلان لوجود ابنه الكبير لدى زنكي. فجاء زنكي يرافقه أساندوغميش بن داود وأخذ حاني، فيما جاء السلطان مسعود وأخذ أبلستين وسائر منطقة جيحون، ثم وحاصر ملطية واصطحب معه يعقوب أصلان، وفيما كان السلطان محاصراً ملطية، طلب قرصلان بن داود نجدته ضد زنكي، فأعطاه السلطان ٢٠ ألف فارس، وذهب لمجابهة زنكي الذي تراجع وعاد الى بلده. فأعاد قرصلان سيطرته على المنطقة التي كانت قد اغتصبت منه. أما السلطان فاستمر محاصراً ملطية ثلاثة أشهر دون أن يحاربها، وفي ١٥ آب وهو عيد انتقال السيدة العذراء والدة الله، أمر قواته باعداد ما يحتاجون اليه والرحيل، بعد أن سلبوا المنطقة. وخلال محاصرة السلطان لملطية، وصل جوسلين الى دير مار برصوم للتبرك، فالتقى هناك بأبناء كلوديا الهاربين من أمام السلطان، واستمع منهم عن جيشه العرمرم، فعاد الى بلده على جناح السرعة.

فجر يوم الجمعة ٢٦ تشرين الأول سنة ١٤٥٥، حدثت هزة أرضية في مدينة بورصة القريبة من العاصمة القسطنطينية، وكبدت الخسائر الجسيمة في الأرواح والممتلكات، وجف النهر الذي يمر في المدينة، وتكررت الهزة بعد ثلاثة أيام حين كان ماتبقى من الناس يصلون، فعاد النهر الى جريانه.. وفي ٢٣ أذار من السنة نفسها، وهو يوم خميس الفصح، شوهدت علامة رهيبة في المشرق بعد غياب الشمس، تتمثل بما يشبه الرمح، استمر سبعة أيام ولمدة ثلاث ساعات كل يوم. وقيل أن العلامة كانت تشير الى الدم.

فصل

في نكبة جلاء الرها مدينة المسيحيين في مابين النهرين الجليلة التي دمرها سيف الأتراك بالسماح من العدالة وبسبب خطايانا

لقد تم على النحو التالي: منذ أمد طويل، كان سكان الرها وكأنهم أسرى لدى الأتراك، وقد تددت أمورها من كل ناحية، وبغنة اصطدم جوسلين مع زنكي صاحب الموصل، ويعود السبب الى أن زنكي طارد صاحب حصن زياد فالتجأ الى جوسلين وعرض عليه حصن بابل مقابل مساعدته اياه ضد زنكي مثلما ساعده السلطان مسعود، فأرسل جيشاً لمساعدة قرصلان، دون أن يفكر بأنه ليس من صالحه الاصطدام مع الأتراك، من أجل جماعة من الأتراك أنفسهم. فاتخذ زنكي ذلك ذريعة. فانتهاز فرصة ذهاب جوسلين الى انطاكية، وخلو الرها من الجيش كما أفاده أهل حران، فحشد جيشاً سنة ١٤٥٦ وحاصر الرها يوم الثلاثاء ٢٨ تشرين الثاني، وعسكر آلاف وربروا أمام أبواب السور بالقرب من كنيسة المعترفين، وأرسل يقول لأهل المدينة: سلموا لنا تهلوكوا فليس لكم من ينجيكم. اعتماداً على الرسل الذين أوفدهم بيوس رئيس الافرنج الى انطاكية والقدس لطلب نجدة للمدينة المحاصرة، أجابوا، إننا لن نسلمها. لذا باشر زنكي القتال في مطلع كانون وبمختلف الأسلحة. فهناك سبعة منجنيقات تقذف الحجارة، والجيش يرمي السهام كالمطر وكان أبناء المدينة، الشيوخ منهم والشبان، الرجال والنساء والرهبان، يحاربون من على السور. فلما رأى زنكي أن ذلك الشعب المنكود الحظ يحارب بضراوة، أمر بالحفر تحت السور، فحفروا حتى وصلوا الى السور، في حين حفر سكان المدينة من الداخل وخرجوا وحاربوا، واذ لم يفلحوا في

هذه الطريقة، أقاموا سوراً من الداخل قبالة المنطقة التي كانت تُحضر.
في حين حفر الذين في الخارج تحت البرجين وأوصلوهما ببعضهما
بالخشب. ثم أرسل أتيج يقول لهم: نودع عندكم شخصين كرهائن، لكي
ترسلوا من يتأكد من حفر السور، فتسلموا المدينة قبل أن تؤخذوا
بالسيف. فأنا لأريد ابادتكم .

وحيث انهم اعتمدوا على السور الذي أقاموه، وعلى وصول
الافرنج، لم يستسلموا، لابل هزأوا به. فأضرم النار بالخشب واشتدت
المعركة في الصباح، وتلبد الجو بالدخان، فارتعدت القلوب والمفاصل من
هول الأبواق والجنود وصراخ الشعب، فسقط السور والبرجان. ولما
شاهد الأتراك السور الجديد من الداخل، احتاروا في أمرهم، حتى
لاحظوا أخيراً ثغرة ما بين السور القديم والجديد، فتأهب الجيش للدخول
منها في حين احتشد الشعب من الداخل مع بيوس والأساقفة لمنعهم من
الدخول، فامتلأت الثغرة بأكداس من جثث القتلى من كلا الطرفين. وفيما
كان الشعب يقاتل في تلك الثغرة، وقد خلا السور، وضع الأتراك السلام
وصعدوا الى السور، فوصل أولاً أحد الأكراد وصرخ وأخذ يرمي الناس
بالحجارة، فلما نظروه ارتخت أيديهم وفرعوا واتجهوا صوب القلعة .

ترى، أي لسان يستطيع أن يتحدث، أو أية اصبع لا ترتجف اذا
حاولت أن تكتب عن النكبة التي وقعت في الساعة الثالثة من يوم الست ٣
كانون الأول فقد دخل الأتراك مستلين سيوفهم وحرابهم، وسفكوا دماء
الشيوخ والأطفال، الرجال والنساء، الكهنة والشماسة، الرهبان
والمتوحدين، والراهبات البتولات والرضع، والأختان والعرائس. «فوق
سيطر الخنزير الأثوري ومَعسه العنب اللذيد». يالها من قصة مؤلمة. لقد
ديست مدينة أبحر صديق المسيح بسبب آثامنا: كنت ترى الكهنة قتلى
والشمامسة مذبحين والأفودياقونيين مهشمين والكنائس منهوبة والمذابح
قلب عاليها سافلها. يالهول هذا الضيق. انكر الآباء ابناءهم، وفقدت الأم

حنانها على أولادها خلال فتك السيف. وهرب بعضهم نحو الجبل فيما جمع غيرهم أولادهم كما تجمع الدجاجة فراخها، وهم ينتظرون موتهم أو سوقهم عبيداً بمجاميع. فيما حمل الكهنة الشيوخ ما معهم في حوزتهم من ذخائر القديسين والشهداء. وفي غمرة هذا الغضب رددوا قول النبي « علي أن احتمل غضب الرب لأنني بخطيئتي اغضبته ». ولم يفتروا عن الصلاة حتى اسكتهم السيف وشوهوا فيما بعد ملطخين بدمائهم وهم ممسكون بصناديق ذخائر القديسين .

لقد اختلق آلاف ممن هربوا صوب باب القلعة، وتكدست جثثهم أمام الباب، لأن الأفرنج لم يفتحوا لهم الباب تنفيذاً لأوامر بيوس بعدم فتحها مالم يحضر أولاً. ولما حضر وفتح الباب لم يستطيع الدخول بسبب اكدياس جثث البشر. واذ حاول الدخول سقط بين القتلى فضربه أحد الأتراك وقتله. وأخيراً تأثر زنكي من هول النكبة فأمر بإيقاف عمليات القتل، ثم صادف زنكي المطران باسيليوس يسحل بالحبل وهو عار، واذ رآه شيخاً حليق الرأس سأل عنه، ولما علم بأنه الأسقف لأمه لعدم تسليمهم المدينة، فأجاب بشجاعة: ان ماحدث هو الأفضل. فقال الأمير، وكيف؟ أجاب المطران. بالنسبة اليك، لك أن تفخر لأنك أخذتنا بقوة السيف. وبالنسبة البنا. ستكون لنا دالة عندك، عندما تعرف بأننا أقسمنا للأفرنج على عدم خيانتهم، وقد فعلنا، والآن نتعهد لك بذلك لطالما أن الله شاء أن نتعبد لك، فلما رآه بهذه الشجاعة، وتبين أن الكلام الذي نطق به باللغة العربية عقلاني ومنطقي، أمر بالباسه ثيابه وادخاله الى الخيمة واستشاره بخصوص مصير دور المدينة، وعلى أثر ذلك، نادى المنادي بعودة الذين نجوا من السيف الى بيوتهم. وبعد يومين أخذ الذين في القلعة تعهداً لحياتهم وسلموها. فأبقى الأتراك على قيد الحياة البقية من شعبنا ومن الأرمن واليونان، لكنهم قتلوا حيثما وجدوهم .

وهنا أقول، ليس من اختصاصنا الحديث عن نهاية النكبة، بل لندع أرميا النبي وأمثاله يتلون المراتي، والحكيمة ينظمن أناشيد النواح على الشعب التعيس سنة ١٤٥٥ اتهم اسقف لاقبين بمنطقة ملطية بالزنا، البطريك والبعض كانوا يرون أنه مظلوم ورسم آخر للأبرشية، وبعد فترة قدم باسيليوس المعزول الطاعة، كما شفع فيه آخرون، فأعطاه البطريك أديرة زابر، غير أنه طرد من هناك بعد فترة وجيزة لنفس السبب، ثم عطف عليه البطريك وأعطاه أبرشية سيبيرك، وبعد ثلاث سنوات طرد للسبب نفسه، في حين ان البطريك والبعض كانوا يرون انه مظلوم. غير أن الحقيقة لايعرفها سوى الله.. عندما هاجم زكي الرها وأخذها بقوة السيف نجا المطران باسيليوس الذي كان قد استولى على كرسيها، فصادفه زكي واحترمه لشجاعته وتكلمه باللغة العربية، وسلم اليه مقاليد المدينة لاعادة السكان اليها. وبهذه الطريقة نجا الكثيرون، واحتل الأسقف مكانة متميزة طيلة فترة حكم زكي على الرها، وحتى مصرعه .

خلال جلاء الرهاويين الأول، قتل فيمن قُتل، الأسقف باسيليوس بن عباس الذي كان اسقف ماردين وترك الأبرشية وسكن في جبل الرها حيث استشهد، وأقيم أسقفاً لماردين، مار يوحنا الذي ارتسم في أيام اثناسيوس أي الفرج سنة ١٤٣٦، وكان يتميز بذكاء وقاد واتجاه مستقيم ومناقب سامية، وتبحر ذاتياً في العلوم الطبيعية والمقدسة نتيجة مطالعته للكتب. واكتشف صناعة يجهلها الكثيرون ويحتاجها الكثيرون، لاسيما الملوك، فقد استطاع عن طريق تسوية الأرض ومسحها أن يوجه مياه الروافد والأنهار من مكان الى آخر. فنال حضوه وكرامة لدى الملك وكافة حكام منطقة بين النهرين وآثور، وكان سخياً غزير العطاء للمساكين والمحتاجين. فلما احتل زكي صاحب الموصل الرها واستعبد بنيتها، رئف بهم المطران وحرر عدداً كبيراً من العبودية، حيث انه كان يشتريهم ويحررهم مااستطاع الى ذلك سييلاً. أضف الى هذا، تجواله في أبرشيته،

حائاً ابناءها على الاسهام بانقاذ المسيحيين من العبودية، فكبر في اعين الكل ، واشتهر في كافة البلدان بسبب هذه الفضائل والخصال الحميدة، ولاسيما لدى ذوي الطبيعة الواحدة والمسلمين، وبخاصة لدى الملوك .

فصل

في ماجرى بين ملوك الأرض من أحداث. وفي كنيسة
الارثوذكسيين وسواها، والأحداث التي جرت خلال
فترة جلاء الرها

كلمة مار ديونيسيوس مطران آمد في الرها

« هناك بعض الناس ذوي الأمزجة الحادة ينظرون الى الأمور
بمنظارهم الخاص ويقولون: لم أدت الرها بعصا الغضب الأثوري أكثر
من سائر المناطق؟ وكيف تجلس وحدها كئيبة دون سائر رصيفاتها
المدن؟ يجيب الكتاب على هؤلاء فيقول: عظيمة هي أعمال الرب،
وعميقة هي أفكاره، ولا تدرك جميع أعماله لكنه يظهر بعض أسراره
لعبده أحيانا. فان الكوارث والنكبات لاتأتي تلقائياً كما يذهب الوثنيون
لكنها نتيجة الابتعاد عن الله، فانه تعالى يطلق يد الأعداء، بل يقويهم
أحيانا على الذين ينحرفون عن طريقه وحفظ وصاياه، فيسبون وينهبون.
وهذا أيضاً لا يحدث دائماً بسبب الخطايا. فكثيراً ما يتحمل الأبرار من
أجل توبيخ الأشرار، وعندما يرى العارف بكل شيء، انهم مزمعون ان
يخرجوا عن نطاق النياقة، يسبق ويزجرهم كأب يشفق على أبنائه، لأنه
لايريدهم أن ينحرفوا عن الحق، وأحيانا يثب من هم له، ليتعظ الآخرون
فيقولون: ان كان الابناء قد احتملوا بهذا المقدار من أجل أمور بسيطة،
فكم بالأحرى الوقحون الميالون دوماً الى الشر، فأي قصاص يستوجبون،
وأية ضربة لايحتمل أن تطالهم؟ انه من الصعوبة بمكان ادراك مثل هذه
المقاصد، وليس بيننا من يستطيع أن يدرك الأعماق ويكشف الخفايا
ليوضح لنا السبب من أجله احتملت الرها مااحتملت، ودب فيها الخراب

دون رحمة. ثم علينا أن نتفحص الكتب المقدسة لنجد الأسباب المختلفة التي تؤدي الى خراب المدن وهجرة البلدان. ومن هنا علينا أن نتوقف عن البحث في مثل هذه الأمور.»

هذا ماكتبه المطران ديونيسيوس لما كان شماساً في ملطية، ثم وضع كتاباً في العناية، كما نظم قصيدتين على الوزن الاثني عشري عن جلاني الرها، ونظم اسقفها باسيلوس ثلاث قصائد عنها على الوزن الاثني عشري أيضاً، لأنه كان موجوداً في كلا الجلائين، فكتب مطولاً كشاهد عيان. فمن شاء أن يطلع ليقرأ هذه القصائد الخمس .

في فترة جلاء الرها، كان في نصيبين والي يدعى اسحق بابك معين من قبل زنكي، خشي أن ينتقم منه زنكي لسبب أو لآخر، لاسيما وان معنوياته قويت جداً بعد احتلاله الرها. فأمر بهدم جميع الحصون في ولايته التي لاتقوى على الصمود أمام زخم زنكي. فدمر كلا من حصن حور عبرا، وتلبسما المدعو باسم توما، وحصن تلالا والقلعة المجاورة لدير مار حنانيا المعروفة بقلعة المرأة. وحاولوا تخريب سرجا المجاورة لنصيبين لكنهم فشلوا في زعزعة البناء القديم لمتانته، وهدموا الجزء الحديث الذي كانوا قد شيدهم هم، وأخلوا القلعة. وكان في هتاخ حصن منيع لم يسقط بأيدي الأتراك، بل ظل بيد شخص من قبيلة آل مارون الذين تولوا السلطة في ميافرقاط. فلما انقسم اصحابه وتخاصموا في مابينهم، ورأى حسام الدين ان ليس للأكراد من يساندهم، حاصرهم مدة سنة واربعة أشهر، فطلب أحمد عهداً فأعطاه، كما أعطاه أموالاً وقرى في منطقته بديلاً عن الحصن، غير أن الكردي ندم فيما بعد والتجأ الى صاحب آمد ليسانده في استرجاع الحصن، فلم يفلح .

بعد جلاء الرها، خرج قرصلان بن داود من لدن زنكي وحاصر تل ارسينيوس وطلب تسليمها اياه، فلم يستجب السكان لأن ابناهم كانوا

رهائن في حصن زياد، فلم يجر لهم ماجرى لابناء الرها الذين تنازعوا دون أن يكون لهم نصير، لكنهم استعبدوا جميعاً في حين حاولوا ان لا يستبعد أحد منهم، حيث أمر الأمير أن يؤخذوا عبيداً، وعددهم نحو خمسة عشر الفا، جاء بعضهم من الخارج، وكان بينهم الأسقف طيمثاوس وجماعته .

في هذه الأثناء، تآهب الافرنج للتوجه الى الرها لمساعدتها، فاذا بنبا دمارها يفاجئهم، فحزنوا جداً، فدخلوا الى تلعدا، وتجمهر حولهم الأتراك ومنعوا عنهم الطعام فعرضهم الجوع فهربوا كما غادر اهل سروج المدينة فدخلها الأتراك. وحاصر زنكي البيرا، في حين سعد جوسلين الى القدس بحجة حشد جيش.. وفي الموصل حصل انقسام، فاخرجوا ابن السلطان المعتقل هناك وقتلوا نصر الدين نائب زنكي. فلما سمع زنكي ترك البيرا وجاء الى حلب وعقد صلحاً مع الافرنج، فنجت منه البيرا. ثم ارسل زنكي زين الدين قائد جيشه وأعاد السلام الى الموصل وأعادوا ابن السلطان الى المعتقل فاستعاد زنكي قوة معنوياته .

في هذه الفترة، نشط النزاع في كنيستنا وتساءل ماريوحنا اسقف ماردين عمّ اذا كانت التجارب والبلايا والأحداث المؤلمة، من الله ؟ وكان لمار يوحنا شهرة مستفيضة في كل الأرجاء وبخاصة لدى الارثوذكس، ووصف بأنه البقية الباقية من البركة التي للشعب الارثوذكسي. ولكن وبما أنه لم يتوقف منذ طفولته، حاول في شيخوخته الغوص وراء الكنوز الالهية المدفونة في الكتاب ليغني بها نفسه. فاعتقد بأنه ليس من اللائق أن تتسب كل النكبات والتأديبات الى الله. قال هذا رداً على الذين يذهبون هذا المذهب. وناقش هذا الموضوع مع طيمثاوس اسقف جرجر والمتوحد ابي غالب اللذين لم يستطيعا أن يقنعا به هذا الرأي بالرغم من النقاش الحاد، فطوي الموضوع .

بعد أن نكبت الرها بتلك الضربة القاسية، ساد التذمر المسيحيين
وتساءلوا: ترى لم ترك الله الكهنة والمتوحدين القديسين يقتلون،
وتغتصب العذارى وما إلى ذلك؟ وعلى أثر ذلك كتب مار يوحنا يقول
«ان الله لم يصدر أمراً بتسلط الأتراك على الرها وتل ارسينوس، أو أذن
بالنكبات القاسية. فلو وصلت جيوش الاقرنج لما استطاع زنكي احتلالها»
وقد أذاع منشوراً مطولاً ضمنه اقتباسات من الكتب وبراهين طبيعية
لاثبات رأيه، لكنه لم يأخذ آيات الكتب المقدسة بمفاهيمها الصحيحة، بل
من وجهة نظره هو. فقد فسر قول الرب «لا أريد بموت الخاطيء» بقوله:
ان الخاطيء لايموت بمجرد تركه وشأنه.

فصل

في مصرع زنكي وغيره من الأحداث التي جرت في هذه الفترة

يوم الخميس ١٣ كانون سنة ١٤٥٦، في الشهر الذي تم جلاء الرها، شب حريق في دير قريط بمنطقة كرشنا، فأتى عليه وعلى كل ما فيه. وذهب ضحيته راهب شيخ، ونجا بقية الرهبان. وفي اليوم ذاته احترقت قرية احذا بمنطقة مرعش. ويوم الجمعة من نفس الشهر. شب حريق في دير مار برصوم، وأتى على ثلاث غرف فقط. وفي مطلع ايار وفي تمام الساعة الحادية عشرة مساءً، شوهد مذب ذنبه باتجاه الجنوب واستمر ظهوره سبعة أيام. ثم شوهد في الغرب مدة سبعة أيام أخرى. وفي ٢٤ ايار، وهو عيد الصعود، حدثت هزة أرضية عنيفة.

في هذه الفترة، شرع بغدوين الافرنجي صاحب كيسوم ببناء سورها بالحجر والكلس، بدلا من اللبن والطين التي كان مبنياً منها. وكان قاسياً على المسيحيين، حتى انه اتخذ بعضهم عبيداً، لكنه قتل بعد أن أنجز نصف السور فقط. لدى شعور الافرنج بضعفهم، توجه بيدوين صاحب انطاكية سنة ١٤٥٧ الى مانويل ملك اليونان في القسطنطينية، واعتذر عما ارتكبه بحق والده، اذ سمع ان والده أوصاه بالانتقام من الافرنج. وازاء هذا التنازل، اكرموه ونفحوه بالمال والعطايا السخية، شريطة أن يساند المسيحيين. أما زنكي فقدم الى الرها ومكث فيها اياماً يشجع السريان الذين هناك، ويعطف من كل قلبه على المسيحيين المتواجدين فيها. ولما ذهب الى قلعة جعبر على شاطئ الفرات، أدركه غضب الله بأحكامه غير المدركة، اذ غدر به أحد قواده وتآمر مع اثنين من معتمديه

اي الخصيان حماة سريره، وقتلوه بعد أن أنعسته الخمرة، وذلك فجر يوم الأحد ١٥ أيلول. وعلى هذه الصورة انتهت حياته .

استغرق حكمه في الموصل والمناطق الأخرى ١٩ سنة، بضمنها سنة وعشرة أشهر في الرها. أما قاتلاه، فقد هرب أحدهما الى قلعة جعبر فنجا، وهرب الثاني الى الرقة، وتشتت جيشه، وتفرق أولاده كل الى جهة. فقد تولى محمود المدعو نور الدين الحكيم في حلب، وغازي سيف الدين في الموصل. واضطربت الأمور وانتشر اللصوص الأتراك في كافة نفوذ زنكي وسلبوا دون رحمة كل ما وجدوه .. في هذه الفترة، نهب دير قرتمين وقتل فيه أربعة رهبان .. دخل قرصلان صاحب حصن كيفا منطقة طور عبيد التي كانت يوماً ملكاً لوالده ثم اختطفها زنكي، وقد أعادها الآن بعد معارك عنيفة .. وفي الموصل، حاول بعضهم تولية ابن السلطان الذي كان معتقلاً فيها، فقاوم بين وقتل منهم عدداً كبيراً وأبقى ابن السلطان في السجن، وولى غازي سيف الدين بن زنكي .

عندما ظهرت رسالة يوحنا أسقف ماردين، وفيها نفي قاطع لكون خراب الرها تم بإرادة الله، تصدى لها كل من ايوانيس اسقف كيسوم وابن اندراوس. فكتب كل منهما رداً عليها، وفي ملطية أيدها القس صليباً فريجه أحد أبرز الأدباء يومذاك، مؤكداً ان مار يوحنا استند في رأيه على كتب الآباء الثقات. وبالرغم من ذلك فقد انتقد بعض ماجاء فيها، كما انتقد ماكتبه الذين ردوا عليه، وقال: ان يوحنا مطران ماردين بنفيه ارادة الله كلياً عن بلايا الصديقين، يكون قد أبعد قوة عناية القادر على كل شيء، وان الآخرين باصرارهم على ان كافة النكبات والضربات تأتي: بإرادة الله، يكونون قد نفوا رحمة الله وعنايته بكل انسان. وبناء عليه يجب ان نفهم « الارادة » على أنواع. فقد تأتي بصيغة أمر، أو على هيئة السماح. وهذه تحتاج الى مزيد من التدليل استناداً الى شهادات الآباء القديسين، حتى تظهر الحقيقة. وحيث أن هدفنا من هذا الكتاب لايتناول

مثل هذه الأمور، بل أحداث العصور فقط، فلا نريد أن نضع القارئ في
مآهات عندما ينتقل من خبر إلى آخر، لكننا ننصح من يود أن يعرف
حقيقة هذا الأمر، بمطالعة الكتاب المجمع من الكتاب المتبحرين تأليف
ديونيسيوس يعقوب ابن لصيلبي مطران آمد، حيث أنه يميز فيه هذه
الأنواع بصورة واضحة وصحيحة وبحسب ما ذهب إليه الملافنة
القديسون .

فصل

في خراب الرها الثاني وشؤون أخرى

ذكرى الربان المتوحد توما، والأسقف عبدو

عاش في هذه الفترة، في جبل زابر، الربان المتوحد توما واستأذه المطران الطوباوي. ويطيب لنا أن ندرج سيرتيهما بين سلسلة كهنة لكنيسة فنقول كان الربان توما من حصن شميرين بمنطقة سود المجاورة لمطية، وحين اشتدت المجاعة في أيام بوزان التركي، جاء الفتى توما الى دير زابر لدى خاله الراهب، فرغب في السيرة الرهبانية ونسي والديه وابناء جنسه. وتواجد آنذاك رجال فضلاء، أحدهم مار ايوانيس عبدو اسقف كرشنا، وكان شيخاً فاضلاً نهج منذ صغره سلوكاً حسناً وتتلذ لأناس أتقياء وتتقف عليهم، متمرساً على شغف حياة الوحدة حتى الشيخوخة. وبعد الحاح شديد وضغط الروح قبل درجة الأسقفية على يد البطريرك يوحنا بن عبدون، ولكن بعد فترة، والتماس من البطريرك مقروناً بالبكاء، سلم الأبرشية للبطريرك فرسم لها شخصاً آخر. أما هو فاعتكف متوحداً. فلما رأى توما وتبينه ملياً شجعه على رغبته المقدسة، لا بل ألهبها في داخله، فتتلذ له واستلم لنير الرهبنة المقدس، واعتكف هو الآخر في كوخ بعيد بعض الشيء أعده لنفسه. وكان الأسقف القديس يزوره باستمرار ويروضه على قراءة المزامير والممارسات الرهبانية. فشرعت الشياطين تحاربه، فيشجعه الأسقف على التصدي لهم كالأرض الخصبة التي تتقبل البذور الجيدة تثمر ثماراً طيبة أي الخصال التي ترضي الله. وبعد أن خدم الأسقف حتى رحيله الى الحياة الأبدية، واصل حياته في نفس المكان مدة ٦٤ سنة. حيث كان يصعد الى الجبل في

الصيف، ويرعى بنفسه بعض الأشجار والكروم ويصنع زبيبا من ثمارها، فيحصل على صنفين من المكاسب الروحية، أولهما ازدهار نسكه بعدم اكله منها، والثاني مقايضيته بعضها بالحنطة لسد حاجته الجسدية لئلا يتقل على أحد .

لقد وصل الشيخ الى درجة عالية من الكمال، وأهله الرب أن يسعف المرضى الذين يقصدونه بايمان، وكان يظهر لهم باستمرار . وقد سمعت انا ميخائيل شخصيا شهادة اسقفين هما عمي اثناسيوس مطران انازربا، ومار ايوانيس اسقف كيسوم اللذان شهدا بأن الربان توما قال لدى وصول زنكي لاحتلال الرها «ان الله اسلم الرها بيد الأتراك» فقال له الأسقفان، لا تقل هذا أيها الربان رحمة بنا. لكنه استطرد يقول: « أجل، أيها الأسقفان، حقا ان الله اسلم الرها، وان عددا كبيرا من مسيحييها سيقتلون ». وبعد الاحتلال الأول سمعت عمي المطران يقول للجمهور: سمعت الربان توما يقول « بعد سنتين ستشرب الرها كأسا أكثر مرارة من الأولى، كما سينهب دير مار برصوم وأديرة ازبر » فقال له الحضور، مالذي بقي في الرها ؟ أجاب: لأدري، هذا ماقاله الربان توما، وهذا ماسمعه من البار منذ فترة. ولما حدث ذلك، تأكد لدى الجميع كل ماقاله الربان توما، وان الرؤى التي يراها والأشفية التي تتم على يده هي من الله وقد استشهد ذلك الشيخ بحد السيف لدى دخول الأتراك دير ازبر يوم الأربعاء ٢٧ تشرين الثاني، وهو عيد مار يعقوب سنة ١٤٥٨. ليكن ذكره للبركة، وصلاته معنا آمين .

سنة ١٤٥٨، لدى سمعهم بمقتل زنكي، اجتمع الافرنج مع جوسلين وبغدوين صاحب كيسوم، واتجهوا في تشرين الثاني صوب الرها. فصعد المشاة ليلا بالسلام الى برجين بمؤازرة حراس السور، الأرمن، فهرب الأتراك الى القلعة. وفي الصباح فتحت منافذ المياه، فدخل جوسلين، فأرسل الأتراك وفود استتجاد الى حلب والموصل. كان

دخول الافرنج يوم الاثنين ٢٦ تشرين، وظلوا ستة أيام يدرسون كيفية مهاجمة القلعة. لكن الأتراك تجمعوا من كل حدب وصوب كالجراد، فخاف الافرنج لشعورهم بأن أزر الرب غاب عنهم، فاستسلموا لذهن مرفوض، والزموا أبناء المدينة الشقية على الالتحاق بهم، ظنا منهم بأنهم سيفلتون من أيدي الأتراك المحيطين بهم الذين لاحصر لهم. ولم يدر في خلاصهم، عجزهم عن مقاومتهم وهم داخل السور، فكيف بهم في السهل؟ غير أن قلوبهم قست مثل فرعون، وجروا الشعب المجرد وخرجوا في الساعة الثانية ليلا واضرموا نارا في الساحة. فأجهش الشعب بالبكاء وغبطوا الذين ماتوا في الاحتلال الأول، لأنهم رأوا كيف ان النار التي أضرمها الافرنج تحرق بيوتهم وممتلكاتهم، وسيف الأتراك مستل عليهم. وازدحمت الجماهير مع جنود الافرنج على باب المدينة. فقتل عدد من الناس والبهائم وأحصوا مع الذين اختنقوا سابقا. أما الذين التجأوا الى الكنائس وأماكن أخرى، أو الذين ظلوا بسبب الشيخوخة أو بسبب أي شكل من أشكال الوهن، فنزل عليهم الأتراك من القلعة بلا رحمة، والتقوا على الذين نجوا من الاختناق والازدحام وخرجوا مع الافرنج، وأمطروهم بالنبال والسهام.

فيا لسحابة الغضب واليوم الذي توارت فيه الرحمة، وتضاعف التأديب العنيف على أبناء الرها. يالليل الموت وصباح الجحيم ونهار الهلاك الذي باغت أبناء المدينة المنكودة. ترى من يستطيع أن يتحدث أو يسمع دون أن يذرف الدموع. تُرمى الأم ورضيعها الذي على كتفها بسهم واحد، وليس من يسعف أو يرد السهم. داستهم حوافر خيول المضطهدين على حين غرة، وعصرتهم معصرة الغضب. كانت السهام تنهمر عليهم في الليل، وفي الصباح كان الظلام أكثر كثافة من جراء السيوف والرماح التي فتكت بهم حتى الساعة التاسعة. وهم يسكرون في طريق الدم. واذ لمس فرسان الافرنج الشقاء عجزهم عن انقاذ الشعب، قرروا الهرب فطاردهم الأتراك. أما مشاتهم فلجأوا الى حصن مهجور قريب، ودخلوه

مع الشعب البائس، فصرخت الأرض من هول النكبة التي حلت بالمسيحيين، حيث تسلط السيف عليهم كتسلط السيف على السنابل، والنار على الهشيم، وتكدست جثث الكهنة والشمامسة والرهبان والأعيان والفقراء كالأغمار. وبالرغم من موت هؤلاء المؤلم، فانهم لم يتعذبوا مثل الذين بقوا على قيد الحياة، سقطوا وسط نار حقد الأتراك. فنزعوا عنهم ثيابهم وأحذيتهم. والزموهم، تحت العصا على اللحاق بالخيول رجالا ونساء وهم عراة، بعد ان شدوا أيديهم الى الورااء، ومن تهاوى منهم وسقط على الأرض شقوا بطنه وتركوه ليموت في الشارع فصاروا طعاما للحيوانان وقوتا للطيور، وبتن الهواء برائحة الجثث وامتلات آثور من السبايا.

قتل معظم فرسان الافرنج، ولم يعثر على جثة بغدوبن صاحب كيسوم. اما جوسليين الشرير فأفلت وهرب الى شمشاط، كما نجا المطران باسيلوس. وقبض على مطران الارمن مع عدد كبير منهم وبعض الافرنج. وفي حصن كوكب المهجور قاتلوا الاتراك الذين لحقوا بهم الى هناك، دفاعا عن نفوسهم، وفي الليل تراجع الاتراك الى السهل لسلب الثروات من ذهب وسواه، تلك التي كانت مخزونة منذ اجيال في المدينة المنكوبة، فحملها اصحابها وخرجوا، ولكن بسبب السيف المسلط عليهم، استهانوا بكل شيء. وبعد تراجع الاتراك، تسلل الذين في الحصن ليلا وهربوا الى شمشاط.

بلغ مجموع ماقتل في الاحتلالين ثلاثين الفا، وعدد الذين استعبدوا ستة عشر ألفا، ونجا الف من الرجال فقط، اما النساء والاطفال فلم ينج منهم أحد، اذ قتل بعضهم، وشرد الآخرون في شتى البلدان، وخلت الرها وصارت مثالا للرعب وهي متشحة بحلة سوداء وسكري بالدماء. وبتنة بجثث ابنائها وبناتها، ترعى وتمرح فيها الوحوش ومختلف الحيوانات ليلا، لتقتات بجثث البشر، وغدت مأوى لبنات أوى، فلم يعد يدخلها سوى

الساعين وراء اكتشاف كنوزها. واخذ اعداؤها من بني حران وغيرهم
ينبشون الكنائس ودور الاعيان قائلين «هه هه قد رأيت بها اعيننا» .

كلمة توجيهية من وحي خراب الرها: بقلم ديونيسيوس مطران آمد

« لقد حُتَمَ عليها الفناء والزوال، لم يبدأ الخرباء، بل بدأه المسيحيون اولاً. ترى ماذا يقول السفهاء؟ من الذي بدأ هذا التأديب وما اسبابه؟ فان زعموا ان مصدره الرب، قلنا هذا غير ممكن، لان ذاك لايشاء بهلاك جبلته. ان الاعداء هم الذين شرعوا بالسلب والقتل وهتك العذارى وما الى ذلك. واذا قالوا ان الاعداء قهروهم دون تدخل ومؤازرة الرب، قلنا: هذا تجديف، لان الرب لا يهمل لكنه يسمح بقهرنا من قبل اعدائنا الخفيين او الظاهرين، اذا ما انحرفنا عن طريقه - ومن هنا علينا ان ننظر الى الضربة على انها توبيخ - ويصدر الحكم بما يتناسب ومدى الانحراف. ويجب ألا يغيب عن بالنا، باننا مسؤولون عن كل ما يلحق بنا من خير او شر. فاذا رغبتنا في الخير وعملنا من اجله، فان الرب يؤازرنا ويساعدنا على تحقيقه. اما اذا انحرفنا نحو الشر بمحض حريتنا، فان الشيطان هو الذي يشجعنا على تحقيقه، والرب نفسه يأذن بان تطيح بنا التجارب بسبب هذا الانحراف مثل اهل الرها الذين صارت آخرتهم أشر من اوائلهم، وحلت بهم للمرة الثانية نكبة رهيبة وخوف يعجز اللسان عن وصفه .

فلا تعتقدوا ايها الناس، بان مثل هذه النكبات تنزل بمجرد خطيئة شعب فقط، بل بسبب خطايا كثيرة ترتكب، في كل مكان. فليعرف هذا، اولئك الذين لم يدركوا بعد مدى خطورة ضربة المؤدب، وليتخذوا عبرة من عكار الذي اخطأ وحده، لكن العقاب طال جميع ابناء جلدته. وكذلك بسبب خطيئة ابناء عالي طال الدمار كل اسرائيل. فاذا كان اولئك الذين اخطأوا قلة وقد طال العقاب الشعب باسره، فكم بالاحرى يطالهم، في

عصرنا هذا الشرير الذي فيه انحرف الجميع عن العدالة. وانغمسوا بالمنكرات وابتعدوا عن العفة واستمرأوا الخبث ؟ الا يستحق بعض الناس والبلدان التأديب بسبب خطاياهم الجماعية التي فاقت شعور الرؤوس .

فلنخس الله ايها الاخوة، وننبذ الشراة واصفاد الخطايا. وعلينا ان نفهم ذواتنا، فلا نصب كل اهتمامنا بها، لئلا يدركنا الغضب الذي لا مناص منه اذا ما سقطنا على ظهورنا وتمرغنا بحمأة المفسد. ونكتفي الآن بهذا المقدار .

فصل

في نزوح عدد كبير من الناس من الغرب على اثر تلقيهم اخبار الرها المشنومة. وشيوع عبارة الشياطين بين اليونان. وبعض ما جرى في الكنيسة من احداث في هذه الفترة

في ٢٥ كانون الثاني، شوهد مذنب في كبد السماء باتجاه المغرب، دام مدة شهر. وفي فجر يوم ١٥ شباط شوهد آخر في المشرق، دام خمسة ايام، وانحبست الامطار وجفت الينابيع .. وفي هذه السنة ولدت جارية في القسطنطينية طفلا له عينان وفم واضراس وذنب في مؤخرته - انه امر ضد الطبيعة .. ظهرت في هذه السنة بدعة شنعاء في القسطنطينية، يسميها اصحابها « فوكولموس Fogolmos»، انضم اليها عدد كبير من الرهبان والشعب وحتى بطريركهم فنحي وقام آخر بدلا منه، ثم اكتشف بانه هو الآخر من اصحاب هذه البدعة الذين يعتقدون بان المسيح انسان بسيط، ويزعمون ان ثبات هذا العالم منوط بالشياطين، وانهم موعودون بالغنم والسلطة ويشمئزون من السجود للصليب، وقد تم بهم، كخلقيدونيين، قول الرسول الالهي « الذين اساءوا الى انفسهم اذ حسبوا انفسهم حكما»، فقد انحرفوا عن الحق وزاملوا النساطرة، واستبدلوا الحق بالاثم لكي يغرروا بالسذج فاهملهم الله وتخططوا بضلالهم، واضحت مدينة قسطنطين الظافر قاهر الشياطين، مسرحا لعبادة الشياطين. لقد عم هذا الضلال الى درجة ان رئيسهم انجرف الى الهوة، وتم فيهم قول النبي اشعيا «من اسفل القدم الى الرأس ليس فيه صحة»، ٦/١ .

سنة ١٤٥٨ احتل طمرطش صاحب ماردين دارا، وبالمقابل، غزا غازي بن زكي صاحب الموصل منطقة ماردين، فتقابل الطرفان استعدادا

للحرب، وقررا ان تكون المدينة للذي ينتصر، فتوسط بينهما بعض قضااتهم، فاعاد صاحب الموصل ما كان قد سباه واخذ المدينة. ومنذئذ تشجع الاتراك، فدخلوا مناطق الافرنج من كل الجهات .. دخل ميغلاصلان ابن السلطان مسعود، مرعش عن طريق جيحون، وسباها، وتقدم الاتراك نحو منطقة كيسوم فاستقبلهم دنكد الذي تولى حكم كيسوم بعد مقتل أخيه بغدوني. وفي هذه الاثناء خرج مانوئيل ملك اليونان وتصدى للسلطان مسعود، فجمع السلطان الامراء الاتراك والجيوش من بغداد وخرسان وبقية المناطق. ولما اوشك المعسكران على خوض المعركة، تدخل الافرنج فعقد الصلح، وعاد كل من ملك اليونان والسلطان الى بلاده ليحميها .

قصة

لما وافت انباء النكبات التي حلت في الرها، ملوك ايطاليا، تدفق الناس باعداد لا تحصى، بينهم ملكان وعدد كبير من القضاة. فكان مع ملك الالمان تسعمائة الف، ومع ملك فرنسا خمسمائة الف، وغيرها من الشعوب ذوي لفات مختلفة، فخاف ملك اليونان من ان يقضوا على مملكتهم اذا اجتازوا البحر وسيطروا، فتحالف مع الاتراك، لكنه ماظلمهم مدة سنتين. وفي سنة ١٤٥٩ اثاروا حربا ضد القسطنطينية قاصدين تدميرها، فاعطاهم ملك اليونان اموالا واقسم لهم بالصليب والاسرار المقدسة بان يدلهم على سواء السبيل ولا يخذعهم، فوثقوا به وعقدوا معه صلحا. لكنه حنث باقسامه، وارسل امامهم اذلاء مخادعين فقادوهم الى جبال وعرة جدا. وبعد مسيره خمسة ايام، دون ماء، تتصل اولئك المخادعون وتركوهم معذبين، فمات منهم عدة ربوات جوعا وعطشا. فلما شعروا بانهم خدعوا، عادوا غاضبين على اليونان، فانتهاز الاتراك فرصة تنازعهم واعملوا السبف في كل الجهات، وقضوا على عدة مجاميع تائهة وبلا طعام حتى كلوا من كثرة ما قتلوا، وامتلات بلاد الاتراك من ثياب

الافرنج وفضتهم، حتى غدا ثمن الفضة في ملطية كثمن الرصاص،
وصدّرت الى فارس .

كان اليونان يخلطون الكلس بالقمح ويبيعونه للذين عادوا الى
سواحل البحر، فكانوا يتساقطون موتى اكداسا اكداسا لدى اكلهم اياه. انه
حدث يثير الدهشة ويستحق التدوين للاجيال القادمة، ان يقضى على شعب
لا حصر له من غير قتال، بل لمجرد خدعة أثيمة. ولدى عودتهم
غاضبين، سيطر الافرنج على حصن واحد لليونان فدخلوه وقتلوا من فيه
.. لقد مات ملك رومية على اثر مرض، اما ملك الالمان والقضاة الثلاثة
فوصلوا الى القدس، وهناك غدر بهم مرة ثانية، لدى تحالفهم مع ملك
الافرنج في القدس ومحاصرتهم دمشق. فقد ارسل اهل دمشق الى ملك
القدس سرا يقولون : لا يغرنك هذا الملك العظيم، فسوف لن يدعك في
القدس اذا سيطر على المدينة، ونحن نؤثرك على هؤلاء. وسنرسل لك
اموالا لترسلها بدورك الى الذين في البحر لتبقى مملكتك لك. فوعدوا
بأعطائه اربعمائة الف دينار، ومئة الف لحاكم طبرية. فاخذوا المال
وعادوا الى القدس، ولدى فحص الذهب وجد انه نحاس من الداخل،
فوقعوا في خيبة أمل. ولما شعر الملك الالمان بانه خدع من قبل اليونان
والافرنج، عاد الى وطنه كئيبا. والى هذا المصير انتهى اولئك الذين
خرجوا لينتقموا دون اذن الله .

بعد تدمير الرها بالكامل، وصل مطرانها باسيلوس الى شمشاط،
فوش به بعضهم لدى جوسلين متهمين اياه بالتواطؤ مع الاتراك، وقالوا :
اذا أفلت منك عاد اليهم، فيجب ان يموت لئلا يغرر بقى ويعيدهم الى
الاتراك. فقبض عليه جوسلين وسجنه في قلعة رومانية مع اسرى
مسلمين. فامضى هناك ثلاث سنوات، وكتب بعض المقالات عنها وعن
بقية الاحداث، كما رد على الذين يقولون ان البركة التي بارك بها الرب
الملك أبحر قد زالت. وبعد مغادرته السجن اخذ يتجول ويجمع الصدقات

لكي يفتدي ابناء جلده الاسرى لدى الاتراك، فوصل الى انطاكية والقدس،
ورحب به ملك الافرنج وبطريكهم، وفي طريق عودته وصل الى
الموصل والتقى زين الدين نائب زكي الذي كان يدير شؤون الدولة مع
ابن زكي، فاحتفوا به وخصصوا له راتباً لمعيشته. وبعد فترة شخص الى
البطريك اثناسيوس الموجود يومذاك في آمد بين النهريين، وطلب أن
يعينه لابرشية سيبرك والشمال التي كانت يوماً منطقة بمطران الرها .

فصل

قصة الرها بقلم مطرانها مار باسيليوس

بعد الطوفان الذي حدث في ايام نوح، بنى الملك غرود من آل كنعان الرها، وكان من ادر ساره اعني القرية التي سكنها الكلدانيون، فقد اضاف كلمة «اعني» لتعطي معنى مدينة الكلدانيين، كقولنا اورشليم، مدينة السلام. وقد ازدهرت فترة طويلة ثم بادت .

(يتحدث يعقوب الرهاوي عن خرابها فيقول)

لم نعثر على اسم مدمرها، ومن المعتقد انها دمرت في عهد سنحريب الذي صعد الى اورشليم، وظلت مهجورة حتى أعيد بناؤها في عهد الاسكندر. فقد انشأها الذي رافقوه من مقدونية وسموها « اريسا » اي المحبوبة باسم مدينتهم في مقدونية، لذا اضيف اليها اسم سورو مقدونوس. وبناء على هذا فانها تبعت التقويم الذي يبدأ بسولوقس نيقاطون لانها أنشئت من قبله. وبعد ٣٠٠ سنة تولى الحكم فيها ابجر بن معنو الذي آمن بالمسيح، وبعد الاباجرة، خضعت لسيطرة ملوك رومية الذين كانوا لا يزالون وثنيين عابدي الاصنام، وظلت تحت سيطرتهم ٣٠٠ سنة أخرى. وفي هذه الفترة تكلم المعترفون الظافرون، شمونا وكوريا وحبیب وقوزما وروميان. وازدهرت فيها المسيحية في عهد الملك قسطنطين، فشيدت فيها كنائس فخمة. ولما حكم بامينوس الوثني، فشل في السيطرة عليها، وكذا واليس الهرطوقي. بعد عهود هؤلاء نعمت المسيحية بالسلام

حتى عهد مرقيان الهرطوقي. ولما اشتد الاضطهاد في عهد يوسطنيان وخلفائه، وظهر العرب في عهد هرقل، انتقلت الى تفوز ملوك العرب منذ عهد عمر بن الخطاب. حتى ظهور الاتراك اي نحو ٤٠٠ سنة. وفي عهد الاسلام انهار سورها المتين الذي كان قد اقيم في عهد سلوقس وانشاد به مار افرام.

اما سبب تدميره فهو: ان منصور دونيقي، بعد سيطرته عليها، بنى له قصرا في الرقة، وطلب من الرهاويين اعمدة رخامية صغيرة من التي في الكنيسة الكبرى، فرفضوا، فغضب عليهم، فتمردوا بدورهم فحاصرها ودمر كنيسة مار سرجيس، ثم خرج اليه بعضهم خلسة واتفقوا على تسليمه اياها اذا اقسم بان لايسيء الى أحد، فاقسم بانه لن يقتل او يسيء او يغير شيئا او يأخذ شيئا من المدينة باستثناء فرس واحدة بيضاء ويقتلها رمزا للانتقام. فلم يفهموا ما الذي عناه بالفرس حتى دخل وسيطر فكشف لهم أن السور هو المقصود بالفرس. فدك ذلك السور العجيب ولم يترك منه سوى برج واحد تتساب منه مياه الطواحين. وبعد ٤٠ سنة، وفي عهد المأمون اعاد بناءه ابو شيخ الكندي الذي تمرد على الخليفة المأمون. وبعد فترة طويلة حكمها اليونان، وتم لهم ذلك عن طريق شخص يدعى سلمان احتال على الامير وسلم القلعة العليا المتخذة مقرا للحامية، الى شخص يوناني يدعى ماينج، فاخذ كل من المسلمين والمسيحيين المقيمين فيها اولادهم وهربوا، لان المسيحيين كانوا منسجمين مع المسلمين من ناحيتي اللغة والكتابة. ومشمئزين من اليونان بسبب هرطقتهم وشرهم، لذا اثر المسيحيون المغادرة مع المسلمين. وبعد ان شعرت المدينة اضرم احد المسلمين نارا فأتت على البيوت والكنائس، فتسلمها اليونان خالية، ثم عاد اليها نفر يسير من الشعب، وتبدد الآخرون فوصل بعضهم الى تكريت. وبعد فترة قام فيها حاكم يوناني تقى يدعى ابا كنعب، وبطلب منه رسم البطريرك ديونيسيوس، اثناسيوس يشوع رئيس دير مار ابحابي صاحب المرقاة، مطرانا للرها فازدهرت في

ايامه بمساندة الحاكم الذي كان يحبه لانه جمع السكان من كل حذب
وصوب. ثم سافر الى ارمنيا حيث منبع نهر الفرات وجلب خشبا وبنى
كنيستين فخميتين، كنيسة والدة الله وكنيسة مار ثاودورس. ثم تولى الحكم
فيها فيلاردوس .

في هذه الاثناء، قوي جانب الاتراك، فشخص فيلاردوس الى
سلطان خرسان واشهر اسلامه، فلما سمع الرهاويون بما فعله فيلاردوس،
قتلوا الوالي المدعو فرغيموس. ثم حكمها بوزان فقتله توتش، فسيطر
عليها تادروس بن حاتم قورابلاط مدة سنتين في عهد المطران اثناسيوس
بن برباشاي، ثم سلمها الى الافرنج بعد ان رأى انه عاجز عن حمايتها،
واول من تولى حكمها من الافرنج، هو قوميس بغدوني الذي قتل ابن
حاتم. ولما توفي اخوه كوندفر ملك القدس، خلف اخاه في القدس وتولى
حكم الرها بغدوني ملك القدس، اوصى بالملكية لابن اخته بغدوني الثاني،
وأعطيت الرها لجوسلين الجبار، وبعد موته خلفه ابنه جوسلين الثاني.
ومنه انتزعتها زنكي، وخربت كلياً بعد مصرع زنكي عام ١٤٥٨ .

فصل

في تولي طوروس الحكم في قيليقية، ومختلف الاحداث التي
جرت في العالم، وفي كنيسة الله في هذه الفترة

سنة ١٤٥٩ اتخذ البطريرك ما اثناسيوس، أمد مقرا له للمرة
الثانية، وأن يوحنا بن اندراوس اسقف منبج، غير ابرشيته بشكل غير
نظامي ومن غير وجه حق. وقبل ذلك كان البطريرك والاساقفة مجتمعين
في تل بشر للفصل في النزاع بين ابن اندراوس وطيمثاوس اسقف كرشنا.
وبعد حوار طويل تبادلوا الابرشيات، فاخذ ابن اندراوس كرشنا، وجاء ذاك
الى تل بشر. ثم عاد البطريرك الى أمد، وتخاصم ابن اندراوس مع الحاكم
فيلارطوس، الارمني الجنس والافرنجي الاخلاق، واليوناني في فكره
الهرطوقي، فاضطر ابن اندراوس الى ترك ابرشية كرشنا، وتوجه الى
دير للمتوحدين على نهر الفرات، للخلوة، فعاد اسقف كرشنا الى وظيفته .

بعد ان قبض ايواني ملك اليونان على لبون الارمني وأتى به الى
القسطنطينية كما تبينا سابقا، انقسمت منطقة قيليقية، قسم تحت سيطرة
اليونان وأخر تحت سيطرة الاتراك. وبعد وفاة الملك ايواني ووفاة لبون
في القسطنطينية، تمكن ابنه طوروس من الافلات، وغادر القسطنطينية
منتكرا ومشيا على الاقدام. حتى وصل الى مار اثناسيوس مطران المنطقة
الذي كان يثق به منذ ايام والده، فسأله ان يطلب الى الله ليعيد اليه ارض
آبائه، فباركه الاسقف القديس وهو يبكي، واعطاه ثمن فرس. فلما حصل
على مركوب، تبعه ١٢ رجلا، فاتجه صوب حصن عامورا، واذ علم
سكانه بوصول ابن سيدهم قبضوا على من فيه من اليونان وسلموا الحصن
لطوروس، وفي اعقاب انتشار خبر هذا الحدث، خشي اليونان والاتراك

بأسه، وسرعان ما سيطر على عدة مناطق، والتف حوله الشعب من الأرمن والأفرنج، ولما جاء طوروس ليطلب يد ابنة سيحون الأفرنجي صاحب رعين، كان الأتراك قد غزوا المنطقة في اليوم نفسه. فتصدى لهم وقتل منهم ثلاثة آلاف، وحرر الذين كانوا قد سبواهم مع سائر المنطقة، فعظم شأنه. ولدى عودته إلى قيليقية، ترك اليونان والأتراك والمدن والحصون وهربوا من أمام وجهه .

سنة ١٤٥٩ التي فيها سيطر طوروس، غزا نور الدين زنكي منطقة أنطاكية، فابدى جوسلين ارتياحه لذلك. لحقده الدفين على بيدوي صاحب أنطاكية الذي سبق وأن رفض نجدته في محنة الرها. ورحب نور الدين صاحب حلب بموقف جوسلين وأرسل وفداً وعقد صلحاً معه، ثم التقيا في السهل الواقع بين حلب وعزاز، واقسما على العهد، فاختلف الأفرنج مع الأتراك واكلوا وشربوا سوية. لكن هذا صار سبباً لسقوطهم .. في السنة نفسها غضب ملك جزيرة صقلية على ملك اليونان لأنه قضى على الأفرنج غدرا، فقاتل مدينة تاييس انتقاماً لشعبه، ودمر اليونان وهرب، ثم احتل اندريوبوليس وفيليبوبوليس. فحاول مانويل ملك اليونان الانتقام من الرومان، فحاصر أحد الحصون، فأرسل ملك صقلية جيشاً عرمرماً بحراً على متن السفن، فانزلوا باليونان أقسى الكوارث، ووصلوا إلى القسطنطينية، وتقدموا حتى اقتربوا من البلاط المشرف على البحر فامطروه بوابل من السهام، فترك ملك اليونان الحصن وعاد. وتصدى اليونان للأفرنج ودرات معركة عنيفة في البحر. فقتل العديد من كلا الجانبين. وأخيراً عاد الأفرنج إلى بلدهم، وعاد اليونان وملكهم إلى القسطنطينية .

سنة ١٤٥٩ انحبت الأمطار في كل مكان، ونقصت مياه الينابيع، فتضايق الناس، فتدمرت عدة مناطق وخلت من السكان، لاسيما تلك الخالية من الأنهار والعيون. واستمر انحباس الأمطار حتى منتصف

كانون الاول من السنة التالية، وغدا الخريف كأنه صيف، واشتد عطش
البشر والبهائم والطيور، واخيرا اشفق الرب ونزل المطر فارتوت
الارض، وجاء شتاء لطيف كالربيع .

فصل

في غزو جوسلين لدير مار برصوم سنة ١٤٥٩

ايها الاحباء. لايفكرن احد، وهو يقرأ هذا الخبر، في ان يشك في قوة الله الحالة في قديسيه ويقول، ان الذي صنع المعجزات الالهية، فشل تجاه الأئمة. بل عليكم ان تؤمنوا، كما يجدر بالمسيحيين، بان لاشيء حدث او يحدث دون معرفة الله الفاحصة كل شيء سواء اكان ذلك بمشيئته ام باذن منه. فكل ما يحدث وهو يؤول الى المنفعة العامة، يتم بموجب كلمة الله التي لا تستقصى واحكامه التي لا تدرك. فمثلا سمح لفرعون مصر ام يطغي لميله الى الطغيان، وقد كتب «ان الله قسى قلبه لكي يلقى مصيره غرقا في خضم البحر وهو يطارد الشعب المنقذ. ومثما ان الشعب المختار استعبد لنبوخذنصر في ازمنة متفاوتة، لميلهم الى الامم، والرب يعرف ذلك هكذا نستطيع ان نعرف نحن ايضا اليوم، تنوع الحالات التي نحن فيها. هناك امران يشيران الى الاسباب التي ادت الى غزو هذا المكان المقدس في ايامنا هذه. الاول هو خطايا ساكنيه الذين ضلوا وساروا في الطريق الرحب المؤدي الى الهلاك، فتركهم القديس، بل روح الله الحال فيه، لهذه الصنعة. والثاني ان جوسلين تشبها بسليمان بن داود، ترك آله آبائه المؤمنين وسلم نفسه لعبادة الشيطان والشهوات السمجة. واذ لم يرتدع بانتهار العناية الالهية اياه، تركه الرب ليقسو قلبه مثل فرعون ويستتهين بالقوة القادرة الحالة في القديس، وآسلم لذهن مرفوض. فلم يبح بفكره الشيطاني لاي من الزعماء الذين معه خشية ان يُسروا الى الرهبان بما يدور في ذهنه باعتبارهم مسيحيين. فجميع قواته متظاهر بأنه يتجه صوب منطقة الاتراك لينهب ويسبي، لكنه جاء الى حران. وبعد ثلاثة ايام صعد الى جبل حورا واستقر على نبع ايزا في

اعلى منطقة كلوديا، حتى شعر به الشعب فهربوا. كل ذلك من اجل ان
يلبس الرهبان تهمة خداعه وتهريب رهبان آخرين .

ولما علم بهروب سكان المنطقة، قال للذين معه. بما ان خطتنا قد
فشلت، فلندخل الى اقرب دير للصلاة ومن ثم نعود. وصباح يوم السبت
١٨ حزيران، باغت الرهبان الذين فرحوا بمقدمه ظنا منهم بانه جاء
للمصلاة، وسرعان ما سقط الجباة في شرك محبة المال التي هي عبادة
اوثنان كقول الرسول الالهي. لقد ظن جوسلين انه سيجد هناك ذهباً كثيراً،
وظن الرهبان انه جاء حاملاً اليهم الذهب، لذا خرجوا لاستقباله لدى الباب
الجنوبي وهم حاملون الصليبان والاناجيل. فما أن شاهد الصليب حتى
ترجل وتظاهر وديعا امام الصليب. ولكن ما أن دخل وجلس حتى كشف
مؤامرتة لمن حوله من جند الشر وارسلهم ليكشفوا على القلعة. فشعر
بعض سكان الدير بأن في الامر خدعة غير انهم لم يتمكنوا من افشالها.
فصعد خمسة رجال واخرجوا من هناك راهبا شيخا وخادمين، ثم جمعوا
الرهبان وحبسوهم في الكنيسة، ودعا الشيوخ واتهمهم باشعار الاتراك
بوصولهم الى ملطية فهربوا. فأكدوا له عدم معرفتهم بذلك. فقال: لو كنتم
صادقين بقولكم انكم لا تساعدون الاتراك، اذن اعطونا كل اموال منطقة
الاتراك المودعة عندكم. فقد علمنا بأن الاتراك أخفوا عندكم اموالا طائلة.
فعلينا ان تعطوا هذه الاموال للمسيحيين لكي يقوى جانبهم، فينتقموا من
الاتراك الذين نهبوا اديرة زابار. فقالوا: لوفعلنا هذا سوف لن نستطيع
العيش في هذه المنطقة. فهاج وماج واخرجهم من الكنيسة، وسجنهم ذلك
اليوم في بيت سابا المعروف بالقاعدة، وارسل قسوساً افرنجياً فدخلوا
الكنيسة واخرجوا كل ما وجدوه فيها من أطباق فضية وأنية البخور
وكؤوس وصليبان ومباخر وقناديل ومرآوح واناجيل وكتب. ثم اوعز الى
جنده ففتشوا القلالي وجمعوا كل ما وجدوه من ذهب وفضة ونحاس وحديد
والبسة وبدلات وفرش الكنيسة. فلما رأى ذلك بعض الاخوة (الفرير) الذين
معه، قالوا له: نحن رافقناك لنحارب الاتراك ونساعد المسيحيين، وليس

لنهب الكنائس والاديرة، فتركوه وعادوا دون أن يأكلوا خبزا او يشربوا ماء .

اما الشقي وقد تركه الله وعميت بصيرته ونفسه، فلم يفكر بأن سقوطه صار قاب قوسين او أدنى. فصرف يوم السبت بالنهب أخذا كل ما يمكن حمله، واخرج الرهبان والشعب من الدير مساء يوم الاحد، واصطحبهم معه وباتوا عند كرم يدعى «كرم الفيل» على شاطئ النهر، وترك الشقة حامية في الدير من بعض قطاع الطرق الاشرار من الافرنج والارمن. وفي الصباح وبتحريض من الشيطان، عاد الى الدير المنكوب وارخى العنان للسراق والمفتشين، فاعادوا تفتيش كل القلالي، وصعدوا الى المعصرة ودخلوا غرف الخدم ونهبوا كل ما وجدوا وحملوا الجمال والبغال كل ما جمعوه من اثاث الكنيسة وقطع النحاس وغيرها من الاشياء بينها صليب ذهبي، كسره الطاغية ووزعه على زبانيته، واخذ بغال الدير الاثني عشر، واصطحب معه الرهبان الذين عادوا الى الدير، وكانوا نحو خمسين، ووصلوا الى غوتي يوم الاثنين .

دخل جوسلين الدير يوم السبت ١٨ حزيران ١٤٥٩، ويوم الاثنين طرد الرهبان فوصلوا يوم الثلاثاء الى حصن منصور، فانتشر خبر هذه العملية، فخاف الناس. واوصى بأن لايترك الدير خاليا لئلا يدخله الاتراك. وفرض على الرهبان دفع عشرة الاف دينار ليسلم اليهم الدير. ف جلب الرهبان الصندوق الموضوع فيه يمين القديس، وأنية اربعة اديرة كانت مودعة عندهم، وهي دير ما ابهاي، ودير سرجيسيه ومديق وحرصفتا. وكان في الدير بعض الرهبان والخدم يرئسهم راهب شيخ يدعى ابراهيم مودعل. ووضع جوسلين في القلعة العليا عشرين جنديا ارمنيا وغيرهم فمن نهبوا ديرنا دوغا انصاف، بما فيه من حنطة وخمر وزيت وعسل وثياب واشياء أخرى، فاخذوا ذخائر القديس والرهبان الى تل بشر، وهناك افتداهم بالذهب بعض الافرنج والسريان والامن، لكنه أبقى معه نفرا من

الرهبان وثلاثة من الشيوخ هم داود ويعقوب وسرجيس، وعاد البقية الى الدير في آب وطرّدوا منه الارمن، وكان يرئسهم الشيخ لعازر ويساعده قسطنطين، واصطحبوا معهم مار ايوانيس اسقف كيسوم. ولدى رؤيتهم المذبح المقدس قد تهدم وتدنس، بكوا بكاء مرا طيلة ذلك النهار. وطلب الجند وعددهم ١٥٠ الى الرهبان والخدم ان يقسموا بأنهم لن يغلقوا الباب بوجه جوسلين او ابنه فاقسموا مرغمين. وامض الجند الارمن والافرنج نحو ٧٠ يوما في الدير، لم تقدم خلالها الذبيحة الالهية او اية خدمة أخرى. فكتبوا الى البطريرك فاعز الى مطران كيسوم ليقم شعائر تطهير الاماكن المقدسة، ويعين الراهب لعازر رئيسا، كما عين ساعورا للكنيسة ومدبرا للخدمات الاخرى بحسب تقليد الدير ونظامه المعمول به منذ اجيال، هذا وقد تبرع الرهبان والخدم بكل ما يمتلكون من أموال لتدفع فدية لهذا المكان المقدس .

وعليه، وكما سبق القول، فإن ماجرى لم يكن بمنأى عن معرفة القدرة الالهية الحالة في يمين سيدنا مار برصوم، بل بسماع منه، من اجل توبيخنا وابطال طغيان جوسلين الذي أهان الأنية المقدسة مثل بلشاصر الوثني الطاغية والذي ضرب في حينه باشارة من اليد التي ظهرت باعجوبة. وهكذا ايضا وبكل عدل ضرب هذا ضربة قاضية كما سيأتي الحديث بعونه تعالى. هذا وفي ما دوناه هنا عن غزو الدير المقدس، الكفاية .

ماجري في مدينة ملطية في هذه الفترة من جراء هذا الحدث

كان الامير غازي والد دولة التركي حاكم ملطية، قد فرض ظلما، ضرائب على الدير يدفعها لملطية. فلما سمع دوله بدخول جوسلين الدير،

ظن ان الرهبان سلموا الحصن لجوسلين تخلصا من الضرائب التي
ضوعفت عليهم ظلما، وكانوا يتذمرون منها. فافرغ هذا الامير حقه على
مسيحيي ملطية وقال لهم: سأنتقم منكم لان ابناء دينكم سلموا الحصن
للافرنج، وبذلك اضيف هم آخر الى همهم من نهب الدير، وبطلت
الصلوات من الكنائس، ولم يقرع الناقوس مدة ثلاثة ايام. ولدى تأكده من
عدم تسليم الرهبان الحصن لجوسلين، انما دخله بالاحتيال، توقف فوار
عن اضطهاد الملطيين. وحشد جيشا وتأهب لاجراج الافرنج، فاحتلوا
الحصن فعلا. وبتدبير الهي حضر الى كلوديا ١٢ راهبا ونحو خمسين
خادما واخذوا الثيران والامتعة وجاءوا الى ملطية ليحتموا فيها ريثما
يقرروا مصيرهم. وقد ساعد مجيئ هؤلاء على تهدئة غضب الامير.
وكان بينهم شيخ تقي يدعى ابراهيم ويلقب بـ «سوروديم» دخل الى الامير
وقال له: ان مجيئك سيلحق بك خسارة كبرى لانك لن تستطيع احتلال
المنطقة عسكريا، كما ان اسلوب السرقة لن يفلح، لكن تمهل قليلا ونحن
نرسم خطة لاحتلاله، فحسن له هذا الكلام. واغدق على الذين طلبوا
حمايته خيرات سخية، كما ساعد الدير فيما بعد، حيث انه عفاهم عن دفع
الضرائب في تلك السنة وطلب اليهم ان يتعهدوا له فاقسموا، ثم التمسوا
من البطريك العفو عنهم لقسمهم، لانهم اقساموا لجوسلين مكرهين .

وارسل جوسلين الى الامير دوله يقول: لقد اغتصبت اديرة زابار
العائدة لي ودمرتها. اما انا فأخذت دير مار برصوم وهو أعلى من غيره،
فهو كالنسر بين الطيور، وها هوذا قد اعدته اليك - وبطلبه الصلح مع
الامير يكون قد حلّ القسم الذي وضعه على الرهبان - فاجاب دوله:
مثلما تسعى انت الى السلم، كذلك نفعل نحن ايضا. ولكن قل لي، بماذا
تؤكد رغبتك في السلام، بعد ان برهنت على ان لا ايمان لك. ان المسلمين
يقسمون بكتابهم، ويقسم المسيحيون بالصليب والانجيل، اما أنت فقد
انتهكت حرمة الانجيل، وكسرت الصليب. فلا شأن لك بالايمان المسيحي،
فافصح عما تعتقد به، هل انت يهودي ام وثني؟ لكي على اساس معتقدك

نعمل على تحقيق السلام معك. وبهذا الكلام يكون التركي البربري قد
بكت المسيحي الكذاب. واخيرا سقط جوسلين، فعاد الرهبان الى الدير
المقدس، وبغاية الله اصلحت الامور من كلا الجانبين .

انتهى هذا الخبر المشئوم حول نهب دير مار برصوم

فصل

في مصرع صاحب انطاكية، وبغدوني وارغس انغد صاحب
كيسوم. واغتصاب الاتراك ثيران واغنام الدير

في هذه الفترة، اشهر هرون السجستاني اسقف حديثة اسلامه،
وكان قد سكن دير مار متى، ورسمه المفريان، غناطيوس اسقفا لتلك
الابراشية الواقعة في بلاد فارس. وبعد ان اسلم ندم وعاد فلم يقبل في
ابرشيته ولم تعد اليه درجة الاسقفية، فذهب الى القسطنطينية واعتنق
الخلقيدونية، تلك الوحدة المليئة حماة والتي تستقبل كل خنزير يسعى اليها.
لكنه عاد تائبا ثانية. فقال البطريك اثناسيوس، ولئن لا يستحق الكهنوت،
غير انه ليس من اللائق رفض التوبة، فقبله وأذن له أن يقرأ الحساي
(صلاة استغفار). فنشب نزاع بين البطريك والمفريان. فقد عاتب
المفريان البطريك لقبوله اياه قبل ان ينفذ قوانين التوبة، في حين اتهم
البطريك المفريان برسامته قبل فحصه، فتراجع المفريان عن موقفه بعدم
قبول توبته، غير انه عاد ولام البطريك لانه ارتكب نفس الخطأ الذي
ارتكبه هو، اذ قد ارتد ذلك الشقي الى الاسلام ثانية بعد فترة من اعلان
توبته، وتردد مع الفقهاء بضعة أشهر ثم ندم أيضا وتوجه الى القدس، فلم
يقبله ابناء الكنيسة فذهب الى المواردنة في جبل لبنان، وتوفي هناك.

في ايار عام ١٤٦٠ شوهدت علامة في الجهة الشمالية من
السماء، مايشبه حربة طويلة، واختفت في الساعة الثانية مساء. ثم شوهدت
في الجهة الغربية علامة على هيئة صليب، واختفت بعد وقت قصير ..
يوم الاربعاء السابق لخميس الصعود، هطلت امطار غزيرة في القدس
وضواحيها، صحبتها قطرات «دم» مشيرة الى سفك الدم الذي جرى في

مناطق الافرنج في تلك السنة. وكان ذلك في شهر ايار. وبدلاً من ان يكون طلاً منعشاً، اذا به دم يشير الى المذابح الرهيبة وسفك الدماء .

في كانون الثاني عام ١٤٦٠، دخل نور الدين صاحب حلب الى انطاكية ونهب المنطقة بأسرها ثم حاصر بغرا ولم يكن بيدوي صاحب انطاكية فيها. فلما علم بالامر، عاد سريعاً لكنه لم يدخل انطاكية بل اجتازها، وكان يرافقه حشيشي العربي الذي اختلف مع نور الدين وساعد بجيشه الافرنج، فانتصروا على الاتراك فهربوا وهم عراة مرتعبون .. وفي هذه الاثناء دخل قراوعلان صاحب حصن زياد الى منطقة آمد، واتفق مع جماعة من سكانها ليسلمواها له، لكنه لم ينجح فسبى ابناء المنطقة، وبعد ان ساقهم معه يوماً كاملاً، تعبوا بسبب كثرة الثلج والجليد، فاشفق عليهم وحررهم قائلًا: لم يخطئ هؤلاء بحقنا، فعادوا الى مساكنهم. وحشد جوسلين جيشاً ودخل منطقة الرها وحران ومارس اعمال اللصوصية، في حين دخل الاتراك منطقتهم واجهزوا على العديد من جنده عن طريق الكمائن .

ويدافع حقه الدفين، انتهز نور الدين صاحب حلب الفرصة، فحشد جيشاً. في حين اهمل الافرنج نفوسهم، نظرا الى كبريائهم، لا بل الى ترك الله اياهم بسبب اعمالهم الشريرة، فلم يكتفوا بعدم تحصين انفسهم لدى سماعهم عن حشود الاتراك لكنهم سهلوا الامور لاعدائهم بتركهم قراهم ككروم دون اسيجة وبيوت دون ابواب. وتوجهوا الى مناطق العرب كتوجه الغزال نحو الفخ، وكالأيل الذي يقتبل السهم في كبده. ولم يصنع بيدوي لمرافقتهم حشيشي العربي الذي اذ لاحظ دخولهم وسط اعدائهم بصورة غير عقلانية، قال له: «الى اين ايها الملك واعدائك يحيطون بك من كل جانب ؟ امكث في بلدك وحام حدودك حتى ينتشنتوا، واذا حاولوا دخول بلدك اقهرهم». فاستهزأ بهذه المشورة، ومن دون تفكير زج نفسه وسط الاتراك، فتألبوا على الافرنج الشقي ليلاً واحاطوه من كل جانب.

فدنا منه حشيشي وقال: لقد سقطنا لانك لم تستمع لي. وبالرغم من ذلك اسمعني الآن وهلم نهرب ربما ستتجو قلة منا لان قوات هائلة تحيط بنا. فاذا اصبحتنا ونحن هنا، قضاوا علينا. غير ان السيء الحظ لم يذعن. وفي الفجر وقبل الضوء الاول، اندفع الاتراك كالجبل وهجموا عليهم، فذبحوا الكبار والصغار، ونشروا القمامات الجميلة كالاشجار في السهل، فقتل فرنيز بيدوي ذلك الاسد الجبار صاحب انطاكية، وسقط رنغد صاحب كيسوم، شبل الاسد. ومجمل القول، لم ينج منهم حتى مخبر، وغدا ذلك الحشد الهائل اكداساً من الجثث .

كان ذلك اليوم مشئوماً، اذ لحقت بالمسيحيين فيه ضربة قاضية، ولم يشعر اهل انطاكية بالكارثة، حتى مسح الاتراك المنطقة وسبوا اهلها، وحاصر نور الدين المدينة، وارسل رأس بيدوي الى بغداد، وانقسم اهل انطاكية على انفسهم، حيث مال بعضهم الى الاتراك، والتجأ البعض الآخر الى ملك القدس الذي تمسك بمن بقي واقام بطريركهم رئيساً عليهم. فلما سمع جوسلين ان صاحب كيسوم قتل لم يهتم للامر، اعتقاداً منه بان الحكم سينتقل الى زوجة ذاك وهي ابنته، لذا جاء ليتولى الحكم على كيسوم وعلى بيت الفلاح. كما ظهرت سخافة جوسلين بتصرفه مع قليغرسلان بن مسعود صاحب ابلستين ومنطقتها الذي كان قد اصطحب اياه وحاصروا مرعش بعد سبيهم المنطقة، واذ شددوا عليها الخناق، طلب اهلها تعهداً لحياتهم، فتولى السلطان الحكم على مرعش. وبناء على تعهده، سمح للافرنج الذين فيها بما فيهم الاسقف والكهنة بمغادرتها الى انطاكية، لكنه ارسل اتراكا وقتلهم في الطريق. وخلال احتلال مرعش هذا، فقدت مقتنيات الكنيسة عبر الكهنة الذين كانوا قد تمردوا على مطرانهم، وبينها كوز الميرون وكوؤس وصينييات ومباخر فضية واغطية ومفروشات .

وفي السنة نفسها، اذ رأى الامير قراصرن صاحب حصن زياد ان الاتراك استحلوا عدة مناطق افرنجية وحكموها، لان الرب قد تركهم،

اذ سبقوا فتركوه - ارسل جيشه واحتل بابولا على شاطئ الفرات، فخاب
ابناء منطقة جرجر والتجأوا الى جبل مار برصوم، فعجت المناطق
المحيطة بالدير بالرجال والنساء واسرهم، حتى ان الرهبان الاتقياء ضجوا
وتذمروا لكنهم لم يجرؤا على طرد هؤلاء اللاجئين لوجود بعض اقاربهم
من رهبان وخدم في الدير. فلما دخل الاتراك منطقة جرجر، وجدوا
القرى مقفرة وعلموا ان الناس التجأوا الى جبل دير مار برصوم، فاتجهوا
صوب الجبل يوم الاحد ١٥ آب واحاطو بهم من ثلاثة محاور، وفي
الصباح هجموا ونهبوا الاملاك والثيران، وقتل ثلاثة من الخدم وشخصان
تركيان، ثم ارسل الاتراك من يقول: «نحن نحترم هذا القديس ونقدم له
النذور، ولم نأت لنسيء الى الدير، انما نستهدف اولئك الذين التجأوا الى
هنا باننا لن نستعبدهم، بل فاذا سلمتموهم لنا، اعدنا اليكم كل ما اخذناه
منكم، واننا نعد باننا لن نستعبدهم، بل نعيدهم الى قراهم». فانقسم الدير
فئتين، فئة تحبذ تسليمهم، والفئة الاخرى ترفض. وقد اوشكوا على خوض
معركة لو لم يوفق بينهم احد الشيوخ الاتقياء بحكمته، فقد اصطحب معه
أفرادا من كلا الطرفين، وقال للاتراك اذا كنتم حقا لا تتوون استعباد
هؤلاء الناس، فليرافقنا بعض زعمائكم الى الامير في حصن زياد.
انكشفوا، فتوحدت كلمة سكان الدير على عدم تسليم أي شخص حتى لو
أدى ذلك الى موتهم. حينذاك أحرق الاتراك كل ما كان خارج الدير من
بيوت ومعاصر واسيجة الكروم، واخذوا الغنم والثيران وبعض الاسرى
ورحلوا. فذهب الرهبان الى حصن زياد وقابلوا الامير، فملأ الله قلبه
رحمة، بدعاء القديس، فاعاد كل شيء، الناس والغنم والثيران، وعم الفرخ
المؤمنين في سائر ارجاء المنطقة، ومجد الله كل لسان، واشاد بالقديس كل
فم .

ان القديس ما برصوم، ولئن سمح أن يُنهب بسبب خطايانا، الا
أنه لم يهملنا ويدعنا نهلك، كما لم يهمل الطاغية نفسه، علّه يتوب
فيحيا. فقد ظهر في الحلم لثلاثة من جنده ليكونوا شهوداً، لانه «على فم

شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة». فقد شاهد ثلاثتهم الدير مضاء والقديس واقفاً فوق أعلى مكان فيه بهيبة تفوق الوصف، وقال لهم: «اذهبوا وقولوا لملككم، اني غاضب على رهباني هؤلاء لانهم اخطأوا واغضبوا سيدي، وقد سلمتهم بيدك لتضغط عليهم فيندموا ويرجعوا، واني أمرك ان تدعهم يعودون الي الدير». فلما استيقظوا تأكد كل منهم بان ما شاهده هو رؤيا وليس حلماً عابراً. فذهب الواحد الى الآخر، وسمع كل من زميله نفس الكلام الذي قيل له. لذا تشجعوا وطرحوا عنهم الخوف، ودخلوا الى جوسلين الشقي وقصوا عليه ما سمعوا. فوعدهم «فرعون الثاني» باعادة الرهبان لكن قلبه تقسى فيما بعد، فنكث بوعدده ولم يسمح بعودة أحد. وكان يكره الناس على دفع المال له، فبعد أن قبض خمسة الاف، الزمهم بدفع البقية. غير ان اناة الله دعتة الى التوبة ثانية، عن طريق افراد اسرته الذين شاهدوا الصندوق الحاوي يمين القديس، يلمع ويضيء كالشمس، وقد انطلق منه سيف ناري، وسمع صوت يقول: يا جوسلين، ان لم تدعني وشأني وتدع الرهبان يعودون، فاني سأبيد المنطقة بهذا السيف. فلما اخبره افراد اسرته بهذا، ارسل الراهبين الشيخين داود ويعقوب الى الدير في ٥ أيلول سنة ١٤٦٠، وحجز عنده الصندوق الذي يحوي يمين القديس مار برصوم ووضعوه في كنيستهم في تل بشر لحين ان يدفع الرهبان خمسة الآف أخرى بموجب ما فرضه عليهم. واخيراً سُلط عليه قضيب العدالة من قبل القوات التركية، كما سيأتي الحديث في مقدمة الاخبار التي سنوردها أدناه. وان هذا الحديث سيدور حول ملوك الارض، وكيفية نزوح الشعوب واحاطتهم (بالدير)، وكيفية تشتتهم وتركهم اياه باعجوبة باهرة التي لا يقوى على صنعها سوى الله القادر على كل شيء، وغير المحدود. فهو الذي يمنح الفاعلية لعظام ورفات خائفه حيثما يشاء ويناسب من أجل خلاص النفوس.

فصل

في سيطرة الاتراك على المناطق التي كانت تحت نفوذ الافرنج، وسقوط جوسلين. وكيفية عودة يمين مار برصوم الى الدير

في الوقت الذي سمح جوسلين بعودة الرهبان الى الدير، حجز يمين القديس فتضاعف بذلك غضب الله عليه. فقد جلب تعالى من الشمال ابناء جوج وحاصروا تل بشر. فصرخ الافرنج والسريان والارمن بصوت واحد، ففرع جوسلين وامر باخراج يمين القديس وصعدوا الى السور وزيحوها هناك على مرأى من الاعداء، وهم حاسرو الرؤوس. ووعده جوسلين باعادة القديس الى ديريه في حالة رفع حصار الاتراك، كما وعد بالامتناع عن اغتصاب اي شيء من الدير، لابل وعد بالتعويض عن كل ما سلبه سابقا. فقبلت توبته في تلك اللحظة مثل زكا (العشار) وحق له ان يقول «تأديب الرب فتح أذني.. أظهر عجائب». لان من يمعن التأمل يدرك ويؤمن بأنه لا يحدث شيء صغيراً كان أم كبيراً الا باصبع الله. وبناء على الحاح الجمهور اذعن الطاغية لطلب المغفرة. وإن الله الذي قبل توبة فرعون بشفاعة موسى، فخفف التأديب عنه ليمتحن طاعته، هو نفسه الذي هز هنا معسكر الاتراك واضطرهم الى الرحيل فراراً عن المدينة. وبفضل هذه الاعجوبة أنقذ المسيحيون، واعترف الجميع بأن أصبع الله وراء مجيئ الاتراك ورحيلهم. فأرسل جوسلين الى الدير من يطلب له السماح. فغادر بعض الرهبان الشيوخ لجلب القديس، وفي كل قرية او مدينة يمرون بها، كان يستقبل بترحيب وحفاوة وابتهاج والترانيل والمشاعل والبخور حتى وصلوا الى الدير في اول كانون الثاني اي عيد الملافة القديسين .

في هذه الفترة، حركت العدالة السلطان مسعود فحشد ربوات من الاتراك ليغزو مناطق الافرنج التعساء، فصار الافرنج الذين كان واحدهم يهزم ألفاً يرتعبون خوفاً من صوت اوراق الاشجار التي اخذت تقول: ان غضب الله يتمثل بالاتراك الذين تجمعوا لبيدوا المسيحيين الذين تجاسروا على القديس مار برصوم. كما اعترف جوسلين نفسه، بعد أن رأى نفسه محاصراً من كل جانب من قبل الاتراك، بأن ما يحدث ما هو الا ضربة من لدن الله وباصبعه تعالى. فوعد بالتوبة ولجأ الى القديس مار برصوم. عليه لين الله قلب السلطان الذي أتى به، فوافق على الصلح مع جوسلين بعد أن اقسم على الخضوع له. أن مصدر هذا التدبير هو من فوق. فقد رحل السلطان الى بلاده، واعد جوسلين يمين القديس مار برصوم الى ديره .

وبعد فترة عاد جوسلين الى تصرفاته الشاذة مثلما يعود الكلب الى قيئه. غير أن العدالة لم تصبر عليه طويلاً، فكانت نهايته على يد الاتراك الذين خضع لهم جزاء ذنبه. وذلك أن نور الدين صاحب حلب حليفه السابق، دخل هو نفسه منطقته وقتل وسبى شعباً كثيراً واحتل حصنين. وفي سنة ١٤٦١ نفسها، أرسل قراسلان صاحب حصن زياد أحد كبار قواده يدعى الدي، وحلوا في منطقة جرجر. وفي احدى الليالي هجموا على حصن بالقرب من الدير يدعى تغنبر واحتلوه عسكرياً، وأسروا منه خمسمائة نفس، ووجدت فيه اشياء كثيرة وثياب كانت قد سرقت من الدير لدى غزوه من قبل جوسلين. ومن هنا أثبت بأن مشيئة الله وراء كل ما حدث. فقد ادرك غضب الله كل مكان وجد فيه شيء مسروق من الدير .

لقد اتفق اليونان والافرنج على نجدة الذين في جرجر، فاجتمعوا مع باسيل صاحب حصن منصور وكيسوم، فتجمع من غوتي وسواها نحو ٥٠٠ فارس وعدد كبير من المشاة، ومعهم الف حمل حنطة، لاقتحام حصن جرجر. فدنوا من الحصن دون أن يشعر بهم الاتراك، لكنهم اتخذوا

قراراً سخيماً بترك عوائلهم خارج الحصن والتقدم لضرب معسكر الاتراك الذين كانوا يفوقونهم عدداً. اعتقاداً منهم بأنهم سينتصرون عليهم. غير ان الله دحرهم أمام الاتراك، فقتل معظمهم والقي القبض على باسيل الجرجري وكريكور الغوطي وماهي الافرنجي حاكم كيسوم. ولم ينج أحد من الفرسان، واستولي على الحنطة. وبعد ان حقق الاتراك هذا النصر العظيم، جاء قوراسلان، وبكل عزة نفس حرر الاسرى واعادهم الى بيوتهم، واعطى اصحاب الحصون مقاطعات في بلده، فاعطى باسيل، بعد أن سلم جرجر، ابدهار ومنطقة صمحا، واعطى كريكور، بعد أن سلم غوتي، سجمان. وبذلك يكون الاتراك قد سيطروا على جرجر وغوتي وحصن منصور .

وخرج جوسلين متجها الى انطاكية برفقة ٢٠٠ فارس، كان يعتقد أن بإمكانهم مجابهة ألف. وفيما هم سائرون ليلا بالقرب من عزاز، صادفهم نفر من الاتراك، فخاف الافرنج لمجرد سماعهم الصوت وهربوا، لان قوة الله الظاهرة كانت قد تخلت عنهم، وفيما كان جوسلين يهرب تخيل انه اصطدم بشجرة فسقط، ولم تكن هناك أية شجرة بشهادة الذين معه، لكن سقوطه كان نتيجة تخلي الله عنهم. فعثر عليه شخص تركماني ولم يعرفه، فاراد أن يبيعه للمسيحيين. فالتقى بهما رجل يهودي في احدى قرى الاتراك فتعرف عليه، فاخذوه الى حلب فاشتراه الوالي من التركماني بألف دينار، فكبل بالسلاسل والقي في السجن حيث قضى نحبه هناك معذباً، بعد أن أمضى فيه تسع سنوات، عَزَزَ خلالها بالهدايا والوعود ليشهر اسلامه، لكنه لم يجب، فهددوه بالعذاب فلم يخف، لكنه صمد على ايمانه معترفاً بأن ما اصابه هو بسبب خطاياها. وارسل الى دير مار برصوم وبقية المسيحيين طالباً أن يصلوا من أجله لكي يقبل الله توبته. ولما دنا اجله وهو في الزنزانه طلب أن يؤخذ الى أسقف المدينة فاعترف أمامه وتناول القربان المقدس. وبعد وفاته سلموه الى المسيحيين فشيح

ودفن في الكنيسة، وحضر دفنه عدد كبير جداً من المسيحيين والمسلمين،
وهم مندهشون مما حدث .

فصل

في ما بعد سقوط جوسلين واستيلاء الاتراك على كافة المناطق

في ٢٩ كانون الاول عام ١٤٦١ حدثت هزة أرضية. وفي ١٥ آذار حدث خسوف استمر من منتصف الليل حتى الفجر. وفي ٢٣ آب هطلت امطار غزيرة وحدث فيضان في عدة مناطق وبخاصة في حصن زياد حيث غرق صبي وبغلان وحما.. رُسم في هذه الفترة رجل شيخ بطيريكاً للخليدونيين، وكان قد رسم اسقفاً في صباه وعاش متوحداً، ولما رشح للبطيركية غره حب الرئاسة فلم يكشف عن كونه اسقفاً، وبعد فترة وجيزة من رسامته ثانية، افتضح امره فنفي مع الذين شاركوا في رسامته.

سنة ١٤٦٢ مر شتاء قارص وسقط ثلج بكثافة، وكأنه يهبط من ابواب السماء ساقطاً على مناطق لم تر ثلجا سابقاً، وبارتفاع ذراعين. وفي آذار سقط ثلج أحمر، ويحلل علماء الطبيعة ذلك بقولهم: عندما تحمر الابخرة والرياح يتصاعد الى السحب غبار أحمر، وبسبب احمرار الغبار، يظهر لونه بلون الدم. وهكذا عندما ترفع الرياح غباراً الى السحب تتشر رذاذاً من غبار ناعم. هذه الامور كلها تحصل من اجل توبيخنا .

وفي آذار نفسه، سقط في ملطية ثلج لم يشهد أحد نظيراً له أو سمع عن كثرته. وفي ٢٣ من الشهر نفسه، شوهدت في الجهة الشمالية، علامة شبه شعاع نوراني .. وفي السنة ذاتها، سقطت صخرة ضخمة من جبل على قرية بمنطقة قليسوريا فدمرتها بما فيها من الناس والبهائم .. وفي السنة عينها كثرت الامطار في كل مكان واتلفت الزروع والخلات وبخاصة على شواطئ الانهار حيث تلف كل ما كان مزروعاً فيها .

لدى علمه بسقوط جوسلين، غزا السلطان مسعود كيسوم يوم احد العنصرة، وكان يحكمها رجل افرنجي يدعى رنغد، كما كان جوسلين الطفل ابن جوسلين قد اقيم حاكما على تل بشر. فلما عاين ابناء كيسوم هول الجيش التركي هربوا، واوفدوا المطران ايوانيس ليأخذ تعهداً من السلطان بالسماح برحيل الافرنج الى عنتاب، فكان لهم ما ارادوا. وسيطر السلطان على كيسوم والحصون ورعين وفرزمان وحاصر تل بشر، وخطب لنور الدين صاحب حلب، ابنته التي كانت مخطوبة لابن أخي ملك اليونان. فاعطاه تل بشر، وغادرها السلطان عائدا الى بلاده. فجاء ملك القدس واصطحب زوجة جوسلين وأولاده وجميع الافرنج الى القدس، وحل محلهم جماعة من اتباع ملك اليونان. ولكن ما أن استقروا حتى غزاهم الاتراك المسيطرون على تل بشر وعنتاب وعزاز، وسلموا هذه المناطق الى نور الدين، فحكم صاحب حلب تل بشر وعنتاب وعزاز والمناطق المحصورة بينها، وبقيت مرعش وفرزمان ورعين وكيسوم والحصون تحت امرة السلطان، وكانت حصة قوراسلان، بابولا وجرجر وغوتي وحصن منصور. واخذ طمرطش صاحب ماردين، بيرا وشميشاط وخورس وكفرسوس. وبذلك يكون الاتراك قد احكموا سيطرتهم على سائر هذه المناطق.

كان جوسلين قد عين رجلا ارمنيا يدعى ميخائيل حاكماً على القلعة، وعلى اثر انهيار جوسلين ارسل ميخائيل الى زوجته وأولاده، وهم بعد في تل بشر، ليطلبوا الى غريغور جاثليق الارمن الموجود في هوزب اي البحيرة، لكي يحضر الى القلعة لنجدة ميخائيل، فلما حضر غدر بميخائيل وعذبه واغتصب كل امواله وطرده، وسيطر على القلعة لوحده.. سنة ١٤٦٢ دخل آكوب اصلان الى منطقة فابرا من بلاد اليونان فسباها واخذ ما أخذ ورحل. وفي الوقت نفسه، خذل مانوئيل ملك اليونان امام الافرنج فهرب، وبالكاد استطاع الافلات الى القسطنطينية.. وفي السنة نفسها خنقت ابنة صاحب زنكي الارمنية والدها بوتر القوس،

وجاءت باخيه من منطقة ويبريج فتزوجها وتسلم الحكم .. كان في دير سريخا اليوناني بمنطقة بنطس صليب ذهبي كبير يحتوي على جزء من خشب الصليب الحي، وقد تمت بواسطته عدة معجزات، فقرر الحاكم الاستيلاء على الصليب، فهياً رجلاً يونانياً شريراً على شاكلته، فأخذ الصليب بالحيلة، لكن الأمير انتزع منه الصليب وكل شيء آخر وطرد الرهبان ووضع اتراكاً في الدير، لكنه اعاد الدير الى الرهبان بتوسط وتأثير بعض رجالته الذين كانوا يكتنون الاحترام للدير، فأخذ من الرهبان غنماً وذهباً وجزية سنوية لقاء ذلك. ترى ما رأي اليونان المجدفين ؟ لقد تهللوا طرباً عندما غزا جوسلين الشرير دير مار برصوم، واستهزأوا كما اليهود وجدفوا على الرب. ترى كيف يدافعون عن انفسهم بعد أن أعيد دير مار برصوم، واشتهر امر انتصاره بين الشعوب ؟ فقد أعيد سبعة أضعاف ما نهب منه، وساد الفرح المؤمنين في كل مكان كفرح الرسل يوم قيامة الرب. فاستوجب والحالة هذه، أن يقال لهم: اقطعوا السننكم التي تجدف على القديسين واعترفوا بأنه، لولا خطايانا، لما حدث لدير مار برصوم من قبل جوسلين ما حدث، وكما شاءت العدالة توجيه تلك الضربة اليها، وكذلك الامر بالنسبة الى الصليب في دير سريخا .

في هذه الفترة، سقط بعض اساقفتنا، منهم هرون اسقف سجستان الذي أتينا على ذكره سابقاً. فقد اسلم بعد أن رسمه المفريان اسقفاً على حديثه، ثم ندم وصار يونانياً فمارونيا. واسقف آخر يدعى ابن الاتراك وهو من حصن زياد كان البطريرك مار يوحنا قد رسمه اسقفاً لرعية تل بشر بعد أن أبعد عنها ابن اندراوس، ولما أعيد اليها ابن اندراوس، ارسلوا ابن الاتراك الى سيمندو وهناك ظهر زيفه، فطرد وأرسل الى حابورا، فلم يمتنع عن تبذله وزناه فطرد، فذهب الى ارمنيا الكبرى، وغير زيه الخارجي بزي العمال وخدم احد زعماء تلك البلاد ترافقه امرأة مومس، لكنه لم يستطع أن يحصل من ذلك العمل ما يسد رمقه ورمق تلك المومس، وكان يشناق، كقول الكتاب الآلهي، أن يملأ بطنه من الخرنوب

الذي تأكله الخنازير، ولم يوجد من يقدم له، ومع ذلك لم يرجع الى الرب الرؤوف، لكنه انتقل من سيء الى أسوأ. فقد ارتدى الاسكيم المقدس وتجول في أماكن لا يعرفه اهلها، يجمع الصدقات بأسم الأديرة والقديسين، ويلتهم وتلك المومس، بشراهة كل ما يقدم له. ولم تخف هذه الحيلة ايضاً، فقتله الغياري وانتهى الى مثل هذا المصير. واسقف آخر من مرعش يدعى كبريئل، وعرف بالأرمنية بأسم جاماكير (كتاب صلاة وطقوس) رسمه مار اثناسيوس اسقفا لسروج، ولما قيل أنه تدنس بالزنا، رئف به البطريك واطال له الاناة، لكنه تمرغ في شرور اكثر فظاعة كما سيأتي الحديث عنه .

فصل في شقين

الاول: الاعجوبة التي حدثت في انطاكية. والكنيسة التي انشئت فيها على اسم مار برصوم. والثاني يتضمن توجيهها

كلمة توجيهية من كتاب المطران ديونيسيوس

كثيراً ما يحاول الناس من دون وجه حق، فحص احكام الله غير القابلة للفحص ويتساءلون لم لم يشفق الله على شعب دُعي باسمه وانقذهم من الغزاة؟ ويقولون: هوذا قد مر عليهم وقت طويل منذ ثقل عليهم نير الاشوريين، حتى اخذ الكثيرون يتركون ايمانهم من جراء الضيق. فنجيبهم بايجاز لا يمكن أن تجري الامور بحسب ما تشتهون. فهناك أمور كثيرة يعتبرها الناس في بادئ الامر سلبية، لكنها تعود لصالحهم من حيث النتيجة، فالجبل لا تقول لجابلها، انك لم تجبني بصورة جيدة كما كتب. فعلياً أذن أن نعترف بأن معرفة الله الفائقة الادراك تجعل كل شيء صالحاً. ويجب أن نتعقل وندرك، انه لولا خطايانا، لما اسلمنا الى ايدي شعوب غريبة. من ترى لم ير أبا يغضب على ابنه المنحرف عن وصاياه بعد ان سلم اليه أمواله واعطاه السلطان على عبيده؟ فما دام الابن ملتزماً بأوامر والده فهو سيد ممتلكاته، اما اذا أخل بالشروط التي بموجبها سُلمت اليه الممتلكات، فانه بموجب الفكر الشرير الذي راوده، لكيما يتأمل ارتفاعه الاول تم سقوطه الاخير .

اما بالنسبة الى الذين استسلموا للعبودية خوفاً، ومارسوا أعمال الوثنية والعادات المخالفة للشريعة فنقول: أن العناية الالهية التي تعرف كل شيء قبل أن يكون، تتقدمهم في الوقت المناسب لمقاصده تعالى اذا ما

ثبتوا على ايمان آبائهم واتوا ثماراً تليق بالملكوت. فقد قيل «لقد اخرج من بين الاسنان، واعاد من اعماق البحر». اما اذا لم يتثلوا بأعمال ساداتهم، ومارسوا الشر منذ طفولتهم وحتى شيخوختهم، واسلموا ذواتهم لعبودية الشهوات كالشعب الذي لا شريعة له ويخفون ثعلبتهم تحت ستار جلد الاسد، فانهم يسلمون الى ذهن مرفوض الذي ارادوه لانفسهم، والذي من اجله كانوا مستعدين لوضع اعناقهم تحت نير عبوديته. وبهذا نختم .

علينا أن ننحي باللائحة على انفسنا من جهة رئاسة الكهنوت التي صارت موضع سخرية واحتقار كما سبق وتحدثنا عن هرون اسقف سجستان وغيره من الذين ازدادوا فساداً بعد افتضاح امرهم. فيتوجب الآ نسلم الخدم المقدسة، دون فحص، لاناس مشبوهين لهم استعداد للانحراف، ولا نودع سيف الروح بايديهم، لئلا يفترسوا النفوس بدلا من قطع دابر الشر كما حدث «وفسد ملحناً ولا يوجد اسمه في جلعاد، او كل يعمل كما يشاء». فنحن بحاجة ماسة الى موسى وصموئيل ليشغفا فينا لكي يعود الله فينير وجهه علينا ويشفي ضرباتنا الخفية منها والظاهرة. ترى اي شكل من اشكال الرياء لم يدخل الكنيسة، وأي نوع من المحرمات لم يقترف فيها؟ فان الثروة والرشوة تزهران وكذا الحقد والعجرفة. اما ذوو العفة والودعاء فمهانون، في حين ارتفع صوت المضلين والوشاة. ان الرب وحده هو الذي يرحم شعبه ويعيد مسكن داود المنهار .

قصة الاعجوبة التي صنعها القديس مار برصوم في انطاكية سنة ١٤٦٢

تسلق ذات يوم ابن احد الزعماء الافرنج شجرة تين المتكاثرة في المدينة، فسقط وكسر عظم كعبه فعالجه الاطباء دون جدوى، فاصبح معوقا، الامر الذي ألم والده جدا لكونه ابنه الوحيد وهم منحدرون من ارومة ملكية. فأولاه اهتماماً مضاعفاً، وانفق عليه مالا وفيراً. واذ كانت شهرة القديس مار برصوم قد اتسعت لاسيما بعد سقوط جوسلين، واخذت الالسن تشيد بسيرته وبما صنعه الله على يده من معجزات، واستجاعة المتشفعين به. صلت والدة الطفل المعوق بدموع سخية طالبة من الطوباوي شفاء ابنها. فجاء احد رهبان الدير وهو يحمل صورة القديس كالعادة المألوفة، فاستدعوه الى دارهم وتبركوا من الصورة. وبعد يوم واحد ظهر لها القديس بهيئة ملك مهيب. فتساءلت عنم يكون هذا الملك، فاجاب الحشد المحيط به، انه القديس مار برصوم. ثم سمعت الطوباوي يقول: أود أن تبني لي كنيسة هنا. كما تراءى القديس للراهب المذكور في اليوم نفسه وقال له: اذهب الى دار هاوي الافرنجي وشيد كنيسة لي في بستانه، واره ثلاثة مذابح، ثم تكررت له الرؤيا مع توعد، فخاف الراهب صليبا، وهذا اسمه، فاسر بما حدث لباسيليوس اسقف الرها المتواجد في انطاكية يومئذ. وفيما كان الشك يراود كليهما، اذا بوالدي الصبي قد حضرا واخبراهما بما تراءى لأمه، فاصطحب الاسقف الراهب والصورة وذهبا الى بيت اولئك الافرانج وباشرا الصلاة على المريض، فيما احاط بهما والداه وهما يتضرعان ويطلبان له الشفاء، فنعس المريض ونام، واذا به يصرخ بصوت عال ويقفز ويقف على رجليه، فخاف والده وافراد اسرتهم، وشاهدوا الصبي باسطة يده كمن يمسك به شخص وهو ينظر الى فوق بانسراح. فأعد والداه الشموع والبخور، وتجمهر عدد كبير من

الناس، فالتفت الصبي وقال: لقد تراءى لي القديس مار برصوم وهو
يمسك بيده صليباً ذهبياً كبيراً يلمع كالشمس، فامتلاً البيت من شعاعه، وكان
يرافقه جمع من الرهبان، فامسك بيدي وقال قم لاتخف، فاني جئت بناء
على ايمان وصلوات والدتك. فقلت كيف استطيع أن أقوم فان كعب رجلي
مكسور. فلمس المكان فعاد سليماً وكأنه لم يكن مكسوراً .

بعد هذا الحدث الواقعي ترى من يشك في أن الرب يسوع الذي
شفى حماة بطرس، حالاً في القديس مار برصوم، وأتم فيه قوله «من
يحفظ وصاياي، فالاعمال التي أنا اعملها يعملها هو أيضاً، ويعمل اعظم
منها لاني ماض الى أبي». فالله اذن حال في قديسه وهو يفعل مايشاء
حيثما وكيفما يستوجب الأمر .

لقد تسلم والدا الطفل ابنهما فرحين، وقصدا الكنيسة الكبرى تتبعهم
مجموع الحاضرة، ومنها شخصوا الى الملكة، ثم احتشدت جماهير غفيرة
من الافرنج والارمن والسريان وتوجهوا مع الملكة الى المكان الذي تمت
فيه المعجزة، حيث اشار الصبي الى المكان الذي تراءى له فيه القديس،
فانحنت الملكة الى الارض وبكت، فيما اخذت الجماهير تراباً من تلك
البقعة للتبرك، وحيثما أخذ ذلك التراب كانت تحصل الاشفية. وللحال
باشروا بانشاء الكنيسة وتعهد الراهب صليباً بالاشراف عليها. وقد حدثت
عدة معجزات أخرى خلال عملية البناء، نعجز عن سردها في عجالتنا
هذه، وحضرنا مع شيوخ الدير تقديسها الذي تم يوم الاحد ٩ كانون الاول
سنة ١٤٦٨ في عهد دنغد صاحب انطاكية، وبغدوني ملك القدس،
وبطريركهم همري، وبطريركنا مار اثناسيوس. كما حضر حفلة تقديسها
طوروس حاكم قيليقية وصاحب الفضل، والملكة وهاري وزوجته
اليصابات وكافة الزعماء الافرنج والارمن والسريان، وجمع كبير من
الكهنة والشمامسة ورهباننا ورهبان الافرنج والارمن. اما اليونان فقد
ماتوا بغيضهم، وتمجد الله وقديسه. له المجد وعلينا رحمته دائماً ابدًا .

فصل

في وفاة دولة صاحب ملطية وما حدث له ولبلاده وغيرها من
الاحداث التي جرت في تلك الفترة والشجار الذي حدث بين
المفريان اغناطيوس ورعيته

في احدى ليالي تشرين الاول سنة ١٤٦٣ هطل مطر غزير
وجرف البيادر وكل ماكان منشوراً، وغرق العديد من الناس والبهائم
بالفيضان الذي حدث، لاسيما في منطقة حصن زياد وصمحا، كما جرف
السييل أتربة وصخوراً كبيرة حتى احجار الرحى الى الوادي الواقع بين
قريتي ابدهار وترشنا. وشكلت سدا وسط نهر الفرات فتوقف جريانه مدة
ثلاث ساعات. وانا شخصياً رأيت المكان، وكيف التقط الناس سمكاً من
هناك حتى اشتدت قوة المياه وجرفت ذلك التراب والاحجار، وفتحت
مجرى في لحف جبل كلوديا، وانسابت منه .. في هذه الفترة بنى قسيس
أرمني يدعى يوسف من قرية بركيش بمنطقة هنزيط، كنيسة وزينها
وكساها باللون الابيض من الخارج. وذات يوم خرج الامير قراسلان
للتنزه كعادة الملوك فشاهد الكنيسة تلمع فاستاء جداً، وزاد في نار غضبه
اضطراباً اترك يكرهون ذلك القسيس. وبتأثير شيطاني قالوا له: كلما
أنشئت كنيسة جديدة مات حاكم المنطقة التي انشئت فيها. فاصدر أمراً
بهدم تلك الكنيسة وزج القس المظلوم في السجن. فاجتمع ابناء حصن زياد
المسيحيون ليشفعوا فيه، فأصدر الامير قراراً بأعدامه قبل لقائه، ونفذ يوم
عيد الصليب ١٤ أيلول. ومنذ ذلك الحين وللسبب نفسه، صدر قرار بمنع
انشاء كنيسة جديدة في منطقة بين النهرين او تجديد كنيسة قديمة، فتضايق
المسيحيون كثيراً. وبعد وفاته قدم المسيحيون اموالا طائلة لابنه، فاصدر
قراراً بالسماح بتجديد الكنائس القديمة التي تحتاج الى التجديد، فتنفس
المسيحيون الصعداء على اثر هذا القرار .

سنة ١٤٦٣ جاء الافرنج مرة ثانية من روما، حاقدين على اليونان، لينتقموا منهم لغدرهم باخوتهم، فنهبوا ودمروا ووصلوا الى ابواب القسطنطينية، وكبدوا مملكة اليونان اضراراً جسيمة وعادوا. غير أن بعضهم وصلوا الى فلسطين للانتقام من المسلمين فلم يوقفوا لغياب القيادة عندهم، لكنه قتلوا بحد السيف واحرقوا بعض القرى في منطقة اعسقلان ثم ركبوا البحر ووصلوا الى مصر واحرقوا في الجهة الغربية منها مدناً بسكانها ثم عادوا الى بلادهم ..

يوم الخميس ١٢ حزيران من السنة نفسها، توفي دولة حاكم ملطية وتولى الحكم ابنه دولقرين، فخاف المسيحيون جداً، وكثرت المضايقات فكانت حافزاً الى التوبة. وفي ختام مجلس العزاء الذي أقامه اخوه يعقوب أصلان، أرسل تعزية الى ابنه ووالدته موصياً اياهما بالحفاظ على المدينة وعدم الخضوع للسلطان، فاعتمدوا عليه وارسلوا مواشيهم الى منطقتهم. لكن السلطان علم باتفاقهم على العصيان عليه، فجاء غاضباً على يعقوب أصلان. فلما رأى يعقوب قوته الهائلة اسرع واعلن خضوعه واعداداً بعدم مساعدة ابن أخيه. ثم جاء السلطان الى ملطية. وفي ٢٤ تموز اجتاحت سلهبة ربوات الاتراك والشعوب الاخرى ودمرت، كما بنار، جميع القرى الجميلة المحيطة بها. وفيما كانت قوات السلطان تدمر من الخارج، كان الحكام وجندهم يعذبون الناس من الداخل بكل قساوة. فلما حوصر المؤمنون بين وحشين، تذكروا آنذاك بعض خطاياهم. لاسيما وقد رأوا أن الكأس قد مزجت، واستل السيف، فاستغرقوا في الصلوات والدعوات، واذا بخلص الله يأتيهم بسرعة المتلهف الى الرحمة والرافة. ومثلما أدرك العزاء السامرة بصلاة اليشع، هكذا وبشفاعة والدة رب اليشع، حل السلام في عيد انتقالها. وإن الصبي الذي تولى الحكم هو حفيد السلطان من ابنته، فرمت والدته نفسها امام نأرجل السلطان فوعد أن يبقى الصبي في المدينة اذا ما انحنى امامه وقدم له الخضوع، فلما فعل، قبله وثبت له الحكم.

فيما كان السلطان يحاصر ملطية، دخلت جماعة من الأتراك الموالين له منطقة كلوديا للسبي والنهب، واصطحبوا معهم رهبان وخدم دير بيت حنيش، غير أن السلطان أعادهم. وفي طريق عودتهم صادفهم لصوص عند جبل حزورين فدارت معركة بين الجانبين، قتل ثلاثة من اللصوص واحد الخدم ووصل الباقيون إلى الدير. ولما استتب الأمن في ملطية، سيطرت والددة الصبي وفرضت ضرائب ورسومًا باهظة على الأغنياء والفقراء بلا رحمة، وعذبت الناس من مسلمين ومسيحيين بمختلف صنوف العذابات، ولم تقبل شفاعاة أحد وادعت بأنها هي صاحبة المدينة وليس أبنها، لأن السلطان قبل التماسها فحسب، بل لأنها انقذت المدينة عن طريق السحرة والعرافين. فاجتمع عندها عدد من السحرة والعاشرات اللواتي كن يتنبأن لها بطول العمر، وبأنها ستتولى الحكم مثل يمينوس في زمانه، لذا فكرت في قتل ابنها ليستتب الحكم لها. بيد أن الله استمع إلى صراخ المساكين، فطال غضب العدالة إيزابيل الثانية فأنكشف مكرها فطردها، فغادرت صحبة أولئك العاهرات اللواتي كن يتوقعن حظاً سعيداً وقد تم فيهن قول النبي في تنكيته للأئمة «إلا انهضي بمجوسك وسحرتك، علّه تستطيعين أن تفيدي، فقد تعبت من كثرة أفكارك». وبعد عدة أيام من مكوثها أمام باب المدينة، طردت من هناك حافية عارية، فيما ثبت ابنها في الرئاسة، فقتل جميع السحرة والمشعوذين الذين جمعتهم عندها. وصادر أموالهم، وأصدر قراراً بحرق أمثال هؤلاء وعدم ظهورهم أمامه، فهرب العديد منهم. وطمأن أبناء المدينة على الأمن والسلام. والغى الضرائب الباهظة، فصار الخلاص للمسيحيين وعمّ الفرح. واذ شعر بأن بعض الزعماء يحاولون قتله بالاتفاق مع والدته، طردهم الواحد تلو الآخر، وصادر أموالهم، كي لا يعود أحد ويتآمر على ملكه.

غادر البطريك اثناسيوس أمد إلى حصن زياد. وفي تلك الأثناء توفي أسقفها، فأقام البطريك فيها ثلاث سنوات، ثم رسم سكرتيره

سرجيس اسقفاً لها وسماه ايوانيس. غير انه ارسله الى آمد ليتفقد شؤونها ممثلاً اياه. وفيما كان البطريرك في حصن زياد، زاره المفريان اغناطيوس، اي رئيس اساقفة المشرق للغاية التالية .

كان للمشاركة تقليد قديم يقضي بأن يرسم مطران تكريت المفريان، مطراناً لنينوى والموصل، وبعد رسامة المنتخب وتنصيبه مطراناً على تلك الابرشية الكبرى، لا يعود يخضع للمفريان كبقية اساقفة تلك المنطقة، بل يصير ندا له بحسب هذا التقليد الذي من شأنه افساد جمالية النظام. وبسبب هذا التقليد استمرت النزاعات في المشرق كما جاء في تاريخ ديونيسيوس التلمحري. فقد بدأ هذا التقليد منذ عهد البطريرك قرياقس. فلما تضععت ابرشية تكريت وبقية ابرشية نينوى مزدهرة، اراد المفريان توحيد ابرشية نينوى مع ابرشية تكريت، فلا يرسم مطراناً لنينوى. فتنازع اهل تكريت مع المفريان بسبب ذلك. وهذا كان الدافع الى زيارة المفريان اغناطيوس للبطريرك اثناسيوس في حصن زياد. واذ لم يوافق البطريرك على فكرته، غادر ملطية ومن هناك الى دير سرجيسية. ولما غادر البطريرك حصن زياد الى دير مار برصوم جاءه المفريان ليقنعه بفكرة توحيد الموصل مع تكريت تحت رعاية المفريان. وامض الصيف كله هناك دون ان يحصل على موافقة البطريرك. فعاد الى ابرشيته في تشرين الثاني دون أن يغض النظر عن فكرته واهتمامه، منتظراً الفرصة المناسبة لتحقيق رغبته كما سيأتي الحديث فيما بعد. اما البطريرك فقد امضى بقية حياته في ديرنا دير مار برصوم، ولئن أثار ذلك حسد البعض .

انتهى هذا المقال وقد تضمن ١٤ فصلاً وتناول فترة عشر سنوات قام خلالها ملكان لليونان وللأفرنج وملكان للاتراك، وملك واحد للعرب في المقال الثامن عشر هذا، سنتناول بعونه تعالى الاحداث عتباراً من سنة ١٤٦٤ وهي السنة ١١٣٤ ميلادية وسنة ٥٣١ هجرية، وسنة ٩٣ للاتراك. وسنة ٦٦٨٣ لآدم وبدء الخليقة.

الفصل الأول

في انتزاع الافرنج عسقلان من المصريين وغيرها من الاحداث
التي جرت في هذه الفترة

في هذه الفترة، رسم يعقوب المنطقي الملطي الذي سبق ذكره،
اسقفاً لمرعش، وسبب رسامته هو..... (ناقص)

سنة ١٤٦٤ كان بغدوين ملك الافرنج في القدس مازال صبياً،
وكانت والدته تسوس المملكة وكالة. ولما بلغ الملك ملء قامته وادراكه،
اراد أن ينفرد (ناقص)

في هذه الفترة، اصدر امير قيصرية قبادوقية امراً بهدم الكنائس.
وبسبب ذلك فإن الكهنة (هنا نقص عشر صفحات)

فتح مخازنه في انطاكية واطعم الشعب من اوائل آذار حتى نيسان
/ انتهى .

..... انه نصب المنجنيقات واقام ابراجا من خشب مثبتة بالحديد،
ولم يكن ليهدأوا طوال النهار، وراح ضحيتها عدد كبير من الشعب. وكان
فيها امير تركي من عشيرة الاتاتوركيين، له وزير داهية يدعى ابن نيسان
كلام الدين، كان قد بسط سيطرته على كافة الامور، وكل شيء كان تحت
امرته، الابواب والاسوار، والجيش، واهل المدن والقرى، والمال وكان
الامير جمال الدين شيخاً وديعاً خاضعاً لابن نيسان ومنه يتناول الخبز
ليأكله - لقد نهض بعزم ثابت وتغلب بدهائه على قوة الجيوش المحيطة

بالمدينة، فكان يحث الناس في الداخل بكلام معسول ووعود وعطايا، ليحافظوا على السور ويحاربوا الاعداء، في حين كان يهيئ مقاتلين للقتال في الخارج اكثر مما كانوا في الداخل، من رماة المنجنيقات والسهام. اذ أنه نصب منجنيقات في الداخل اقوى من التي في الخارج، وارسل ليلاً ثلاث مرات من يحرق اسلحة الذين في الخارج. وكانوا يهدمون الابراج التي يدور القتال حولها بقذفها بحجارة ضخمة، في الوقت الذي كان يثبت في الداخل اعمدة الحجارة والرخام الضخمة ويقويها بالكلس طويلاً وعرضاً. وفي الوقت الذي كان يحارب، كان يرسل وفوداً بصورة مستمرة الى كل واحد من الامراء ليجعل منهم اعداء لاعدائه، فكان له ما اراد. فقد وجد من يتحالف معه وهو يعقوب ارسلان حاكم قبادوقية بالرغم من كونه حمو قرصلان. ذلك أن الرسائل التي وصلتته من آمد، والاقسام بالخضوع له، جعلته ينشق على قرارسلان وينقذ آمد من قبضته انتقاماً لما فعله به في موضوع ملطية. فلما دخل منطقته وواقع فيها النهب والسلب، ترك قرارسلان آمد مكسور الخاطر بعد احتمال خمسة اشهر وانفاق مال وفير، ووصل الى حصن في بلده. ثم دعاه يعقوب ارسلان الى الصلح فلم يوافق، وسبى هو بدوره كيزان وخرسان وتل بطريق، واحتل عسكرياً حصن شمشكيخ، وجلا مئة الف شخص من رجال ونساء واطفال مع بهائم، وترك القرى خالية خربة، وجلي فيمن جلي اغناطيوس اسقف تولا الواقعة على نهر ارسينوس، واحتل قمح وعاد الى ملطية، كما قبض على مطران الحصن، وبعد يومين اطلق سراحه .

لسنين، وحتى المسلمين من اترك واكراد وبقية الشعوب، كانوا يقصدون زيارة هذا الدير، لاسيما يوم عيده حيث تحتشد فيه اعداد هائلة، وكثيرا ما كانت فترة الاحتفال تمتد لعدة ايام بسبب نعمة الشفاء التي يحظى بها الكثيرون. الا أن شحة المياه كانت تسبب لهم بعض الضيق، فكانوا يجلبون الماء على ظهر البغال من مكان بعيد. وكان مطران ماردين خبيراً بشؤون مسح الارض، وبامكانه مد قنوات المياه بسهولة

حيثما شاءوا. فاراد أن يخلد اسمه في ذلك المكان المقدس، فلم يوافق الرهبان بحجة أن عملاً عظيماً مثل هذا لا يجب أن يتم والاتراك يحيطون بالدير من كل جانب. كما انهم لم يصدقوا أن تمد الانايبب الى قمة الجبل بين الكهوف والمغاور، وقالوا: أن الاولين كانوا اكثر ذكاءً وحكمة منا وما يتمكنوا من انجاز مثل هذا العمل، فكيف نستطيعه نحن؟ وممرت الايام ودُعيت أنا ميخائيل الضعيف لآكون رئيساً لهذا الدير، فالله الذي تظهر في الضعف قوته حفز ضعفي، فكتبت الى المطران مار يوحنا فلبى دعوتي بسرور. ولدى كشفه على الموقع اتضحت له امكانية وصول الماء الى الدير. فبوشر بحفر الارض وتهيئة المعدات اللازمة، واذ ادركهم الشتاء، عاد المطران الى ابرشيته على أمل العودة في نيسان. وهنا التزم الصمت بخصوص التذمر والمضايقة التي لحقت بي من الاخوة الرهبان الذين بتأثير الشيطان الذي لا يريد للناس الخير جسداً وروحاً، والذي حرصهم شيوخاً وشباباً ليتقمقموا على ضعفي - قالوا: اني اهدر الاموال، واخشى المحيطين بي. واجمع الكل على أن الدير سينتهي الى الخراب. فيما كنت احتمل، برحابة صدر مستعينا بصلوات القديس مار برصوم، اللدغات، واحاول اقناع البعض بالكلام لكي اخفف من حدة غيرتهم، واستميل الآخرين بالصلاة عوض الشتيمة لكي اخجلهم .

حل الربيع، وحضر الاسقف البار كوعده، وبدلاً من الحسد الذي كنا نتوقعه من الحكام المجاورين، تلقينا التشجيع والعون سواء من المسيحيين ام المسلمين، فتشجع الرهبان ووافقوا على العملية بقوة صلاة مار برصوم الذي استظهر على حسد ابليس، فاندفع كل واحد الى العمل محاولاً أن يكون في مقدمة العاملين، لاسيما وقد ظهرت بعض العلامات في الاحلام وخلال العمل، تشير الى رغبة القديس في هذا العمل ولئن كان غريباً - لايجوز للذين يعتبرون الاحلام مجرد خيال، أن يستهينوا بمثل هذه الاحلام - فقد ظهر القديس لبعض الرهبان والخدم الذين كانوا ضد

الفكرة وحاولوا تعطيل العمل، وهو يلوح بخيط في يده ويقول: «اود أن اوصل المياه الى هنا» .

لقد جرى خلال العمل الحدث التالي: فيما كانت عملية الحفر جارية، اذا بصخرة كبيرة تعترضهم، فاحاطا بها الرجال وحركوها ليدخرجوها، فسمع صوت سقوطها، ومن شدته تحرك احد الرجال وانزلت رجله فسقط تحت الصخرة، وتدحرجت عليه تلك الصخرة، ولا اقول جبلا، فهرع الناس ليروا فيما اذا بقي شيء من عظام ذلك الشاب، وأسمه برصوم، الذي حوصر بين حجرتين صغيرين، فوجدوه حياً سالماً دون أي خدش في جسمه. لقد رأينا جميعاً هذا الحدث بأمر أعيننا ولمسناه بأيدينا .

واذا كان البعض قد شك في حينه في الاعجوبة الفائقة للطبيعة والتي ورد ذكرها في سيرة القديس بخصوص الشاب الذي سُحق الحديد تحت بطنه وظل حياً. فهذا الحدث يؤكد ذلك لأن الشاب انحصر بين حجرتين. فالقوة التي احيت ذلك هي نفسها حفظت هذا. ومهما طال الحديث، يظل عاجزاً عن استيعاب كل المعجزات التي حدثت خلال هذا العمل. فأنا لم ادون سوى نزر يسير، ومع ذلك يجب أن ادون بأيجاز الاعجوبة التي حدثت في ختام العمل. فقد ادركتنا خيبة أمل عندما اعترضت طريق الماء دون أن يصل الى الدير، صخرة عالية، ولم يكن من الممكن شقها أو بناء سد ازائها. فترأى القديس لراهب غريب وقال له: اذهب وقل للفعلة ورئيس الدير، لا تفتر همتمكم فسوف تجدون مجرى للماء في المكان الفلاني. فلما قص الرؤيا، لم يصدق أحد، لان الموقع المؤشر اليه من الجبل كان صخرة صماء. بيد أن الراهب حفر في المكان المعين لمفرده، واذا به يكتشف شقاً في الجبل طوله خمسمائة خطوة لا اكثر ولا أقل، فبهت الجميع ومجدوا الله. فقال بعضهم أن الشق قديم، وقال آخرون، لا بل أن الرب قد شقه حديثاً. أما أنا فأقول: سواء اكان

الشق قديماً ام حديثاً، فإن قوة الله الحالة في القديس مار برصوم اكدت أن العمل من صنع الله وليس من صنعنا. وارجو الأيسىء أحد الظن في فيعتقد بأني كتبت احداثاً غير صحيحة، بين ما جمعته من اخبار في هذا الكتاب. بل اني عزمت عن تدوين احداث كثيرة كي لا اطيل الحديث. كما وارجو الأ يعتقد أحد بأني احصي نفسي مع المجاهدين. فأنا لم اذكر مما احتملته سوى اليسير، فأنا لا اتجاهل ضعفي. وإن ماكتبته، كتبته طمعاً بصلاة الافاضل الذين يقرأون ويعرفون أن العمل انتهى في ٢٤ آب سنة ١٤٧٤.

فصل

في تولي بوهيموند بن بيدوي الحكم في انطاكية. ودخول أمري
ملك القدس مصر. ووفاة يعقوب ارسلان والمفريان
اغناطيوس، وهزيمة الافرنج في حارم حيث القي القبض
على صاحب انطاكية وطابو بوليس

سنة ١٤٧٦ شحت الحنطة في كل الامصار ولاسيما في منطقة
انطاكية وقيليقية. حيث بلغت قيمة نصف الكيل ديناراً، واخيراً اختفت
كلياً.. في السنة نفسها اغتيل جمال الدين الوزير الذي كان في
الموصل والمذكور آنفاً، هو فارسي الاصل، وكان قد اوفد المفريان
لدى ملك الايبارينى الاتراك. وقد عينه زكي مديراً في الموصل واعطاه
العشر من دخلها فأثرى وعظم شأنه. وكان يمثل (ناقص)

بعد أن القي الاتراك القبض على دنغد واعتقل في حلب، ادعت
زوجته بأنها وريثة والدها في السلطة على انطاكية، فعهدت اليها ادارتها.
وكان لها ابن قد بلغ سن الرشد، لكنها لم تسمح له بتولي السلطة. وكانت
موضع شك لدى الزعماء.

نظرا الى شتداد المرض على المفريان اغناطيوس والعذاب الذي
تحمله بسببه، اراد أن يأتي الى دير مار برصوم، فأخذ بعض تلاميذه
وكتبه وامواله، ووصل الى قرية تدعى حيل في كورة نصيبين (نقص
سبع صفحات).

.... بالرهبة ايها الاخوة. فاذا كانت هزة أرضية تسبب خوفا بهذا المقدار ترى من يقوى على تحمل الدينونة العتيدة في ذلك اليوم الرهيب ؟

كنا في كنيسة دير مار حنانيا، وقد رمينا بانفسنا امام المائدة وامسكنا بها ونحن نترنح ذات اليمين وذات الشمال وندعو الله قلبيا ليؤهلنا للنهاية بالسلام. وبعد فترة عدنا ونحن مشدوهون وكأننا ناهضون من القبور، وسالت الدموع من مآقينا وصرنا مثل الذي يستيقظ للتو من نومه، والسنتنا تلهج بالتسييح، لاسيما بعد أن تأكد لدينا سلامة الدير وسائر المنطقة من الاضرار. وزدنا شكرا لله بعد أن سمعنا بأخبار النكبات التي حلت في بعض المناطق والمدن، وقد دمرت بتأثير هذه الهزة مدينة بيروا اي حلب التي كثرت فيها المنكرات مثل سدوم وعمورة. فقد رأينا بأمر اعيننا، انواع المنكرات التي تقترف فيها. فلم يكن يُسمح لآلاف من المعتقلين المسيحيين الذين بالخروج سوى لارتياح الكنيسة يوم الاحد، وهم مكبلون بالسلاسل من أرجلهم واعناقهم، ويشق صراخهم عنان السماء. ترى أي لسان يستطيع أن يتحدث أو اية أذن تحتل السماع عن صنوف العذابات التي كان يعاني منها المعتقلون ؟ اذا ما ارادت يد أن تدون بعض الشيء. ستحتاج الى عدة مجلدات. ولعل الجو نتن في تلك المدينة من جراء أبخرة تكالبهم الكريهة .

لقد جدف البعض، وهم يسمعون ويرون تلك التصرفات، وقالوا: أن عناية الله لم تصل الى هنا. ولكن قد تكون العدالة رثفت بهم في هذا التأديب، حيث انها منعتهم من الفواحش كالذين كانوا في ايام نوح لما حلّ الطوفان. وان الذين قالوا، أن الله يعجز عن انقاذ المعتقلين من ايديهم، صاروا اكداساً اكداساً بفعل الهزة، وانهارت بيوتهم واسوارهم، وتعفن الهواء والماء من كثرة الغرقى، وظهرت اخاديد وكهوف في المدينة، وسادها اللون الاسود، ووضحت برمتها تلاً وركاماً. وما يؤكد بالاكتر أن سيف الغضب قد أستل عليها فقط، هو نجاة ضواحيها من مفاعيل هذه

النكبة. لقد سقط سور انطاكية الواقع على ساحل البحر، كما انهارت كنيسة اليونان الكبرى، ومذبح كنيسة مار بطرس الكبرى، وبعض الدور والكنائس هنا وهناك، وراح ضحيتها نحو خمسين نفس في انطاكية، كما انهارت جبال برمتها، وقسم كبير من طرابلس بما فيه الكنيسة الكبرى، ومن سائر مدن ساحل البحر. ولحقت كذلك الاضرار، من جراء هذه الهزة، بدمشق وحمص وحمص وكافة المدن والقرى. ولكن ما حدث في حلب لم يكن له نظير. فقد قص حاكمها فربلا شعره ولبس المسوح، وجمع الشعب وشخصوا الى قوصير، وطلب العفو من بطريركهم، والتمسوا منه أن يدخل المدينة. فقال: لا ادخلها مالم تخرجوا البطريرك اليوناني، فلما هموا باخراجه وجدوه مهشماً بسبب الهزة فحملوه واخرجوه من المدينة، فمات في الطرق. فدخل همري انطاكية واعيد بناء اسوارها وكنيستها. واعاد نور الدين بناء سور حلب، وفعل كذلك حاكم شمشاط. واعاد جميع الحكام الافرنج منهم والأتراك بناء مناطقهم.

اما بالنسبة اليينا، فان الله آزر هذا النزر اليسير في كافة المدن. ربما لانه لم يكن ملك من شعبنا ولا ثري. فقد سلمت كنيستنا في حلب ولم تسقط منها كنيسة العذراء وكنيسة مار جرجس وكنيسة مار برصوم، وسلمت كذلك الكنيسة الصغيرة التي كانت لنا في جابولا، وكذلك الامر في اللاذقية وطرابلس. لقد حدث هذا تشجيعاً لقطيعنا الارثوذكسي الصغير.

الذهب الذي اعتادوا أن يقدموه احياناً، واعطوا رهينة، ضماناً لتقديمهم المال سنوياً، فأخذ الرهينة وعاد الى القدس، فاغتم اليونان. ومات عدد كبير منهم بسبب الشتاء، وبالكاد تمكنت بقية منهم من العودة الى بلادهم.. وفي السنة نفسها انجرف امير ملطية الشاب الغبي وراء الشهوات السمجة، فتبع مومساً ساحرة دفعته الى اقتراف صنوف الشر والمنكر بحق ابناء مدينته وجنده الأتراك، فاستاء كبار رجاله، غير انه زاد في طيشه واستحوذ على كل ما وجده من كنوز آبائه، واصطحب

المومس واتباعه وغادر المدينة مضطرباً. فلما علموا بما فعله محمود الشقي، اقاموا اخاه الشاب المدعو ابا القاسم رئيساً، فساد السلام المدينة على اثر تسلمه مقاليد الحكم. فيما اخذ ذلك ينتقل من بيت الى بيت. وسوف نأتي على ذكر مصيره فيما بعد .

لدى سماع ملك القدس، أن ميلحي حاكم قيليقيّة يسيء معاملة المسيحيين بمختلف الطرق وفي كل مكان، جاء لمحاربتة، فاستجد ميلحي بالاتراك فانجدوه، ودارت المعركة، وبمعونة الله انتصر الملك فهرب الاتراك، ولجأ ميلحي الى حصنه، فحاصر الملك الحصن وحاربه فتضايق ميلحي وندم واعتذر وتعهد بالخضوع للملك .. في هذه السنة توفي عز الدولة حاكم قلعة آغل فخلفه ابنه أسد الدين، فنشب نزاع بينه وبين عمه حاكم آمد، فأخذ ايسبيان الفلاحين ويبيعانهم عبيداً .

..... والمنطقة، اغتصب ساحة كنيستنا في ماردين واعطاها للمسلمين فضموها الى جامعهم، الامر الذي حز في نفوسنا. وتوافق فريق منا فجدفوا على القديسين عوضاً عن توجيه اللوم لنا ولذواتهم بسبب ترك الله ايانا وافساحه المجال للشعوب أن توجه الينا هذه الضربة العادلة بسبب خطايانا. وعليه وبكل حق يقول لنا القديسون: لقد أهين اسم الله بين الشعوب بسببكم. الويل لذاك العبد الذي يهان سيده بسببه. وفي اليوم التالي سقط ذلك المخصي من مركوبه وندم، و اراد اعادة الساحة لكنه خاف من المسلمين .. في السنة التي توفي فيها مطران شمشاط، توفي ايضاً يوسف الذي اقيم عن غير جدارة، على تل ارسينوس، فارتاح منه المؤمنون، لانهم لم يكونوا يتفنون به .

فصل

في وفاة حاكم الموصل وخليفة بغداد، ونزول نور الدين الى الموصل ونهب دير مار متى. وعقد مجمع دير مار حنانيا.

في تلك السنة، اسلم في ماردين الراهب حسن بن كوميبي لخلاف بينه وبين اخوته الرهبان، فاستولى المسلمون على ديرهم المعروف بدير الابكار في جبل ماردين واحالوه مصلى للمسلمين الاكراد .. في هذه السنة باشر المطران الملفان مار ديونيسيوس بتجديد كنيسة والدته الله في آمد، ووضع فيها كاتبه الشماس ابراهيم الذي فتح كتاباً لتعليم الاطفال، وجدد أرضية الكنيسة من ماله الخاص ومما جمعه من المؤمنين .. وفي السنة نفسها شيّدنا كنيسة في دير ابي غالب بمنطقة بيرتا في جرجر، وفيها عقدنا المجمع الثالث في دير مار حنانيا، ورسم اغناطيوس اسقفاً لتل ارسينوس، واوانيس لسبييرك، واحدهما من دير سرجيسية والآخر من فسقين بمنطقة ملطية .

في آب عام ١٤٨٢ توفي اتابك اتبج قطب الدين حاكم الموصل واثور، فألب شقيقه فقهاء المسلمين لمعاملته اياهم بالحسنى، ولحرصه على اداء الصلاة في اوقاتها، وتجنبه شرب الخمر حتى اضفى عليه المسلمون لقب «النبى». فقسى قلبه على المسيحيين ليحسن اكثر في اعين المسلمين. فأمر بهدم كل الابنية الجديدة في الكنائس والاديرة. فهدموا الحائط الذي كان قد اضيف الى كنيسة مار يعقوب الكبرى في نصيبين التي كانت تحت سيطرة النساطرة منذ عهد برصوم الهرطوقي، ونهبوا ممتلكاتها ونحو الف كتاب. وفعلوا مثل هذا في عدة اماكن. وقد عين نور الدين فقيهاً من انسبائه يكره المسيحيين، يدعى ابن عصرون، قاضياً، وارسله ليتجول

ويهدم كل بناء جديد في الكنائس شيد في عهد والده وأخيه. وحيثما كان يتجه، كان يرتشي فيقسم على أن البناء قديم. أما اذا لم يُقدم له مايعمي العيون (الرشوة) فكان يهدم ويدمر. حتى علم بذلك نور الدين فعزله، ثم انتقل نور الدين من نصيبين الى سنجار وفتحها دون مقاومة. وفي كانون الاول من السنة نفسها، حاصر الموصل. وفيها توفي الخليفة المستجد فخلفه ابنه المهدي، فخفف من حدة حقد نور الدين للمسيحيين لاسباب ستوضح من جداول السنين .

لقد طال الفيضان الذي جرفنا بسبب خطايانا، حتى دير مار متى بمنطقة نينوى والموصل. فبعد وفاة اتبج قطب الدين خلفه ابنه سيف الدين. وفي تلك السنة وصل نور الدين حاكم حلب الى المنطقة ليحاربها. فعلم الاكراد المجاورون للدير بذلك، وفهموا أن نور الدين يضرب المسيحيين، فانتهزوها فرصة وقرروا تدمير الدير، فكانوا يحاولون نهبه ليلاً، لكن الرهبان كانوا ساهرين، وكثيراً ما كسروا سلاهمم وقتلوا بعضاً منهم. واخيراً تجمعوا وجاءوا اليه في النهار وحاربوه. فجاء ابناء قرى منطقة نينوى لنجدة الرهبان وانتصروا على الاكراد. فلجأ الاكراد الى الاحتيال وعقدوا صلحاً مزيفاً مع الرهبان ودفعوا لهم ثلاثين ديناراً كعربون للمحبة، فانطلت الخدعة على الرهبان وصرفوا ابناء القرى. وللحال تجمع الاكراد ودحرجوا صخرة ضخمة من اعلى الجبل فارتطمت بالسور في الموضع الذي يدخل منه الماء الى الدير وفتحت ثغرة (مازال الت الحجرة موجودة حتى الآن). فاجتمع الرهبان لسدها بالحجر والكلس، فهجم عليهم الاكراد واخذوا يرمونهم بالسهام. واذ شعروا بتقهقر الرهبان صرخوا بصوت واحد واستلوا سيوفهم وهجموا عليهم، فقتلوا بعضهم والتجأ البعض الآخر الى قلعة الدير العليا فنجوا، وقتل الراهبان متى ودنحا الحبيس، وكان عدد الاكراد الف وخمسمائة، وحملوا دوابهم من ممتلكات الدير اضافة الى ما حملوه بايديهم، حيث كان ابناء المنطقة قد هربوا اموالهم الى الدير لتكون في مأمن .

وبعد أن غادر الاكراد، اخذ الرهبان الكتب وكل ما كان في القلعة العليا ونزلوا الى الموصل، فخلا الدير من السكان والخدمة. انه لمشهد يدعو الى الشفقة. لقد استأجر ابناء المنطقة حراساً لحراسة الدير لمنع هدم ابنيته من قبل الاعداء، ودفعوا لهم ثلاثين درهما شهرياً. ولما علم حكام الموصل بما فعله الاكراد بالدير، ارسلوا جيشاً وقتلوا عدد كبيراً من منهم. وكرد فعل لهذا العمل، دمر الاكراد تسع قرى في منطقة النساطرة وقتلوا سكانها وبهائمها ونهبوا ممتلكاتهم واحرقوا البيوت .

فصل

في محاربة نور الدين الموصل وغيرها من الاحداث التي جرت في تلك الفترة

في ايلول عام ١٤٨٣ طرد الرهبان جبرائيل الشيخ رئيس دير مار برصوم، ف جاء عندنا الى دير مار حنانيا. فتوجهنا الى الدير للنظر في أمره وغيره من القضايا، يرافقتنا ايوانيس مطران كيسوم رغم مرضه، وقد توفي في دير مار برصوم يوم السبت ٢٤ من ذلك الشهر. وكان متبحراً في علم الاسفار الالهية ولبقا في الكلام وذا شهرة واسعة في الكنيسة. وبعد شهرين اي في تشرين الثاني عام ١٤٨٣ ازداد حزن شعبنا بفقد كنيستنا الارثوذكسية، لمار ديونيسيوس يعقوب اسقف آمد، الاستاذ الحاذق. وكوكب زمانه الذي هو جدير بلقب «محب العمل» نظير يعقوب الرهاوي، لانه عمل كثيرا في حقل العلم وجمع ووضع كتباً رائعة، فقد فسّر كتب الانبياء أي العهد القديم برمته، كما وضع تفسيراً جليلاً للانجيل والرسائل واعمال الرسل، ولتعاليم غريغوريوس اللاهوتي ومؤلفات باسيليوس وكتاب ديونيسيوس الاريوفاغي ولمصنفات غريغوريوس النوسي ولكتب القديس سويريوس وكتاب بطرس الرقي ولمئات حكم اوغريس المتوحد. كما وضع كتاباً في الجدل ضد البدع والمذاهب المخالفة لعقيدتنا الارثوذكسية، وتفسيراً لكتب المنطقيين مثل ارسطو وسواه. وكتاباً في العناية الالهية، وكتاباً في التاريخ، وكتاب الرسائل، وكتاباً حوى مجموعة كبيرة من اناشيد كافة كنائسنا. فاغنى الكنيسة بمثل هذه اللالاحان، واغنى نفسه بحفظ القوانين المقدمة. وقد كتبنا مقالاً عن سيرته واعماله وجهوده، فليرجع اليها من يشاء. اودع جثمانه في كنيسة

والدة الله في امد، في الجهة الجنوبية الى جانب البطريركين ابن عبدون وابن شوشان. ليرحمه الرب ويغفر لمن يقرأ ويصلي من أجل ضعفي .

لدى محاصرة نور الدين الموصل، كان فيها خمسة من اولاد أخيه ومربيهم، وهو خصي يدعى فخر الدين عبد المسيح من كورة أنطاكية. وحيث انه كان يساعد المسيحيين مثل مردخاي في زمانه، فقد عليه المسلمون كحقد هامان لذلك. ويقال أن نور الدين نفسه جاء الى الموصل غيرة من فخر الدين الذي كان يدير المدينة بكل حكمة. فلما رأى عجزهم عن مقاومة نور الدين لميل الجميع اليه، ارسل وسطاء للمصالحة، ثم خرج هو نفسه واخذ تعهداً بعدم انتزاع المدينة من ابن أخيه. فدخل نور الدين وصعد الى القلعة. ولكي يحتفظ بها لنفسه، عين لها خصيا يدعى سعد الدين، وترك المدينة ومنطقتها لابن أخيه، وقسم المناطق الاخرى على اولاده وبناته، كما أعطى لكلاً من الاخوة نصيبه. وسجل باسمه مناطق ماردين وقلعتها، وعين والياً في كل منها .

لقد اتقل على المسيحيين بالضرائب، وزاد الجزية، وأمر بأن يتمنطقون بزناار وبالأ يرخوا شعور رؤوسهم لكي يتميزوا فيسخر منهم المسلمون. كما أمر بأن يضع اليونان رقعة حمراء على اكتافهم من اجل تمييزهم .

في هذه الاثناء زار امري ملك القدس، ملك اليونان في القسطنطينية، فنفحه بالمال والسلاح وعاد. فسمع نور الدين بعودته فرجع مسرعاً مصطحباً معه الخصي لئلا يساعد المسيحيين اذا بقي. فلما رحل الى حلب تنفس المسيحيون في أثور وبين النهرين الصعداء هذه الاحداث كلها جرت في آذار عام ١٤٨٣ .. في هذه الفترة كان يحكم ملطية شاب بن ١٥ سنة هو شقيق الحاكم الذي اضطر الى مغادرتها مهاناً، فزوجوه من ابنة قراصلان صاحب حصن زياد. وفيما هم يتمتعون بمراسيم

الزواج، خرجوا للعب كمألوف عادة الاترك والجنود، فسقط من على متن الحصان ومات، فاستحال فررحهم حزناً، وظن الجميع انهم سيعيدون الحاكم الاول، غير أن الاترك لم يوافقوا فاجتمعوا واقسموا، كما اقسام المسيحيون ايضاً، على انهم لن يقبلوا من سبق وتركهم. وعليه فقد أقاموا الاخ الاصغر المدعو فريدون رئيساً للمدينة وزوجوه امرأة أخيه من غير رضاها .

لقد ثمل نور الدين بنشوة المجد الباطل لاعتبار المسلمين أياه بمثابة نبي كما سبق القول، وكان يحاول بشتى السبل الانتقاص من قيمة المسيحيين لكي ينظر اليه المسلمون كأمام لعقيدتهم. وازداد تصلفه بعد أن سيطر على سورية ومصر وآثور وكأنه سيطر على المسكونة برمتها. وحرضه الشيطان على القضاء على المسيحيين، فأرسل كتاباً الى الخليفة جاء فيه «إن قول محمد النبوي الوارد في القرآن بأن لا يؤذي المسلمون المسيحيين مدة خمسمائة سنة، قد انتهى مفعوله بانتهاء تلك السنين، وعليه ينبغي أن يقض على المسيحيين في كافة مناطق نفوذ المسلمين. فمن لا يعتنق الاسلام منهم يُقتل». وأشار في رسالته هذه الى استعدادة للحضور عنده، الامر الذي افزع الخليفة معتبراً خطوته هذه خدعة كي يطرده كما فعل بالنسبة الى سلطان مصر، ويتخذ الخلافة لنفسه لانه كان يدعي النبوة. لذا خذله الخليفة. وحدث أن توفي الخليفة في تلك الفترة بالذات وخلفه ابنه فقتل الوزير لانه لم يكن يرغب فيه، واذ كان الوزير يكره المسيحيين، أحبهم الخليفة نكاية به، فاطلق سراح الرؤساء من آل توما المعتقلين، واعاد اليهم بيوتهم وكنائسهم، فاخبروه كيف أن والده أبعدهم من نور الدين لدى اكتشافه خداعه. فكتب اليه يقول: «لا يحق لك أن تدعي النبوة وتضع الشرائع كآله. فانك لم تفهم كلام محمد بالنسبة الى السنين على حقيقته. فان الله لم يأمر أن نقتل الناس دون ذنب». فخجل وارسل رسلاً آخرين طالباً السماح له بزيارة ضريح الخليفة الراحل. الامر الذي كان لصالح المسيحيين، حيث ثبت للخليفة الجديد أن نور الدين يعمل ما

في وسعه لدخول مدينتهم بقصد السيطرة عليها. فاجابه متوعداً ولم يأذن له بالقدوم اليه. علينا أن لا ننسى أن الله ولئن سلط علينا المسلمين والأتراك بسبب خطايانا، لكنه لم يحرمننا يوماً ما أي شكل من أشكال رحمته، بل يشملنا دوماً بعنايته ورعايته ويحمينا من مبغضينا، رحمة منه بكنيستہ .

فصل

في مجيئ السلطان قليغ أسلان الى منطية وعودته. واجماع الامراء على محاربتة بتحريض نور الدين. وبث اشاعة كاذبة عن موت نور الدين. وتنازع الاتراك والعرب في منطقة حكمه

رُسم في هذه السنة ابراهيم سكرتير مار ديونيسيوس اسقفاً لآمد. وفي السنة نفسها، شيدنا في دير مار برصوم جناحاً للبطريك والمطارنة الزائرين. وفيها بوشر بتجديد كنيسة ملطية الكبرى الشهيرة بكنيسة الساعي، وذلك على النحو التالي: كانت قبتها قد اوشكت على السقوط، وكلما حاول المؤمنون ترميمها منعهم الرعاة بحجة خوفهم من الحكام، وربما كانوا على صواب. فقد خافوا ان يباشروا العمل ولا يستطيعون انجازه، فترك الامر حتى الآن، حيث ارتأى بعض وجهاء المدينة المباشرة بالعمل، فاستشارونا كبطريك انطاكية، فرحبنا بالفكرة ووافقناهم. ودفعت خمسين ديناراً للمباشرة بالعمل كدفعة اولى. فهدموا القبة والبايين القبلي والشمالي، وباشروا بالبناء. فثار علينا الطلاب بحسده ليعطل فوائد الروح والجسد. ولكن وجد من يؤازر ضعفي، منهم الأرخذياقون ابو الحسن والوكيل رومانس المعروف بعوجان الذي أبدى حمة شماء بدافع ايمانه. وما أن تم بناء الابواب. حتى اندفع المعارضون ليصيروا في مقدمة المهتمين، وهكذا اخذوا يهدمون جزاءاً من تلك الكنيسة الكبيرة ويعيدون بناءها، حيث اسهم كافة أبناء المدينة حتى الارامل والفقراء الذين كانوا يقدمون سرا مما عندهم للوكيل رومانس. وكانت هذه الكنيسة قد انشئت عام ١٢٨٠ بهمة المطران اغناطيوس الشهير بالساعي. وقد بوشر في هذا التجديد عام ١٤٨٣ واستغرق ست سنوات وانجز عام ١٤٨٨ وبلغت الكلفة ألفي دينار .

تميز في هذه المنطقة، جماعة من الافرنج في مساعدة المحتاجين، غير أن ابليس اوقعهم في هرطقة مفادها: عدم امكانية استحالة الخبز والخمر الى جسد ودم الله، وأن ليس فضيلة سوى عمل الصدقات والرافة بالمحتاجين، والمحبة والوفاق بين الناس. وقد تزايد عددهم حتى بلغ الآلاف والربوات، وصار لهم اساقفة وولاة وانضم اليهم حكام المناطق. وازادوا الى هرطقتهم عملاً اكثر فظاعة ألا وهو تأميم نساءهم. فلما افتضح امرهم، عقد رئيسهم الذي في رومية المدعو افسطس مجمعاً مسكونياً لايقافهم عند حدهم. واذ لم تكن لنا امكانية الذهاب الى تلك البلاد كتبنا مذكرة ضمناها أين وكيف أبدع الشيطان هذه الهرطقة، واسماء الآباء الذين حرموها، وارسلنا هذه الحجة مع الحصاصيين. كما كتبنا الى المفريان كأخ. فلما علم بزيارة الحصاصيين لنا، انزعج معتبراً ذلك اهانة بكرامته، واعلن في أبرشيته حرم هؤلاء الحصاصيين والذين يقبلونهم، فاستغربنا، وارسلنا اليه وفداً من بعض الرهبان الوقورين، واعلناه بروح المحبة، كم احتمل أبأؤنا القديسون قرياقس وديونييسيوس، وكيف قرر مجمع للخليدونيين قبولهم اذا عادوا، والسماح لهم بترديد العبارة. لكنه رفض مقابلة الوفد وثرثر بلهجة تتم عن التمرد. وبعد عودة وفدنا، أنبه بعض العقلاء الاتقياء فندم وحضر عندنا فرحبت به، لكنني قلت: يجب أن يُبْت هذا الامر في مجمع، ثم عاد الى ابرشيته، وارسل ثانية وفوداً والتماسات. ولما عقدنا مجمعاً في دير مار برصوم وحضر هو واساقفته، كشفنا النقاب عن تعدياته على القانون، فاعتذر وكتب تعهداً بالخضوع القانوني، فصلينا عليه وعم السلام .

لدى سماع السلطان وليغصلان بالانقسام الذي حدث في ملطية سنة ١٤٨٣ بسبب الامير الشاب، تاهب لغزوها. وكان السكان قد اقساموا على أن يكونوا فكراً واحداً ويدا واحداً. فارسلوا في طلب الرجل الحكيم الخصي سعد الدين من حصن زياد، فقوى عزيمتهم وشجعهم ووفق فيما بينهم ووحد الجيوش وثبت خطوبة ابنة سيده للامير الشاب. فلما وصل

السلطان لم يتمكن من احتلال المدينة، غير انه ساق معه نحو ١٢ الف شخص من اهالي المنطقة .. اما نور الدين فقد حث امراء المنطقة مع امراء الموصل وماردين وحصن زياد والارمن على مرافقة جيشه، فاحتشدوا في سبسطية لدى اسماعيل، وكان السلطان في قيصرية. فأخذ يماطلهم طيلة فترة الصيف، واذحل الشتاء ادركوا انه يغريهم، فاندفعوا نحو باب قيصرية ليقاتلوا، فلم يتصد لهم السلطان، فطلبوا اليه أن يسلمهم الذين سباهم من منطقة ملطية، وكان بعضهم قد قتلوا وجردوا من سلاحهم ووثابهم .

اما البقية الباقية فوصلوا الى مصر مع صلاح الدين ولبسوا الاسود حداً. ووصلت الاخبار إلى انطاكية يوم كنا هناك .. في تلك الايام علم والي حصن حارم التركي، أن صاحب حلب عازم على القبض عليه وقتله، فتمرد عليه والتحق بالافرنج، واقسم له فريز بأنه لن يخرج من الحصن، بل سيحافظ عليه ويساعده. وهكذا استسلم للافرنج وصار عدواً للاتراك. غير أن الافرنج اجرموا اذ تنكروا لعهدهم فاجتمعوا من القدس وساحل البحر، ومعهم قوبيس حاكم طرابلس ورافان حاكم قيليقية وقوميس حاكم فلانط، ورافق فريز حشد كبير، وحاصروا حارم مدة اربعة اشهر، وقاتلوا بشتى الوسائل، واتقلوا كاهل الناس بالضرائب الباهظة، فمات عدد كبير في الحرب، وكان من العدالة أن لا ينصرهم الله، لنكستهم بقسمهم بالصليب والانجيل، ظناً منهم بأن النصر يأتيهم بقوة بشرية. أما الاتراك فاذ شعروا بضعفهم وهم داخل الحصن، اخذوا تعهداً من صاحب حلب وسلموا له الحصن فدفع خسائر فريز البالغة عشرين ألف دينار، وعاد فريز الى انطاكية خائباً، في حين ذاع صيت الآخر بما أخذه من مناطق أخيه شاهنشاه والتي اخذوها من ذنون ومن اولاد أخيه المعتقلين لديه، واعادها الى شعب ملطية، وخصص لآخيه عشرة الاف دينار سنوياً، ولم يعط أرضاً لأي منهم. لقد اجرم بحق اولاد أخيه، فذبح احدهم وشواه على النار ووضع على طبق وارسله الى والده مع خبز كوجبة طعام،

وهدد أن يفعل الشيء نفسه بالآخرين إذا ما فكروا في الانتقام. فخاف الاتراك وعقدوا صلحاً مكرهين، وعاد كل واحد الى بلده، لظول الشتاء اولاً، ولخلو بلدانهم من الجيش ثانياً .

لما شاع خبر وفاة نور الدين، تقاتل العرب والاتراك، فسقط الالاف منهم، وخاف المسيحيون أن يطاح بهم في ثورة الغضب، لذا خلت القرى من السكان، والطرق من المارة، في سائر انحاء سورية وبين النهرين وآثور. وبعد عودة جيوش الامراء من قبادوقية الى بلدانها في تشرين، تعافى نور الدين من مرضه وظهر متأكد الجميع من أنه حي، ففرقوا ولم يعودوا يظهرن، وعم الصلح كافة البلدان. لقد سبى من منطقة كيسوم خلال النزاع بين العرب والاتراك، نحو الف شخص، فاشتراهم أهل ملطية وتاجروا بالبشر .

في تموز سنة ١٤٨٣ اغتصب المسلمون كنيسة مار توما في ماردين، والسبب هو أن شخصاً يدعى برصوم من ماردين، زنى بامرأة مسلمة فقبض عليه، وبعد عذاب مبرح كاد يفضي به الى الموت، صدر حكم بمصادرة جميع املاكه. وحيث أن برصوم هذا كان قد رمم الكنيسة في عهد حسام الدين، قال المسلمون للوالي أن الكنيسة هي لبرصوم لانها شيدت بنفقته، فاغتصبوها وهدموها واحالوها جامعا، فتألم المسيحيون كثيراً حتى انهم جدفوا على العدالة، وحاولوا استعادة الكنيسة عنوة، لكن هذا الموقف زاد من السخط علينا. فقرر الشعب رفع شكوى الى الوالي. وحيث انهم لم يلجأوا الى الله، بل جدفوا عليه وعلى قديسيه، قسى الرب قلب الحاكم فرفض شكواهم، فتضاعف السخط، وازداد الضغط على المسيحيين لاسيما وأن الربان حسن بن كوميب المذكور آنفاً، وعلى أثر نزاعه مع شقيقه الراهبين بسبب تجريده، اسلم في غمرة غضبه ثم ندم وهرب الى القدس وعاد الى المسيحية، فألقى الوالي القبض على شقيقه وغيرهما من الرهبان فعذبوا حتى الموت .

في ايلول عام ١٤٨٣ سقط فجأة مطر وثلج، وبرد الجو واتلف الكروم والزيتون، واسودّ القطن والسمسم وكان نارا اجتاحتها. ولم يقتصر هذا التأديب على سورية وبين النهرين وآثور، لكنه امتد الى فارس وارمنيا وفلسطين ومصر، وغدت المسكونة وكأنها هشيم التهمته النار فاستحال رمادا ورميما. أنه لمشهد مريع ورهيب للناظرين الذين لم يموتوا كلياً، او يصيروا كصوان لا شعور لهم من جراء خطايا ومآثم مختلف الفئات التي تُفتَرَف في هذا الجيل الشرير الخبيث الذي انحرف فيه كل منا عن مخافة الله وبكل قواه. فما حدث أذن عدل ولئن فاق ما كتب «طعامهم بعد في افواههم، فصعد عليهم غضب الله» (مز ٧٨).

فصل

في مقتل اسماعيل حاكم قبادوقية وقيام عمه ذنون، وظهور نور الدين وتفشي المجاعة بسبب كثرة التاديبات

في هذه الفترة، أولينا اهتماما خاصا بمكتبة دير مار برصوم، فجددنا الكتب القديمة بمعونة الله، وهيانا ورقا لنساخته فنقيثين للدير احياء لذكرى عمي المطران اثناسيوس زكا ووالدي الاستاذ ايليا.. وفي السنة نفسها اصلحنا العين التي تزود الدير بالماء.. وفيها ضايق المسلمون اسقف الجزيرة بسبب الدير الذي اغتصبوه على اثر رسائل مزورة. ولما سجن في الموصل توجه ابناء رعيته الى بغداد، وبعد اداء خسارة مادية اعيد الدير واطلق سراحه.. في هذه الفترة وشى بعض الارمن في الرها بجثاليقهم الذي تعرض للعدالة يوما ما، وهم كل من المعلمين، القس كربييت والراهبان بورك واوسيج. فغضب عليهم الجاثليق وحلق لحاهم. فاستشاطوا غضبا وابتدعوا بدعة فتبعتهم نحو ٤٠٠ عائلة ارمنية ودعوا اوسيجيين. فثارت ثائرة الجاثليق وارسل رسلا وهدايا الى الحاكم وطلب اليه ان يطردهم من مدينته، فقبل الهدايا واذن للارمن ان يعاكسوهم، فقامت ضجة وتبودل الضرب. وقدم الاوسيجيون الهدايا الى الامير فاعطاهم صلاحية تدبير امورهم كما يشاؤون، فتبعوا الخلقيدونيين، فسخرنا منهم نحن والارمن. ثم التجأوا الى شخص من الاسكندرية يتقن اللغة العربية، فزار نور الدين ووشى بنا وبالجاثليق وبالرهاويين قائلا: لقد وصلت رسائل من ملك اليونان الى الارمن والسريان ليسلموا له الرها، فاخذ المطران اثناسيوس مع الارمن وآخرون من الرها الى حلب، ولدى التحقيق معهم ظهر كذب ذلك اليوناني فطرد، وهرب الى بلده وعاد الرهاويون بسلام.

سنة ١٤٨٤ قتل اسماعيل حاكم قبادوقية للسبب التالي: لقد تفشت المجاعة في ذلك البلد، فتضايق الناس لاسيما لدى حلول الشتاء، فسألوه ان يعطيهم طعاما. وبالرغم من توفر الحنطة لديه، لم يستجب لمطلبهم ولئن بنزر يسير، بل طردهم مهانين عدة مرات. فضاقوا ذرعا بسبب الجوع وقرروا قتله والاستيلاء على حنطته لياكلوها مع اولادهم. فاقسموا على ذلك وهجموا عليه وقتلوه وزوجته وهي اخت السلطان، مع خمسمائة من ابناء عشيرته ورموا بهم فوق الثلج دون ان يدفنوهم. واستولوا على جميع ممتلكاته لكي يسدوا رمقهم بها. ولم يسمع خبر مقتله حتى شباط، بسبب انقطاع الطرق بسبب الثلوج التي حالت دون ان يتحرك احد بعد انتشار الخبر حتى اللصوص. غير ان الذين قتلوه ندموا كثيرا وتشاوروا ليقيموا مكانه شخصا من نفس العشيرة. فارسلوا الى عمه ذنون الذي كان السلطان قد طرده من قيصرية وهرب الى دمشق. وبناء على طلبهم وبمساعدة نور الدين، جاء مشيا بسبب الثلج. ولما دنا من الدير، خرج الرهبان وصرخوا خمسة ايام في تمهيد الطريق، وبالكاد استطاع ان يجتاز ويصل الى سبسطية ويتسلم زمام الحكم. وللحال قتل القتلة ورفاقهم، فاستحقوا الكاس التي مزجوها.

ثم ظهر نور الدين الذي كان يعتقد بانه قد مات، وخرج لاستقبال السلطان واوغسلان امير كيسوم وهو خال السلطان الذي كان قد ترك كيسوم لشعوره بعدم ثقة السلطان به، وشخص الى نور الدين. وبعد ان تولى ذنون الحكم في قبادوقية، جاءه السلطان، فحشد نور الدين رجاله واحتل كيسوم وبيت حصنا ومرعش، وتغلغل في منطقة جيحون. فترك السلطان سبسطية وجاء لمحاربة نور الدين، فتقابل الجيشان في منطقة جيحون، وكلاهما خائفان، نظرا الى قوة وكثرة كل منهما، وتفشت المجاعة في المعسكرين وهلك بسببها عدد كبير، فاضطر الى عقد صلح عن طريق وسطاء، فاعاد نور الدين كيسوم.

اتحدث الآن ايها الاحباء عن النكبات التي فتكت بالناس والبهائم والطيور، تلك التي امر الله ان تعصف في هذا الزمان بسائر المعمورة تقريبا. وكان هذا في منتهى العدل لان روح العصيان تغلبت على الطاعة. فبعد ان تلفت الغلات في ايلول وتشرين، اخذ المنجمون يهذون ويقولون، سوف لن تنزل ضربة اخرى في هذه الفترة، لكن فالهم خاب، فقد ضاعف الله قصاصه. وقبل كل شيء، خيم ظلام دامس حتى بدا نور الشمس كنور القمر، وسقط ثلج كثيف كالميازيب وغطى الجبال والسهول، حتى لم يعد من اليسر الانتقال من قرية الى قرية فقط، بل من بيت الى بيت ايضا، كما غطى شوارع وازقة المدن والقرى، وحوصر الناس في البيوت كما في القبور، وتجمدت الانهار والينابيع والعيون حتى هلك الناس والبهائم والحيوانات عطشا كما هلكوا جوعا.

اي لسان يستطيع ان يصف، او اية يد بإمكانها ان ترسم صورة صحيحته العذاب الذي طال كل ما يدب على الارض من حيوانات، ولتلك الطيور التي كانت تندفع لتدخل الدور، فتشكل مشهدا مؤلما يستدر الدموع لانها سرعان ما كانت تهلك، كما نفقت الثيران والحمير والحصن داخل البيوت، وتكدست الاغنام والماعز تحت الثلج، وبتن الهواء من رائحة الجثث. ومن بقي من البشر على قيد الحياة ذاق الامرين. حتى السمك لم ينج من هذه الضربة التي لم تقتصر على المناطق الشمالية، لكنها امتدت حتى الهند. لقد بلغ سمك الثلج في اماكن لم يعتد السقوط فيها ١٤ شبرا، وطمر مخيمات العرب الذين لم يعتادوا السكن في البيوت فهلكوا حتى لم يبقى من ينقل الاخبار من مخيم الى آخر. كما سقط عدد كبير من البيوت بسبب تراكم الثلوج عليها، وقضي على من فيها، وبادت عدة قرى عن بكرة ابيها، ولم ينحسر عنها الثلج حتى نيسان، كما باغنت عواصف ثلجية عددا كبيرا من المسافرين وطمرتهم في الطرق. وهكذا صام الشرهون مكرهين، وغدا السكارى زاهدين رغما عنهم، واسترسل الملوك والاثرياء والولاء والفقراء في الدعوات والبكاء وعمل الصدقات. اما ابليس فحاول

ان يحيد افكار الملوك والرّساء عن التّوبة باصغائهم الى المنجمين الذين عزوا سبب هذا الغضب الى اقتراب زحل من المريخ ونشوب صراع بينهما، وقالوا: ان الغضب سيزول لدى ابتعاد الواحد عن الآخر وسوف لن يتكرر لسنوات عديدة، فلا حاجة للدعوات او الصدقات. وقد صدق الكثيرون مثل هذا الكلام حتى فضح الله دجلهم، حيث تكرر التأديب نفسه في السنة التالية، واستمر من آذار حتى منتصف حزيران، فاعترف حينذاك المغرر بهم بسقوطهم في حماة المنجمين، وبأن ارادة الرب لا بد ان تتم.

لقد دونا هذه الاحداث لكي يجني منها الحكماء الفوائد بالايمان .. في هذه الفترة، نهب المسلمون كنيسة الاربعين شهيدا في ماردين عندما اخضعنا الله لضربة اخرى، وقد انقذت عنايته تلك الكنيسة باعجوبة.

فصل

في وفاة نور الدين والملك امري. وانتقالنا الى آمد ووفاة الجاثليق نرسييس

جاءنا كاهنان من الاوسيجيين يرافقهم راهب منهم يشتكون على الجاثليق. فلاحظنا سوء فهمهم لاثناسيوس وكيرلس، حيث قالوا « انهما يذكران احيانا طبيعتين للمسيح وحيانا اخرى طبيعة واحدة، وعليه لنا الخيار ان نقول طبيعة واحدة او طبيعتين ». وبعد إقناعهم بالحقيقة استتادا الى الاسفار المقدسة، غيروا رأيهم وعادوا الى الارثوذكسية، فزودناهم برسائل الى الجاثليق ليغفو عنهم. وفي غضون ذلك توفي الجاثليق نرسييس، فاقام هؤلاء الرهبان في أديرتتا، وتوجه رئيسهم الى انطاكية وانتمى نهائيا الى الخلقيدونيين، وتشتت البقية.

بعد ديونيسيوس، رسم سكرتيره ابراهيم لأم، ولم يعيش سوى ثلاثة اشهر.. ألزم الحاكم الكهنة ليدفعوا له المئة دينار التي كان ابو سعيد المتمرّد قد فرضها عليهم سابقا، وانفذ الينا رسالة يهدد فيها بهدم الكنائس إن لم نرسل له المبلغ، فسلمت نفسي بيد الرب وتوجهت الى هناك، فاندش الحاكم لوصولي واکرمني جدا، فلما دخلنا وجدنا الكنائس مقفلة، وبعض قلالي البطريركية قد تهدمت والبعض الآخر ملأى بقطن الحاكم. ولا حاجة لذكر النقود والنفقات التي بذلت من اجل ترميمها. وبمعونة الله اعدنا بناء كنيسة دير قنقرت بالحجر والجص، وكانت مشيدة باللبن والخشب. وقد حررنا ابناء فريا لقاء ٣٠٠ دينار، فيما كان الحاكم يطلب ألفي دينار، وامضينا هناك طيلة فترة الشتاء. وبعد انقضاء العيدوتقديس

الميرون ورسامة ايليا الذي أعطي اسم ايوانيس، لكيسوم، وصلنا الى
ماردين بعد الاحد الجديد.

لقد اخذ الغرور نور الدين بعد أن اخضع آثور وبين النهرين
وسورية ومصر، وغدا امراؤها كعبيد له. وبعد اخضاع قبادوقية وقيليقية،
تأهب للقضاء على كلتا الدولتين، دولة الافرنج في القدس وانطاكية، ودولة
الأتراك في بيثونية. فتحرك مبعوثوه الى كل حدب وصوب للاسراع في
تعبئة الجيوش وحشدها في دمشق، فاحتشدت اعداد لا حصر لها، من
العربية الداخلة ومصر وآثور وما بين النهرين وارمينيا وقبادوقية وسورية
وقيليقية، فعم الخوف كل الاصقاع وبخاصة المسيحيين المغلوب على
امرهم، لكن الرب الذي هو فوق كل مملكة في العالم، وقيم فيها من
ضعفائهم من يشاء، أمر فمات نور الدين فجأة في ٢٣ ايار سنة ١٤٨٥
وفشلت خطته، وطارت البشائر في كل مكان ليس بالنسبة للمسيحيين
فحسب، بل الى الامراء ايضا الذين كانوا قد ضاقوا به ذرعا، اذ لم يكن
ليسمح لهم بشرب الخمر في معسكره او بسماع الاغاني او الرقص، فكان
الهدوء يسود معسكره دائما، ويسمع القرآن باستمرار لانه كان يعتبر
نفسه مثل محمد ويتوقع ان يكلمه الله يوما ما كما حكم موسى، لذا سخر
منه المسلمون الذين وقفوا على ما يدور بخلده، فسموه نبيا، فكانوا يقولون
له: لقد ترائيت لنا في المسجد، فيصدقهم. حكم ٢٨ سنة، وخلفه ابنه صالح
الذي تولى الحكم في حلب ودمشق.

كان لكل من شقيقي نرسييس جاثليق الارمن الذي توفي يوم
الخميس ٨ آب، ابن اسقف، وحيث ان الاكبر تغيب، أعطى خاتمه
للصغر فنودي به جاثليقا. فأسرع الثاني بالمجيئ، غير ان الصغير منعه
من الدخول، فالتجأ الى صهره ميليح حاكم قيليقية، فقدمه الى نور الدين،
وعليه عاد حاملا توصية الأتراك، فخشي الشعب الارمني من ان يسلم
المنطقة الى نور الدين عن طريق ميليح، فادخلوه الى القلعة الرومانية

دون ارادة الصغير، فقبض على ابن عمه ووضعته تحت الحراسة، ونصب جاثليقا يوم الاحد ٢٥ ايلول سنة ١٤٨٤. وهنا افتضح امر هؤلاء المسيحيين الذين لم تكن رئاسة كهنوتهم تسير في الخط الرسولي. ويا حبذا لو كانوا كملوك عدول وليس طغاة.

لقد استدعى الجاثليق الجديد، كريكور، اساقفتنا القريبيين منه، مثل غريغوريوس اسقف كيسوم، وباسيلوريوس اسقف رعبن، ليشتركوا في رسامته. وفي اليوم التالي ارسل الي وفدا حاملا رسالة جاء فيها «كنت اتمنى ان تحضروا رسامتي وتضعوا على رأسي يد غريغوريوس (المنور) مبشر الارمن، مانحة الرئاسة، لكننا اسرعنا في الرئاسة خوفا من الخطر المحدق بنا من قبل جيش الاتراك. فأسألك ان تحقق امنيتي هذه بالروح». فاجبته بقدر ما ساعدني ضعفي، مباركا وداعيا، لكنني لم اغفل عن ذكر القوانين الرسولية، فحذرت، بروح المحبة، من ارتكاب خطأ فادح ببيع الكهنوت، حيث صار ذلك امرا مشروعا لدى الارمن، مذكرا بما قاله بطرس الكبير لسيمون الساحر. فاستحسن الشعب الارمني هذه الرسالة التي كانت وخزة لرؤسائهم. كما طلبت اليه ان يطلق سراح ابن عمه من السجن ففعل.

في هذه السنة كثرت الامطار في كل البقاع الى درجة انها الحققت الاضرار. فقد هدم الفيضان في بغداد نحو ثلاثين الف دار، وحدث مثل هذا في عدة اماكن، ولم تثمر الكروم والاشجار في تلك السنة، اما الحنطة وسواها من البقول، فلم تتم الا بعد هدوء زوبعة الفيضان.

المقال العشرون

نتناول في مقالنا العشرين، الاحداث من سنة ١٤١٦ ي. وهي
سنة ١١٠٥ ميلادية، وسنة ٥٥٣ هجرية، وسنة ١١٤
للاتراك، وسنة ٦٦٥٥ لآدم

الفصل الاول

في زوال الرئاسة من آل طونشمان في قبادوقية. وتولي سلطان ايقونية
الحكم فيها. وفي بدء مملكة بغدوين آخر في القدس. والعاصفة التي
هبت على كنيسةنا من قبل من هم منا.

في هذه الفترة، ثارت ضد ضعفي، وبسبب خطاياي، زوبعة لا
يستهان بها نظرا الى غباوة الزمان، وربما لنشترك بالآلام القديسين ولئن
بمقدار خنصر، لكننا لم نضطهد من قبل الوثنيين كالرسل، ولا من قبل
الهرطقة كالآباء، انما ثارت علينا الزوبعة من قبل اخوتنا، انه اضطهاد
من نوع جديد. لكن الحق لا يخفى عن محبي الحق، وجزاؤه محفوظ لدى
فاحصر كل شئ الذي يعرف ضعفي.

فعندما دعيت الى هذه الخدمة الخطيرة، رأيت من الواجب علي
احترام القوانين المقدسة والدفاع عنها، ولاني دافعت، منذ البداية، عن تلك
القوانين التي ديست وعطل مفعولها، نفذت القانون القاضي بعدم منح
الرسامة بالرشوة، والقانون الذي يمنع اغتصاب ابرشية او كنيسة بنفوذ
الملك او الحكام، كما حذرت من ان يضرب أحد الانظمة الكنسية عرض

الحائط، فينتقل من ابرشية الى ابرشية دون اذن شرعي. وبسبب ذلك قاومني كل من اسقف دمشق واسقف جيحون واسقف طور عبيد، ومن ثم اسقف الرقة المدعو ايوانيس دنحا الذي كان ابنا رعيته قد فقدوا الثقة فيه منذ عهد الطيب الذكر البطريك اثناسيوس وقدموا ضده عدة شكاوى، وكثيرا ما اوقفه البطريك بقصد تقويمه. فهؤلاء انفسهم رفعوا الي شكاوى ضده، لكنني كنت انصحهم واصالحهم على قدر الامكان، كما كنت احثه على الاقلاع عن العادات غير القانونية، ليس مرة او مرتين بل على مدى ثماني سنوات، وفي كل سنة كانوا يجددون الشكاوى والدعاوى، ليس لعدم حفظه العهود فحسب بل لسلكه المشين ايضا.

لقد عقد مجمع في دير مار حنانيا واستمع الي شهود موثوق بهم، اجمعوا على الشهادة ضده وامامه. وبناء على قرار المجمع امرناه بان يترك تلك الابرشية وينتظر في دير ابرشية ماردين مدة ثلاث سنوات، ريثما تعالج قضيته، فرضخ للقرار امام المجمع، لكن الشيطان حركه فيما بعد فداس القانون وشخص الي بعض زعماء النساطرة والمسؤولين في منطقة ماردين واشتكى على ضعفي، فاحتملت عذابا ليسس بيسير، حتى انكشفت لهم اعماله فطردوه، فتوجه الي الوالي ووعدته برشوة اذا ما قتلني، لكن الرب رئف بي لا بل بالكنيسة أيضا. فقد ارسل الوالي جندا ليقتادوني كمحكوم عليه بالموت، فمثلت امامه وتحدث الي بغضب، غير ان الرب الذي وعد المؤمنين به بانهم « سيعطون في تلك الساعة ما ينطقون به »، اعطاني انا الخاطيء ومن دون استحقاق وليس من اجلي ولا من اجل البلد، بل من اجل كنيسته _ قوة! فدافعت ببعض كلمات ظهر فيها الحق. فطرد الواشي، ولم يكن معي آنذاك، باستثناء الله، سوى شخص واحد هو الاستاذ ابوكير ارخدياقون ماردين، ليرحمه الله.

ثم دس الشيطان فيه حقدا علي، فتوجه الي ملك الموصل ووشى بي واعداه اياه بألف دينار، فأرسل جندا واقتادوني الي نصيبين ورافقني

مار اثناسيوس اسقف الرها ومار يوحنا وعدد من الرهبان. فلما بلغنا المعسكر، ادخلوني الى نائب الامير سيف الدين، فتحدث الي بمرونة وقال: لا يحق لكم، وقد وضعكم الله تحت امرتنا، ان تقاوموا الارادة الملكية. فعليك ان تنفذ ارادة الملك الظافر قبل ان تهان وتسلم للتعذيب. فقد امر ان يكون هذا المطران راعيا للمدن التي تحت نفوذه وهي بين النهرين والرقّة وحران وسروج ومنطقة حابورا. وعليه يجب ان تعود بسلام الى مقرك، والا فسيحدث ما لا تحمد عقباه. فاستمدت القوة من الله، وهيأت نفسي للموت، واجبته بكل شجاعة وقلت: لقد اودعت الشرائع في ثلاثة كتب، التوراة للعبرانيين، والنجيل للمسيحيين، والقرآن للمسلمين، فابحثوا في ثلاثتها، ولا سيما في كتابكم، وانظروا كيف ان الله أمر الملوك ان يديروا شؤون البلاد بالسلطة، اما الايمان فلا يكون بالاكراه بل بالخيار. وهذا ما جعل الملوك العدول الذي جاءوا بعد محمد وحتى يومنا هذا، ان يحفظوا شريعة الله ولا يتعدونها. وانهم، بحسب امر الله، فرضوا على المسيحيين الجزية والطاعة، ولكنهم لم يتدخلوا في قضايا الايمان. فاذا حاولتم تغيير نهج الملوك السالفين، فاعلموا ان ما ستفعلونه لن يكون ضدي، بل ضد موسى والمسيح ومحمد، لانكم ستكونون بذلك فد تعديتم كتب ثلاثتهم او بعبارة أخرى، قد تعديتم امر الله. والانكى انكم تصدقون الكذاب، فلو شئتم استطعتم اكتشاف كذبه بكل سهولة. فالمدن التي قلت انكم اعطيتموها اياه ما زالت تحت نفوذكم. فاذا كان قد تعين بامركم، فلم يرفضه اهلها؟ ولكنه قد اقترف جريمة بحق شريعتنا، والتجأ الى السلطة الملكية ليكرهني على تعدي شريعة الله بضغط منها، وانا أفضل قطع رأسي على ان افعل ذلك. فكشفت عن عنقي وقلت: هوذا أمد عنقي بمحض إرادتي، فلکم ان تقطعوه، فإني لن اتعدى وصايا الشريعة. فدخل قائد الجيش الى خيمة الملك، ثم خرج وامسك بيدي وادخلني ولم يسمح لاحد بمرافقتي، لا للاساقفة ولا للرهبان. فدعوت للملك، ثم قال لي نائبه باشا: ايها البطريرك ادعو للملك سيف الدين، فقد امر ان ننفذ شريعتك، فلن يكون من يعصي امرك، فكررت دعائي وشكري، وخرجت وانا اشكر

الله بالدموع، وفرح الاساقفة والرهبان، ولحقت خيبة امل بالواشي الذي كان واقفا هناك، فحاول ان يقتلني جسديا، فيما كان يموت روحيا، فصرخ امام حشد المسلمين قائلا: اعلموا ان هذا الشيخ مضل، وهو يحاول ان ينصر المسلمين في بلد الاسلام، وهاكم البرهان. واخرج رسالة كنت قد كتبتها عن ابن كليب. فلما تلاها امام المسلمين، ثاروا وتناولوا حجارة ليرجموني، فهرب الرهبان الذين معي. بيد ان الله زاد من رأفته بي. فلدى فحص الرسالة وتبين انها عن ابن كليب، احضر الله في تلك اللحظات، جماعة من مسلمي ماردين، شهدوا بأن ذاك كان راهبا ولم يكن مسلما. ثم زودنا سيف الدين برسالة وعدنا بسلام. اما الاسقف فتوجه الى بغداد ليرفع شكوى ضدي امام الخليفة، فكتبت الى المؤمنين هناك فطردوه. واخيرا جاءنا الى انطاكيا واعتذر فصلينا عليه وارسلناه الى جبل الرها بانتظار تعيينه في مكان ما بعد عودتنا الى دير مار برصوم. لكن المنية وافته قبل وصولنا، رحمه الله.

بعد وفاة نور الدين وتولي ابنه صالح الحكم، غزا الملك امري دمشق وسباها، ثم حاصر بانياس فخاف المسلمون لا سيما وانهم كانوا يستعدون لاحتلال مناطق الافرنج مستغلين فرصة مهاجمة الافرنج لمناطقهم. فارسل اهل دمشق وفدا الى الملك يعدونه بدفع الضرائب له كالسابق، فرفض ولم يبد استعدادا للصلح معهم، اذ كان مزمعا ان يعاقبهم بنفس العقاب الذي كانوا يفكرون به بالنسبة الى المسيحيين، غير ان بعض القضاة رفضوا، ثم فتر اندفاع الملك بعد ان باغته مرض وشعر بدنو اجله، فأسرع وقيل المال من الدمشقيين وعقد صلحا معهم وعاد الى عكا حيث وافاه الاجل هناك في مطلع تموز سنة ١٤٨٦، بعد اربعين يوما من وفاة نور الدين. فقد حكم ١٢ سنة واوصى بخلافته لابنه الفتى المدعو بغدوين باسم المرحوم عمه، والبالغ من العمر ١٥ سنة، فأقر الصلح الذي عقده والده مع ابن نور الدين.

في صيف عام ١٤٨٦ وعلى اثر سماع ميغاصلان سلطان ايقونية بموت نور الدين الذي كان يساند بني طونشمان، تغلغل في اراضيهم، فاحتاروا في امرهم، وتمت فيهم نبوة ارميا النبي « ملعون الرجل الذي يتكل على الانسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه يكون مثل العرعر في البادية ١٧ ». فقد سيطر عليهم السلطان ودمرهم واخذ منهم سبسطية ونيوقيصرية وقونية وسائر مدن وحصون قبادوقية، فارتفع شان السلطان ميغاصلان وقويت معنوياته. وهرب الامراء كل الى جهة ليحمي نفسه، وهرب زعيمهم الى ملك اليونان، ولكنه خذله. وهكذا انتهت الرئاسة من بني طونشمان التي ابتدأت منذ خروج الاتراك وانتزاعهم هذه المناطق من اليونان سنة ١٣٦٦ وحكموا مدة ١٢٢ سنة، وقام من هذه العشيرة ستة رؤساء الواحد تلو الآخر.

في هذه الفترة، انتهت رئاسة بني طونشمان في قبادوقية .. اخذ العشب ينمو في هذا الصيف وتضاعفت الغلات بعد المجاعة الكبرى التي عمت سورية وفلسطين وآثور وارمينيا وبلاد فارس وحتى سجستان، وطالت كذلك حدود الهند الكبرى، اما الآن فقد غير الرب القادر على كل شئ الامور باشارة منه. فعم الشعب وبخاصة في مصر، حيث كثرت الغلال ولا سيما الحنطة حتى غدا حملي جمل ديناراً واحداً.

فصل

في مقتل امير ملطية وميليح حاكم قيليقية وامين الدين مسؤول
ماردين ووزير الخليفة في بغداد، وذلك في فترة واحدة. وما
جرى من احداث ومقتل مطران طور عبيدین وصلاح الدين
المصري الذي حكم العربية، وحاكم الموصل الذي استرجع منه
المناطق المحتلة. وفي الاتراك الذين حكموا في جبل ساسون

سنة ١٤٨٦ قتل اغناطيوس مطران طور عبيدين للسبب التالي: لقد
كان مغرما بمحبة المال التي هي عبادة الاوثان، فاهتم بجمعه بشتى
الوسائل، فوبخناه ولم يرتدع ولم يراع الشريعة، بل زاد في الشر شراء،
فاهمل الرجاء بالله واتكل على الحاكم الزمني ليتمكن من جمع المال بقوة
الملك، فتخلى عنه الله. وفي صباح يوم الاحد ترك الصلاة وشخص الى
الحاكم ليزج في السجن كعادته، الرهبان والكهنة والعلمانيين بتهم مختلفة،
وفي الليل صادفه الاكراد فسقط الشرير بايدي الاشرار، فهرب الذين معه،
وضرب هو بقساوة وعذب، واخيرا ادخلوا خشبة (خازوقا) في مقعده
وتركوه على آخر رمق، فعثر عليه بعضهم وما ان انتزعوا الخشبة حتى
فارق الحياة. وقبل فترة وجيزة كان قد قتل عدد من الرجال المؤمنين من
آل قرياقوس في حاح وهم: القس مرزوق واخوه برصوم واولادهما،
وساد الاعتقاد بانهم قتلوا بتحريض من المطران الغاشم، ولما قتل هو
الأخر ساد الاعتقاد بان قتله تم بتحريض من طالبي الانتقام. ومهما كان
الامر، فهناك سماح من الله.

وفي السنة نفسها تخلى عني الله كما يبدو بسبب خطاياي ايضا.
فقد تمرد علي رهبان دير مار برصوم بسبب الاحترام والمحبة والذالة
الزائدة. وسوف نورد فيما بعد الخبر اليقين عن ذلك.

بعد وفاة نور الدين، احتل ابن اخيه سيف الدين نصيبين والغى
القوانين التي وضعها عمه، وحطم الحجرة الموجودة في الجامع والتي
نقشت عليها تلك القوانين. وابعاح شرب الخمر جهارا. فزاره امراء ماردين
وحصن كيفا، ثم ذهب الى حران واحتلها، وفعل كذلك بالنسبة الى سروج
والرقة، وخضع له ابن عمه حاكم حلب، وحاكم دمشق، ثم عاد الى
الموصل.. في السنة نفسها اجتاح صلاح الدين حاكم مصر، العربية
الداخلة وعدة مناطق من بلاد النوبيين.. وفي السنة نفسها احتل الاتراك
عدة حصون في جبل ساسون كان يحكمها الارمن منذ اجيال، ذلك بمساعدة
حاكم ميافرقاط الذي انجرف وراءهم، وضايق الارمن عن طريق
التجويع، واضطروا الى تسليم الحصون لشاهزрман صاحب خلط.. وفي
تلك السنة انتزع ملك الايباريين مدينة آني من الفرس.. وفي ١٥ كانون
الاول قتل الامير قطب الدين في قلعة ماردين، الخصي أمين الدين
مسؤول المنطقة، وحمل رأسه بيده ودخل الى والده الشيخ وقال: لقد قتلته
لانه اراد ان يقتلني، فلم يحرك ساكنا لانه كان مشوش الذهن.

وفي تلك السنة عينها، تمرد قادة جيش ميليج حاكم قيليقية بسبب
اعماله القبيحة واقسموا على قتله، فترك المعسكر ليلا وهرب الى احد
حصونه، غير ان حرس ذلك الحصن كانوا متفقيين مع قادة الجيش،
فقبضوا عليه وقطعوه اربا اربا ورموه طعاما للكلاب. ثم اتوا بابن اخيه
رافان بن اسطيفان الذي كان متواريا في طرسوس هربا من عمه، وولوه
عليهم، فقتل قاتلي عمه لانهم رموه للكلاب.. وفي السنة نفسها اعلن قطب
الدين احد قادة جيش الخليفة المهدي، العصيان في بغداد، وحشد جيشا
وشن قتالا في داره بغية تعيينه سلطانا. فضاقت منه الخليفة ذرعا وصعد

الى سطح داره وصرخ باعلى صوته وهو يبكي ويطلب الى سكان المدينة انقاذه من القائد المتمرّد، فتجمهر الناس. وقتلوا بعضا منهم، وهرب المتمرّد صحبة ثلاثين الف فارس الى البرية لينجوا بجلدهم. وبعد خمسة ايام اشتد عليهم العطش، فارسلوا وفداً الى سلطان الموصل فوعدهم بمصالحة الخليفة. وفيما هم في طريقهم الى الموصل. هبت عاصفة شديدة الحرارة فيبيستهم وصاروا مع بهائمهم كخشب أسود حتى أن الوحوش لم تأكلهم لان رؤوسهم تحجرت. ولم يصل منهم الى الموصل سوى مئة رجل وجدوا من يستطيع معالجتهم، وكان منظرهم مخيفاً.

يوم الاحد ١٥ شباط عام ١٤٨٦ اغتيل حاكم ملطية من قبل أخيه وولي عهده، الذي هرب وعاش ماجنا مدة خمس سنوات، حتى قبض عليه نور الدين، بيد أنه تمكن من الافلات فيما بعد، وانضم الى الافرنج في انطاكية، واذ لم ترق له الحالة هناك، عاد الى الاتراك فاعطاه السلطان هرقلية في حين كان يأمل ان تعطى له ملطية لكنه لم يحظ بها، ثم سحبت منه تلك ايضاً، فتوجه الى الاتراك في الشرق. فقبض عليه نور الدين وزجه في السجن في بيرا على شاطئ الفرات، فعاش هناك على الصدقة معذباً. وقد تجرأ رهبان دير مار برصوم وحملوا اليه صدقات، لانه كان يحب الدير في فترة حكمه، وجاءت هذه المبادرة بنتائج طيبة كما سيأتي الحديث. وبعد وفاة نور الدين خرج من السجن، وعلم ان زوجة أخيه غادرت ملطية لكرها اياه وعادت الى ذويها في حصن زياد، فتوجه الى هناك فنال تشجيع اهله، فعاد خفية - وصرح فيما بعد بأنه تشفع بالقديس مار برصوم ونذر له نذوراً وتعهد باعفاء الدير من الضرائب في حالة عودته الى حكم ملطية - ودخل باب المدينة مساء متكراً بزى متسول دون أن يشعر به أحد سوى الشخصين اللذين كانا معه، فاخذه الى بيت أحد مريديه من الاتراك. فاخفى هناك مدة يومين .

ومساء يوم الأحد، جازف بحياته وتسلل ومن معه الى الدور دون أن يشعر به الحراس ودخل الحقائق، فوجد سلما ملقى على الارض، فاسندوه على الحائط وتسلقوه ونزلوا الى الدار، فوجدوا ذلك البائس نائما مع مربية مسنة، فاستيقظا وارتعبا هلعاً، فضربه ضربة قاضية، واخذ مفاتيح ابواب المدينة والقلعة، وأمسك رأس أخيه بيده، ثم زار اولا بيوت الزعماء الذين كان واثقا من ولائهم له، ومن ثم زار الآخرين. وكلما استيقظ احدهم ونظر رأس أخيه بيده، اسرع الى مبايعته، وبعد ان اقسم له ١٥ منهم، ولاح النهار، صعد الى القلعة برفقة نحو مئة شخص، وفي الصباح حدثت ضجة وأعلن عن قيام أمير جديد، فاخذت الدهشة الجميع، واختفى المسيحيون في بيوتهم، واجتمع الاتراك عند مدخل القلعة وقد تقلدوا سيوفهم، وامتطوا خيولهم، واختلفت اراؤهم بخصوص مقتل الامير، حتى ألقى رأسه من السور فقطعوا حينذاك أملهم، واضطروا الى ان يقسموا بالولاء لمحمد. فلما استتب له الحكم، رفع الضرائب عن دير مار برصوم، غير ان الرهبان عرضوا عليه دفع ٣٠٠ ديناراً سنوياً، وطلبوا اعفاءهم فقط من تلك الزيادة التي اضافها الامير غازي. لان الدير لم يكن يشعر بتقل الضرائب قبل الامير غازي الذي فرض على الرهبان ان يدفعوا له ٧٠٠ دينار سنوياً. وها هوذا الدير يتحرر من ذلك العبء، لاسيما وقد سبق هذا الامير ووعدهم بالغاء كافة الضرائب، لكن الرهبان أصروا على الدفع تفادياً لحسد المسلمين. وبمقابل ذلك اعطاهم دير مار دوميط .

فصل

في خروج صلاح الدين من مصر وتوليه الحكم في دمشق
وانتصاره على حاكم الموصل. وتحرير الافرنج
المعتقلين في حلب

صباح يوم الاحد الجديد ١١ نيسان ١٤٨٧، وبعد انتهاء القداس،
حدث كسوف وخيم ظلام دامس وظهرت النجوم والقمر، وبدا بالقرب من
الشمس مشهد كئيب رهيب استدر دموع معظم الذين نظروه، وناطحت
الغنم والثيران والخيول بعضها البعض من هول الخوف، وبعد ساعتين
أخذ النور ينجلي. ومساء الاثنين ١٥ نيسان حدث خسوف في نفس المكان
الذي حدث فيه الكسوف. المجد لعارف كل شيء .

في ربيع تلك السنة شحت الامطار فاشتد الحر وجفت الزروع
والبقول، وخلت عدة قرى من سكانها بسبب العطش، وبخاصة في القدس
وسائر فلسطين وسورية الداخلية ومنطقة نصيبين وطور عبيد. اما في
الموصل فلم يحصدوا شيئا، ولم يكن لهم ماء لشرب الناس والبهائم .

سنة ١٤٨٧ غادر صلاح الدين حاكم مصر الى دمشق، بحجة
اغتصاب صاحب الموصل حران والرها من نور الدين، مشيعا إنه جاء
لنجدة ابن سيده، وبهذه الحجة استطاع أن يسيطر على دمشق وضواحيها.
غير ان ابن نور الدين الشاب وامه واوصيائه الذين كانوا في حلب خافوا
منه، ولم يصدقوا الوفد الذي ارسله ليبلغهم انه جاء كجندي ليعلم سيده
الشباب ويكون له وصيا ويحارب أعداءه، وعليه لم يفتحوا له الابواب،
فتارت ثأرتة، واحتل حمص وحماء عسكريا، وجلب اموالا طائلة من

مصر وبددها كتبدد التراب، وحشد جيشا عرمرما، واخرج من المعتقل بعض الشخصيات البارزة من الافرنج الذين كان نور الدين قد اعتقلهم في دمشق في مطلع حكمه، وباعهم باثمان بخسه وعقد صلحا مع الافرنج. اما سيف الدين صاحب الموصل فقد ارسل قواته ليطرده اعتقادا منه بانهم سيقضون عليه بسهولة، فسخروا منه وهزأوا به ونعتوه بالكلب الذي يتشبث بسيده. غير انه ارسل من يحدثهم بلطف ويقول: «نحن ابنا بيت واحد لايجدر بنا ان تنقسم على انفسنا». لكنهم اهانوا رسله وهجموا عليه لكي لا يعطوه فرصة للهرب فينجوا وولى ذلك الجيش اللجب الادبار، والقي القبض على معظمهم وجردوا عن اسلحتهم وخيولهم وجمالهم .

ولقد أتى صلاح الدين عملا آخر يستحق الذكر. ذلك انه لما راهم يهربون رفع خوذته وهتف بصوت عال وقال لجيشه: لا تقتلوا أحدا، انهم اخوتنا. واطلق الاسرى بعد ان زودهم بالمال والخيول، فاشتهر بين المسلمين بمثل هذه الاعمال. ولما علم الذين في حلب بهذا الانتصار الرائع، ازداد خوفهم وارسلوا هدايا لصاحب انطاكية كي ينجدهم، وفتحت ابواب السجن واخرج المسجونون ليبيعوا ويغادروا حلب بعد ان كانوا قد فقدوا الامل باطلاق سراحهم. ومن الذين بيعوا: قوميس حاكم طرابلس بـ ٨٠ الفاً، وجوسلين بن جوسلين بـ ٥٠ الفاً، ورنغد فرينز بـ ١٢٠ الفاً، وقد سبق وان ارسلت له فدية عدة مرات، فكان يحرر بها آخرين، حتى تحرر الآن مع البقية.

بعد هزيمة سيف الدين صاحب الموصل، حشد جيشا مضاعفا وانضم اليه صاحب ماردين وحصن كيفا فبلغ عددهم ٦٠ الفاً، فيما كان مع صلاح الدين ١٢ الفاً فقط. فارسل اليه ينصحه بعدم اللجوء الى الحرب قائلاً: اذا ما هزمت فلا ضير علي لاني عبد يهزم امام ساداته. اما اذا هزمت انت فسوف يلحق بك العار لكونك ابن الملوك. غير انه بصق عليه واهانه. فلما دارت الحرب، هرب قواد سيف الدين، لان صلاح الدين سبق

ورشاهم بسخاء، وبالكاد تمكن من الوصول الى الموصل على متن جمل وهو يجر اذيل العار. فقتل بعض الذين غدروا به وطرده البعض الآخر. ثم توجه صلاح الدين الى منبج فسلمها اياه المسلمون، وقبض على اميرها وهو امير الرها سابقا، وقد تميز بلين العريكة، فاغتصب املاكه وسجنه، وبعد خمسة اشهر اطلق سراحه فذهب الى الموصل. وعلى اثر ذلك، جاءه امراء تل بشر وعنتاب وبقية مناطق سورية وقدموا له الولاء، ثم مضى الى عزاز، وهناك هجم عليه المدعوون وطعنوه بالسكاكين، غير انه لم يمت، بل قتلهم وسبى مناطقهم واحتل عزاز عسكريا، ثم انطلق وحاصر حلب، فالتجأ أهلها الى الافرنج، فارسلوا رنغد الذي اطلق من السجن، فنصره الله ودمر معظم جيش صلاح الدين، ثم دخل الافرنج منطقة دمشق ودمروا وسبوا عددا كبيرا من الناس، وارسلوا جيشا الى مصر وسبوا البلاد. وبضغط من الافرنج اعاد صلاح الدين عزاز الى صاحب حلب وعقد صلحا معهم وعاد الى مصر على جناح السرعة.

ان سبب تفكير رهباننا بالتمرد الذي لا طائل تحته، يعود الى حدوث شغب في الكنيسة في اعقاب وفاة البطريرك يوحنا ابن شوشان. ذلك ان الرهبان طلبوا الى المجمع المنعقد في الدير لانتخاب رئيس، ان لا سلطان للبطريرك على الدير باي شكل من الاشكال. وقد لجأ الرهبان الى ذلك تحاشيا تكرر ما فعله بعض اتباع البطريرك الذين جاؤوا الى الدير هربا من مضايقة الملوك اياهم، وشكلوا عبئا عليه، باخذهم منه بعض الآنية الفضية، او باستقراضهم مالا منه دون ان يعيدوه. فاعطاهم الاساقفة وثيقة بهذا الخصوص، غير ان البطاركة الذين تعاقبوا رفضوها محتجين بان البطريرك الموجود يومذاك لم يعط وثيقة بهذا الصدد، وعليه فان عمل الاساقفة الآن يعتبر غير شرعي، لذا اعتبرت الوثيقة باطلة المفعول الامر الذي اثار نزاعا بين البطاركة والرهبان. اما بالنسبة الي، فحيث اني نشأت في الدير اردت ان اقدم مساعدة للدير لكنها استحالت ضررا له. فقد وافقت على الوثيقة وضغطت على الاساقفة

ليوقعوها، ايماننا مني بان هذا الاجراء سيضع حدا للنزاع بين البطاركة
والرهبان المقيمين في الدير، غير ان النزاع تفاقم لان القرار صار بمثابة
لاجم للذين كانت طرق افواههم سالكة، اذ نشب نزاع في الدير نفسه
وانقسموا فريقين.

فصل

في وفاة نجم الدين حاكم ماردين. وقيام الحرب بين السلطان
ميغرسلان وماتويل ملك اليونان. وبعض الاحداث التي جرت
في هذه الفترة

لقد اشفق الرب، واجتازت ازمة شحة الامطار في هذه السنة،
فتدفقت الينابيع والعيون، وانقذ الناس والبهائم من العطش الذي كان قد
اذابهم، لكن الجوع كان ما زال منتشرًا في كل مكان لان الغلال لم
تخصب حتى في هذه السنة (١٤٨٧)، لان غضب العدالة بسبب خطايانا،
كان ما زال قائما. فاصاب الهزال الناس، وارتفع ثمن كيل الحنطة في
دمشق وحلب وبرية المليحة الى ثلاثة من الاحمر، (الذهب)، وسرعان ما
اختفت لان قوافل العرب كانت تاتي وتحمل جمالها، فكثر الذهب في
سورية وهبط سعره الى النصف، وارتفع ثمن الحنطة في هذه المناطق
حتى بلغ ثمن المكيال دينارًا .

في هذه الفترة، شوهد في الجهة الغربية من السماء ما يشبه نصف
قمر، واتجه نحو المشرق، وكلما تقدم كبر حجمه حتى غدا اكبر من القمر
بثلاث مرات، ثم اتجه الى منتصف السماء وانقسم ثلاثة اجزاء وهوى ولم
يعد يظهر. ولما انحدر ابن ملك اليونان، اعتقد الجميع بان ذلك المشهد كان
اشارة اليه .

في ٢٢ تموز عام ١٤٨٧ توفي نجم الدين حاكم ماردين الذي
اشاع الطمانينة لابناء منطقتة، ولاسيما للكنائس والاديرة والمسيحيين،
طيلة فترة حكمه التي استغرقت ٢٢ سنة، نظرا الى ما تميز به من حلم

ووداعة. فخلفه ابنه قطب الدين فتصدى لعميه صاحب حانى وصاحب دارا فضايفهما حتى اعلنا ولاءهما له كما لو والده، عن طريق صاحب الموصل وصاحب حصن كيفا، فدخلوا القلعة وقدموا له الخضوع فتم الصلح بينهم، ثم اشيع عنه بانه مات، واوشكت بلاده على الدمار لولم يشفق الرب ويشفيه من مرضه. فقتل الآفا من العرب واستولى على ١٢ الف من جمالهم، وهرب الباقون فساد السلام المنطقة.

في هذه الاثناء خرج ملك اليونان للصيد فضربه خنزير بري واشيع انه مات، فغزا السلطان منطقته، فغضب الملك جدا لنكران السلطان جميله، وزاد من غضبه الامراء من آل طونشمان الذين هربوا من امام السلطان بعد ان استولى على مناطقهم وجاءوا الى القسطنطينية ملتجئين بالملك. وتقدموا جيشه لمحاربة السلطان. فقاد الملك جيشا عرمرما غطى وجه الارض من كثرته، وبلغ مناطق الاتراك وشدد الخناق على السلطان بقصد اعادة مناطق آل طونشمان اليهم ويعيد اليه ماكان له. فرفض السلطان فنشب النزاع بينهما. واعاد الملك بناء مدينتين، من التي كانت قد خربت منذ امد بعيد، ووضع فيهما جيشا لمضايقة الاتراك، وقتل وسبى آفا من التركمان، لكن التركمان دخلوا اراضي اليونان غير المحمية من الجهة الشمالية، وسبوا نحو مئة الف، فقتلوا جميع الرجال منهم وباعوا النساء والاطفال للتجار، حتى وصل بعضهم الى فارس. فغضب الملك وطارد السلطان الذي اخذ يهرب من جبل الى جبل، ولم يشأ ان يجابه الملك في القتال. فارسل الملك ثلاثين الف رجل مع الامير ذنون ليتولى الحكم في نيوقيصرية، فسلمها اليه الاتراك الذين فيها من هول الضيق. وبعثوا رسالة الى قائد جيش اليونان، فخافوا واخذوا يهربون، فخرج عليهم اتراك المدينة وهم يصرخون، مات الملك مانويل، ودمروا معظمهم، فقتل قائد الجيش وهو ابن اخت الملك، وهرب ذنون الى الجهة الشمالية، فقبض عليه اليونان وانتظروا امر الملك بخصوصه.

بناء على نداء الشريعة، وجهنا انظارنا الى اصلاح ما لحق بالدير من اضرار بسبب عدم استشارة الاتقياء. فقد تعاملنا مع الاساقفة والمتوحدين بالعصا وباسلوب الامر لئلا يستحيل الجرح الى آكلة، وغار الذين كانوا مملحين بالملح الرسولي غيرة آلهية واثروا على الآخرين ليعودوا الى رشدهم، وارسلوا جميع اخوة الدير الشيوخ الى ضعفي في دير مار حنانيا والتمسوا مرافقتهم الى الدير لحسم النزاع، فرافقناهم الى آمد حيث رحب بنا الحاكم. ويوم الاحد ٤ كانون الاول، وهو عيد الشهيرة بربارة، كرسنا بقوة الروح القدس، الكنيسة التي شيدها هناك. وبصعوبة بالغة وصلنا الى الدير. وبعد حوار طويل تأكد لدينا ولجميع الاساقفة والشعب، ان تلك الوثائق التي صدرت بين حين وآخر، وبشكل او بآخر هي علة النزاع في الكنيسة، وكادت تؤدي بالدير الى الدمار. وعليه تقرر إلغاؤها. وتم هذا بأيد من الله، فتمت المصالحة وساد كنيسة الله المقدسة وسكان الدير، السلام والبهجة، وذاق الجميع ثمار هذا الجهد.

فصل

في هزيمة ماتوئيل ملك اليونان امام السلطان ميغرسلان

لقد حاول يوحنا مطران حمص، ذلك الشيخ الفاضل القديس، الاستقالة مرات عديدة بنية حسنة نظرا الى مرض الشيخوخة وغيره من الاسباب التي تستوجب قبول استقالته. غير ان الشعب كان يلتمس منه ويشجعه لكي لا يترك الرعية التي ائتمنها اياه الله راعي الرعاة. وكثيرا ما بكى وهو يستجيب للضغط عليه بالبقاء، بيد انه كان يطرح موضوع الاستقالة في السنة التالية. واستمر الامر كذلك مدة عشر سنوات. واخيرا خجلت من دموعه، ليس انا فقط، بل الاساقفة الحاضرون ايضا، فرسم لابرشية حمص، الراهب داود من دير مار حنانيا وسمي ديونيسيوس.

لدى سماعه عن مقتل ابن اخته عند مدخل نيوقيصرية، هرع ماتوئيل ملك اليونان غاضبا، للانتقام من الاتراك. فامر السلطان قواته بعدم البدء في الحرب، وتوجه كل فريق منها الى احدى جهات المعسكر الاربع، ليحرقوا القرى ومصادر طعام الناس والبهائم، ويدنسوا قنوات المياه والعيون والآبار بجثث الكلاب والحمير، كما امر الذين في الحصن بان لا يقاتلوا، بل يقتصروا على حماية الحصن ما امكن. أما اذا شعروا بالضعف فلهم ان يحرقوا المنطقة ويرحلوا. اما السلطان فصعد الى جبل وعر وتقل فيه من مكان الى آخر، في حين اندفع الملك متغلغلا في اراضي الاتراك ولمسافة مسيرة خمسة ايام. واذ علم اتراك المنطقة بان ملك اليونان سيطردهم من مساكنهم، تجمعوا زرافات ووحدانا، واخذوا يحرقون ويدمرون ويقتلون كل من وجدوه خارج معسكر اليونان. ولما صار اليونان على مسافة يوم واحد من ايقونية، ومسيرة ثلاث ساعات من المكان الموجود فيه السلطان، دخلوا مكانا ضيقا في الجبل لا ماء فيه،

وكانوا نحو خمسة آلاف ومعهم عجلات محملة بطعام الناس والبهائم
والسلاح وخشب المنجنيقات والاموال والكنيسة (المتقلة) والصلبان من
كل الاصناف، ولدى مشاهدة الاتراك الملك وجيوشه، ابتعدوا عن
معسكراته وعن العجلات الحاملة الذخيرة، والتف خمسون الف منهم وراء
المعسكر وشرعوا بنهبه، فوقع الذعر في صفوف قوات الملك، لاسيما لدى
علمهم بان اموالهم وازواقهم قد نهبت، فشرع الاتراك بذعرهم، فاخذوا
يقذفونهم من على الجبل بحجارة كبيرة ويسحقون البشر والحيوانات،
فهرعت تلك الربوات وتكدست فوق بعضها داخل الخندق، وركبهم
ترتجف خوفا من الاتراك، ولم تكن المسافة بينهم شاسعة بحيث ان سهام
الاتراك كانت تطالهم.

وفي منتصف الليل، ارسل الملك ينشد صلحا مع السلطان، فوافق
فورا لانه هو الآخر كان خائفا، فأخذت الوفود تتبادل بينهما جيئة وذهابا
طوال الليل على ضوء المشاعل، فأعطى الملك للسلطان المدن التي كان
قد شيدها. وفي الصباح اعلن الاتفاق، فانزعج الاتراك وشتموا السلطان
ناعتين اياه بالكافر لقبوله الصلح. وطلب الملك الى السلطان ان يرافقه
ثلاثة من امرائه خشية ان يتواقح الاتراك، لكنهم لم يسكتوا، بل اخذوا
يضربون معسكر اليونان من كل الجهات عندما هموا بالرحيل فقتلوا عددا
منهم. ولما استفسر الملك من الامراء عما يجري بعد الاتفاق، اجابوا: ان
ما يحدث هو بامرنا، لذا نصب لهم الملك كمائن، وقتل نحو عشرين الفا.

لدى وصول الملك الى القسطنطينية، ارسل كمية من الذهب
للسلطان واخذ الصليب الذي كان يحتوي على جزء من خشبة الصليبوت.
وارسل السلطان الى كافة الامراء والى خليفة بغداد وسلطان خراسان،
عبيدا وائمة واسلحة ورؤوس نفر من اليونان معلقة برؤوس الحراب
واذئاب الخيل فطافوا فيها الشوارع وهم يرقصون امامها. وبهذه النهاية

المؤلمة رحل ملك اليونان. ترى من لا يعترف بان كل ما يحدث على الارض، هو باشارة من السماء وباحكام لاتدرك ؟

فصل

في تولي السلطان ميغصلان الحكم في ملطية وبقية الاحداث
التي جرت هنا وهناك في هذه الفترة

في هذه الفترة ايضا وجه الرب الى الارض تأديب شحة المطر
بسبب خطايانا، فتلفت الغلال وتفتت مجاعة قاسية في سورية وفلسطين
وأثور وبين النهرين وارمنيا، حتى ارتفع سعر كيل الحنطة الى دينار اذا
ما وجد. اما في دمشق وضواحيها فاخذت الحنطة وغيرها من الحبوب
كلها، ومات الكثيرون جوعا، وهاجر آخرون الى بلدان نائية جدا. ولم
ينقطع المسيحيون من الصلوات والدعوات، كما ان ملوك المسلمين الذين
كانت لهم حنطة وغيرها من الحبوب وزعوها على الفقراء والمحتاجين،
كما وزع همري بطريك الافرنج في انطاكية، الحنطة وسواها من
الحبوب بسخاء. واخيرا وبعد فقدان الامل، اشفق الله فانفتحت ميازيب
السماء في منتصف الربيع، فروى الرب الارض، وطاب المناخ، وطابت
قلوب الناس ورفعت السنتم المجد لله لوفرة الغلات، وشبع الناس في كل
الامصار.

في الوقت الذي عقد السلطان صلحا مع ملك اليونان، غزا ملطية،
وكان فيها يومذاك امير من آل طونشمان سيء الصيت، كان قد قتل اخاه.
فغادرها معظم المسيحيين لانتشار المجاعة في كل مكان وبخاصة فيها.
واحتمل سكانها صنوف الضيقات والعذابات من جوع وسجن وسواها.
فتذكروا انما قلته لهم سابقا حيث قاله آخرون ايضا، فاشفقنا عليهم
وكتبنا نقول لهم: لماذا انحرقتم نحو اليسار وتركتم ثقايلد آبائكم
الحسنة، واستحقيتم توبيخ النبي القائل « اختلطوا بالشعوب وتعلوا

عاداتهم «. وعليه فقد اخذهم الهلع وانكمشوا، وفتحت اذان قلوبهم عندما باغتهم التاديب كما كتب « تاديب الرب يفتح لي اذني » فتابوا بالدموع والحسرات، فاستجاب الرب والقي الخوف في قلب الامير فقال: « لابد من ان الاتراك سيحقدون علي، فيقتلونني ويسلمون المدينة ». لذا ارسل الى السلطان خفية يطلب الامان، ثم غادر وتوجه الى حصن زياد، فدخل السلطان وتسلم مقاليد الحكم يوم الاربعاء ٢٥ تشرين الاول ١٤٨٩ فعم الارتياح الجميع. وكانت الجيوش قد حاصرتها مدة اربعة اشهر دون ان تهاجمها، حتى انهم شيدوا لهم دورا من اللبن، واخرى للسلطان من الحجارة الموجودة على القبور ليشتوا فيها، وهكذا افتقد الله بالراحة، وبحسب احكامه الفائقة الادراك، هذا الشعب المنكود.

بعد رسامته لحمص بسنتين، غادر المطران داود الحياة الدنيا. ونزولا عند رغبة وإلحاح الابرشية، ضغطت على الشيخ مار يوحنا، فعاد الى خدمته.. في هذه الاثناء توفي المطران اثناسيوس ورسم المتوحد ابو غالب لجيحون. وقد حلت وفاته في الدير المعروف بدير ابي غالب في منطقة جرجر. وفي السنة نفسها، توفي يوحنا اسقف ارشميشاط في دير مار حنانيا، وفي ملطية توفي اغناطيوس رومنس مطران تل ارسينوس بمنطقة جرجر ودفن في كنيسة آباءه.. تمت رسامة شقيقنا الربان صليبيا باسم اثناسيوس، في دير مار حنانيا، يوم الاحد ٩ تشرين الاول.

فصل

في خروج صلاح الدين من مصر الى فلسطين وهزيمته امام
الافرنج وهروبه الى مصر. والاحداث التي جرت
في هذه الفترة

بعد تعييننا بنعمة الله، مار اثناسيوس في ماردين، غادرنا الى
انطاكية حيث رُسم مار ديونيسيوس لحلب.. وشي برهبان لدى السلطان
الذي تولى الحكم في ملطية، بأنهم ساعدوا الامير السابق فاعفاهم من
الضرائب. ففرض عليهم السلطان دفع خمسمائة دينار سنوياً كضرائب،
وحذرهم من الاتصال مع الامير الذي طرده، كما حذر جميع الاتراك
الذين كانوا يتعاملون مع آل طونشمان .

نشب نزاع بين ضعفي والمفريان يوحنا بخصوص الحصاصيين
في منطقة تكريت الذين كانوا قد انشقوا من الكنيسة منذ أيام البطريرك
قرياقس بسبب عبارة «الخبز السماوي»، وقرروا الآن العودة الينا، فطلبوا
الي أن أرسم لهم اسقفاً فقلت: بل ليرسم لكم المفريان اسقفاً باعتباره رئيس
أساقفة تكريت، فليس مم اللائق أن تكونوا منعزلين عن اخوتنا هناك.
فامتعضوا واعتبروا ذلك اهانة لهم، ووعدوا بالخضوع للمفريان في حالة
رسامتنا اسقفاً لهم. فقلنا: تريثوا اذن قليلاً لنتفق مع اخوتنا تجنباً لكل شك.
وعلى هذا الاساس اعدنا الحصاصيين وكتبنا الى المفريان بروح الأخوة،
غير انه اعتبر مجيئهم الينا اهانة بحقه، فاعلن حرمهم وحرم من يقبلهم،
فاندھشنا لدى سماعنا بهذا الاجراء، وارسلنا وفداً من بعض الرهبان
الوقورين وكتبنا اليه بروح المحبة مذكرين اياه بما احتمله أبائنا القديسون
قرياقس وديونيسيوس، وبما قرره مجمع خلقيدون وبخصوص قبولهما في

حالة عودتهما والسماح لهما بترديد اللفظة. غير انه رفض الوفد معبراً عن روح التمرد. وبعد عودة وفدنا، أتبه بعض الحكماء والاتقياء قنديم وشخص الينا فلم اقبله وقلت: ينبغي بحث مثل هذا الامر في المجمع، فعاد الى مقره وارسل وفد التماس. فعقدنا مجعماً في دير مار برصوم، حضره مع اساقفته، وكشفنا عن تعدياته للقانون، فاعتذر طالباً السماح، وتعهد خطياً بالخضوع الشرعي. فصلينا عليه وساد السلام .

في تشرين عام ١٤٨٩ خرج صلاح الدين من مصر على رأس ٣٣ الف من مرتدي الدروع اضافة الى المشاة وسواهم، ومعه ٥٢ الف جمل تحمل الذخيرة والالارزاق، ودخل القدس مدفوعاً بغيره عمياء وقتل اول افرنجي قبض عليه ولطخ ثيابه بدمه فتظهر. وفي الوقت الذي فقد الجميع الامل، اشفق الرب على المسيحيين. فقد خاف الجميع لدى ظهور مرض الجذام على الملك الشاب بغدوني واخذ يذوب، لكن الله الذي يظهر القوة في الضعيف، شجع الملك المريض فخرج للمجابهة وحشد بعض القوات، وترجل عن فرسه وخر ساجداً امام الصليب، وتضرع بكلمات شجية مع سكب الدموع، فتأثر الذين معه بهذا المشهد، فوضع الجميع ايديهم على الصليب واقسموا على انهم لن يتراجعوا عن الحرب، وعلى أن يعتبر جاحداً كل من يهرب في حالة الاندحار امام الاتراك. فلما راهم الاتراك قلة، فرحوا ظناً منهم بانهم سيبلعونهم، في حين ترجل الافرنج لذي مشاهدتهم الاتراك وهو كرمل البحر، وقصوا شعور رؤوسهم وتبادلوا التحية، ودعا الواحد للآخر ثم خاضوا المعركة. وفي تلك اللحظات هيج الله عاصفة هوجاء حملت التراب من جانب الافرنج وقذفت به على الاتراك، فتحقق الافرنج من أن الله قبل توبتهم، فرحوا وتشجعوا وولى الاتراك الادبار فطاردهم الافرنج وهم يفتكون بهم طيلة النهار، ونهبوا جمالهم واموالهم، وتاهت جيوش الاتراك، وظل الافرنج يتعقبونهم مدة خمسة أيام حتى وجدوهم مجاميع مجاميع، منهم من قضى، وغيرهم يلفظون انفسهم الأخيرة فقصوا عليهم وجمعوا اسلحتهم وامتعتهم. وعاد

النزر اليسير الذي تبقى مع صلاح الدين الى مصر متألمين ولبسوا الاسود. ووصلت الاخبار السارة الى انطاكية وكنا هناك يومذاك .

في تلك الاثناء، شعر والي حصن حارم التركي، بأن صاحب حلي ينوي اعتقاله، فالتحق بالافرنج فأقسم له فرينز على أن لا يخرج منه من الحصن، بل يحميه ويساعده. فقدم لهم الولاء وصار عدواً للاتراك. غير أن الافرنج اقترفوا أثماً عظيماً بحنثهم بأقسامهم. فقد تجمعوا من كافة الجهات، من القدس وساحل البحر، وانضم اليهم قوميس حاكم قيليقية، وقوميس حاكم فلانط وحاصروا مع فرنيز حصن حارم مدة أربعة اشهر، وقاتلوه بمختلف الوسائل وفرضوا ضرائب باهظة على المدينة والمنطقة بأسرها، وذهب عدد كبير من الناس ضحية القتال، ورغم كل ذلك لم ينصرهم الله العادل لانهم حنثوا بقسمهم بالصليب والانجيل، متوهمين أن باستطاعتهم انتزاع النصر بقوة بشرية. فقد ارسل اتراك الحصن واخذوا تعهداً من صاحب حلب وسلموه الحصن. فجاء واعطى لفرنيز عشرين الف دينار، فعاد الى انطاكية بقلب كسير. وهذه كانت النتيجة .

في هذه الفترة، نزع عدد كبير من ابناء العربية بسبب الجوع ووصلوا الى شواطئ الفرات فمنعهم الامراء من اجتيازه باعتبارهم السبب في المجاعة، غير انهم اجتازوه فقصدى لهم الاتراك وقضوا على نحو مئة الف منهم، وحاول الباقون الاجتياز الى الجانب الآخر من الفرات، ولكن لدى وصولهم مع النساء والاطفال والجمال وسط النهر، ارتفعت المياه وجرفتهم فغرقوا وقذفوا الى الشاطئ كالقنف .. في ايار ١٤٨٩ وفيما كنا في انطاكية، سقط هناك مطر غزير، وحدث فيضن وجرف الدور والناس والبهائم وغرق عدد كبير منهم، ووصل الفيضان باب المدينة واشتد بحيث لم يكن بوسع الابواب تصريف المياه، فارتفعت اكثر من علو السور، ونكبت المدينة وعم الرعب .. وفي السنة التالية ونحن مازلنا في انطاكية، جاء شتاء أشبه بالربيع .. وفي ايار شب حريق في المدينة وأتى على

العديد من البيوت والدور المحيطة بكنيسة مار بطرس الكبرى، لكن الله حفظ البشر فلم يمسه أذى .

وفي السنة نفسها، ونحن مازلنا في انطاكية، ارسل بابا رومية وفداً الى بطريركي الافرنج، الانطاكي والاورشليمي، ثم استدعاهما، لسبب البدعة التي ظهرت هناك، فأرسل الينا بطريركهم الانطاكي اسقف وكاهني طرسوس يسألنا أن نرافقه للسبب نفسه. ولما تحرينا الموضوع، علمنا أن بعض الافرنج، بدافع الرأفة بالمحتاجين، اسقطهم الشيطان ببدعة مفادها أن الخبز والخمر لا يمكن أن يستحيا الى جسد ودم الله، وأن لافضيلة سوى الرحمة والتصدق على المحتاجين ومحبة الناس ووفاقهم مع بعضهم البعض، وقد ارتفع عددهم الى الآلاف والربوات، وصار لهم اساقفة، وانضم اليهم حكام واصحاب بعض المناطق، ومن افزع ما ادخلوه الى اخوتهم، اباحية النساء. ولما افتضح أمر هذا المنكر، ومن أجل القضاء عليه، قرر ذلك الذي في رومية المدعو افوسطوس عقد مجمع مسكوني. اما نحن فلم يكن بإمكاننا السفر الى تلك البلاد، ولكن شرحنا لهم متى وكيف خلق الشيطان هذه البدعة، وكيف حرما أبأونا .

فصل

في حجنا للقدس للمرة الثالثة، وغيره من الاحداث

في تشرين الاول عام ١٤٩٠ غادرنا انطاكية والتفينا في عكا
بالمك الشاب بغدوني، فرحب بنا بعد أن اطلعناه على وصية والده،
فزودنا هو الآخر برسالة مع عهد. ولدى وصولنا القدس، جاءنا وفد من
مرقس البطريرك الاسكندري في مصر، واخبرونا عن الشقاق الذي حدث
بين صفوف اخوتنا الاقباط، بسبب شخص مفوه أعمى يدعى مرقس بن
قنبر ادّعى ان الناس بلباقته، فاخذته الغرور من كثرة الثناء الذي أجزله عليه
بعض التافهين، فتوهم بأنه شيء عظيم، فأخذ ينشر الاضاليل ويظهر
لسامعيه بمظهر البرارة فيجذبهم اليه كقول الرسول بولس «ولا عجب لان
الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور، فليس عظيماً ان كان خدامه
أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للير ٢ كو ١١». وانتقد المصريين لاهمالهم
الاعتراف بالخطايا، كما كان البطريرك عندنا قد منعه في فترة ما. واذ
تبعه بعضهم، تمرد على البطريرك. واتصل بنا لكي نوصي بدورنا
المؤمنين بالاعتراف بالخطايا بمقتضى القوانين الرسولية، كما يفعل هو. ثم
وصل الينا وفد من البطريرك يحمل رسائل، كما وصل وفد آخر من قبل
ابن قنبر. وتبين من الرسائل أن تعاليمه تحمل زيفاً كالافسنيتين بالعسل،
وانه مغرر به من قبل مضللين قذرين، ويأخذ برأي لمغطيوس ومفاده: أن
الجسد يغدو غير مادي، وأن كل من يعترف بخطايا يتعدى التألم ويكون
كجسد المسيح، وعندذاك يشترك بجسد ودم المسيح. واستناداً الى هذا
الرأي مال الى القول بطبيعتين ومشئيتين وفعالين للمسيح. واذ شممنا مثل
هذه الرائحة النتنة من رسالة ابن قنبر، ارسلنا اليه كتاب توبيخ مطول،
لجمنا عنفه ببراهين من الكتاب المقدس، واثبتنا أن الاعتراف بالخطايا،

ولئن كان محبباً، ولكن ليس هو كوجهة نظره القبيحة. فعممنا منشوراً على الاساقفة والشعب حرماناً فيه بعدل ابن قنبر، كما حرمه البطريك مرقس. وفي الوقت نفسه كتبنا الى البطريك بأن لايهمك الاعتراف بسبب ضلال ابن قنبر، واخيراً انتمى ابن قنبر الى الخلقيدونيين، واسترسل في الشرور .

في تشرين، اجتمع ملوك الافرنج مع بغدوني في المكان المعروف بـ «عبارة يعقوب» على نهر الاردن، وباشروا ببناء مدينة، تمكنهم من الضغط على دمشق، وجاء صلاح الدين من مصر الى دمشق للقضاء على عصيان امير بعلبك وهي هليوبوليس - مدينة الشمس. فحاصرها وشدد عليها الخناق بشتى الوسائل، فارسل اميرها مرات عديدة هدايا الى الافرنج مع تعهد بالحضوع لهم، فلم ينجدوه فخاب أملهم، فاضطر الى الاتصال بالذي كان يحاصره واخذ تعهداً منه وسلم له المدينة. الامر الذي شجع صلاح الدين فاندفع نحو القدس، فتألب عليه الافرنج فهرب ووصل الى دمشق، فسبى الافرنج المنطقة وعادوا الى مسافة مسيرة يوم. ولما حطوا الرحال باغتهم صلاح الدين وقبض على مئة مقاتل منهم، بينهم رئيس اخوة الفرير، فحزن المسيحيون. ثم عاد على جناح السرعة الى الموقع الذي انشأوه حديثاً فحصنه، وكان في داخله نحو خمسمائة أخ، الذين القوا انفسهم في النار واحترقوا. عندما علموا بانهم محاصرون، وألقى اخرون انفسهم في نهر الاردن وغرقوا، وسقط غيرهم من السور على الصخور وماتوا، والذين سقطوا بأيدي المسلمين قتلوا بحد السيف .

المقال الحادي والعشرون

يبدأ من سنة ١٤٩١ ي وهي سنة ١١٨١ للميلاد و٥٥٨ للهجرة و١٠٩ للاتراك. و٦٦٦٠ لآدم وبدء العالم

الفصل الاول

في وفاة مانويل ملك اليونان، ومحاولة ابن وهبون التعدي على الشريعة وسقوطه كسقوط البرق من السماء

سنة ١٤٩١ ارسل السلطان ميغصلان جيشاً الى رعين، فشخص أميرها - وكان تحت نفوز ذاك صلاح الدين المصري - الى دمشق وجاء بجيش من هناك. ولئن كان طرفا القتال اتراكا، غير أن الذين جاءوا من منطقة حلب كانوا اكثر خبرة في الحرب، اكتسبوها من الافرنج، فهزم امامهم القبادوقيون .. في هذه الفترة، رُسم يشوع الكاتب الطورعبديني اسقفاً لحصن زياد، لكنه تمرد على القوانين منذ البداية فترك الابرشية التي رسم لها لكي يُعين في طورعبدين، ولهذه الغالية تقرب من الوالي سعد الدين فكتب اليها لننقل ايوانيس اسحق اسقف من طورعبدين الى حصن زياد، ونعطي طورعبدين ليشوع الكاتب. فاجبت الوالي بأن مطلبه ليس قانونياً، لان قوانيننا لاتسمح بنقل اسقف من مكان الى آخر، وعليه فليس بإمكانني أن افعل هذا. واخيراً عُزل يشوع .

سنة ١٤٩١ مرض مانويل ملك اليونان، ولما شعر بدنو أجله، نادى بابنه الفتى الكس البالغ من العمر ١٢ سنة، ملكاً ووضع له التاج، ثم

ترهب، وعين أم الولد وصية وائتمنها كنوز المملكة، وعين ١٢ زعيماً لقيادة الجيش. لقد ساس مانويل المملكة بنجاح باهر مدة ٣٧ سنة، لكن الامور ساءت بعد وفاته. فقد زنت ام الفتى الذي أسند اليه الحكم مع أحد الزعماء الاثني عشر، فحاول الاحد عشر الآخرون تتحيتها وابنها عن الحكم، والمناداة بزواج ابنة الملك من الزوجة الاولى، ملكاً لكنهم لم يفلحوا في تحقيق مآربهم، لان خطتهم انكشفت. فهربوا والتجأوا الى الكنيسة الكبرى، ونشب قتال وسفكت دماء داخل المدينة ولمدة ٧ أيام، واقاموا منجنيقات على كنيسة اجيا صوفيا. واخيراً توسط البعض بين الطرفين، وكفل بطريركهم ثاودوسيوس اولئك الذين هربوا واعتصموا في الكنيسة. ولما عادوا الى البلاط نكثوا بتعهدهم وكفالة بطريركهم وألقوا القبض على الزعماء الاحد عشر وسملوا عيونهم وقتلوا الذين تبعوهم، فازدادت عملية القتل، وعمل البطريرك على تقسيم المدينة، ومنع قرع النواقيس، وابطل الصلاة في الكنائس والاديرة اعتباراً من اوائل شباط حتى تشرين، ولم يدفنوا موتاهم، وغادر البطريرك المدينة واعتكف في دير بظاها .

سنة ١٤٩١ نفسها، عدنا من انطاكية الى دير مار برصوم، ولما ارسينا الاسس لبناء كنيسة فيه، جابهنا الشيطان ليعيق العمل، فوجد له عميلاً يدعى تادرس بن وهبون الذي أتخذ موقف المعارض، وكرس كل جهوده لثلاث عشرة سنة لهذا الموقف. لذا استوجب الأمر التحدث مطولاً. ولما كنا قد راعينا جانب الحقيقة في وضعنا هذا الكتاب كما يملي علينا الواجب، فسوف لن ندون هنا سوى الحقيقة ولن ندس فيها أي زيف، ونحن امام الله فاحص القلوب. وأن اخوتنا الاساقفة والرهبان والكهنة والشمامسة والعلمانيين يشهدون على حقيقة ما يكتب خالية من التزوير. علماً بأننا سوف لن نسرد كل الاعمال السيئة التي اتاها المعارضون، بل سنقتصر على ما هو ضروري للتدوين فقط، لكي نوضح كيف بدأ هذا العمل الشيطاني وكيف انتهى .

لقد تواطأ خمسة من هواة الشر على شق كنيسة الله هم: سمعان اسقف ارزون الذي طمح للانتقال الى ميافرقاط، واذ لم نوافق على طلبه غير الشرعي، ثارت حفيظته علينا. والكاتب يشوع الذي رسم لحصن زياد وتوسط بالحاكم لنقله الى طور عبيدين، ولما عزل قانونياً، اتفق مع سمعان سراً وذهبا عند ابراهيم اسقف آمد المخلوع بسبب اعتداءاته. وأن هؤلاء الثلاثة غرروا باسقف سيبيرك الذي كان قد عُزل هو الآخر لتعديده القانون باخذه رشوة لقاء رسامة قام بها، وقد تناسوا التعهدات والحرومات التي وضعتها كل منهم على نفسه وخطها بيده، بنزع رئاسة الكهنوت عنه وصلاحيه ممارسة اية رسامة اذا ما تجاسر وقاومنا. واذا حاول، تكون الرسامة باطلة من الروح القدس. فقد وطنوا كل ذلك لان الله اسلمهم الى ذهن مرفوض .

لقد توفر لهم رئيس للعصابة، اناء الغضب والشيطان المجسم بلايار الثاني، الذي عُرف لدى الجميع بوجود مجموعة الشياطين في داخله. وكان قد طرد من ملطية بالرغم من كونه ملطياً، وافتضح امره في الرها ايضاً، كما افتضح في القدس فهرب، وهذا كان شأنه حيثما يم. واخيراً جاء الى ضعفي. وهنا لا بد من أن اعترف بأهمالي من جهته، حيث اعتقدت بإمكانية أصلحه وجعله من ذوي اليمين على اساس انه متقف وعالم، ولم اقصد سوى ما هو لصالحه كما يعلم الله فاحص القلوب ، فأوبته في القلاية البطريركية سبع سنوات وانا أسدي اليه النصيح واحتمل مساوءه، حتى انه تعدى الحد وسلك سبل الغش والخداع، وجلس امام قلايتي مثل أيشالوم لكي يصطاد من يخدعه ويثير فيه الحقد. وبهذا الاسلوب استطاع أن يسرق هؤلاء الاربعة ووعد أن يعطي كلا منهم أبرشيتين اذا مانصبوه بطريركاً. ولم اكن الوحيد الذي شك في تصرفاته، بل شك آخرون ايضاً بتلك التصرفات الشيطانية التي من شأنها خلق النزاعات الخبيثة، فطرده من دار البطريركية. واستطاع أن يؤثر في هؤلاء المخدوعين، فتعهدوا لحاكم آمد بالمال اذا ساعدهم على اقامة

بطيريك يجلس في مدينته ويجمع اليها الناس من كل صوب، ودفع له كذا وكذا. ولم يكن ذلك الحاكم مستعداً لخرق قوانين وانظمة الكنائس المسيحية فقط، بل وحتى قوانين الاسلام في سبيل المال. فزودهم بدعوة منه - أي من أبي القاسم بن حسن، بل قل من الشيطان - الى ابن وهبون، فاخذ ابراهيم اسقف آمد الدعوة، وتكرر بزّي الاتراك وامتطى فرساً كضابط لكي لا يُعرف. والحق يقال أن هذا العمل كان اشارة الى تجريدهم. فبعد أن توجه الى ابن وهبون، طال غضب الله حاكم آمد فمات فجأة .

ولما كانوا قد دفعوا مالاً للحاكم، وغضوا الطرف عن الرجاء بالله، شخصوا الى ابنه واطلعوه على كتاب الدعوة الموجه من قبل والده، وقدموا له المزيد من المال، فسمح لهم ان يفعلوا ما يشاءون، فانتشر هذا الخبر في آمد، فخار ابناء المدينة والمنطقة بأسرها، فتجمع الكهنة والرهبان والشعب، واثاروا ضجة امام الحاكم وقالوا: لن نسمح بهدم عقيدتنا. فقال لهم الحاكم. اذا زارنا بطيريككم، طردنا هذا. فوعده باحضار البطيريك، وللحال منع الآخرين عن رسامة ذاك، ريثما يتأكد من حضوري ام عدمه. ولما جاءني الكهنة والرهبان والعلمانيون النبلاء، رافقتهم وغادرت دير مار برصوم. لكن الشقاة زادوا في اثمهم، فدخلوا الكنيسة واوصدوا الابواب، ورسموا تادرس اللئيم بطيريكاً ليلاً، وفي الصباح غيروا زييهم وخرجوا من باب المدينة واتجهوا الى الموصل لمقابلة المفريان .

عند ذاك شعرت بان خطاياي هي سبب كل ما حدث، وأن الله أهملني عدلاً، فتألمت لهذه الكارثة التي ألمت بكنيسة الله والتي لم يكن لها نظير منذ اجيال. وعليه صممت على أن اتحى عن الخدمة المقدسة التي لم اكن مستحقاً لها. فلما علم الحاضرون بما عزمتم عليه، قالوا لي، والدموع تترقرق في مآقيهم، اذا نفذت عزمك فإن الله سينتقم منك لدماء الشعب الذي سيفقد ايمانه. والحق يقال، لقد دخل الخوف قلبي وارتجفت

شفتاي ورأيتني محصوراً بين أمرين. فضغطت على ذاتي ولجمت ارادتي ورافقتهم الى آمد على أمل أن انفذ رغبتى خلال انعقاد المجمع. غير أن الحاكم طمان أهل المدينة والمنطقة، مظهراً لهم المحبة، الأمر الذي ملأهم عزاء. فجاءني الكهنة والرهبان والعلمانيون من كل حدب وصوب، فتوجهنا سوية الى دير مار حنانيا .

أما الشقاة الذين ذهبوا الى الموصل، فقد ساورهم الشك في الحصول على موافقة المفريان، بالرغم من اعتمادهم على ما حدث بيني وبينه من نزاع قبل فترة. فخذلهم المفريان وشخص الينا مع اساقفة ومنطقة نفوذه، وندد بهم شعب المشرق. فاخذوا يتنقلون من مكان الى آخر وهم في حيرة من أمرهم، وفي دارا نصحهم وجهاء المؤمنين واخبرونا عن مكان وجودهم ونحن في دير مار حنانيا. فتوجه اليهم المفريان يرافقه بعض الاساقفة والرهبان واتوا بهم مكبلين، واعترفوا بجريمتهم أمام المجمع واستنكروا تحريريا عملهم الشيطاني. ولدى توجهنا الى دير مار برصوم حيث يلتئم المجمع العام ليقرر ما يريد الشعب والروح القدس خاصة. دخل الشيطان تادرس ثانية فجدد الايمان، ضاربا عرض الحائط الاقسام والحروم التي وضعها على نفسه، وسلك كعادته سبيل الخداع ووعد بالمال لبعض الاراذل الذين اتوا بجماعة من الاكراد واخذوه ليلاً الى مخبأ ريثما تغادر المكان .

فلما علم المفريان والاساقفة غضبوا علي لاني لم آذن لهم بسجنه. ثم اتخذ كل واحد جهة للبحث عنه، فعثروا عليه مختبأ فقبضوا عليه ثانية. ولدى وصولنا الى دير مار برصوم، اجتمع بقية الاساقفة وجمع غفير من المؤمنين، وطالبوا بتجريدته، وكان كذلك. فحلت جميع المشاكل الاخرى، وعاد كل اسقف الى ابرشيته حاملاً قرار المجمع بعزل ابن وهبون المنافق، المتخذ بارادة الله والكنيسة جمعاء. الا أنه أبى مغادرة الدير وطلب العفو فقبلته عملاً بتعاليم الانجيل، ووشحته باسكيم الرهبنة على

أمل التوبة واعطيته ما يحتاج اليه، وخصصت غرفة لسكناه وقلت: اذا واصل حالة التوبة وعزف عن الغش والخداع، فسأطلب الى المجمع الذي عزله، أن ينظر اليه، لدى التأمه، بعين الرحمة بقدر ما تسمح به القوانين. وعلى هذا الاساس، تركته في دير مار برصوم وعدت الى دير مار حنانيا. لكنه تنكر لعهوده كعادته، وانساق وراء الذين هم على شاكلته. فقد صنع حبلاً ونزل من سور الدير ليلاً وهرب الى دمشق، حيث وضع كتاباً باللغة العربية وتقرب من صلاح الدين ملك مصر وتعهد له بالمال مقابل تزويده بأمر بقبوله بطريركاً في سائر منطقة حكمه، وقدم وشاية قاصداً من ورائها قتلي. فلما تليت رسالته امام الملك. سأل عن هويته، فاطلعه بعض المؤمنين الذين في خدمته، على الجرائم التي ارتكبها فطرده، فذهب الى القدس وأثار فتنة بين الافرنج ضد القلة من اخوتنا الذين هناك، وبخاصة ضد اثناسيوس مطران القدس، لانه كان قد عرض ألف دينار على بطريرك الافرنج لقاء اعادته الينا دير مريم المجدلية في القدس. الذي تحملت الكنيسة من أجله الشيء الكثير، بارسالها وفوداً الى هناك لهذه الغاية، وقد طال أمد هذا الاضطراب بسبب سيطرة المسلمين على القدس.

لقد غادر ذلك المارق القدس، وسرعان ما اتجه الى المشرق لدى علمه بوفاة المفريان مار يوحنا، وزرع زيوانه في الموصل وماردين واعداء كلاً من امراء الاتراك بكمية من المال، الامر الذي شجع الحكام في كل مكان على المطالبة بالمال، فدخلنا والاخوة في المشرق في كفاح مستمر حتى افتضحت اعماله القذرة فهرب من هناك مثلما هرب من فلسطين، وجاء الى جاثليق الارمن في احدى القلاع الرومانية، ووعده، كعادته الشريرة حيثما يم، باخضاع الشعب له في حالة مساعدته اياه، اذ قد سبق ووعده بذلك بطريرك الافرنج في القدس، فانخدع بوعوده الكاذبة ومدّ له يد المساعدة حتى هلاكه، كما وثق به جاثليق الارمن ايضاً. وقاوم ضعفي بشتى الاساليب وبكل امكاناته. فقد حرك كل صخرة، واهدر اموالاً طائلة بشكل هدايا لامراء الاتراك في سورية وما بين النهرين، وعزم على

عزلي وتتصيب ابن وهبون بطريركاً على هذه القلة المنكودة من «اليعاقية» طمعاً بخضوعه له بحسب وعده، لكن الله لم يوفقه وغم كل الجهود التي بذلها في سبيل ذلك في منطقة نفوذ الاتراك. فغادر القلعة بصحبة ابن وهبون وجاء الى البون حاكم قيليقية الارمني، فأثر عليه، فأمر بالمناداة بابن وهبون بطريركاً في قطاعه، وزوده كل من الحاكم والجائليق بكتاب، فاخذ يطوف البلاد ويطرد من الكنيسة كل راهب او قس او اسقف يرفض قبوله كبطريرك، ويجرده من ممتلكاته. وهكذا احتل الاساقفة والكهنة والرهبان والموجودون في تلك الاصقاع، من العذاب والاضطهاد مالم يحتمله المسيحيون من الوثنيين. إن المجال لايسعني، انا الخاطيء، أن اتحدث عن ذلك .

لقد عقدت مجعاً عاماً للمرة الثانية، وطلبت اعفائي عن الخدمة، اعتقاداً مني بأن الله ترك الحبل على الغارب لذاك المنافق لكي يعبت بكنيسة الله بسبب خطاياي. فلم يوافق الاساقفة، وقرروا الاجتماع بالجائليق الظالم والصراع معه بالحوار والنقاش، وزيارة الحاكم ليون، فلما رأيت اصرارهم على بقائي في الخدمة، قلت لهم: أذن علينا، ايها الاخوة، أن لا نتكل على قوتنا أو على أي حاكم، حيث كتب «ملعون الرجل الذي يتكل على الانسان ويجعل البشر ذراعه»، بل لنلتجأ الى الله والى قديسه مار برصوم، وليصبنا ما يحلو له تعالى. فحسن هذا القول لدى المجمع، وباشرنا الصلاة والدعاء بدموع سكبيرة وتألّم وتوبة وتتهدات، وشاركنا الشعب الذي احتشد هناك بمناسبة عيد مار برصوم. وفيما كان يُطاف بيمين القديس، صرخنا بصوت واحد «اشفق ايها الرب يسوع المسيح على كنيستك بصلاة القديس مار برصوم. واطهر قوتك في من كان السبب في هذا الشعب، فان كنا نحن السبب امحنا من الوجود، وان كان غيرنا فامحه». وفي ذلك اليوم بالذات سقط جائليق الارمن من فرسه وكسرت اصبع رجله، فقطعوها فتورم جسمه وشعر بدنو اجله، وبعد أن اعترف بذنبه مات. ومات بعده الاساقفة الارمن الاثنا عشر الذين وافقوا

على ابن وهبون، والواحد تلو الآخر، وكل واحد بضربة مختلفة، كما أن صاعقة ضربت الرهبان السريان السبعة الذين تبعوا ابن وهبون فماتوا. وبعد اربعين يوماً طال غضب الله تادرس ابن وهبون نفسه فمات. لقد زرعت هذه الاحداث خوفاً في نفوس الجميع وبخاصة ابناء تلك المنطقة، حتى أن الحاكم ليون خاف جداً، فبعث برسائل وهدايا كثيرة الى دير مار برصوم والى ضعفي. فساد من ثم السلام كنيسة الله في كل مكان .

ايها الاخوة: لم ادون هذه الاحداث لتكون مؤشراً الى صلاحى. حاشا. فانا اعترف بأن خطاياى كانت السبب في أن تطوحني موجة الغضب مدة ١٣ سنة. وبأن الله هو الذي صنع الخلاص باسم القديس مار برصوم رحمة منه بكنيستته وبشعبه الارثوذكسي القليل العدد. له المجد الى الابد آمين .

فصل

في وفاة حكام بين النهرين الاتراك بصورة فجائية. ومجيء
السلطان الى ملطية واستدعائه اياي للالتقاء به. والحدث
المشئوم أي احتراق دير مار برصوم الذي جرى
في هذه الفترة

سنة ١٤٩٢ نشب خصام بين السلطان قليغريمان وصهره نور
الدين لطرده ابنة السلطان وعشقه امرأة زانية. فاستجد نور الدين بصلاح
الدين حاكم مصر فلبى رغبته. فأمر السلطان بهدم اسوار كيسوم وجلاء
سكانها. وحالف نور الدين مع صلاح الدين عند نهر سنجا. ولولا رافة
الله ووساطة الرجل الحكيم حسن الذي ارسله السلطان ليفاوض صلاح
الدين من اجل السلام، لدمرت تلك المنطقة. اما السلطان فجاى الى ملطية
ورمم السورين، وعاد صلاح الدين الى مصر .. في تلك السنة طلق
فرنيز حاكم انطاكية زوجته الشرعية التي تزوجها في القسطنطينية في ايام
الملك مانويل، وتزوج مومساً وسخر من القوانين التي فرضها عليه
بطريك رومية، فحرمه بطريكهم الانطاكي مع الكاهن الذي زوجه من
تلك المومس، لابل حرم المدينة باسرها بسببه، والغى قرع الاجراس،
وابطل الذبيحة، حتى لم يُدفن الموتى. اما فرنيز فزاد في تعديه للشرعية
بنهبه الكنائس والاديرة .

وبعد فترة، اجتمع القضاة والنبلاء وبطريك القدس، وبتوسطهم
اعاد فرنيز ما كان قد اغتصبه، وشُرِعَ زواجه من تلك المرأة وتمت
المصالحة .. في تلك السنة، تمرد الامير الذي كان يحكم حران والرها
على صاحب الموصل، وانضم الى صلاح الدين وصار سبباً لسيطرته

على بين النهرين، فحالفه نور الدين ايضاً. فاجتمع كل من صاحب الموصل وحاكم ماردين وحاكم آمد وحاكم ارمنيا، لمجابهة المصري، لكنهم ارتعبوا خوفاً منه فتفرق شملهم دون أن يحاربوا. وعليه وصل ملك مصر الى الموصل وحاصرها ثم تركها بسبب غزارة الامطار او لسبب آخر وعاد، واستسلم له حاكما ماردين وسنجار، وحاصر آمد واعداء نور الدين باعطائها اياه. وشرع يضربها يوم احد الشعانين فدارت معركة عنيفة، وخلال بضعة ايام استولى على السور، فاضطر ابن نيسان الشقي الى تسليمها وغادرها مخذولاً، وتولى نور الدين صاحب حصن كيفا حكمها سنة ١٤٩٣ .

سنة ١٤٩٥ توفي قطب الدين حاكم ماردين، فجاء خاله شهرمان وولى الحكم لابنه الطفل .. سنة ١٤٩٣ توفي صالح صاحب حلب وكان قد اعطاها لعز الدين صاحب الموصل الذي تولى الحكم بعد أخيه سيف الدين فاعطاها بدوره لآخيه مقابل سنجار، وذلك بقصد ابعاده عنه .. وفي سنة ١٤٩٤ تولى حكم اليونان اندرونيقوس الذي كان قد طرده الملك مانوئيل، اذ تمكن من دخول القسطنطينية بالاحتياال متظاهراً بالخضوع للملك الشاب الكس، لكنه اعمل فيها السيف والقى زوجة مانوئيل وابنته وزوجها في البحر، وقضى على الكس الشاب، واحرق الفا من الزعماء بالنار وسمل عيون آخرين واغتصب ممتلكاتهم، وتزوج ذلك الشيخ القذر من ارملة الكس الشاب، وسبب كوارث لاحصر لها. وطرد الافرنج من المدينة لانهم كانوا يساعدون الكس الشاب باعتباره ابن امرأة افرنجية، وبعد مغادرة هؤلاء بيوتهم. احرقوا ١٤ الف ديراً وقرية في مختلف مناطق اليونان. وجاءوا الى رومية مع جيش الافرنج، ثم جاء ملك سلوقيا وفتك بمعظم مدن سورية الخاضعة لليونان ودمرها كلياً واحرقها وتركها خالية خاوية .

سنة ١٤٩٢ جاء السلطان ميغسلان الى ملطية وسأل عن ضعفي، وأنفذ الي رسالة محبة مع عكاز وعشرين ديناراً حمراء، الامر الذي استغربه الجميع. وفي السنة التالية، جاء ايضا الى ملطية، وقبل ان يدخلها، سمع عن الشغب الذي أثاره تادرس بن وهبون، فارسل رسالة الي ضعفي يستدعيني اليه، فتوجهت الي ملطية، ولاحظت أمراً غير مألوف فأخذتني الدهشة. ففي اليوم التالي لوصولي، جاءني ثلاثة أمراء مع عدد كبير من الفرسان ليصحبوني بكل اجلال. والحق يقال، لقد خامر بي الشك، وظننت أن في العسل افسنتيننا. وفي صبيحة يوم الخميس ٨ تموز سنة ١٤٩٣ وصلنا مشارف ملطية، واذا بالسلطان وجيشه وابناء المدينة يخرجون لاستقبالنا، وارسل من يقول: لقد أمر السلطان أن يدخل البطريرك عنده بحسب تقليد وانظمة المسيحيين، تتقدم مع الصليبان والانجيل، فاكثر المسيحيون من المشاعل وعلقوا صليبانا في الرماح واطلقوا العنان لتراتيلهم. فاقترب مني السلطان ومنعني من أن اترجل أو اصافحه، بل عانقني باكتافه، ولدى حديثه معه عبر مترجم، أصغى الي بكل جوارحه. واذ لمست فيه لهفة للاستماع الي أطلب الحديث داعماً كلامي - بايات من الكتاب والطبيعة، مضمناً اياه بعض التوجيهات، فسالت الدموع من مآقيه، فشكرت الله. ورفع المسيحيون آيات الشكر والتمجيد لدى رؤيتهم الصليب المسجود له يُرفع فوق رؤوس الملك والشعوب الاسلامية. وعلى هذه الصورة دخلنا الكنيسة، وفي ختام عظتنا، دعونا للملك والشعب .

وفي اليوم التالي اخبرنا السلطان بأنه رفع الضريبة المفروضة على الدير وحرر أمره بكتاب ملكي. ويوم الاحد، أرسل الينا يداً مغشاة بالذهب ومطعمة بالمجوهرات، تضم ذخائر القديس بطرس هامة الرسل. وامضينا في ملطية مدة شهر، كان يرسل الينا يومياً هدايا. وتبادلنا الاسئلة والاجوبة عن المسيح ألها والانبيا والرسل وغيرها من الامور. ولدى مغادرته ملطية، اوعز السلطان أن نصطحبه، فكان لنا حديث طويل في

الطريق مع فيلسوف فارسي من مرافقيه يدعى كمال الدين. وعلى مسمع من السلطان، وبحسب العادة، اوردنا المزيد من آيات الكتاب. وقد أثنى على حكمة السريان وعبر عن فرحته بهم. لقد حدث هذا، لا لكوننا نستحق هذه الكرامة - اطرحوا هذه الفكرة جانباً - بل لان رحمة الله شاءت أن يعزي قطيعه الصغير وكنيسته التي وهنت بوشاية ابن وهبون، فادخل العزاء اليه، كما تفعل الوالدة لرضيعها برضعة حليب. اما نحن فقد اصابنا ما نستحق من الوهن .

ففي يوم السبت ٣٠ تموز عام ١٤٩٤ انتبهت العدالة لاثمنا فأدبنا بالرحمة حيث احترق ديرنا المحسودأي دير سيدنا مار برصوم. وتم ذلك على النحو التالي.

كان في الدير راهب شيخ يدعى دنحا، دخل فجراً قلايته الداخلية، ونسي أن يطفى الشمعة - قد يكون ذلك بسماح من الله - لدى خروجه الى الكرم، فتسربت النار من الشمعة الى الامتعة والاشباب من فوق ومن تحت، ووجدت لها مؤونة كافية للاحتراق، اذ لم يكن سقوف الغرف فحسب من الخشب، بل وحتى اسسها كانت خشبية، وكانت منصلة ببعضها في ادوارها الاربعة، والخمسة في بعض الجهات، الامر الذي ساعد على التهاب النار. ففيما كنا نصلي صلاة الساعة الثالثة، سمعنا أصوات الاستغاثة، فاسرعنا الى الخزانة المحفوظ فيها رفات القديس وخرجنا الصندوق الذي يحتوي على يمينه. وما زاد من حدة التأديب، هبوب زوبعة الغضب، فأما بأن لارادة الله يدا في ذلك. فغادرنا الدير تاركين كل شيء طعمة للنار، باستثناء ذخائر القديسين مار برصوم ومار بطرس، فأنت النار على كافة الغرف سواء الخاصة بالرهبان ام تلك المخصصة للناس او الخدم، والتهمت الكنيسة القديمة بما فيها الكتب والآنية الفضية والنحاسية، واذابت الحديد، واحالت الحجارة كلساً، حتى أن أبواب الدير الحديدية انصهرت. وسقطت الاسوار. ومجمل القول: أن النار لم تبق شيئاً

ولم تذر، ولم يسلم شيء سوى الكنيسة الجديدة التي كانت قيد التشييد
وبرج الدير الاعلى ومغارة الفرن والبوابة الخارجية المعروفة ببوابة
جرجر. أما بقية الاشياء فاستحالت تلامن الرما .

ويوم الاحد، سقط ما كان قد تبقى من البناء وراح ضحيته شاب
من منطقة جرجر جاء لينهب. لقد ظهرت ثلاث اعاجيب خلال هذا
الحادث .

الاولى : عدم الحاق الاذى بأي من سكان الدير سواء من الرهبان أم
المستخدمين، رغم مجازفتهم وتوغلهم في النار لانقاذ ما يمكن انقاذه من
الممتلكات، وانهيال الانقاض عليهم في عدة اماكن. أن هذه المعجزة تشبه
ما جاء في سيرة القديس عندما سأل الله فسقط برد واتلف الحقول
المحيطة بكرم المؤمنين دون أن يمسه الكرم أو أي انسان بأذى، واليوم
ايضا يطلب القديس الى الله أن يحرق الممتلكات ويحفظ النفوس، لان
افواها اعتادت على أن تفتح على محبة المال .

الثانية : عدم الحاق الاذى بالصندوق الخشبي المودعة فيه ذخائر القديس
والمحفوظة في الخزانة. ترى ألا يشبه هذا ما حدث للفتيان الثلاثة في
اثور الذين ألقوا في اتون النار في بابل ولم يمسه أذى لان ابن الله كان
معهم ؟. وهذا هو شأن هذه الذخائر التي حل فيها المسيح ابن الله وصانها
تشجيعاً للمؤمنين .

الثالثة : احتراق الكتب التي لم يكن احد يفتحها ويقرأها وكأنها زائدة، في
حين لم تصب بأذى الكتب المتداولة بالرغم من احاطة النار حولها. وهي
نسخ الانجيل الثالث ومجلد المواعظ الضخم وكتابات لمار يعقوب،
وفنقيثان لمدار السنة .

لقد اقمنا مع الرهبان في البرج الاعلى مدة شهر كامل حتى هدا
الغضب، ثم شرعنا باعادة بناء الدير وانجزناه خلال ثلاث سنوات بصورة
افضل مما كان باضعاف، واستغرق بناء الكنيسة الجديدة ١٢ سنة، وانجز
بفضل الله .

فصل

في تولية اسحاقوس اي اسحق حاكم اليونان. ومختلف الاحداث العالمية التي جرت في هذه الحقبة

بعد عودتنا من ملطية، توجه السلطان ميغسلان الى بلاد الروم واحتل ١٢ حصناً يونانياً، وكتب الي رسالة جاء فيها: «من ميغسلان الكبير سلطان قبادوقية وسورية وارمنيا، الى البطريرك (فلان) صديق دولتنا والداعي من أجل نجاحنا، المقيم في دير مار برصوم والذي يسره ازدهار دولتنا. نعلن أن الله قد عظم شأن دولتنا في هذا الزمان بصلواتك. لقد جاءنا من فيلادلفيا العريقة ابن ملك الروم واولاده وابدى خضوعه لعرش دولتنا، فارسلنا معه جيشاً قواته اربعون الفاً. غير أن الاعداء احتشدوا باعداد هائلة في المدينة الكبرى واستعدوا للحرب، فنصر الله جيشنا فطاردوهم وقضوا على اعداء دولتنا الذين اندحروا اندحاراً مريعاً، لن يقووا على النهوض لأمد طويل. وقد احتل جيشنا عسكرياً حصن ديادين الكبير، ثم سيطروا على كافة المنطقة الممتدة الى ما بعد الحصن وسواحل البحر فخضعت لنا، وهوذا الآن ندير، بحسب قوانين دولتنا، تلك البقعة التي لم يسبق وأن خضعت للاتراك. الحق يقال، أن الله اعطانا كل هذا بقوة صلاتك. لذا نطلب اليك أن لا تهتداء من الصلاة من أجل دولتنا. كن معافى». ثم تليت هذه الرسالة ورسائل اخرى مماثلة من السلطان وصلت في اوقات متفاوتة .

كان الذين جاءوا الى السلطان ثلاثة اخوة، واخذوا جيشاً من الاتراك وتولوا الحكم في فيلادلفيا. وبعد فترة تصدى لهم اندرونيقوس

الطاغية، فقتل أحدهم بالحرب وهرب الآخرون من أمام وجهه، وكان أحدهم اسحق الذي قتل اندرونيقوس المنافق وتولى الحكم .

قُتل اندرونيقوس ملك اليونان، يوم عيد الصليب ١٤ أيلول، فتولى اسحق الحكم، في الوقت الذي كان اندرونيقوس يعد لقتله اسوة ببقية افراد الاسرة المالكة. فقد شعر اسحق بذلك فنقلد سلاحه، ولما استدعاه الملك رفض الذهاب فغضب اندرونيقوس وارسل قائد جيشه ليأتي به عنوة، فلما رآه غاضباً، علم بانهم يدبرون قتله فاستخف بالموت واستل سيفه وضرب قائد الجيش وقتله، وامتطى فرسه ولجأ الى الكنيسة الكبرى حاملاً سيفه الملطخ بالدم وهو يصرخ ويستنجد، فتجمع الناس ودخل الى الكنيسة الزعماء الذين كانوا قد فقدوا الثقة في اندرونيقوس للجرم الفظيع الذي اتاه حينذاك، وانفقوا على اقامة اسحق ملكاً وهو من سلالة الملوك. فضغطوا على بطريركهم فنصبه ونودي به ملكاً في الكنيسة. فغادر اندرونيقوس البلاط ليهرب عن طريق البحر، فادركوه وهو في السفينة واعادوه وعذبوه بقسوة، فقطعوا لحم أفضاه بالسكين وهو حي، وعضوا جسمه بعنف وأخيراً احرقوه امام الجماهير .

في نيسان تلك السنة خرج صلاح الدين من مصر وحاصر حصن بارك، فتصدى له نور الدين وبقية امراء بين النهرين وحاربوه بالمنجنيقات وكافة صنوف الاسلحة، ثم انضم اليهم الافرنج فهرب الاتراك، وسبوا السامرة ومنطقتها وقتلوا عددا كبيرا، لان الافرنج ظلوا في الحصن لحمايته، فلما علموا بالامر توجهوا اليهم فهرب الاتراك ونجا المسييون .

في تلك السنة اشتد مرض الجذام ببغدوني ملك القدس، فسلم المملكة لابن اخته الفتى المدعو هو الآخر ببغدوني. وبعد فترة وجيزة من التنصيب توفي الملك المجذوم . وفي السنة نفسها توجه صلاح الدين الى

الموصل قلم يفلح في احتلالها، فعاد وحاصر ميافرقاط، وبعد معارك عنيفة اشتراها بالمال وتولى الحكم فيها ثم عاد الى الموصل. وبعد حوار طويل ووساطات وافق حكام الموصل على ارسال جيش ليكون تحت امرته اسوة بامراء ماردين وحصن كيفا، وهكذا تم الصلح بينهم .

في هذه الفترة، توفي اغناطيوس مطران القدس الذي قام بمهام رئاسة الكهنوت مدة ٤٥ سنة. وفي تشرين عام ١٤٩٦ أرسل الى القدس أخي المطران اثناسيوس، فأثيرت ضجة ضده من قبل الرهبان الشقاة هناك. ولما تم الوفاق بينهم وبينه، حرض الشيطان صنيعته تادرس بن وهبون، اريوس الثاني، فأثار شغباً ووضع المطران موضع الدفاع حتى طرد ابن وهبون .. وفي هذه الفترة، لدى سماعه عن احتراق دير مار برصوم، عبر كريكور جاثليق الارمن عن ارتياحه لان الحقد كان قد عشش في قلبه، وادعى بأن القديس مار برصوم طار وخط عنده، محاولاً أن يحظى بالكرامة عن طريق امثال هذه الخزعبلات. غير أن الله الحال في القديس، والذي ادبنا بعدل باحتراق الدير بسبب خطايانا، نبذه هو الآخر، فضرب ضربة قاصمة، ذلك أن ابن اخته شاهنشاه انتهز فرصة مغادرته القلعة الرومانية الى طرسوس، فتمرد عليه معتمداً على الاتراك، وكاد أن يسلمها اليهم لولم يرجع الجاثليق بسرعة، ويجمع جيشاً ويحارب القلعة، لكنه اضطر الى الانسحاب بعد أن قتل عدد كبير من جيشه، وجاء الى دير تكوش القريب من كيسوم يجر اذيال العار. فاعترف امام الجميع بأن القديس برصوم هو الذي أدبه هكذا واعلن عن ندامته وتوبته أمام ايوانيس مطران كيسوم، واخيراً تم الوفاق بينه وبين ابن أخته. بعد أن اعطى له تعهدات وكفالات باقسام مغلظة.

فصل

في زعم المنجمين بقيام عاصفة تقضي على المسكونة برمتها
كما فعل الطوفان في ايام نوح. وخيبتهم لعدم قيامها وغيرها
من الاحداث التي جرت في هذه الفترة

جرى سنة ١٤٩٧ حدث، أرى من الضرورة القصوى تدوينه
للأجيال القادمة، تمجيداً لله الذي يأخذ الحكماء بمكرهم، ويختار الجهال
ليوبخ بهم حكماء هذا العالم. وهذه تفاصيل القصة .

لعدة سنوات خلت، أخذ المنجمون يقولون، أن الكواكب السبعة
التائهة وهي: الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ وعطارد
والزهرة، ستجتمع في ايلول عام ١٤٩٧ في برج واحد، هو برج الميزان،
ولم يحدث أن اجتمعت هذه الكواكب في برج واحد باستثناء اجتماعها في
برج الحوت ايام نوح، والذي سبب الطوفان، وبما انها ستجتمع الآن في
برج الميزان، فانها ستحدث طوفاناً آخر، وقد اكد هذه الشعوذة او النبوات
الكاذبة الآف الاشخاص وليس واحد او اثنين. ونبت اشاعة في كل مكان
مفادها، أن الكواكب ستجتمع بعد ثلاثين سنة، وقد عنوا هذه السنة
(١٤٩٧)، حيث أن عاصفة تثور في ١٤ ايلول وتدمر المدن والقرى وكل
ما فيها من سكان وبهائم وحيوانات وطيور، حتى لن يشاهد شيء على
الارض اطلاقاً. وقد انتشرت هذه الاشاعة في المشرق والمغرب ومصر
والهند، كما أن بعض المؤمنين من سجستان كتبوا الينا يطلبون أن نصلي
من اجلهم. وكان اليهود والمسلمون والوثيون وكثير من المسيحيين
ينادون بهذا ويقولون، ستتكسف الشمس في ذلك اليوم ويسود الظلام،
وتهنز الارض وتعصف ريح صرصر وعاصفة تجرف التراب والحجارة

وتغطي المدن والقرى. وزعموا أن مذنبين سيظهرون، وما إليها من أمثال هذه الخرافات. فحزن كثير من الملوك والرؤساء طعاماً وشراباً في الكهوف، وشيدوا لهم بيوتاً آمنة، وانتقل آخرون إلى أمكنة أخرى، واستقروا في الكهوف والمغاور. أما المسيحيون الراسخون في الإيمان فلم يصدقوا هذا الجنون، واستمروا مواظبين على الصلاة والصوم والدعاء والصدقات، وكان الوثنيون واليهود وبخاصة المنجمون، يسخرون من المسيحيين لمواظبتهم على الدعاء ويجدّفون قائلين: من المستحيل، حتى على الله، إبطال ذلك الأمر المحتوم والعتيق أن يكون. وكنا نجيب الذين يبعثون إلينا برسائل استفسار عن هذا الموضوع بقولنا: لا يسقط عصفور في الفخ كما كتب، ولا تتساقط ورقة من الشجرة إلا بإشارة من فوق، ولا صخرة لما يُشاع من حدوث طوفان بسبب تجمع الكواكب في برج الحوت. وأم نقتصر في تدليلنا على هذا من الكتب فقط، بل ومن الطبيعة أيضاً .

وإذا كان الطوفان في أيام نوح قد حدث بسبب اجتماع الكواكب كما يزعم المنجمون الضالون، علماً بأن الناس كانوا آنذاك أكثر تمسكاً بضلال الكواكب، فكيف أنهم لم يعلموا بحدوث الطوفان باستثناء نوح الذي أوحى إليه الله بذلك وقد سخر منه الضالون في حينه، كما حدث للوط فيما بعد في سدوم. لقد كان غير الراسخين في الإيمان والمستسلمين للارواح يلهجون بكلمة «الرياح»، حتى صار كل فم يردد، الرياح الرياح، هوذا الرياح آتية، وستبطل التجارة والاخت والعطاء. ولما دنا اليوم الذي قيل بأن الرياح ستهب فيه، شرع الناس يهربون ويختبأون في المغاور والكهوف. فلما اشرق ذلك اليوم هبت على وجه الأرض نسمة رقيقة منعشة. واستمرت تهب بهوائها النقي لبضعة أشهر، فمجدت الشعوب كلها الله الذي وحده يدبر كل شيء، فاستهان الملوك بهؤلاء المنجمين، واعتبروا مهنتهم شعوذة .

أما أنا فأقول ايها الاخوة: ولئن كان زعم المنجمين بهبوب رياح
أو سواها مجرد هذيان، لانهم اخطأوا الهدف، غير أن تجمع الكواكب في
منطقة واحدة، بحسب الخطة الموضوعية بأمر الله تدور انها في الفلك،
ممکن أن يكون، لان المصريين يعرفون حركة دوراتها، وأن ميعاد
كسوف الشمس يخضع لحركة الدوران. بيد أن الله الذي خلق العناصر،
والذي بإمكانه أن يغير ويخرج من الحجارة ماء كما صنع للعبرانيين، وأن
يصنع من الماء حجراً، كما فعل بالنسبة الى بطرس، غير ميعاد الكسوف
والخسوف في ذلك الوقت، شفقة بالبشر وخشية سقوطهم في الضلال
ونسيان الخالق الذي اياه يمجّد الكل، وهو وحده عارف بكل شيء ومدبر
كل شيء .

بعد وفاة قطب الدين صاحب ماردين، توفي ايضاً ابن جلدته نور
الدين صاحب حصن كيفا في آمد فجأة، وذلك بعد أن نقل اعمدة رخامية
من الكنيسة الى داره حيث جاءته ضربة أودت بحياته. فخلفه ابنه الشاب
قطب الدين، كما عين لماردين شاب آخر يدعى حسام الدين، وكلاهما
ابناء إمام. اما عمر الدين شقيق نور الدين فاتار ضجة بعد وفاة شقيقه
واخذ حصن زياد. كما توفي حاكم الارمن الامير الشيخ ميران شاهنشاه،
ولم يوجد من يخلفه من أسرته، فتولى الحكم احد ضباطه يدعى بوختمار،
وفي طريقه لتسلم الحكم، مر امام جبل ساسون والتقى بابن اخت جاثليق
الارمن الذي نزل من القلعة الرومانية، ولم يدع بوختمار يتحرك حتى
تعهد له باعطائه حصون والده باكين .

في هذه السنة، عاث فرنيز صاحب انطاكية فساداً، بعد أن عقد
صلاً مع صلاح الدين واطمان على عدم وجود من يتصدى له. فقبض
على رافان حاكم قيليقية وكبله وزجه في السجن، وحشد جمعاً من الافرنج
وهاجم قيليقية، واستمر القتال طيلة الصيف دون أن يتمكن من فرض
سيطرته على أية بقعة منها، لان لبون أخذ مكان أخيه رافان وحامى

المنطقة بحنكة، فعاد فرنيز خائباً. ثم أعطى الارمن للافرنج ثلاثة الاف دينار والمصيصة وأدنه ومناطق أخرى، وأخرج رافان من السجن، وبعد اطلاق سراحه تمرد على فرنيز وانتزع المناطق التي كان قد احتلها، الامر الذي دفع فرنيز ليعمل في قيلية نهباً وسلباً .

في هذه الفترة، انتزع امير الرها، بأمر سلطان مصر، منطقة شبختان من صاحب ماردين، فحارب الوصي عن امير ماردين، شعب الرها لكنه هزم، فجاء صلاح الدين ليحكم ماردين، واذ فشل في احتلالها بالحيلة، اكتفى بخضوع اهلها حتى اقساموا متعهدين له بالولاء، وهناك مرض مرضاً شديداً عانى منه الامرين، وامض فيها الشتاء مع جيشه، وانتشرت اشاعة بموته، وبعد أن تعافى قبض على صاحب الرها مظفر الدين ابن زين الدين، وانتزع منه قلعتي الرها وحران، ثم اعادهما اليه بعد فترة فتصالح .

في هذه الفترة، رسم اسطيفان مطرانا لسجستان، وباسيليوس لبيرا جرجر، وباسيليوس آخر للرقّة .. يوم احد تجديد البيعة، احترقت كنيسة مار يوحنا في الرها. وكان ذلك كما يلي: كانت قد شغرت منذ أمد طويل، ولم تُقم فيها الخدمات لعدم وجود كهنة، فأخذها الحكام مخزناً للقطن، وكانت الحمام قد عششت في سقوفها وقد اعتاد البعض صيدها ليلا مستعينين بالمشاعل. وصادف أن نسوا أحد هذه المشاعل في الطابق العلوي وغادروا، ومنه تسربت النار الى الادوار العليا، والتهمت ليس الخشب فحسب، بل والاحجار ايضا حتى الاسس، واحترقت اعمدتها الرخامية الـ ٣٢ كالهشيم، وعادت الكنيسة كدسا من الرماد .. أما الكنائس التي دمرت في الرها في عهد المسلمين هي: الكنيسة الكبرى، كنيسة الرسل، كنيسة مار توما، كنيسة مار ميخائيل، كنيسة مار قومي «ام المنديل»، كنيسة مار جرجس، كنيسة مار فاروقا التي شيدها أبجر، كنيسة والدة الله المعلقة، وكنيستان أخريان باسم والدة الله، كنيسة الاربعين

شهيدا، وكنيسة اخرى كبرى باسم الاربعة شهيدا، كنيسة المعترفون في باب الساعة، كنيسة مار اسطفانس، كنيسة ثاودورس امام القلعة .

في نيسان عام ١٤٩٧ قدمنا من دير مار حنانيا الى دير مار برصوم، وبنعمة الله وشفاعة القديس مار برصوم تغلبنا على ضعفنا واقمنا جدران كنيسة جديدة كنا قد ارسينا اساسها منذ سبعة اعوام، حيث احتملنا وآخرون خلال تلك السنوات، ضيقات لا توصف في سبيل ذلك .

فصل

في الحروب التي دارت بين الاكراد والأتراك وانعكاسها السلبي
على المسيحيين الذين في مناطق المسلمين.
وابادتهم لبقية الشعوب

سنة ١٥٠٠ جاءنا المقريان يوحنا ملتسما اعفاءه من الرعاية،
فضغطنا عليه ليتراجع فلم يذعن، فذهب الى دير مار يعقوب في جبل
الرها، ثم ندم ورجع اليها، ثم عاد الى رعيته حاملا رسالة منا. وفيما كان
نائما على سطح الكنيسة في قرية باخوديدا (قره قوش) سقط من السطح
ومات فدفن في دير مار متى. فوجه اليها التكرامة والموصلة والنينويون
رسائل صحبة وفد ملتسمين أن نختار ونرسم اساقفة بموجب القانون،
واحاطونا علما بوجود رجل وقح عندهم يدعى ابن ماسح يصارع من أجل
الحصول على هذه الرتبة، ويسانده بعض الاراذل أمثاله، واكدوا لنا أنهم
لن يقبلوا اطلاقا ابن ماسح بسبب اعماله الرديئة السمجة وكنا قد سمعنا
عن اعماله هذه من المقريان مار يوحنا، وبناء على ارشاد الروح، وجهنا
دعوة قانونية الى ابن أخي وتلميذي الربان يعقوب فرسمناه، وهو رجل
عالم، ينقضي الكلام للتحدث عن الفضائل التي وهبها اياه ابو الانوار
الذي من لده تتحدر كل موهبة سالحة وكل عطاء متكامل. وتمت
رسامته في دير مار دميط في كورة ماردين، يوم الاحد مدخل صوم سنة
١٥٠٠ وسُمي غريغوريوس رئيس اساقفة المشرق .. في هذه الاثناء
توفي مار مرقس بطريرك الاسكندرية ومصر. بعد أن خدم رئاسة
الكهنوت ٢٣ سنة، وحلت وفاته في كانون الثاني، وانتقل الى الحياة العنوية
التي لا نهاية لها. ورسم للكرسي ايوانيس بابا أي بطريركا .

منذ عام ١٤٩٦ بدأ التركمان حروبهم. فحاربوا ارمينيا وآثور
وبين النهرين وسورية وقبادوقية مدة ثمانى سنوات. ويعود سبب نشوب
الحرب الى أن الشعب التركمانى ساكنى الخيام، اعتادوا قضاء الشتاء فى
البرية الواقعة جنوبى سورية حيث لا يسقط ثلج او تتجمد الارض، وحيث
يوجد الكلاً. وفى الربيع يقصدون المناطق الشمالية حيث يتوفر الكلاً
لمواشيهم. وبما أن مواشيهم الكثيرة، كانت تملأ الطرق خلال تنقلاتهم
صعوداً ونزولاً، كان الاكراد المعتادين على السرقة حيثما وجدوا،
يسرقون من مواشيهم وخيولهم وابقارهم وجمالهم، واحياناً كان يقتل بعض
منهم، لذا اخذ الاتراك يسيرون بشكل قوافل لحماية ماشيتهم. وذات يوم
اكتشفوا فى منطقة شبختان المجاورة لماردين كميناً قوامه مئتا كردي
متهيين لسرقتهم، فاجهزوا عليهم، فبان العدا الكامن بينهم، فاجتمع نحو
عشرة الآف كردي، واكثر من هذا العدد من التركمان، فنشبت الحرب
وقتل نحو عشرة الآف من كلا الجانبين، فازداد حقد الاكراد وتجمع نحو
ثلاثين الف كردي من منطقة نصيبين وطور عبيد، واحتشد التركمان فى
منطقة حابورا، فهزم الاكراد وتناثرت اشلاء قتلاهم بين شاطئ نهر
الخابور ونصيبين .

ونشبت فى منطقة الموصل، معركة بين التركمان والاكراد،
ورغم تجمع الاكراد من عدة مناطق هزموا امام التركمان، وانتشروا فى
الجبال المتاخمة لقيليقية بقصد الحفاظ على اولادهم ومواشيهم ووضعهم
لدى حدود الارمن، غير أن التركمان هجموا عليهم وابدوهم بحد السيف،
بما فيهم الرجال والنساء والاطفال، ونهبوا ممتلكاتهم. فقضى على العنصر
الكردي فى سورية وبين النهرين، حيث أخذ التركمان يتجولون فرقاً فرقاً
فى السهول والجبال ويفتكون بالاكراد بلا رحمة وبلا مبرر حيثما عثروا
عليهم .

لم يكن التركمان يؤذون المسيحيين في السنوات الاولى، غير انهم اخذوا يفعلون ذلك فيما بعد لسبيين، الاول : هو أن التركمان علموا بأن الاكراد يخفون اموالهم في القرى المسيحية. والثاني : لم يكن الحكام يمنعون التركمان من السلب والقتل. الامر الذي دفع الشعوب للاتجاه نحو ارمينا الكبرى. ولكن بعد أن قضى التركمان على الاكراد وجّهوا انظارهم ليسبوا ارمينيا، فسبوا ٢٦ الف شخص وباعوهم عبيداً، واحرقوا القرى ودير كريت الكبير بعد أن قتلوا جميع رهبانه ونهبوا كتبه وكل ما فيه، واحتلوا عسكرياً حصن تل العرب في منطقة شبختان وباعوا جميع سكانه عبيداً، وقتلوا ١٧٠ رجلاً في تل سميا وآخرون غيرهم. واخيراً لما رأى الحكام دمار بلدانهم واقفار القرى من السكان، أثار كل منهم في منطقته حرباً ضد التركمان، فدارت المعارك في أرجاء منطقتي قبادوقية وملطية. وفي هذه الاثناء دخل التركمان منطقة كلوديا، فتصدى لهم الحاكم وراح ضحية القتال ممثلاً طفل من القرية وبقية المنطقة. أن اللسان ليعجز عن الحديث عما جرى من القتل خلال السنوات الثماني، فقد خلقت شرارة صغيرة لهيباً أتى على ربوات قبل أن تهدأ العاصفة .

في هذه الحقبة، كان في قبرص حاكم يوناني يدعى قومنا، تمرد على ملك القسطنطينية وجمع الاساقفة اليونان وامرهم أن يقيموا لهم بطريركاً ففعلوا، فنصبه ذلك البطريرك ملكاً، فنودي به ملكاً وبالآخر بطريركاً في قبرص. وصار ضحكا للذين في القسطنطينية حتى جاء ملوك الافرنج من رومية، وتولى ملك انكلترا الحكم في قبرص، فاعتقل ملكها وزجه في السجن في احد الحصون القريبة من انطاكية، كما توفي البطريرك المقام في قبرص ففشلت خطتهم السقيمة. ثم أعطى ملك انكلترا جزيرة قبرص للفرير. ولما غادرها الملك الافرنجي، ثارت كبرياء اليونان وتآلبوا ضد الحامية الافرنجية، اعتقاداً منهم بانهم سينتزعون الملك اذا ما قتلوا الافرنج، ولكن لما شرعوا بالقتال هزموا، فنصب الافرنج ملكاً

لقبرص، كان سابقاً في القدس، وذلك يوم الجمعة ٤ ايلول سنة ١٤٩٨ ..
في الساعة الثامنة، حدث كسوف، وظهرت الكواكب بالقرب من الشمس .

فصل

في انتزاع صلاح الدين سلطان مصر، القدس من الافرنج
واخضاعها للمسلمين وغيره من الاحداث التي في هذه الفترة

سنة ١٥٠١ ارسلنا، الى السلطان صلاح الدين، بضغظ من
اساقفتنا وسواهم: جبرائيل رئيس الدير وابا الفرغ اسقف القلاية، لشرح
محاولة ابن ماسح. ولدى وصولهم الى دمشق، وقبل لقائهم بالسلطان الذي
كان يحاصر عكا حينذاك، قبض عليهما كجواسيس وزُجا في السجن،
وفقدا كل ما لديهما. غير أن الله اشفق ونجاهما على يد مظفر الدين بن
زين الدين أمير الرها، وحصلا من السلطان على رسائل فاعلة وعادا
مسرورين بشفاعة مار برصوم .

سنة ١٤٩٨ جمع صلاح الدين جيشاً من مصر والعربية وسورية
وآثور، وتصدى للافرنج الذين غض الله الطرف عنهم بسبب خطايانا،
فانهزموا شر هزيمة يوم السبت ٤ تموز، والقي القبض على ملك القدس
وكبار رجالته وقتلوا مع جميع الاخوة (الفرير). حدثت هذه الواقعة
بالقرب من طبرية .. يقال أن حاكم طرابلس الذي كان يطمح الى الملوكية
لم يفلح في الوصول اليها، فتمرد وهرب، وهو الذي غدر بالافرنج. اما أنا
فأقول: ما كانوا ليهزموا لولم يتركهم الله، لان عصفوراً لايسقط في الفخ
الا بإشارة من فوق. وأن صلاحاً بشخصه قتل الشيخ ارغد و ٣٠٠ فرير
واغتسل بدمهم، ثم دمر طبرية وقتل من فيها، وللحال شخص الى عكا
فهرب اعيانها الى صور عن طريق البحر فسلمها من بقي من السكان الى
صلاح الدين. ثم سبوا قيصرية ويافا والسامرة والناصرية، وامتلت الدنيا
بالاسرى. أن اليراع ليعجز عن وصف ما احتمله المسيحيون في دمشق

وحلب وحران والرها وآمد وماردين والموصل، وفي سائر مناطق نفوذ المسلمين، من اهانة وتعيير وبصاق .

في تشرين الاول عام ١٤٩٩ اعطى صلاح الدين عهداً للفرنجة الذين في عسقلان، واطلق سراح الملك المعتقل لديه وسلمها له. ثم توجه المسلمون الى القدس، أرض السلام وحاربوها ودمروا قسماً من الجهة الشمالية الشرقية من سورها، واذ لم يكن من ينقذ سكانها، ثم الاتفاق على أن يسمح لكل شخص يدفع عشرة دنانير بمغادرتها، فبلغ عدد الذين غادروها «بالبكاء وحسرات المصري على الحجارة» الآف وربوات، والذين لم يتمكنوا من الدفع استسلموا للعبودية، لكن صلاح الدين حرر عشرين الف رجل وامرأة، منهم اربعة الآف شيخ وعجوز. وخصص ستة الآف لخدمة قواته، وارسل خمسة الآف الى مصر ليبنوا الاسوار، وترك خمسة الآف في القدس لبناء الاسوار ايضاً وهيكل سليمان، والمبنى المعروف بـ «الصخرة» اي الحجر والذي اقامه المسلمون وطهروه بحسب شريعتهم، ومنعوا من أن يطأه رجل مسيحي، واغلقوا كنيسة القيامة وسواها. فكان المسيحيون المتبقون في القدس يقفون على الابواب يصلون ويبكون .

ثم وجه صلاح الدين انظاره الى مدينة صور الواقعة في قلب البحر، فواجه مقاومة، حيث كان قد وصل في تلك الاثناء حاكم من رومية يدعى مركيز، جاء ليحج الى القدس دون أن يدري بالذي يجري هناك. فشد عزيمته وشجع الشعب وحامى عن المدينة، فلم يفلح صلاح الدين في احتلالها، فتركها وذهب واحتل كلاً من صيدا وبيروت وجبيل وتبنييت. وفي عام ١٥٠٠ احتل صلاح الدين حصني كارخ وشوبخ الواقعين على ساحل البحر الاحمر اللذين كانا سبب نشوب الحرب بينه وبين الافرنجة التعساء. وفي تلك السنة دخل صلاح الدين منطقة انطاكية واحتل عسكرياً كلاً من اللاذقية وجبلة وقلعة صهيون ونفرس وتربيسكد. وفي السنة

نفسها، عمت الاضطرابات مناطق قبادوقية. فقد نشب خلف بين ابن السلطان ميغصلان الذي اتخذ سبسطية مقراً له، وبين حسن نائب والده، فحرض حسن السلطان ضد ابنه، فتأهب لمقاتلة ابنه في منطقة قيصرية، غير أن الذين انضموا الى الابن تفرقوا اكراماً للشيخ، وعاد الابن الى سبسطية دون أن يحارب والده. وفي غمرة غضبه، أمر السلطان فقتل اربعة آلاف من التركمان المواليين لابنه، ثم جاء صهر السلطان الامير بهرمشاه وتوسط من أجل الصلح. وبطريقة او أخرى، استحصل امرا من السلطان باعتقال نائبه حسن ومصادرة املاكه، ثم اطلقه وابنه وعبيده ليذهبوا الى سبسطية، فهجم عليهم التركمان في الطريق وقتلوا حسن واولاده وعبيده، ومزقوه ارباً ارباً وادخلوا اشلاءه الى سبسطية محمولة على رؤوس الرماح. وكانت وفاته يوم عيد الصليب .

في سنة ١٥٠٠ نفسها، بعد أن علم افراد عصابة ابن ماسح الشقاة بما حدث، رشوا الحاكم بألفين من الذهب وخمسمائة من الحمر واستحصلوا منه أمرا برسامة ابن ماسح تحت طائلة التهديد بالسيف، فرسموه بصورة غير شرعية مسوقين بروح الشيطان، فرفضه المؤمنون رفضاً باتاً .

لايجدر بنا أن ندون القبائح التي أتاها داثان الثاني، الا ما هو ضروري جداً لايضاح ما حدث. فقد زاد ابن ماسح من وقاحته واتفق مع ابن وهبون وجاء كلاهما الى ماردين منادين بابن وهبون بطريكاً وبابن ماسح مفرياناً، ورشا الحاكم بألفي درهم، واخذوا امراً بالسيطرة على المنطقة، فذاق شعبنا الأمرين، وتذمروا وبخاصة من عمال الحاكم الذين يتجولون بين القرى لجباية الضرائب من الشعب. واخيراً اخذت الغيرة ابناء ابرشية ماردين فجمعوا اموالاً واعطوها للحاكم واستحصلوا امراً بطردهما من المنطقة، فعادا الى الموصل، وهناك ايضا تحمس المؤمنون ضدهما، فطردوا اولاً ابن وهبون، ثم جمعوا اموالاً وقدموها للحاكم لقاء

الامر بالقبض على ابن ماسح اللئيم. فنزعوا عنه الاسكيم المقدس والبسوه
ثياباً مدينة، وارسلوا وقدأ من الاساقفة والكهنة والرهبان واصطحبوا من
نصيبيين المفريان القديس مار غريغوريوس، فدخل الموصل ورحب به
الحاكم والجميع، وهدأت الاحوال بنعمة الله .

فصل

في غيرة الشعوب الافرنجية الوافدة من ايطاليا، على القدس،
وغيرها من الاحداث التي جرت في تلك الفترة

سنة ١٥٠٢ توفي ابن زين الدين صاحب اربيل، فترك اخوه الرها وحران وشميشاط وذهب ليتولى الحكم في اربيل فحالفه النجاح .. لقد اعطى صلاح الدين عدة مناطق في فارس لابن أخيه عمر تقي الدين الذي سُمي سلطان. وكان فظاً وسيئاً، يكره المسيحيين ويضطهد المسلمين ايضاً. فرفع نسبة الرسوم والضرائب على المسلمين والمسيحيين، واحتال على الامراء من بين باغوساج في منطقة سيبيرك واخرجهم من حصونهم، ومن هناك توجه الى ميافرقاط التي كانت سابقاً تحت سيطرته، ومنها ذهب واحتل جشيكور وقولب، ثم توجه الى منطقة خلاط في ارمينيا وامضى فيها خمسة اشهر ينهب ويسلب ويقتل بلا رحمة، وخاصة المسيحيين. بيد أن الرب صفعه بضربة فمات فجأة هناك. فتنفس الناس الصعداء، مثلما حدث يوماً ما ليوليانس الجاحد، فغادر ابناؤه وجيشه المنطقة وعادوا الى ميافرقاط. ولما تمرد ابنه على والده صلاح الدين، ارسل اليه اخاه المدعو الملك العادل وطرده من الرها وحران وشميشاط، واخذ منه ميافرقاط، واعطاه حمص وحماه، كما اعاد منطقة سيبيرك الى آل باغوساج، فخضعوا لقطب الدين صاحب آمد كالسابق .

في ٢٣ حزيران من تلك السنة، حدث كسوف، فاخفى اكثر من نصف الشمس، وشوهت حولها الكواكب، والى جانبها القمر .

سنة ١٥٠٠ حكم ملطية ابن السلطان المدعو قيصر شاه معز الدين. وفي هذه الاثناء اندفع ملوك وجيوش الافرنج بغيرة عارمة، وارسلوا امامهم جماعات من مختلف الشعوب واللغات، لا تفهم جماعة لغة الاخرى، فحاصروا عكا في غياب الملك، ورافقهم اساقفتهم وكهنتهم مع الخيم المتخذة كنائس، فألب صلاح الدين جيشاً عرمرماً من المسلمين. فتقدم الجيشان حتى اصبح بوسع الواحد أن يرى الآخر. ولم يكن بوسع الافرنج احتلال المدينة لوجود نحو ٦٠ الف مقاتل داخلها، كما لم يستطع صلاح الدين التصدي لجيش الافرنج او حتى ابعادهم عن المدينة، فبنى الافرنج بيوتاً وكنائس واربعة آلاف حي .

جاء ملك الالمان وقاتل اليونان في القسطنطينية فاخضعهم، ثم تحولوا الى ايقونية، وهناك تصدى لهم الاتراك بقيادة ابن السلطان، لكنهم هزموا، فتقدم الافرنج ودخلوا المدينة وقتلوا عدداً كبيراً، وفيها قتل ميخائيل المسمى بابا، ثم عقد السلطان صلحاً معهم، فاجتازوا الى باب قونية ومنها الى قيليقية حيث توفي ملك الالمان الشيخ غرقا في النهر، فنقل ابنه جثمانه الى انطاكية، ثم اتجهوا صوب عكا واحتلوها بعد معركة عنيفة وسقوط عدد غفير من كلا الجانبين قتلى، امتلأت الشوارع من جثثهم، فتولى الافرنج حكم عكا في مطلع تموز عام ١٥٠٢، وسلم الافرنج الى صلاح الدين، سكان المدينة من الاتراك الذين ظلوا على قيد الحياة، لقاء اطلاق اسرى الافرنج المعتقلين في دمشق. غير أن الشيطان قسى قلب صلاح الدين، فرفض تسليم ذوي السلطة من الاسرى، فغضب ملوك الافرنج وامروا بأبادة الاسرى الاتراك امام باب عكا. فقتل في ذلك اليوم ٢٥ الف شخص، وكدست جثثهم واحرقت امام باب عكا .

على أثر احتلال الافرنج عكا، ضعفت معنويات صلاح الدين، وندم كثيراً، وفي غمرة غضبه هدم مدينة يافا واسوار عسقلان لئلا يحتلها الافرنج. في حين تشجع الافرنج لاسيما بعد سيطرتهم على قيصرية،

فاعادوا بناء يافا ووضعوا فيها حامية، ثم بنوا اسوار عسقلان ووطنوا فيها جماعة منهم، فتحفز صلاح الدين وألب جيشاً ليتصدى به الافرنج، فخرجوا هم الآخرون من عكا ليجابهوا الاتراك. وبعد أن تأهب الطرفان للقتال، اذا بهم يتفقون على هدنة أمدها ثلاث سنوات، اعتباراً من تشرين الاول عام ١٥٠٤، ودفع صلاح الدين للافرنج تعويضات عن نفقات اعادة بناء سور عسقلان، وهدم الاسوار من اساسها، وغدت المدينة خالية خاوية. واقام الافرنج حاكماً في عكا يدعى هنري وهو ابن اخت ملك انكلترا، وعادوا الى بلادهم، واعاد صلاح الدين بناء اسوار القدس، باكثر متانة مما كان عليه .

عقد في هذه الاثناء، مجمع في دير مار برصوم، تقرر فيه حرم ابن ماسح واعلن ذلك في الكنائس.. شعرت في هذه الفترة، أن الله رد وجهه عني بسبب خطاياي، فلم اجد من يرضى أن يتسلم رعاية ابرشية ماردين المنكودة بسبب ارهاقها تحت الابعاء الثقيلة التي وضعها عليها الحاكم، فاضطرت أن ارسم لها معترفاً رهاوياً في دير مار برصوم، بحضور مار اثناسيوس اسقف القدس الذي كان قد نجا كما ينجو بعض الهشيم من النار، غير انه اعتذر عن الاشتراك برسامة ذلك المعترف البائس التي تمت في فترة كان الله قد تركني. فرحب به الجميع في بادئ الامر، لكنه طرد بعد ان ظهرت فيه صفات غير جديرة براعي الابرشية، فدخله لجنون الشياطين فجدد واراد ان يشهر اسلامه، فالتقى به بعض الخلقيدونيين من ملطية فتملقوه فذهب الى القسطنطينية وانضم اليهم، فعينوه اسقفاً لخلقيدوني ميافرقاط.

في هذه الاثناء، انجزنا بناء كنيسة في دير مار برصوم التي استغرق بناؤها ١٤ سنة، فقد بوشر بها سنة ١٤٩١ كما ذكرنا آنفاً وانجزت في هذه السنة ١٥٠٤ بنعمة الله وشفاعة القديس مار برصوم، واحتفلنا بتكريسها خلال انعقاد المجمع المقدس المنوه به اعلاه في حديثنا

عن ابن وهبون الذي توفي في هذه الفترة، وتم التكريس يوم الاحد السابق
لعيد العنصرة ١٥ حزيران، بحضور الاساقفة وجمع غفير .. في هذه
الثناء توفي جاثليق الارمن وآخرون كثيرون.

فصل

في وفاة كل من ملك الاتراك ميقرصلان سلطان بيثونية
قبادوقية وارمنيا الصغرى، وصلاح الدين سلطان مصر
والعربية وفلسطين وسورية. وغيرها من الاحداث التي
جرت في هذه الفترة

ذكرنا أن كريكور جاثليق الارمن في قيليقية توفي في تموز عام
١٥٠٤، فرسم الارمن ابن اخته الشاب المدعو هو الاخر كريكور والملقب
ديراسو .. وفي تلك السنة توفي ايضا همري بطريك الافرنج الانطاكي،
وقد حلت وفاته في حصن قوصير الذي يمتلكه، فنقلوا جثمانه ودفنوه في
الكنيسة الكبرى في انطاكية، وقد ترك ثروة طائلة جداً. واقاموا بدلاً منه
قساً شيخاً يدعى دنقل .

في هذه الاثناء، ارسل الينا مار ايوانيس بطريك الاسكندرية
ومصر، الاسقف الشيخ بطرس، وهو رجل عالم ودمث، حاملاً الينا رسالة
باللغة القبطية والعربية، تفيض ايماناً ووداعة ومحبة خالصة .. عندما
بدأت حروب التركمان عام ١٠٩٦ بدأت معها ضربات الغضب وتكررت.
فقد كثرت المجاعات القاسية، حتى أكل الناس لحم الموتى ومختلف أنواع
النفائيات، وباع الكثيرون أولادهم. فبيع مثلاً في منطقة شبختان وحدها
دون سائر المناطق الاخرى، نحو ٢٢ الف طفل وطفلة على أقل تقدير،
وسيقوا عبيداً الى بابل. كما استمر الجراد حتى هذه السنة (١٥٠٦) يفتك
بالزروع والكروم من حدود مصر وحتى ايبيريا، ومن فارس حتى بحر
البنطس. وارتفع سعر كيل الحنطة من النوع الكبير، في ملطية الى ١٦

دينارا سلطانيا .. وفي سنة ١٥٠٦ نفسها، منع الملك العادل صاحب الرها
قرع الاجراس في كنائس الرها، فامتعض المسيحيون جدا. رحماك اللهم .

على اثر اعتداء اولاده عليه، اخذ ميغريصلان يتنقل من بيت الى
بيت، فتحمس له ابناء قونية واتوا به واجلسوه على كرسيه، فيما كان ابنه
الكبير يحكم انسرا (لعلها انقر)، فحشد ذلك الشيخ جيشاً وذهب لمحاربة
ابنه، لكنه مرض وعاد الى قونية فتوفي في الطريق، وكان يرافقه احد
اولاده الصغار، الذي ضم جنمان والده الى اجداده وتولى الحكم في قونية.
لقد حكم السلطان ميغريصلان بنجاح باهر مدة ٣٨ سنة، وورثه اولاده
الاثناعشر .. وعام ١٥٠٤ توفي صلاح الدين في دمشق، وانجب ٢٣
ولدا، وعهد بالرئاسة قبل وفاته لابنه الاكبر ووضعته في دمشق، وولى
الابن الثاني على مصر والثالث على حلب، ومنح هؤلاء الثلاثة لقب
«سلطان»، وأعطى لكل واحد من الآخرين منطقة معينة، كما منح لقب
«سلطان» لاخيه الملك العادل واعطاه حران والرها وميافرقاط وشميشاط
وقلعة جوبر وكرخ وشيخ .

تحالف صاحب الموصل مع اخويه اللذين في سنجار والجزيرة،
وانضم اليهم صاحب ماردين، فتقدموا نحو حران لمحاربة الملك العادل
والاستيلاء على مناطقه. فحشد جيشاً هو الآخر وتصدى لهم. وفجأه
مرض صاحب الموصل وعاد، وتشتت الذين معه، فانترع منهم الملك
العادل، الرقة وحابورا وحاصر نصيبين، فاستسلموا له خوفاً، كما سبقوا
واستسلموا لاخيه، فأعاد لهم حابورا وتم الوفاق بينهم. ثم توجه ليحتل
ارمنيا، لكنه عاد خائبا .. ولما توفي عز الدين صاحب الموصل، خلفه ابنه
نور الدين .

لقد اذاق لبون حاكم قيليقية، فرنيز حاكم انطاكية، عذاباً اليماً
انتقاماً لما فعله فرنيز باخيه رافان، حتى وصل القاضي هرار عكا والتمس

العفو عنه فعاد الى انطاكية. وبعد وفاة السلطان، سيطر لبون على ٧٢ قلعة رومانية، اخذ بعضها من الاتراك والبعض الآخر من اليونان. وكان النصر حليفه في جميع معاركه مع الاتراك. الامر الذي حفز اولاد السلطان الى اللجوء اليه. وفي كانون عام ١٥٠٦ شخص اليه مالك صاحب ابلستين وقدم له الخضوع، ثم توجه لبون بدوره الى صاحب قيصرية وانتصر عليه وانتزع منه حصناً بالقرب من قيصرية .. توجه الملك العزيز سلطان مصر الى دمشق لمحاربة أخيه، فجاء عمهما صاحب الرها لمصالحتهما .

بعد الدمار الذي حل بالقدس، غادرها أخي المطران اثناسيوس وجاء عندي الى دير مار برصوم، فارسلته نائباً لي الى أبرشية انطاكية فاستقبلوه كملاك واکرموه جداً، ليس شعبنا القليل العدد فحسب، بل الافرنج والارمن ايضاً. وبعد أن أمضى في رعاية المدينة سنتين، وافاه الاجل بأمر الله، على اثر مرض، وذلك يوم الخميس ٢١ تشرين الاول سنة ١٥٠٤، واودع جثمانه في دير داود الى جانب ضريح البطريرك مار يوحنا. ليرحمه الرب الاله، ويرحم كل من يصلي من أجله .

رسم للقدس اغناطيوس سهدا رئيس الدير .. في كانون، توفي ديونيسيوس اسقف ملطية وخلفه ايوانيس بن قانون اسقف قليسورا .. في تشرين عام ١٥٠٥ جاءنا الى دير مار برصوم المفريان غريغوريوس، يرافقه اربعة من اساقفته، وثبتوا تعهدهم الشرعي لابيهم الروحي. وبعد عودتهم الى كراسيهم، حرك الشيطان ابن ماسح مرة أخرى، فوشى بالمفريان لدى الحاكم مدعياً انه هرب ولن يعود ابداً. فلما عاد والاساقفة خزي واحتقره الشعب المؤمن، في حين استقبل المفريان بترحاب بالغ من قبل الحاكم والشعب. وكان ذلك عام ١٥٠٦ .. لقد ارسل لبون حاكم قيليقية من يسرق القلعة الرومانية ويصحب الجائليق الشاب، وبعد فحص اعماله، عزله الاساقفة الارمن، فوضعه لبون في حصن جوبدرا تحت

الحراسة، فحاول ذلك الشقي الهروب، لكن صخرة سقطت عليه فمات،
ولحق بالارمن العار. ثم رسموا لهم ابيراد ابن عم الشيخ، جاثليقا، ودُعي
هو الآخر كريكور.

نكتب بنعمة الله عن ممالك الاراميين القديمة، أي بني آرام
الذين سُموا سرياناً أي ابناء سورية. وقد جمعنا عنها شهادات
صادقة من كتب راعت الدقة

يعتمد اوسابيوس الخبير بالشؤون التاريخية، على الكسندر
فولسطور وابودينوس وغيرهما من الكلدانيين، في وضعه جدول تسلسل
الملوك من آدم حتى الطوفان الذي حدث في ايام نوح، فهو يحصي عشرة
ملوك خلف الواحد الآخر، وقد اتينا على ذكرهم في كتابنا هذا مع عدد
سني كل منهم، وهم: الورؤس، ١٠ «سارو»، الومفروس ٣ «سارو»،
الميلون ١٣ «سارو» اماغلاروس ٨. دونوكس ١٢. اوادوبركوس ١٠.
أمامون ٨. امافاسينوس ٨. اوطراطيوس ١٠. كسيسوتروس ٨. ويسمى
هؤلاء كلدانا .

وبعد الطوفان قام اريوكوس الكلداني، وبعده كومسكيلوس. كما انه
يشير الى قيام ٢٦ ملكاً منذ عهد كسيسوترس الذي فيه حدث الطوفان،
حتى عهد ملوك الماديين الذين سيطروا على بابل، وذلك استناداً الى
شهادات كتب فولسطور وابودينوس حيث يقول: أن فولسطور يذكر كل
واحد منهم مع عدد سنيه، ثم يستطرد قائلاً: بعد أن اضمحلت دولة
الكلدانيين، حكم ٢١ ملكاً مادياً على التوالي. ويتابع: ومن ثم تولى الحكم
٤٠ ملكاً كلدانياً، وهو يدرج اسماءهم وسني حكمهم. ولما قضى
الآشوريون على مملكة الكلدانيين هذه في عهد شميرام، توالى الملوك حتى
بلغ عددهم ٤٦. ثم قام ملك كلداني يدعى فولوس وتسميه الكتب العبرية
بول، وهو الذي جاء الى اليهودية. ثم جاء سنحريب بحسب ما يذكر
فولسطور، وهو نفسه الذي يذكره اشعيا النبي بقوله «وكان في السنة
الرابعة عشرة للملك حزقيا، أن سنحريب ملك آشور صعد على كل مدن

يهودا الحصينة واخذها، ٣٦». ثم يستطرد في الحديث عن ربشاقى الذي ارسله سنحريب الى القدس، حتى يقول «فقال الياقيم وشينه ويواخ لربشاقى. كلم عبيدك بالارامى لاننا نفهمه ولا تكلمنا باليهودى» .

فمن هذه الشهادات الكتابية، ومن اللغة الارامية، يتضح أن ملوك الكلدانيين والآشوريين كانوا آراميين. أما لماذا دُعا كلدانا، وكيف سُموا آشوريين؟ فنستطيع أن ندرك ذلك من كتب فولسطور وابودنيوس الذين يعتمدهما يوسيفوس العبرى، والتي اقتبس منها اوسابيوس فوليقيلوس اسقف قيصرية، الذي يقول لدى حديثه عن مواليد ابناء نوح الثلاثة «ولد لسام» الابن الثالث لنوح، خمسة بنين سكنوا آسيا التي تمتد من نهر قرطيس حتى بحر اسيانوس في الهند. فأعطي عيلام للعيلاميين وهم أصل الفرس، واسكن آشور مدينة نينوى، وسمى اتباعه آشوريين، ودعا اولاد ارفكشاد، ارفكشاديين، وسيطر الآراميون على ارض ارام وهم الذين يسميهم اليونان سرياناً. ومنهم عوص الذي شيد طركونه ودمشق مابين فلسطين وسورية الداخلية، ودُعي جميعهم كلداناً، وآشوريين مذ سكن آشور نينوى .

لقد كتب يوسيفوس المؤرخ اليهودي مايتفق وكتابا اوسابيوس، فهو يدعو آشور «اسور» بحسب اللهجة اليونانية، فيقول: اسور، ومنه الاسوريون، بنى نينوى. وعن الكلدان يقول: «الذين منهم الاسوريون والاراميون، أي السريان». وبعد حديث طويل يقول يوسيفوس: هكذا يلفظ اليونان الهيلينيون هذه الاسماء من اجل جمالية اللفظ وليس مثلنا نحن العبرانيين. وان صيغة الاسماء عندهم تختلف عما هي عليه في لغتنا، اذ ليس لهم سوى صيغة واحدة للاسماء تنتهي جميعها الى شكل واحد، مثال ذلك نوح، فهم يلفظون نونوس، وهذه الصيغة تشمل كافة الاسماء لدى اليونان .

واستناداً الى مثل هذه الشهادات الواردة في الكتب الموثوق بها، نستطيع أن نعرف، أن أسماء جميع الملوك الذين قاموا في هذه المنطقة من كلدان واشوريين هي سريانية، وقد غيرها اليونان الذين سيطروا فيما بعد على آسيا. وفي وقت مناسب، سنتحدث عن فقدان الاسماء السريانية من الاسفار الالهية .

ولترجعن الآن الى عهد سنحريب لنرى ما الذي كتب عنه. يقول الكسندر فولسطور عن سنحريب ونبوخذنصر مايلي: «لقد خلف سنحريب بول اخاه، فجاء بعزم الى بابل وانتصر عليها واصطادسرنيليبوس حيا وارسله الى آشور. ولما سيطر على البابليين، سلط ابنه اسور دنيسوس عليهم فاباد معظمهم، واقام له تمثالا هناك تذكارا لانتصاره، ودون الاحداث باللغة الكلدانية، وبنى مدينة طرسوس على طراز بابل وسماها ترشيش، وعاش ١٨ سنة بعد عودته الى بلاده، حيث قتله ابنه وتولى الحكم مدة ٨ سنوات، وخلفه ساموغيوس لمدة ٢١ سنة، ثم اخوه ٢١ سنة ايضا، ثم حكم نبوخذنصر مدة ٢٠ سنة، وخلفه بوندونو سورس. وأن مجموع السنين من سنحريب حتى نبوخذنصر ٨٨ سنة. يقول يوسيفوس: اذا بحثت في كتبنا العبرية بامكانك أن تجد اخبار الفترة ما بين حزقيا ويوياقيم الذي غزاه نبوخذنصر. ويقول عن نبوخذنصر مستشهدا بكتاب قديم: لما سمع ابو بلاصر والد نبوخذنصر بأن سطرفيس الذي كان يتولى الحكم على مصر وسورية وفينيقية قد تمرد، ولم يكن بامكانه أن يقاتل، اوعز الى ابنه نبوخذنصر البالغ ملء القامة، فجمع شتات جيش وارسله الى المتمردين فقبض عليه، واعاد تلك البلدان تحت سيطرته. وفي غمرة هذه الاحداث، مرض والده وفارق الحياة بعد حكم استغرق ٢١ سنة، ولما علم نبوخذنصر بذلك، نظم الامور في سورية ومصر ويهوذا وفينيقية وامر بسوق المسيبين الى بابل، واسرع الى البرية مع نفر قليل وتدارك الامور التي يديرها الكلدانيون، وبعد تسلمه زمام الحكم أمر باسكان المسيبين، وزين هيكل بيل من غنائم الحرب، وجمل المدينة القديمة وتلك

التي اضافها اليها حديثاً، وبنى ثلاثة اسوار عالية للمدينة الداخلية وثلاثة للحديثة من اللبن المشوي والكلس، لمنع المقاتلين، مواطنين كانوا ام غرباء من فتح مياه النهر اليها، وحصنها باحكام وزخرف مداخلها، واطاف الى القصور الملكية قصوراً اخرى، يطول الشرح لو اردنا أن نتحدث عن ارتفاعها وجمالها. وسحب رافد أرمفليس من نهر الفرات، وحفر بحيرة محيطها ٤٠ ذراعاً، وعمقها ٢٠ باعاً، وجعل لها بوابة لسقي السهول. كما سحب قناة من البحر الاحمر. وبنى مدينة طرايدون في مدخل العربية، وجعل القصر الملكي بالاشجار والحدائق التي اعتبرت احدى عجائب الدنيا السبع.

وبعد حديث مطول يقول: لقد بدأ بنوخذنصر اقوى من هرقل. فقد غزا بلاد النوبة وايبيريا ودمرها، وجلا اهل الجنوب عن طريق البحر، وقال متباهياً: «اليست هذه هي بابل العظيمة التي ابتيتها لمجدي» كما جاء في سفر دانيال. ويقول الكلدانيون: لما صعد الى القصر الملكي أمسك به أحد الآلهة. فقال: ايها البابليون ها اني اخبركم، أنا بنوخذنص، بما سيلحق بكم من ذل. وقد اعتبروا الشيطان الذي دخله ألهة .

نكتفي بهذا القدر اليسير من كتاب فولسטר ويوسيفوس لئلا ندخل في متاهات. لان هدفنا هو اظهار أن الدولة التي كانت تستعمل لغتنا وكتابتنا امتدت حتى عهد كورش الفارسي. واليهما يشير ديونيسيوس التلمحري بقوله: لقد تنازع الاخوان قورس وقيليكوس في اثناء غربة بني اسرائيل في مصر، فرحل قيليكوس الى المنطقة التي داخل الجبل المعروف اليوم «بالاسود»، وباسمه دعيت قيليقية. ومكث قورس في المنطقة الواقعة غربي الفرات، وباسمه دعيت سورية، وقسمت على العديدين، وقام فيها عدة ملوك يلقبون بالملوك السوريين، حتى أن ملوك الرومان دُعوا هم الآخرون سوريين. فقد جاء في الترجمة السبعينية، أن هدد ملك السريان سيطر على السامرة، وأن عبيد ملك السريان قالوا

لسيدهم: أن آله اسرائيل هو آله الجبال. وقال ملك اسرائيل لعبيده، أما تعلمون أن جلعاد هي لنا ونحن لا نحرك ساكنا لاعادتها من ملك السريان؟ فمن هنا يبدو أن سورية تقع في الغرب من الفرات، وأن كل الذين يتكلمون لغتنا الارامية يسمون سريانا لانهم جزء فقط. اما الباقون فقد استوطنوا الى الشرق من الفرات، اي في شاطئ الفرات حتى فارس .

قام في هذه المنطقة عدة ملوك. ففي اثور قام بيل ونيونوس وعقبهم آخرون، وفي بابل، نبوخذنصر الذي تكلم اللغة الارامية مع السحرة الذين استقدمهم ليفسروا الحلم. وفي الرها قام ملوك من آل أبجر، ومن العرب الملوك الذين من آل سنطروق. لقد نوهنا بهذا لنبرهن على أن سكان غربي الفرات يدعون سريانا رسمياً، وأن الرها هي أصل اللغة، وأن لاصحة لادعاء بعضهم بعدم قيام ملوك من هذا الشعب. فقد ظهر أن ملوك الكلدانيين والاشوريين كانوا من هذا الشعب الذي دعي «الشعب السرياني» ومجموعهم ١٩٤ عشرة منهم قبل الطوفان، و٧٦ بعد الطوفان، و٤٠ ملكاً بعد الماديين، ومن نينوى ٤٥، وقام بعد الفرس ٢٣ من آل سنحريب ونبوخذنصر. بعد أن جمعنا هذه الاسماء من الكتب بقدر المستطاع، علينا أن نوضح الآن سبب غياب هذه الاسماء من كتابنا هذا. وودونك ذلك .

لقد قضت دولة الفرس التي اسسها كورش على الدول السابقة، ثم دالت هي الاخرى على أثر مصرع داريوس من قبل الاسكندر. وكانت شعوب آسيا قد خضعت للفرس طيلة فترة حكمهم الذي امتد ٢٣١ سنة، ثم اضاف الاسكندر فترة آل سلوقس وانطيوخس الذين لقبوا بملوك سورية والتي امتدت ٢٢٠ سنة، حتى قيام مملكة الروم في غايوس واغسطس. وفي هذه الحقبة اشرق المخلص يسوع ابن الله. وبذلك يكون الملوك قد انقرضوا من شعبنا مدة ٥٠٠ سنة. ولما انتشر تعليم الانجيل وتلقفه هذا الشعب بلهفة، نبذوا كافة الكتب الواردة فيها اسماء ملوكهم الاولين،

واحرقوا، بدافع الغيرة الالهية، تلك الكتب المتضمنة اخبار هؤلاء الملوك والتي كانت متداخلة مع جداول اسماء الملوك الاخرين في جداول فترات حكمهم، او واردة في بعض قصص وثيتهم الشيطانية. لذا غضوا الطرف عنها كما يغض المرء وجهه عن رائحة كريهة واحرقوها بالنار لئلا يتذكرها ابناؤهم والاجيال اللاحقة. يذكرنا بهذا سفر اعمال الرسل القديسين بقوله: «كان الذين يؤمنون، يأتون بكتب ابائهم التي كانت اثمانها باهظة ويحرقونها امام أرجل الرسل» (١٩) وقد فعلوا هذا في عدة اماكن ولعدة اجيال بعد اشراق المخلص، حيث اعتاد الاباء أن يحرقوا كل ورقة فيها ذكر للوثنية واخبار عن الهتها. وهذا سبب غياب اسماء الملوك الوثنيين من كتبنا، قد اتبع اباؤنا المسيح الاله وكفروا بضلال الوثنية. وهذا ايضا ما جعلهم أن يعتبروا قسطنطين الظافر اول ملك مسيحي، لانه آمن واعتمد باسم المسيح، ومن ثم الملوك المؤمنون الارثوذكس الذين جاءوا بعده. اما الذين انحرفوا عن الارثوذكس فاعتبروا دخلاء. وبناءً عليه، نحن لا نفتخر بدولة علمانية، بل بمملكة المسيح التي ليست من هذا العالم.

كتبت هذا ردا على اليونان المتعجرفين المتبجحين الذين اذ رأوا ان ابائنا القديسين قد ابتعدوا عنهم لابتعادهم عن المسيح، حاولوا أن يغروا بالبسطاء بثرثرتهم وهذيانهم، وقولهم بعدم قيام ملك من شعبنا، وهم يعتبروننا منفصلين عنهم لعدم وجود رئيس لنا، وأن كل ما يوجد هنا اقتبسناه من كتبهم لكونهم لم ينبذوا الوثنية بصورة تامة. ويشهد القديس غريغوريوس اللاهوتي، بانهم اقتبسوا سير آبائهم الوثنيين من تلك الكتب. وقد برهن اوسابيوس من كتبهم على صحة ما كتبنا، كما أيد يعقوب الرهاوي، بانهم استناداً الى كتبهم، قيام ممالك قوية من هذا الشعب، قهرت كل ممالك ذلك الزمان. واليوم، في الوقت الذي ننبذ ضلالهم، نتمسك بالمسيح ملك الكل، ونسأله أن يشمل بالنعمة البطريك ميخائيل جامع هذا الكتاب، ويرحم كل من يقرأ او ينسخ، ويذكرني بالصلاة ولتقبل هو الآخر نعمة ربنا وغفران الذنوب آمين .

نُدرج ادناه اسماء الملوك ورؤساء الكهنة الارمن، كما هي مدونة في كتبهم

بعد المبشرين برثلماوس وادي، قام على التوالي: كريكور ٣٠
سنة، رسطاباس سنة واحدة، ساهاك ٥ سنوات، زافين ٦ سنوات،
اسفرجس، ساهاك بالهب ٥ سنوات، سورماك سنة واحدة، ففوان ٦
سنوات، صموئيل ١٠ سنوات، موسى ٨ سنوات، ساهاك ٥ سنوات،
خسروف ٦ سنوات، لابون ٣ سنوات، نرسس ٩ سنوات، اوهانيس ١٧
سنة، موكسس ٣٠ سنة، ابرهام ٢٣ سنة، اوهان ٢٦ سنة، جوميداس ٨
سنوات، خريسطفور ٣ سنوات، ازار ١٠ سنوات، نرسييس ٥ سنوات،
انسطاس ٦ سنوات، انائيل ١٠ سنوات، ساهاك ١٧ سنة، اجيا ١٣ سنة،
ابهانس امانازسر ١١ سنة، تافيت ١٣ سنة، درتاد ٢٣ سنة، سيون ٨
سنوات .

أن الرب ولد في بيت لحم في السنة الاولى لابجر بن ارشم الملك،
وهي السنة الـ ٤٣ لاغسطس، والـ ٣٣ لهيرودس، واعتمد في الثلاثين من
عمره، وتآلم وهو وهو ابن ٣٣ سنة، واذ علم ابجر بسر الآمه، ارسل اليه
حنانيا فهوني، يرافقه عشرة آخرون، ولدى وصوله الى القدس التقى
بفيلبس احد التلاميذ فشرح له سبب مجيئه فقصة لاندراوس، وكلاهما
نقلاه الى يسوع. وقد كتب يوحنا أن أناساً جاءوا الى القدس يطلبون أن يروا
يسوع، فاخبر اندراوس وفيلبس يسوع، فاجابهما يسوع قائلاً: «قد أتت
الساعة ليتمجد ابن الانسان»، فهو يدعو الالام والصلب الذي به صار
الخلاص للبشر، مجداً. ولم يشأ أن يذهب الى ارمنيا، لكنه رحب بحنانيا
فهوني رسول ابجر، واوعز الى توما الرسول ليكتب جواباً لابجر، ووعد
بارسال احد تلاميذه اليه بعد قيامته ليشفيه .

لقد سبق زكريا النبي ورأى هذا السر بعين النبوة، فأشار الى رسول ابجر والرجال العشرة الذين ارسلهم معه عند الرب بقوله « في تلك الايام يمسك عشرة رجال من جميع السنة الامم، يتمسكون بذيل رجل يهودي قائلين نذهب ... ٨ ». عاش ابجر بعد الام الرب خمس سنوات. وأن مجمل فترة حكمه ٣٨ سنة، وتولى الحكم بعد ابجر ابن خاله سنطروق مؤسس نصيبين مدينة بين النهرين على نهر الفرات، وبعد انجازها امر أن يضع له تمثال ويوضع على سورها، وهو يمسك بيده درهما اشارة الى أنه لم يبق له بعد بنائها سوى درهم واحد. وهو الذي قتل الرسول تداوس في منطقة ادار. بعد سنطروق تولى الحكم اربند من نفس العشيرة وهو ابن ارسجوني من امرأة غير شرعية، وقد حكم ٢٠ سنة. وهو الذي قتل سنطروق، وبتحريك من الله، انتقاماً لدم أحد الرسل .

أن شخصاً يدعى كيد بكردوني أخذ صبياً من آل سنطروق يدعى ارشوك وهرب عند نارش ملك الفرس، وقدمه اليه، باعتباره ابن سنطروق، الذي نجا بعد مقتل اخوته، فتوَج الصبي واعطي كيد سبعين الف مسلح وارسله لمحاربة اربند، فقتله واخذ تاج سنطروق ووضع على رأس ابن ارشوك. ودعوا ذلك المكان اربند ابند. وفي السنة العاشرة لاربند هذا، خربت اورشليم على يد وسبسيانس. وبعد اربند حكم ارشوك مدة ٤٠ سنة، وكان قد تزوج ابنة ملك الالبيين، وقد رافقها القديس سيباسينوس، حيث كان قد آمن واعتمد على يد سفياس تلميذ تداوس الرسول. وفي ايامه ظهر قديسون يعرفون بـ «بازاك» من آكلي العشب، ونال جميعهم اكليل الشهادة. بعد ارشوك حكم ابنه ادرسبد مدة سنتين، الذي يثرثر الارمن حوله كثيراً. من ذلك قولهم: أن جبابرة يعرفون بـ «كاشير» اخذوه الى جبل ماسيس وكبلوه بالسلاسل، وحاول التخلص منها ليعبث في الارض فساداً، لكن سلاسله كانت تتجدد بضربات مطارق الصياغ فيتعذر عليه الافلات. بعضهم بقولهم عنه: بينما كان يسير على جسر ارسك تعثر وسقط ولم يعثر على جثته، فاشاعوا انه مازال حيا حتى

اليوم. وخلفه اخوه طيرد مدة ١٧ سنة، فاخوه الآخر ديكران ٤٥ سنة،
وخلفه ابنه بفرش ١٨ سنة، ثم ابنه كسرى ٤٨ سنة، وقد قتله اردشير ملك
الفرس وتولى حكم الارمن مدة ٢٦ سنة. وبعد الفرس تولى الحكم درتاد
بن خسروف ٥٦ سنة. وفي سنته الـ ١٦ وهي السنة الـ ٢٠ لدومطيانس،
والسنة ٤٦٠ لآلام المخلص، خرج القديس غريغوزريس من بيراب وبشر
الارمن مدة ٣٠ سنة وانتقل الى الرب. وخلفه ابنه الصغير رسداكس الذي
بنى كنيسة اجيا صوفيا الكبرى في كاكج كويزان، لكنه قتل من قبل زعيم
يدعى اربغابوس لانه كان ينتقد اعماله الشريرة. ثم قام براتنس الابن
الاكبر لغريغوريوس مدة ١٧ سنة، ناصبته العدااء امرأة تدعى ساتال
ديغناس ديجين لتوبيخه اياها .

بعد درتاد حكم ابنه الصغير خسروف ٢٠ سنة، وبنى مدينة في
سفح جبل يدعى كاجم على نهر ازاد وسماها باللغة الفارسية تبين اي
فلار. وفي سنته الـ ١٦ رسم حفيده من ابنته، اوسيج جاثليقا للارمن ٦
سنوات، وخلف خسروف ابنه ديران ١٥ سنة، وحيث أن الجاثليق اوسيج
كان يوبخه، امر بجلده حتى فارق الحياة، ولما سمع الخوري دانيال احد
تلامذة غريغوريوس، لعن الملك وكل ما يملك، فأمر الملك الخبيث بحرقه،
ثم رسم فريرسا وهو رجل هادئ ووديع جاثليقا، وبعد اربع سنوات قتله
الملك. واخيراً قبض ملك الفرس على ديران وسمل عينيه، وهكذا اسلمه
الرب بيد اعدائه نظراً الى شره، لقتله جاثليقين وتحطيمه الارمن .

تولى الحكم بعد ديران، ابنه ارشك ٣٠ سنة وهو الذي قتل ابن
اخيه كنال بسبب امرأة تدعى فرنازيم. وفي سنته الرابعة رسم للارمن
جاثليقا هو ابن اثابينا بن اوسيج بن غريغوريوس. جلس على الكرسي
٣٤ سنة، ولعن الملك ارشك لقتله ابن أخيه واخذه زوجته، كما لعن
العنصر الامني لكي لا يقوم منه ملك. واحتجاجاً على ذلك ترك كرسية
ورحل الى بلاد اليونان. ثم دعا ملك الفرس ارشك. ملك الارمن، فلما

ذهب كبله بالاغلال واعتقله، فانتحر ارشك هناك بحسب بنوّه الجاثليق نرسييس، فعين ملك الفرس شخصاً فارسياً يدعى مهرجان رئيساً ارمنياً، فالتمس الجاثليق نرسييس من ثاودورسيوس الكبير ملك الروم، فاعطاه جيش ارشك المعتقل فقاده ابنه اباي وانتصر على مهرجان وتولى الحكم مدة ٧ سنوات .

في هذه الفترة بنى ثاودورسيوس مدينة في ارمنيا بواسطة انطوليوس قائد جيش الروم الذي رافق اباي وسمى المدينة كارنو كاجاخ، ثم اعطاها اسم الملك فدعيت ثاودورسيوبوليس. لقد سلك اباي سلوك والده الشرير، ولم يحجم الجاثليق نرسييس عن توبيخه، فخشي أن يلعنه كما لعن والده ويضطر للرحيل عند اليونان. فقتله مسموماً، فحرم باسيليوس الكبير اباي وقرر عدم رسامة جاثليق للارمن من كرسي قيصرية. لان جثالقة الارمن كانوا يرسمون حتى ذلك الحين من ابرشية قيصرية. وقد لاحقت لعنات باسيليوس اباي كالسهام. فقبض عليه انطوليوس وذهب به الى الملك ثاودورسيوس فأمر بطرحه في البحر كما قال موبسس برتاجاهير (ذو الكلام المنصف). وتولى الحكم بعد اباي بارزطن ارشاكونيان ١٠ سنوات. وكانت توليته بأمر الملك ثاودورسيوس حيث كان رهينة لدى الروم .. في هذه الفترة رسم ساهاك جاثليقاً للارمن دون أذن مطران قيصرية. وخدم ٦ سنوات، ثم خلفه اخوه زافن وخدم هو الآخر ٦ سنوات، وخلفه اسيفوراج ٥ سنوات .

بعد فاراستاد، تولى الحكم ابنا اباي، ارشك وباجرشك ثم حكم خسروف ارشكوني بأمر ملك الفرس، لان الارمن تمردوا على الروم مرة اخرى، وامتد حكمه ١٠ سنوات. وفي سنته الثانية، ارتسم للارمن جاثليق ساهاك بن نرسييس الكبير لمدة ٤١ سنة. بعد خسروف، تولى الحكم فرشابوه بأمر ملك الفرس ٢٢ سنة. وفي عهده تمكن الارمن من تهذيب خطهم بواسطة الطوباوي مسروب من قرية هاسجاس من منطقة طارون،

ففسخت به الكتب من قبل ساهاك، وخلف فرشابوه ابنه اردشير ١٠ سنوات، واذ كان سلوكه شائنا، اجتمع زعماء الارمن لدى الجاثليق ساهاك وطلبوا اليه أن يرافقهم الى ملك الفرس لكي يخلعوا ملكهم ويقيموا آخر، فرفض قائلاً: حاشاي أن اسلم غصن المسيح بيد ذئب لا آله له، فغضبوا عليه ايضاً وتوجهوا الى فرشابوه ملك الفرس ووشوا بملكهم وجاثليقهم، فقبض على اردشير واعتقله وارسله الى كوجصطن، وعزل ساهاك من الجثليقة. وبناء على طلب زعماء الارمن اقيم لهم رجل سرياني يعقوبي يدعى ابتيعا، مكار مخادع لم يدم سوى سنة واحدة، فخلفه صموئيل مز العنصر نفسه وتوفي بعد سنتين، ثم قام شخص أرمني يدعى سورماك انضم الى الزعماء في الوشاية ضد الطوباوي ساهاك، وهو الآخر اقيم بأمر ملك الفرس وتوفي بعد ٧ سنوات، كما توفي ساهاك أيضاً في قرية اشدشا بمنطقة طارون، وتوفي كذلك الملك خسروف. ثم اقام لهم الارمن شخصاً يدعى سبرابير، وكان اسمه ورطان من آل ماميكون، وهو حفيد القديس ساهاك .

جاء في سيرة الملفان اليشاع أن الارمن كانوا يخضعون للفرس احياناً، وحياناً أخرى يتمردون عليهم، كما سبق وتمردوا على الروم. اما ورطان فسار مع زعماء الارمن بالمحبة والوفاق مدة ٣٠ سنة، واستشهد في سبيل الكنيسة على يد جيش الفرس. وفي عهده رسم للارمن الجاثليق يوسف احد تلامذة مسروب الشهيد ولمدة ٨ سنوات، ثم خلفه كيد ١٠ سنوات، وفي ايامه اشتهر في الشعب الارمني كل من العلماء. موسيس بن تاكوهي واخيه ممسيرا بزنوك، والفيلسوف تافيت. وخلفه اوهان منكوني ٦ سنوات وهو الذي وضع طقوساً كثيرة في الكنيسة الارمنية، كالمواعظ التي تتلى خلال صلاة النهار والمساء، وطقس العماد وطقس رسامة الاساقفة والكهنة والشمامسة، وتقديس الكنيسة، وطقس الاستعداد لتقديم القربان. وفي ايامه عقد مجمع خلقيدونية فلم يوافق عليه. ثم قام فافكن ٦ سنوات .

خلف القاضي ورتان ابنه منغانوس ٢٠ سنة، فخلفه ابنه فاهان ١٥ سنة ثم ابنة أخيه ١٢ سنة، ثم مكاكبوني ٣٠ سنة. وفي السنة العاشرة وهي السنة ٧١٠ يونانية، والسابعة لفيلبس قيصر، والـ ١٤ ليوسطنيان الذي شيد كنيسة اجياصوفيا الكبرى، والسنة ٢٥٨ لغريفوريوس المنور الارمن وضع تاريخا للارمن .

ثم قام الجاثليق صموئيل ١٠ سنوات، وخلفه موس ٨ سنوات، ثم ساهاك ٥ سنوات، ثم الفيلسوف خريسطفور ٦ سنوات، ثم ليون ٣ سنوات، ثم نرسييس ٩ سنوات، وهو الذي عقد مجمعا في سنته الرابعة في تبين وترأسه كل من بطرس ايسيونياس، فرشابوه، سرايبون، اكتيكو، وساناسون. وفي نفس الفترة عقد السريان مجمعا في ما بين النهريين، وارسلوا الى مجمع الارمن وقداً مؤلفاً من سبعة رجال بارزين يحملون رسائل تتضمن تحديد الايمان الارثوذكسي بما في ذلك استعمال عبارة «يامن صلبت لاجلنا» بعد عبارة «قدوس انت الله». فلما اطلع عليها الارمن اتفقوا مع السريان وصارت عقيدتهم واحدة. وهذه اسماء الرجال الذين ارسلهم السريان: هرون كاهن الدير، تافيت كاهن الدير، مورديب، شافوريس، آكوب، ارستابوني، القس تافيت، القس سركييس. كما ارسلوا معهم صفي الله القديس ابديش ليرسموه كاهناً. وعربوناً للمحبة فقد رسمه نرسييس رئيس المجمع واعاده مكرماً ومحملاً بالهدايا، وحملوه رسالة تتضمن صورة ايمانهم. فلما اطلع عليها السريان فرحموا جدا، واتفق الجانبان على حرم مجمع خلقيدونية وطومس لاون .

بعد مكاكبوني تولى السلطة في فارس كابد بن بارز. وفي هذه الاثناء أرسل المرزبان الفارسي شخصا يدعى ارتتشابوه الى الارمن ليرغمهم على عبادة النار، وقتل الذين رفضوا، واستمر حكمه ٨ سنوات، ثم خلفه فارتاد، وهو فارسي ايضا، ٧ سنوات. ولما توفي كابد ملك الفرس، تولى الحكم ابنه خسروف وعين هو الآخر مرزبان من ابناء

جنسه الفارسي كان اكثر شراً من الاول، حيث كان يغتصب نساء زعماء الارمن امام ازواجهن، فغار ورتان بانسك الارمني وقتل الفارسي وهرب لدى يوسطنيان ملك اليونان، فرحب به، وحيث أن كنيسة اجياصوفيا كانت قيد التشييد في تلك الاثناء، اطلق اسم الارمن على أحد ابوابها ولا يزال حتى الان يدعى باب الارمن. ثم اختار الفرس ارمنيا من آل ساروني واقاموه رئيساً على الارمن. وفي سنته الـ ١٢ ظهر محمد بن عبد الله، وبه ابتدأت دولة العرب، وهي السنة الـ ٧٢ بالنسبة الى التقويم الارمني، لقد استمرت رئاسة تافيت على الارمن ٣٠ سنة، ثم خلفه تاودوسيوس رشيدباني ١٣ سنة .

رسم في هذا الوقت اوهانيس جاثليقاً ٢٧ سنة وخلفه موسى ٣٠ سنة، ابراهيم ١٣ سنة. وفي عهد قبل قيورون جاثليق الايبيريين مجمع خلقيدونية وانفصل الايبيريون عن الارمن .. في هذه الفترة هزم الفرس اليونان وسيطروا على مدينتي جاروباجك وجدرشي. ثم الجاثليق اوهان، لكن اسمه لا يدرج في الجدول لانحرافه الى الخلقيدونيين وطرده. ثم قام كوميداس ٨ سنوات الذي بنى استراحة الشهيدة هربسيمي، وجدد تلك التي كان قد بناها غريغوريوس، ثم خلفه خريسطوفور ٣ سنوات، وعزل لتسببه في نزاع بين الرزعماء، فخلفه ازاد ١٠ سنوات، وفي عهده اي في السنة ١٠٠ للتقويم الارمني، زالت سيطرة الفرس على الارمن، بسيطرة العرب على ارمنيا وايبيريا على يد عمر بن محمد. قام بعده نرسييس ٢٠ سنة. وقد بنى كنيسة مار غريغوريوس الكبرى في مدينة تشدي، ودعا قسطنطين ملك اليونان حفيد هرقل لحضور تقديسها. وحيث أن الملك لم يحترم الزعماء مثلما كانوا يتوقعون، نحووا الجاثليق نرسييس بعد مغادرة الملك بحجة أنه سمح بدخول خلقيدوني الى الكنيسة وتدنيسها. فلعن نرسييس زعماء الارمن وهرب الى بلاد الروم وتوفي هناك، فخلفه انسطاس ٦ سنوات. وفي عهده عمل الاستاذ انياني شيركاسي تقويماً للارمن، لانهم كانوا يستعملون تقويم اليونان حتى ذلك العهد. وبرز فيلون

ديراكسي الذي نقل كتاب سقراط من اللغة اليونانية الى الارمنية. قام بعده ايل ١٠ سنوات، وبعده ساهاك ٢٧ سنة وتوفي في حران فخلفه ايليا ١٣ سنة، ثم اوهانيس ١١ سنة، الذي عقد مجمعا في ماكيرد .

أما بالنسبة الى الرؤساء، فقام بعد ثاودورسيوس رثدوني، همازاب، جورابكد، ماميكون، وتم تعيينه من قبل العرب، وحكم ٢٦ سنة، ثم خلفه كريكور برديج ٢٠ سنة، ثم اشور بكروني ١٧ سنة، ثم نرسيس جمسراجن ٢٠ سنة، ثم كيد بكروني ٢٠ سنة، ثم اشود بكروني بن باساج ١٨ سنة، ثم ابنه كيد ١٢ سنة .

أما بالنسبة الى رؤساء الكهنة. فقد خلف اوهانيس الفيلسوف تافيت ١٣ سنة، ثم درتاد ٢٣ سنة، ودرتاد آخر... ثم سيمون ١٢ سنة، فاشعيا ١٣ سنة، ثم سدفنوس، سنتان، كيورك ٣ سنوات، يوسف ١٠ سنوات، زوباف ٦ أشهر، سليمان، سنتان، داود ٢٥ سنة، اوهانيس ٢٢ سنة، وفي عهده عين مامويج اميرا للارمن في السنة الرابعة للتقويم الارمني، ثم زكريا الرجل الطيب ٢٢ سنة، كيورك ٢١ سنة، مشدوز الذي تنسك منذ صباه، قضى في الجثيقة ٨ أشهر فقط، اوفانس ٢٩ سنة وفي عهده تولى الحكم في ارمنيا كيد ابن اشود الارمني، ثم خلفه ابنه اشود الملقب بـ «مساجير» اي آكل اللحم ٢٥ سنة. لقد اشترى بالمال منطقة ارشاجونيس من قبيلة جمسرخباس وغير نظام الحكم فيها، ثم تولى الحكم ابنه كيد المدعو ابلابس ٣٠ سنة. وكان في صباه قد أخذ رهينة الى السامرة في عهد اشدين وهمارا، وبعد أن تحرر، جاء وتولى الحكم في ارمنيا، ثم خلفه ابنه اشود ٢٠ سنة، بأمر عيس بن حشاك وبموافقة باسيل ملك اليونان، ثم خلفه ابنه كيد سنة ٣٣٩ بحسب التقويم الارمني، بايعاز من الامير احمد بن حشاك العيس وبامر لاون ملك اليونان، امض في الحكم ٢٢ سنة. وفي عهده وعهد والده اشود تمتعت ارمنيا بالاستقرار. وفي سنته الـ ٢٢ وهي ٣٦٨ بحسب التقويم الارمني، جاء الى ارمنيا

الامير يوسف بن بوشيج العربي على رأس جيش عرمرم، وتحالف معه ادوكرسا ملك اليونان وبخيچ رئيس بسيوراجين واشود بن شابوه، وحاصروا كيد في منطقة تدعى جابويد، ثم احتلها وصلب كيد وسبى الارمن، واستحقوا اللعنة التي نطق بها النبي بحق بني اسرائيل .

لقد عثرنا على هذه الاخبار في كتاب ارمني يبتدىء من سنة ميلاد المخلص بالجسد حتى سنة ٣٦٠ بحسب التقويم الارمني، التي فيها قُتل كيد وسيطر العرب. ومجملها ٩٧٠ سنة، ومنذئذ لم يقم لهم ملك .

أسماء ملوك الارمن وعدد سنين حكم كل منهم

- ١- ابجر ٣٨ سنة
- ٢- سنطروق ٣٠ سنة
- ٣- اركانء ٢٠ سنة
- ٤- اردشاس ٤٠ سنة
- ٥- ارطابست ٢ سنة
- ٦- ديران ١٧ سنة
- ٧- ديكران ٤٥ سنة
- ٨- باعزرش ١٨ سنة
- ٩- خسروف ٤٤ سنة
- ١٠- بارسيجس ١٦ سنة
- ١١- فوبرخسروف ٧ سنوات
- ١٢- درتاء ١٦ سنة
- ١٣- ديران ١٥ سنة
- ١٤- ارشاك ٣٠ سنة
- ١٥- بربي ١ سنة
- ١٦- براسءء ١٠ سنوات
- ١٧- ارشاك باجرشاك ٢٤ سنة
- ١٨- خسروف ١٠ سنوات
- ١٩- برمشابوءة ٢٢ سنة
- ٢٠- اردشيس ١٠ سنوات

الى هنا انتهى عهد الملوك وقام رؤساء عرفوا بـ «المدبرين»

٢١-ورطان ٣٠ سنة

٢٢-مانكنوس ٢٠ سنة، في عهده اجتمع اليونان في سائر بلاد الارمن
ونبذوا مجمع خلقيدونية وذلك في ايام زينون وانسطاس ملكي
الرومان.

٢٣-باهان ١٥ سنة

٢٤-بارت ١٢ سنة

٢٥-ماكسنوني ٣٠ سنت

هنا انتهى عهد الرؤساء الارمن، فترأسهم ولاية فارسيون يسمون
«مرزبانات» اي قضاة

٢٦-ارتشابو ٨ سنوات

٢٧-بارزبا ١ سنة

٢٨-سوران ١ سنة، هنا قام رؤساء أرمن

٢٩-تافيت سهروني ٣٠ سنة

٣٠-ثاودوسيوس رشدوني ٢٤ سنة

٣١-همازاز كواشنج ٢٥ سنة

٣٢-كريكور ربديج ٢٠ سنة

٣٣-اشود بكردوني ١٧ سنة

٣٤-نرسييس كمسرانك ٢٠ سنة

٣٥-كيد بكردوني ٢٠ سنة

٣٦-اشود بكردوني ١٨ سنة

٣٧-ابنه كيد ١٢ سنة

هنا ايضاً عاد عهد ملوك الارمن

٣٨- اشود مساكير ٢٠ سنة

٣٩- كيد فلافس ٣٠ سنة

٤٠- ابنه اشود ٤٠ سنة

٤١- ابنه كيد ٢٢ سنة. بعد مقتل هذا لم يقم ملك او مدير من الارمن، حيث سيطر ملوك وامراء عرب على ارمنيا الكبرى، وعقبهم امراء اترك حكموا ارمنيا الكبرى حتى يومنا هذا .

(نقص خمسة عشر سطر)

١٦- صموئيل من فاريون من قرية ارزوحا ١٠ سنوات

١٧- مار موسى من قرية الغريز ٥ سنوات

١٨- مار اسحق من قرية اغاييج ٥ سنوات

١٩- مار خريستفور من قرية بكرانيط ٦ سنوات

٢٠- مار لاون من قرية ارسد الصغرى ٣ سنوات

٢١- مار فرنسيس من قرية مجدل ٧ سنوات

٢٢- مار اهانيس من قرية ساجايان ١٧ سنة

٢٣- مار قلسوس من قرية ارباد ٣٠ سنة خلال فترة حكمه او عز

بوضع تاريخ بشكل تفويم على غرار مافعله الارمن في ايام ماكنون .

٢٤- ابراهيم الاركادوني من قرية اغاش ١٣ سنة

في عهده هدأت الاضطرابات في منطقة نفوذ الارمن، والغوا

تقاليد الروم استعدادا لقبول مجمع خلقيدونية، وكان جاثليق الايباريين

آنذاك، قونيون الذي سبب انشاقا

٢٥- مار اوهان من كوقمطا ٢٦ سنة لقد اقام اوهان جاثليقا ارمنيا

في ايام الجاثليق ابراهيم، وأعد دار رعاية لاوهان في قواداس بقرية

نابان .

- ٢٦- مار كومرادس من قرية اغسي من عائلة هروفسيكى ٨ سنوات
٢٧- مار خريستفور من بيت محرّة مار ابراهيم ٣ سنوات
٢٨- ازرينج من قرية فارزناغيرد الذي تربى في دار الجثليقة ١٠ سنوات
٢٩- مار نرسييس

هناك امور أخرى كان يجب أن تُدرج مع هذا الخبر، غير أنني لم استطع
نقلها لأنها كانت مخرومة من أولها وآخرها

يذكر يعقوب الرهاوي قيام تسعة ملوك من الشعب الارمني قبل
دولة الفرس الاخيرة، اي قبل مجيء الرب، وهم

كسرى، ودرتاد، وكسرى، وطيران، واشاك، وقاق، وأورسط، واشاك،
وبلاشك. وامتد حكمهم حتى قيام الملوك المسيحيين، وكان ملوكهم
يتحالفون مع الملوك المؤمنين بعد اعتناق الارمن المسيحية. وغير أن
ملوك الفرس فرضوا نفوذهم عليهم، ولم يسمحوا حتى بقيام ضباط منهم.
هذا ما قاله الملفان مار يعقوب .

أما الارمن فيدعون أن اشاك وهو أحد ملوكهم، هو الذي قتل
الملك انطيوخس وسيطر على سورية والقدس وسائر فلسطين وأثور
وبابل، وملاً المحيط سفناً، واجتاز الى الغرب ودمر بلاد ايطاليا وسيطر
على رومية، واقام تماثيلين بين جبلين يستخرج منهما الذهب. ولما عاد من
هناك وجاء الى مناطق اليونان، ضرب عموداً رخامياً برمحه فتقبه. فلما
رأى ذلك حكماء اثينا قالوا: لا بد ان يكون رأس تلك الرمح ملطخاً بدم
تتين سام فتقبت تلك الصخرة الصلدة. وقد سبى اشاك هذا جزيرة
الايباريين وجاء بشعبها واسكنهم بين الجبال الشمالية ليكونوا عبيداً
للارمن، وهؤلاء هم الذين يعرفون اليوم بالايباريين. وبعد أن حكم ٣٠
سنة توفي في نصيبين.

هذا ما ورد في كتب الأرمن، وهم يعتبرونه حدثاً واقعياً، لكنه
أشبه بقصص الكلدانيين.

ندون اسماء جثالقة النساطرة

- ١- آفاق: تهرب في مدرسة الرها مع برصوم ونرساي، حيث درسوا كتب ديودورس وثاودورس في هذه المدرسة الارامية. ولما دخلوا بلاد الروم اتخذوا اولوس تلميذ ثودورس مرشداً لهم. ولدى عودتهم الى المشرق انتخب آفاق هذا ورسم في المكان المعروف بالمداين اي المدن. فقد جمع الاساقفة المؤيدين له في العقيدة، منهم برصوم العالم ويوحنا اسقف بيت كرماي، وقرروا عقيدة اقنومين وطبيعتين وجوهرين للمسيح ووحانية الشخص في الابن .
- ٢- بعد آفاق، ارتسم باباي في المدائن، ودبر ٦ سنوات. واصدر قرارا يقضي بزواج الكهنة اكثر من مرة، كما أقر زواج الجثالقة .
- ٣- شيلا: بعد باباي، قام شيلا اي مطلوب، وكان كاهنا وله زوجة وولد، وارتسم في المدائن، وامتدت مدته ٨ سنوات ومات ودفن فيها .
- ٤- بعد شيلا، رسم نرساي لكنه لم يقبل من قبل كافة الشعب، لان رسامته لم تكن بالاجماع .
- ٥- اليشع: ارتسم اليشع خارج المكان المذكور، فنشب نزاع بينهم وانقسموا على اثره قسمين، حرم كل منهما الآخر. ولما توفي نرساي عزل اليشع.
- ٦- بولس: كان اسقفا لجندسابور لدى انتخابه جاثليقا. وفرضوا عليه تجريد الاساقفة الذين رسمهم نرساي واليشع فجردهم واحد تلو الآخر. وبعد سنة واحدة توفي .
- ٧- مار أبا: ١٦ سنة. مجوسي الجنس، ذو ثقافة مدنية، رسم في السنة السادسة لحكم كسرى انوشروان الذي اثار اضطهاد على المسيحيين. وضع انظمة وقوانين للنساطرة وقرر عدم زواج الجاثليق، وشرح كتب ثاودورس ووسع آفاق تعاليمه .

- ٨- يوسف: ١٢ سنة. كان طبيباً حاذقاً في مهنته، اضاف انظمة جديدة للنساطرة. وبعد ١٢ سنة من خدمة نصوح، ابتلي بداء محبة المال، فكان يجمع المال بلا هوادة ويرشي الحكام، ويتقاضى عن الرسامات. فاجتمع الاساقفة وعزلوه فتوفي بعد ثلاث سنوات، غير أن القوانين التي وضعها لم تلغ.
- ٩- حزقيال: ١١ سنة. كان تلميذاً لمار أبا واسقف النعمانية، وبعد انتخابه ورسامته، رأس بصورة سلمية مدة ١١ سنة ومات .
- ١٠- يشوعياي: ١٥ سنة. يعرف بالارزوني. ضبط الطقوس. اوفده كسرى ملك الفرس الى مورقي ملك اليونان. في عهده حل غضب عارم في باجرمي، فأدخل صوم نينوى ذا الايام الثلاثة فزال الغضب. وفي ايامه تنصر نعمان بن المنذر.
- ١١- سبريشوع: ٨ سنوات. كان من باجرمي، رسم بتهديد من الحاكم الذي ضرب الاساقفة حتى اقدموا على رسامته وهو شيخ. توفي بعد أن دبر ٨ سنوات .
- ١٢- غريغوريوس: ٤ سنوات. من كشكر، يعرف بابن باباي، ارتسم في المدائن حيث أمض اربع سنوات ومات .
- ١٣- يشوعياي: ٨ سنوات. تزوج في شبابه. ارتسم بتهديد الحاكم في مكة في السنة الرابعة للهجرة، وتوفي بعد فترة. وظل النساطرة دون جاثليق مدة ١٨ سنة نظراً الى تضعضع احوالهم .
- ١٤- مار امه: ٣ سنوات. كان من ازرق وصار اسقفاً لجنديسابور، وبعد انتخابه ورسامته جاثليقا دبر ثلاث سنوات .
- ١٥- لدى اجتماعهم، اتفق الاساقفة على أن يجمعوا على من يتم انتخابه، ومن يعترض يعزل. وبعد أن أخذ تواقيعهم قال: لقد انتخبت نفسي لآكون حاكماً عليكم فوافقوا مكرهين. لكن ادارته كانت جيدة. فقد لخص طقس القداس المطول جداً والذي وضعه تسطور. ولدى احتضاره اوصى برسامة تلميذه جرجيس الذي ساس فترة وجيزة ومات .

١٦- يوحنا بن مرتا: لقي معارضة قوية من الاساقفة، فترك الكرسي بمحض ارادته .

١٧- حنانيشوع: وهو المعروف عندهم بالاستاذ. بعد سبع سنين من اقامته جاثليقا، اعطى يوحنا مالا كثيرا، فقال لحنانيشوع: أن هذا قد سبقك فعليك أن تسلمه العكاز والمصنفة لتلا يموت، فسلمها اليه خوفاً فدخل يوحنا المدائن محاطاً بالمشيحين بالسيوف واجبر الاساقفة على الاعتراف به لكنه توفي بعد فترة وجيزة، ثم لحق به حنانيشوع. وظلوا بلا جاثليق مدة ٢٥ سنة .

١٨- صليبيا: ١٤ سنة. ابطل المناداة باسم الجاثليق يوحنا ونادى باسم حنانيشوع. وتوفي بعد ١٤ سنة من الخدمة .

١٩- فثيون: ١٢ سنة. كان من باجرمي، خدم في طبرهان كاسقف. وبعد أن دبر الجثقة ١٢ سنة، توفي سنة ١٢٣ هجرية.

٢٠- مار ايا: ١٠ سنوات. يعرف بابن بريخ صبيانا، وهو من كشكر التي تسقف عليها أولا انتخب جاثليقا فخدم ١٠ سنوات ومات .

٢١- سورين: كان مطرانا لنصيبين، رشى حاكم المدائن فاكره الاساقفة على رسامته. غير أن وجهاء النساطرة قابلوا الخليفة (سحقي) فاقال الحاكم وعزل الجاثليق .

٢٢- يعقوب: ١٩ سنة. بعد أن صار جاثليقا اعاد سورين الى درجة مطران، ومات بعد خدمة ١٩ سنة .

٢٣- حنانيشوع: ٧ سنوات. كان اسقفاً لداقوقا، ارتقى الى رتبة الجثقة في السنة التي تولى المهدي الخلافة. دبر مدة ٧ سنوات ومات .

٢٤- طيمثاوس: ٤٣ سنة. وعد ابنا المدائن بالمال في حالة رسامته، لكنه لم يف بوعده. دبر مدة ٤٣ سنة وتوفي في ايام المأمون .

٢٥- يشوع: ٤ سنوات. كان من منطقة نينوى، رُسم سنة ٢٠٥ هجرية، وتوفي في دير «اكليل يسوع» .

٢٦- كيوركيس: ٤ سنوات. من المرج، يعرف بابن صباح، تزوج ثم ترهب ورسم مطرانا في جنديسابور، وبعد خدمة ٥ سنوات صار جاثليقا، دبر ٤ سنوات ومات .

٢٧- سبريشوع: ٤ سنوات. كان اسقفا لحران، رسمه ايوانيس مطران الموصل، ونقله طيمثاوس الى دمشق. ولدى زيارة المأمون لدمشق يرافقه وجهاء نساطرة، احتفى بهم واکرمهم فانتخبوه جاثليقا سنة ٢١٧ هجرية. دبر ٤ سنوات ومات .

٢٨- ابراهيم: ١٣ سنة. كان من مراغا، رُسم بامر الخليفة المعتصم. دبر ١٣ سنة ومات .

٢٩- ثاودوسيوس: ٥ سنوات. كان اسقفا لباجرمي، رقاها الجاثليق سبريشوع الى درجة مطران في انكر. فنشب خلاف لسببه، فعاد ولزم بيته بهدوء دون ابرشية مدة ٥ سنوات، ثم انتخب جاثليقا .

٣٠- سرکيس: ١٢ سنة. كان مطرانا لنصيبين، رُسم بامر الخليفة المتوكل سنة ١١٧١ بحسب التقويم السرياني. دبر مدة ١٢ سنة. شغل الكرسي بعده مدة ٤ سنوات .

٣١- انوش: ٧ سنوات. كان مطران للموصل. دبر ٧ سنوات ومات سنة ٢٧٠ هجرية .

٣٢- يوحنا: ٨ سنوات. يعرف بابن نرساي. كان اسقفا لهنابار وصار جاثليقا سنة ٢٧١ هجرية. دبر مدة ٨ سنوات ومات .

٣٣- ايوانيس: ٦ سنوات. هو ابن اخي ثاودوسيوس. صعد في عيد العنصرة المنبر وفسر مقال ثاولوغوس عن الروح القدس، فاستحسنه الاساقفة والشعب لتبحره في العلوم الكنسية. رُسم سنة ٢٨٨ هجرية. دبر ٦ سنوات ومات .

٣٤- يوحنا: ٤ سنوات. انقسم الاساقفة النساطرة قسمين، قسم يرشح ثاودوسيوس مطران جنديسابور، والآخر يوحنا بن عيس الاعرج. وبعد أن تكبدوا خسائر فادحة، تم الاتفاق على القاء القرعة، فوقعت على يوحنا فرُسم. دبر ٤ سنوات ومات .

٣٥- ابراهيم: ٣٢ سنة. كان اسقفا لياجرمي. رُسم جاثليقا في عهد الخليفة المكتفي. دبر ٣٢ سنة ومات .

٣٦- عمونيل: ٢٢ سنة. رُسم سنة ٣٢٦ هجرية. دبر مدة ٢٢ سنة ومات.

٣٧- اسرائيل: ٢٦ سنة. كان اسقفا لكشكر فرسم جاثليقا. دبر مدة ٢٦ سنة ومات .

٣٨- ماري: ١٤ سنة. كان من الموصل، صار اسقفا فمطرانا في فارس، ثم رُسم جاثليقا ودبر مدة ١٤ سنة ومات .

٣٩- يوحنا: كان اسقفا لمنطقة تدعى سنا، صار مطرانا في فارس، انتخبه البغداديون جاثليقا سنة ٣٩١ هجرية. وصادق المفريان اي جاثليق اليعاقبة في تكريت، اغناطيوس بن قيقى. دبر ٩ سنوات ومات .

انتهى هذا (الجدول) الذي عثرنا عليه في كتاب وضعه الشماس كوريا سنة ٢١٩٩ (لعلها ١١٩٩) يونانية. (اصل النسخة بهذا التاريخ - هذه العبارة مكتوبة بالكرشونية)

بعون الله رب الكل، ندرج اسماء البطارقة الذين قاموا في
كنيستنا الارثوذكسية واحد تلو الآخر، اعتباراً من الطوباوي
سويريوس حتى يومنا هذا

١- سويريوس : من دير تيودور في غزة اقتبل الرسامة في تشرين
الثاني بحسب تقويم اهلنا، رسم هذا الطوباوي سنة ٨٢٣ في مجمع
حضره ١٢ اسقفاً، وضع عليه اليد ابراهيم اسقف حلب في ايام الملك
انسطاس. خدم في سورية ٦ سنوات. ولما توفي الملك الارثوذكسي،
ثار الهراطقة ضده في عهد يوسطنيان. فغادر انطاكية في ٢٩ ايلول
سنة ٨٢٩، خدم البطريركية وهو مضطهد ٢٩ سنة. وتوفي في شياط
في مدينة سخا بمصر، ودفن جثمانه الطاهر في دير.

٢- سرجيس : بعد وفاة مار سويريوس، رسم الارثوذكس سرجيس التالي
من دير دحلا، بطريركاً لكرسي انطاكية. وضع عليه اليد مار
ايوانيس مطران انازربا. خدم لفترة قصيرة .

٣- بولس الاسود: من دير الجب الخارجي، رسم في الدير نفسه، وضع
عليه اليد توما مطران الرها. خدعه الملك يوسطنيان فاشترك مع
الخلقيدونيين على أمل نبذهم لمجمع خلقيدونية، واذ حنث الملك
باقسامه، حرم المجمع، لكن الارثوذكسيين لم يقبلوه .

٤- بطرس الرقي : تمت رسامته وبولس مازال حيا. وضع عليه اليد
يوسف مطران آمد. قوم انحراف دميان الاسكندري. توفي سنة ٩٠٢
واودع جثمانه بدير الجب الخارجي .

٥- يولييان : كان سكرتيراً للبطريرك. وهو من دير قنسرين، وفيه رسم ، وضع عليه اليد يوحنا اسقف تلالا. خدم البطريركية ٣ سنوات .

٦- اثناسيوس الجمال : من شمشاط. درس في دير قنسرين وفيه ارتسم. وضع عليه اليد سويريوس مطران القدس. حقق الوحدة بين الكرسيين الانطاكي والاسكندري. خدم ٤٥ سنة. توفي سنة ٩٤٦ وادع دير الجوميين .

٧- يوحنا سكرتير البطريرك اثناسيوس: من دير الجب الخارجي. وضع عليه اليد ابراهيم مطران نصيبين. خدم هذا البطريرك الملقب «بابي السدرات» ١١ سنة. توفي ودفن في دير مار زعورا في آمد في ١٤ كانون الاول عام ٩٦٠.

٨- تيودور: من برية الاسقيط، دعي من دير قنسرين. وضع عليه اليد ابراهيم مطران حمص. خدم البطريركية ١٨ سنة .

٩- سويريوس المعروف بابن مشاقفة: من دير فيجوم اي سفولوس. وضع عليه اليد يوحنا ابن العبرانية مطران طرسوس. نشب نزاع بينه وبين الاساقفة خدم ١٢ سنة.

١٠- اثناسيوس: من دير بيت ملكي الكبير، رسم خلال انعقاد المجمع في دير سفولوس في رأس العين. وضع عليه اليد حنانيا اسقف ماردين وكفرتوت. خدم ٣ سنوات .

١١- يولييان: من دير قنسرين. رسم في تشرين الثاني سنة ٩٩٩. وضع عليه اليد اثناسيوس اسقف سروج بمدينة آمد. خدم ٢٠ سنة. توفي سنة ١٠١٩.

١٢- ايليا: من دير الجب الخارجي. كان اسقفاً لاوفيميا. وبعد أن خدم الاسقفية ٨ سنوات، دعي الى البطريركية سنة ١٠٢٠. خدم ١٥ سنة وتوفي في ٣ تشرين الاول وقد ناهز الـ ٨٢ سنة، ودفن في دير ه .

١٣- اثناسيوس: من دير الجب الخارجي. رسم في نيسام عام ١٠٣٥. كان رئيساً لديره، وتمت رسامته في دير قرتمين. وضع عليه اليد ثاودوسيوس اسقف رأس العين. عمل وحدة مع الارمن. خدم ١٥ سنة، توفي سنة ١٠٥١ .

١٤- ايوانيس: كان اسقفاً لحوران. انتخب عن طريق الاقتراع بوساطة اثناسيوس النعال الذي عانى منه البطريرك الشيء الكثير. خدم سنة. دفن في قرية كدية على شاطئ الفرات .

١٥- اثناسيوس النعال: كان مطراناً لميافرقاط، وصار بطريركاً بأمر أبي جعفر خليفة المسلمين وليس بدعوة من الله. ولما جاء الى حران خنقوه.

١٦- الطوباوي جاورجي: دعي وهو مازال شماساً. تمت رسامته في منبج خلال مجمع مسكوني. قاومه بعض الخبثاء امثال يوحنا الرقي وداود الداري، فسجن في بغداد مدة ٩ سنوات. خدم حتى وفاته اي ٣٠ سنة. اودع جثمانه الطاهر دير مار برصوم .

من هنا فصاعداً، سندرج أسماء الاساقفة الذين رسمهم كل من البطاركة

البطريرك قرياقس: من دير العمود في الرقة. رُسم في ١٨ آب سنة ١١١٠ وضع عليه اليد ثاودوسيوس اسقف بعلبك. رسم الاساقفة التالية
اسماؤهم .

- ١- شربيل صار اسقفاً لتكريت بالوكالة .
- ٢- فيلكسينوس اسقف جورجان .
- ٣- ملكيصادق اسقف رصفة بقرية حزة .
- ٤- قسطنطين اسقف دليك بقرية تلعدا .
- ٥- توما اسقف دارا من دير قوبا .
- ٦- حنانيا اسقف ماردين وكفرتوث من دير الرقة ويعتقد انه هو الذي بنى
دير الزعفران .
- ٧- توما اسقف طورعبدین من دير قرتمين وفي دير العمود .
- ٨- يوحنا اسقف ميافرقاط في قرية سحرثا بمنطقة حران .
- ٩- يوحنا اسقف مدينة الشعوب ودير العمود .
- ١٠- بولس اسقف لافرا بخرسان رسم في قرية كيدا بمنطقة حران .
- ١١- قرياقس اسقف القرميين في الرها .
- ١٢- داود اسقف نصيبين من دير قرتمين رسم في الرها .
- ١٣- باسيليوس اسقف الرها رسم في دير يوحنا بن افنونيا .
- ١٤- حبيب مطران اوفيميا رسم في مدينة دمشق .
- ١٥- انطس اسقف تل موزل ليست بمنطقة الشام .
- ١٦- باسيليوس اسقف الرقة رسم في المدينة نفسها .

- ١٧- يعقوب اسقف مدينة قرقسيون رسم في دير مار زكى .
- ١٨- اثناسيوس مطران طرسوس رسم في مدينة حران .
- ١٩- ثاودوسيوس اسقف الرقة رسم في مدينة حران .
- ٢٠- جبرائيل اسقف ريشكيفا رسم في بلدة مريبة بحران .
- ٢١- يوحنا اسقف القرميين رسم في قرية كفرحان بمنطقة ريشكيفا .
- ٢٢- اثناسيوس اسقف مدينة فالونيقييا بارمنيا .
- ٢٣- يوحنا اسقف مدينة خلط الارمنية بمنطقة الرقة .
- ٢٤- سابا اسقف مدينة ارزون رسم في دير العمود بحران .
- ٢٥- لعازر اسقف نصيبين من دير قرتمين رسم في دير العمود .
- ٢٦- سمعان اسقف مدينة مرو من دير مار يعقوب .
- ٢٧- اسقف مدينة ممفسوسطا في قورس رسم في شباط وعزل في شباط .
- ٢٨- طيمثاوس مطران القدس رسم في دير مار يعقوب بقورس .
- ٢٩- داود اسقف التغالبة في جزيرة الموصل رسم في قرية النخلة لكرسي التغالبة .
- ٣٠- متى اسقف تل موزلت رسم في قيمن بسروج .
- ٣١- دميان اسقف سروج رسم في قرية مشرا بنفس المنطقة .
- ٣٢- فياكسينوس اسقف نصيبين .
- ٣٣- دانيال اسقف شمشاط رسم في مدينة حران .
- ٣٤- يوحنا مطران حمص من دير بيرقوم .
- ٣٥- يعقوب اسقف منطقة دير يج .
- ٣٦- قورلس اسقف مدينة شمشاط رسم في كفرا .
- ٣٧- جبرائيل مطران طرسوس من دير سليمان .
- ٣٨- انسطاس اسقف ريشكيفا من دير شيلا .
- ٣٩- ايليا اسقف مدينة حدث رسم بدير العمود في الرقة .
- ٤٠- اليشع اسقف كرما والحصاصيين في تكريت .
- ٤١- ايوانيس اسقف شرزول بمنطقة تكريت .
- ٤٢- جاورجي اسقف مدينة ادرع من دير العرب .

- ٤٣- سر كيس اسقف طور عبيدين من دير قرتمين .
- ٤٤- عثمان اسقف التغالبة في الجزيرة .
- ٤٥- اغناطيوس اسقف انازربون من دير الناطف .
- ٤٦- يوحنا مطران حمص من دير بيرقوم .
- ٤٧- عرابي اسقف ثاودوسيوكيس رأس العين من دير السن .
- ٤٨- سليمان اسقف قورس من دير مار يعقوب .
- ٤٩- ماقيم اسقف قرقيون من دير تλλα .
- ٥٠- حبيب اسقف منطقة ارغونا من دير سرمن .
- ٥١- ديونيسيوس اسقف تλλα من دير مار توما .
- ٥٢- سمعان اسقف العربية من دير مار زكى .
- ٥٣- ثاودوسيوس اسقف شمشاط من دير المشاركة .
- ٥٤- ثاودوسيوس اسقف كيسوم من دير مار يعقوب في كيسوم .
- ٥٥- لعازر اسقف كيشرا من دير مار ابهاي .
- ٥٦- ايوانيس مطران اسيد من دير مار اثوس .
- ٥٧- سمعان مطران الرصافة من دير آبين .
- ٥٨- ثاودوسيوس مطران الرها من دير قنسرين .
- ٥٩- بطرس اسقف ارزون من دير مار يوحنا الداري .
- ٦٠- سرجيس اسقف بعلبك من دير فسيلتا .
- ٦١- دانيال اسقف حلب، من دير العرب .
- ٦٢- يعقوب اسقف بلدة أورم من دير مار يوسف .
- ٦٣- جاورجي اسقف مدينة ارشميشاط .
- ٦٤- طيبري اسقف لافرا الخرسانية من دير الصليب .
- ٦٥- باسيليوس مطران ميافرقاط من دير فنحس .
- ٦٦- يوحنا اسقف مدينة قردو من دير حسمي الكبير .
- ٦٧- جاورجي اسقف حران استقال فيما بعد .
- ٦٨- جبرائيل اسقف ارمنيا الكبرى من دير مار سيلا .
- ٦٩- حبيب مطران مدينة طرسوس .

- ٧٠- اوغريس اخسنايا اسقف اردعت في بيتونيا .
- ٧١- اسحق اسقف مدينة طبرية وليس اسقف جوما .
- ٧٢- يوحنا اسقف مدينة تلالا من دير قرقفتا .
- ٧٣- متودس اسقف تل بشمي من دير مار اثموس .
- ٧٤- جاورجي مطران ميافرقين من دير مار فنحس .
- ٧٥- باسيليوس مطران تكريت من دير مار سرجيس .
- ٧٦- ادى اسقف كرما من دير مار زعورا في سروج .
- ٧٧- حزقيال اسقف طورعبدین من دير قرتمين .
- ٧٨- جبرائيل اسقف ارمينيا من دير قرتمين .
- ٧٩- اغناطيوس اسقف ماردين وكفرتوت من دير حنانيا .
- ٨٠- جاورجي اسقف حران من دير قرتمين .
- ٨١- توما اسقف ريشكيفا من دير مار يعقوب .
- ٨٢- ايوانيس اسقف بالش من ... في كيسوم .
- ٨٣- رصفا من دير مار حنانيا في المنطقة نفسها .
- ٨٤- داود اسقف كرموس من دير مار يوسف .
- ٨٥- تاوفيل اسقف زوبطرا من دير اليسع .

خدم مار قرياقس البطريركية ٢٤ سنة. توفي في الموصل سنة ١١٢٨
يونانية، لتكن صلته وصلاته الذين رسمهم معنا آمين .

البطريك ديونيسيوس المعروف بالتلمحري. دعي من دير
قنسرين، رُسم يوم الأحد مطلع آب عام ١١٢٩ في مدينة الرقة
ياشتراك ٤٣ اسقفاً. وضع عليه اليد ثاودوسيوس مطران
الرقة. رسم الاساقفة التالية اسماؤهم

- ١-توما اسقف اردعت من دير تلعدا الكبير
- ٢-حبيب اسقف بيت بالش من دير الجب الخارجي
- ٣-ساويرا اسقف مدينة دارا من دير قوبا
- ٤-يوسف اسقف بيت فارس من دير سوقين
- ٥-باسيليوس اسقف شمشاط من دير قنسرين
- ٦-حبيب اسقف مرعش من دير مار يعقوب
- ٧-قسطنطين اسقف خرسان من دير قنسرين
- ٨-سرجيس مطران منبج من مربية
- ٩-سمعان اسقف سروج من كفرتوثا
- ١٠-يوحنا اسقف العربية من دير مار زكى
- ١١-يونان اسقف مدينة ارزون من دير شصراني
- ١٢-يوحنا اسقف تدمر من دير مار حنانيا
- ١٣-ايوب مطران اورشليم
- ١٤-توما اسقف زرنغ من دير قرتمين
- ١٥-دوما اسقف زوغما من دير مار شليمون
- ١٦-دانيال اسقف ملطية من دير مار برصوم
- ١٧-انسطاس مطران انازربا من دير قرقفتا
- ١٨-حنانيا اسقف قنسرين من دير الانفس
- ١٩-جبرائيل اسقف ارينيو بوليس

- ٢٠- يعقوب اسقف دليك من دير تلعدا
- ٢١- لعازر اسقف ارشيمشاط من دير قرتمين
- ٢٢- ابراهيم اسقف الجسر من دير قرتمين
- ٢٣- سرجيس اسقف قورس من دير الجب الخارجي
- ٢٤- ميخائيل مطران انازربا من دير مار يعقوب بقورس
- ٢٥- ايوانيس مطران الرصافة من دير سرمين
- ٢٦- دنحا اسقف ريشكيفا من دير سفولوس
- ٢٧- ايوانيس مطران مدينة دارا من دير مار حنانيا
- ٢٨- حنانيا اسقف قليسوريا من دير الناطف
- ٢٩- يوحنا اسقف ارمنيا من دير النعال بمنطقة ميافرقاط
- ٣٠- قسطنطين اسقف اللاذقية من دير سريغتا
- ٣١- تاودوسيوس اسقف الجرمانيين من دير بيزما
- ٣٢- اثناسيوس مطران اوفيميا من دير قنسرين
- ٣٣- اغناطيوس اسقف ارشيمشاط من دير قرتمين
- ٣٤- قوريقا اسقف هنزيط من دير قرتمين
- ٣٥- يوحنا اسقف التغالبة من دير قرقفتا
- ٣٦- سمعان اسقف تل بسما من دير النعال
- ٣٧- اغناطيوس اسقف القدس من دير بيزونا
- ٣٨- طيمثاوس مطران ميافرقاط من دير المشاركة
- ٣٩- اغناطيوس مطران آمد من دير قرتمين
- ٤٠- صموئيل اسقف الجرمايين من دير قرتمين
- ٤١- طيمثاوس مطران دمشق من دير قرقفتا
- ٤٢- روبيل اسقف جونيا من دير سفولوس
- ٤٣- توما اسقف حليون من دير مار موسى
- ٤٤- توما اسقف التغالبة من دير بيرقوم
- ٤٥- ابراهيم اسقف هنرا من دير المشاركة

- ٤٦- ايوانيس اسقف تّلا من دير قنسرين
٤٧- ابراهيم مطران ميافرقاط من دير حنانيا
٤٨- دانيال لتكريت من دير بيرقوم
٤٩- ايليا اسقف دليك من دير مار شليمون
٥٠- ساويرا اسقف كيشرا من دير مار باسوس
٥١- يوحنا اسقف بغداد من دير اوسيبونا
٥٢- ايوانيس مطران هنرا من دير مار شينا
٥٣- ابراهيم اسقف العربية من دير تلعدا الكبير
٥٤- ساويرا اسقف طبرية من دير كيسوم
٥٥- تومريقا اسقف قنسرين من دير النواويس
٥٦- يوحنا اسقف دليك من دير مار يعقوب بكيسوم
٥٧- جاورجي اسقف البحرين من وادي آدم
٥٨- ثاوفيل اسقف تل بسما من دير النعال
٥٩- يوسف (وزوق) اسقف التغالبة
٦٠- عبد الاحد اسقف جورجيان من دير المشاركة
٦١- توما اسقف زوبطرا من دير المشاركة
٦٢- قورلس اسقف الرها من دير زوقنين
٦٣- يوحنا كدودا اسقف كينيسا
٦٤- تومريقا اسقف سروج من دير قنسرين
٦٥- ابراهيم اسقف مرعش من دير مار يوسف
٦٦- انسطاس اسقف رأس العين من دير قنسرين
٦٧- يوسيفس اسقف جورجيان من دير المشاركة
٦٨- يوسف مطران القدس من دير بيزونا
٦٩- توما مطران ملطية من دير مار برصوم
٧٠- توما مطران تكريت من جبل الرها
٧١- اسحق اسقف دير النحل

- ٧٢- جبرائيل اسقف مرعش من دير مار شليمون
٧٣- ابراهيم مطران قورس من دير العرب
٧٤- باكوس اسقف ارمنيا من وادي آدم
٧٥- حبيب اسقف التغالبة من دير كنوشيا
٧٦- جاورجي مطران انازربا من دير النعال
٧٧- ايليا زقنا اسقف قردو
٧٨- قسطنطين اسقف قرقيون
٧٩- جبرائيل اسقف كينيسا من دير رافين
٨٠- سرجيس اسقف سيفيس من دير تلعدا
٨١- يوحنا مطران ميافرقاط وهو الموسيقي النعال
٨٢- ابراهيم مطران منبج من دير بيزونا
٨٣- ابراهيم اسقف نصيبين من دير قرتمين
٨٤- الربان بنيامين مطران الرها من دير مار يعقوب
٨٥- ثاودورس اسقف كيشرا من دير مار عابي
٨٦- دمياط اسقف قردو من دير مار باسوس
٨٧- سبرا اسقف العربية من دير اطو
٨٨- ساويرا مطران انازربا من دير مار زكي
٨٩- ايليا مطران الرها من جبل الرها
٩٠- نانوس اسقف طور عبيد من دير قرتمين
٩١- جبرائيل اسقف شمشاط من دير مار برصوم
٩٢- داود اسقف افرا من جبل الرها
٩٣- توما اسقف كيسوم من دير مار يعقوب في كيسوم
٩٤- باسيليوس اسقف تولا من دير مار حنانيا
٩٥- جاورجي اسقف حدث من دير الجب الخارجي
٩٦- غريغوريوس اسقف كيسوم من دير بيرقوم
٩٧- زكريا اسقف الرقة من دير مار زكي

٩٨- جاورجي اسقف التغالبة

٩٩- يونان اسقف جورجان من دير مار شيلا

١٠٠- قسطنطين مطران الرها من دير قنسرين

خدم مار ديونيسيوس التلمحري هذا، البطريركية ٢٧ سنة، ورسم هؤلاء
الاساقفة ورقد في آب سنة ١١٥٦، واودع جثمانه دير قنسرين، ليغفر لنا
الله ذنوبنا بصلاة المرحوم والاساقفة الذين رسمهم .

البطريك يوحنا من دير مار زكى في الرقة. رسم في دير مار
شيلا سروج في ٢١ تشرين الثاني سنة ١١٥٨.
وضع عليه اليد مار حبيب اسقف طرسوس،
ورسم الاساقفة التالية اسماؤهم

- ١ - جبرائيل مطران الرصافة، رئيس دير مار زكى
- ٢ - عرابي مطران شمشاط
- ٣ - عبد الاحد اسقف هنزيط من دير شيلا
- ٤ - يوحنا طوبانا اسقف قرقيون
- ٥ - اندراوس اسقف سجستان من دير مار زكى
- ٦ - باسيليوس مطران تكريت من دير مار برصوم
- ٧ - ايليا مطران قورس من دير المشاركة
- ٨ - سرجيس اسقف حلب من دير سريغتا (الحصيرة)
- ٩ - هرون اسقف سلوقية من دير مار ايم
- ١٠ - ايوانيس اسقف زوغما من دير قرتمين
- ١١ - طيمثاوس مطران شمشاط من دير مار شيلا
- ١٢ - هرون اسقف ميافرقاط من دير اتوناس
- ١٣ - داود اسقف ارشميشاط من دير مار موسى
- ١٤ - يونان اسقف افرا من دير مار اتوناس
- ١٥ - يعقوب مطران حمص من دير دحلا
- ١٦ - هرون اسقف قرقيون من دير مار حنانيا
- ١٧ - يعقوب اسقف التغالية من دير بيرقوم
- ١٨ - ساويرا اسقف اخزقون من دير قرتمين
- ١٩ - احودامه اسقف المعديين من وادي ادم
- ٢٠ - اسطيفانس اسقف ارنيبوليس من تلعدا

- ٢١ - انسطاس مطران طرسوس من سفولوس
- ٢٢ - اغناطيوس اسقف حدث من دير مار زكى
- ٢٣ - هرون مطران انازربا من دير مار زكى
- ٢٤ - يوسف اسقف زوغما من دير مار يوسف
- ٢٥ - هرون مطران قورس من دير مار يعقوب
- ٢٦ - داود اسقف حران من دير قرتمين
- ٢٧ - ايوانيس اسقف قليسوريا من سفولوس
- ٢٨ - اليشع اسقف نصيبين من دير مار شليمون
- ٢٩ - يوحنا اسقف كفرتوثا وماردين من دير تل صفرا
- ٣٠ - ساويرا اسقف تلالا من دير المعترفين
- ٣١ - يعقوب اسقف كيسوم من دير مار شليمون
- ٣٢ - ثاودوسيوس مطران اوفيميا من دير مار يعقوب بكيسوم
- ٣٣ - حبيب مطران آمد من دير مار حنانيا
- ٣٤ - باسيليدس اسقف كيثرا من دير المشاركة
- ٣٥ - قرياقس مطران الرقة من دير مار زكى
- ٣٦ - سرجيس اسقف قنسرين من دير فسيلتا
- ٣٧ - يعقوب مطران هره من دير بيرقوم
- ٣٨ - ثاودور اسقف كيثرا من دير بيرقوم
- ٣٩ - اشعيا مطران ميافرقاط من دير بيرونا
- ٤٠ - ساويرا اسقف شمشاط وهنزيط من دير مار حنانيا
- ٤١ - يوحنا مطران القدس من دير تلعدا الكبير
- ٤٢ - ديونيسيوس مطران الرصافة من دير النواديس
- ٤٣ - حنانيا اسقف طبرية من دير دحلا
- ٤٤ - دانيال اسقف تل بسما من دير اثنوس
- ٤٥ - دانيال اسقف كفربلا من وادي آدم
- ٤٦ - بطرس من وادي آدم
- ٤٧ - صموئيل مطران سجستان من دير مار متى

- ٤٨ - ملكيصادق مطران تكريت من دير والدة الله
- ٤٩ - ابراهيم مطران آمد من دير مار سمعان
- ٥٠ - طبري اسقف العربية من جبل الرها
- ٥١ - حبيب اسقف قردو من دير مار حنانيا
- ٥٢ - اغناطيوس اسقف ارمنيا من حربا
- ٥٣ - سليمان اسقف نجران وبني معد من دير كنوشيا
- ٥٤ - انثيموس اسقف دليك من دير مار عبد الاحد
- ٥٥ - بطرس اسقف افرا من متوحددي جبل الرها
- ٥٦ - باسيليوس اسقف قرقيسيون من دير مار حنانيا
- ٥٧ - باكوس اسقف التغالبة من وادي آدم
- ٥٨ - سليمان مطران دمشق من دير مار يونان
- ٥٩ - ايوب اسقف افرا من تل صفرا - حران
- ٦٠ - نوح اسقف ارينوبوليس من دير زوقنين
- ٦١ - اياونيس اسقف اوفيميا من دير قنسرين
- ٦٢ - ثاودور اسقف رأس العين من دير سفولوس
- ٦٣ - طيمثاوس اسقف ارزون من دير مار زكي
- ٦٤ - اثناسيوس حكيم مطران دارا
- ٦٥ - فيلكسينوس مطران الرصافة من دير مار زكا
- ٦٦ - قورلس نوح مطران القدس
- ٦٧ - اليشع مطران ميافرقاط من دير مار حنانيا
- ٦٨ - اسحق مطران دمشق من دير فسيلتا
- ٦٩ - سمعان مطران منبج من دير قرية سابان
- ٧٠ - سمعان اسقف بعلبك من جبل الرها
- ٧١ - اسحق اسقف سروج من جبل الرها
- ٧٢ - اسحق اسقف قورس من جبل الرها
- ٧٣ - ابراهيم مطران هره من جبل الرها
- ٧٤ - اثناسيوس اسقف قنسرين من دير مار نوقا

- ٧٥ - لعازر مطران طرسوس من دير المشاركة
- ٧٦ - يوحنا اسقف العربية من دير مار زكى
- ٧٧ - سرجيس المنوحد مطران تكريت
- ٧٨ - يوحنا اسقف التغالبة بجزيرة الموصل
- ٧٩ - يوحنا اسقف ارينوبوليس من دير القوبيين
- ٨٠ - جبرائيل اسقف كيثرا من دير المشاركة
- ٨١ - جرجيس اسقف زوغما من دير قنسرين
- ٨٢ - متى اسقف رأس كيفا من معترفي الرها
- ٨٣ - اغناطيوس اسقف ماردين من دير مار حنانيا
- ٨٤ - اسطيانس اسقف قليسوريا من دير مار يوحنا

خدم مار يوحنا هذا البطريركية ٢٧ سنة، ورسم هؤلاء الاساقفة، وتوفي يوم الخميس ٢٣ كانون الاول سنة ١١٨٥ في دير سفولس، ونقل جثمانه الى دير (مار زكى)

البطريك اغناطيوس من دير حرباء، رُسم سنة ١١٨٩ من قبل
طيماثوس اسقف شيمشاط الكرسي ادارة فريدة
على نهر الفرات. رسم هؤلاء الاساقفة التالية اسماؤهم

- ١ - ساويرا اسقف ريشكيفا من دير اخسنايا
- ٢ - ابراهيم مطران انازربا من دير مار عبد الاحد
- ٣ - سرجيس مطران قورس من دير لعازر - حران
- ٤ - قرياقس مطران الرها من دير مار يوحنا الداري
- ٥ - ابراهيم اسقف حلب من جبل الرها
- ٦ - يوحنا اسقف مرعش من دير زوقنين
- ٧ - ميخائيل اسقف شمشاط من دير اتموس
- ٨ - يوحنا مطران آمد من دير مار سرجيس
- ٩ - ابراهيم اسقف قرقيسيون من دير مار حنانيا
- ١٠ - ايليا اسقف الحدث من دير مار سويريوس
- ١١ - سمعان اسقف زوقطره من دير مار يعقوب - كيسوم
- ١٢ - قورلس اسقف ميافرقاط من دير قنسرين
- ١٣ - جبرائيل اسقف سروج من دير والدة الله في البرية
- ١٤ - يعقوب اسقف بعلبك من دير فسيلتا
- ١٥ - قرياقس مطران انازربا من دير مار شليمون
- ١٦ - قسطنطين اسقف حران من دير قرتمين
- ١٧ - هرون مطران ميافرقاط من دير مار حنانيا
- ١٨ - جبرائيل اسقف العربية من دير سيبان
- ١٩ - متى مطران دارا من دير مار يوحنا الداري
- ٢٠ - ايوانيس اسقف ابيدقون من دير مار شليمون دليك
- ٢١ - ساويرا مطران سجستان من دير تل صفرا - حران

- ٢٢ - ساويرا مطران الرقة من دير مار زكى
- ٢٣ - ثاودوسيوس اسقف مدينة دولة من دير قنسرين
- ٢٤ - يوحنا مطران منبج من جبل الرها
- ٢٥ - يوحنا اسقف دليك من دير مار يعقوب
- ٢٦ - ساويرا مطران اورشليم من دير زوقنين

خدم مار اغناطيوس هذا البطريركية خمس سنوات، وتوفي يوم الثلاثاء
الآلام في مريبه واودع جثمانه كنيسة الكبرى

البطريك ثاودوسيوس من دير قرتمين. تمت رسامته في
مدينة آمد يوم الاحد ٥ شباط ١١٩٨.
وضع عليه اليد مار طيمثاوس اسقف شمشاط نفسه،
ورسم هؤلاء الاساقفة التالية اسماؤهم

- ١ - اثناسيوس مطران تكريت من جبل الرها
- ٢ - ابوب مطران هرار من دير تل صفرا - كيسوم
- ٣ - ديونيسيوس مطران اوفيميا من دير والدة الاله
- ٤ - قورلس مطران انازربا من دير زوقنين
- ٥ - ديونيسيوس اسقف تولا من دير قرتمين
- ٦ - حزقيال اسقف ملطية من دير مار اثنوس
- ٧ - دانيال مطران دمشق
- ٨ - دنحا اسقف قليسورا من دير مار شيلا
- ٩ - جاورجي اسقف قرقيون من دير مار يوحنا الداري
- ١٠ - جبرائيل مطران طبرية من دير ترعيل
- ١١ - ميخائيل مطران منبج من دير بيزونا
- ١٢ - يعقوب مطران شمشاط من جبل الرها
- ١٣ - اغناطيوس مطران افره بخرسان من جبل الرها
- ١٤ - حزقيال اسقف طورعبدین من دير قرتمين
- ١٥ - سلموس اسقف ارهن من دير مار عبد الاحد
- ١٦ - مار باسيليوس اسقف الارمن
- ١٧ - يونان اسقف ارينوبوليس من دير قرتمين
- ١٨ - حبيب مطران انازربا من دير سرجيس
- ١٩ - سمعان اسقف تل بسما من دير اثنوس
- ٢٠ - حبيب مطران الرصافة من دير الانفس - جبل الرها

- ٢١ - يوحنا اسقف سروج من دير الحبيس بطور عبيد
- ٢٢ - لعازر مطران طرسوس من دير شمشاط الكبير
- ٢٣ - ايليا ايقف كيثرا من متوحيدي جبل الرها
- ٢٤ - حبيب اسقف كيسوم من جبل الرها
- ٢٥ - باسيليوس اسقف زوغما من دير الحصيرة
- ٢٦ - متى اسقف مدينة تولا من دير مار حنانيا
- ٢٧ - توما اسقف قرقسيون من دير مار حنانيا
- ٢٨ - توما اسقف ارينوبوليس من دير زوقنين
- ٢٩ - ساويرا اسقف دارا
- ٣٠ - يعقوب اسقف النجديين
- ٣١ - حبيب اسقف ارينوبوليس
- ٣٢ - سرجيس اسقف رأس العين من دير مار حنانيا

خدم مار ثاودوسيوس البطريركية تسع سنوات واربعة اشهر وتوفي في ٤
حزيران سنة ١٢٠٧ في دير قرتمين

البطريك ديونيسيوس من دير بيت باتين حران. تمت رسامته
٢٣ نيسان سنة ١٢٠٨. وضع عليه اليد يعقوب مطران
حمص وانجز الشرطونيات التالية

- ١ - تاودوسيوس مطران الرها من جبل الرها
- ٢ - ايوانيس مطران شمشاط من دير سفولوس
- ٣ - طيمثاوس مطران دمشق من دير مار اثنوس
- ٤ - يوحنا اسقف العرب من دير مار يعقوب - كيسوم
- ٥ - يعقوب اسقف ارينوبوليس من دير تلعدا
- ٦ - اغناطيوس اسقف قنسرين من دير اوسيونا
- ٧ - يوحنا اسقف زوبطره من دير مار سمعان
- ٨ - يوحنا اسقف حران من دير مار سويريوس
- ٩ - دانيال اسقف شمشاط من دير حرباز
- ١٠ - قرياقس اسقف بعلبك من دير يوحنا الداري
- ١١ - جبرائيل مطران قورس من الدير الكبير
- ١٢ - اسحق مطران هرار من الدير الكبير بمنطقة تلالا
- ١٣ - فيلكسينوس (المطران) من دير شينا
- ١٤ - ديوسقوس مطران الرها من دير حرباز
- ١٥ - حبيب اسقف ارينوبوليس
- ١٦ - صموئيل مطران ميافرقاط
- ١٧ - ابراهيم مطران افره من دير سفولوس
- ١٨ - اسحق اسقف نصيبين من دير قنسرين
- ١٩ - يوحنا اسقف طور عبيد من دير قرتمين
- ٢٠ - ايوب اسقف قليسورا من دير قرتمين

- ٢١ - ثاودوسيوس اسقف رأس العين
- ٢٢ - قورلس مطران طرسوس من دير بيزونيا
- ٢٣ - ثاوفيلس اسقف زوبطره من دير مار حنانيا
- ٢٤ - دانيال اسقف ارمنيا
- ٢٥ - غريغوريوس مطران الرقة، وهو منها
- ٢٦ - يعقوب اسقف لابدين من دير بيت باتين
- ٢٧ - قوزما اسقف حدث
- ٢٨ - بطرس اسقف الرصافة من جبل الرها
- ٢٩ - يعقوب اسقف طبرية من دير مار يعقوب السروجي
- ٣٠ - موسى اسقف آمد من دير مار ملينا
- ٣١ - جرجيس اسقف حدث من جبل الرها
- ٣٢ - يوحنا اسقف ماردين من دير مار حنانيا
- ٣٣ - طيمثاوس اسقف قرقيون
- ٣٤ - انسطاس اسقف لابديقون بخرسان
- ٣٥ - اثناسيوس مطران دمشق
- ٣٦ - اثناسيوس مطران طرسوس
- ٣٧ - ثاودريط مطران ميافرقاط من دير تلال
- ٣٨ - جبرائيل مطران اوفيميا من دير بيزونا
- ٣٩ - اسحق اسقف ارمنيا من دير مار متى
- ٤٠ - يعقوب اسقف دليك من دير مار يعقوب
- ٤١ - ايليا اسقف ملطية من دير بيت باتين
- ٤٢ - اغناطيوس اسقف ارنيبوليس من دير مار يوحنا
- ٤٣ - ايوانيس مطران دارا وهو منها
- ٤٤ - اغناطيوس مطران آمد من دير حرباز
- ٤٥ - اسحق اسقف زوغما من دير اليشع
- ٤٦ - طيمثاوس اسقف شمشاط من دير مار سمعان

- ٤٧ - باسيلوس اسقف بيتونيا من جبل الرها
٤٨ - طيمثاوس اسقف الرها من دير رأس العين
٤٩ - يوسف اسقف سروج من دير مار سابا

خدم مار ديونيسيوس هذا البطريركية ١٣ سنة. توفي يوم الثلاثاء الراحة
في نيسان سنة ١٢٢٠ في دير بيت باتين، وفيه اودع جثمانه الطاهر

البطريك يوحنا من دير العمود في قورزحيل. تمت رسامته
في دير تل صفرا في حران، يوم السبت ٢١ نيسان سنة
١٢٢١. وضع عليه اليد يوحنا مطران مرعش رسم
الاساقفة التالية اسماؤهم

- ١ - توما مطران تكريت من دير العمود بجبل الرها
- ٢ - ايوانيس مطران هرار
- ٣ - دنحا اسقف كيسوم من دير سفولوس
- ٤ - ابراهيم اسقف دليك من دير نولبان
- ٥ - يوسف اسقف مرعش من دير تابش
- ٦ - تاودوسيوس مطران ميافرقاط
- ٧ - يوسف مطران القدس من دمشق
- ٨ - ساويرا اسقف قليسورا من دير مار يعقوب - كيسوم
- ٩ - جبرائيل اسقف دليك من دير مار يعقوب
- ١٠ - ايوب اسقف حلب من دير بيزونا
- ١١ - سمعان اسقف كيثرا من دير العمود
- ١٢ - دنحا مطران تكريت من كنيسة مار توما
- ١٣ - اسحق مطران حمص من دير فورجيل - حران
- ١٤ - اسطيفانس اسقف ايرنوبوليس
- ١٥ - يعقوب اسقف مدينة زوغما
- ١٦ - توما اسقف قنسرين من الحصيرة
- ١٧ - تاودوسيوس اسقف النجديين والتغالبية من دير العمود
- ١٨ - سرجيس مطران الرصافة من دير مار زكى
- ١٩ - هرون اسقف كيثرا من دير قنسرين

- ٢٠ - صموئيل اسقف طور عبدين من دير قرتمين
- ٢١ - ثاودوسيوس مطران القدس من دير مار اثنانوس
- ٢٢ - يوسف اسقف ارزون رئيس دير قرتمين
- ٢٣ - اغناطيوس اسقف ماردين من دير مار حنانيا
- ٢٤ - موسى مطران دمشق من دير شيلا
- ٢٥ - انتيموس اسقف ريشكيفا
- ٢٦ - قسطنطين اسقف مدينة تولا
- ٢٧ - اسحق مطران قورس من قورزحيل
- ٢٨ - ابراهيم مطران نصيبين من دير مار سمعان
- ٢٩ - لعازر اسقف ارينوبوليس من دير مار يعقوب
- ٣٠ - ديوسقورس اسقف رأس العين
- ٣١ - باسيليوس اسقف قرقيون
- ٣٢ - يوحنا اسقف ملطية من دير مار برصوم
- ٣٣ - بولس اسقف افراه من دير مار برصوم
- ٣٤ - داود اسقف زوبطره من دير شليمون - دليك
- ٣٥ - اغناطيوس اسقف حران من دير حصن حاموصا
- ٣٦ - ساويرا اسقف الرقة من دير مار حنانيا
- ٣٧ - يعقوب مطران الرقة من جبل الرها
- ٣٨ - ايوانيس اسقف ارنيوبوليس من دير حصن حاموصا
- ٣٩ - حبيب اسقف تولا من دير قورزحيل
- ٤٠ - قرياقس اسقف بيتونيا من دير مار شليمون
- ٤١ - ساويرا اسقف تل بسما من دير اثنانوس

خدم مار يوحنا هذا البطريركية ١٢ سنة. توفي في السبت الاخير من تشرين الثاني في دير سفولوس في رأس العين. ووري جثمانه في كنيسته الكبرى .

البطريك باسيليوس من دير سفولوس في بلدة مريية. رسم
يوم الجمعة ١٥ آب عيد انتقال والدته الله سنة ١٢٣٤. وضع
عليه اليد مار حبيب اسقف انازربا. وقام بالرسومات التالية

- ١ - قرياقس مطران قورس من الدير نفسه
- ٢ - غريغوريوس مطران ملطية وكلوديا
- ٣ - اغناطيوس مطران انازربا من بلدة بللا
- ٤ - تاودوسيوس مطران منبج من ارفانيا
- ٥ - ايوب اسقف ابديقون في فارس من الرها
- ٦ - تاودوسيوس مطران شمشاط من جبل الرها
- ٧ - سمعان مطران حدث من دير يعقوب - كيسوم
- ٨ - يوحنا اسقف سروج من دير مار حنانيا
- ٩ - اسطيفانس اسقف ارمنيا من دير مار اليشع
- ١٠ - ايوب مطران طبرية من دير مار زكي
- ١١ - ايوانيس اسقف طورعبددين من دير قرتمين
- ١٢ - جبرائيل مطران دارا رئيس دير المشاركة
- ١٣ - يوحنا اسقف النجديين والمعديين من دير فرقتا
- ١٤ - اثناسيوس مطران حمص من دير مار حنانيا
- ١٥ - اثناسيوس اسقف العرب من دير حرباز
- ١٦ - قورلس مطران القدس من جبل الرها
- ١٧ - ايوانيس اسقف سروج من دير مار برصوم
- ١٨ - فيلكسينوس مطران الرها
- ١٩ - داود مطران حمص من دير مار شيلا
- ٢٠ - يوليوس مطران ميافرقاط من دير العمود
- ٢١ - اثناسيوس اسقف بعلبك رئيس دير الرها

- ٢٢ - ايوانيس مطران آمد من دير مار برصوم
- ٢٣ - ايوب اسقف زوغما من دير الحصيرة
- ٢٤ - ديونيسيوس مطران شميشاط من دير مار سويريوس
- ٢٥ - غريغوريوس اسقف حدث من دير مار يوحنا
- ٢٦ - ابراهيم اسقف حلب من دير مار يوحنا
- ٢٧ - بطرس مطران سجستان من جبل الرها
- ٢٨ - سرجيس اسقف سروج من دير مار برصوم
- ٢٩ - ايوانيس اسقف كيثرا من دير مار زكي
- ٣٠ - ارميا اسقف حماه من دير حصن حاموصا
- ٣١ - بطرس اسقف ماردين وكفرتوتا من دير مار حنانيا
- ٣٢ - بولس مطران هرار من جبل الرها

خدم مار باسيليوس هذا البطريركية ١١ سنة و ٧ اشهر. توفي يوم اربعاء
الآلام ٢٥ اذار في الدير الشرقي. لتكن صلاته معنا آمين

البطريك يوحنا من متوحيدي الجبل الاسود. تمت رسامته في
بلدة تلعدا بمنطقة انطاكية يوم الاحد ٢٨ آب ١٢٢٧.
وضع عليه اليد مار اثناسيوس مطران طرسوس.
رسم الاساقفة التالية اسمائهم

- ١ - باسيليوس مطران تكريت من دير قرتمين
- ٢ - انسطاس اسقف حلب من دير سمعان
- ٣ - يعقوب مطران طبرية من دير مار يونان - دمشق
- ٤ - غريغوريوس اسقف رأس العين
- ٥ - متى اسقف ارزون من دير مار زكى
- ٦ - ايوانيس اسقف دلولا
- ٧ - ابراهيم اسقف حدث من دير مار زكى
- ٨ - ايوانيس اسقف قاسطن من دير مار اليشع
- ٩ - ايوانيس اسقف دليك من دير مار شليمون
- ١٠ - حبيب اسقف طور عبيد من قرتمين
- ١١ - باسيليوس اسقف شمشاط من قاقوسين
- ١٢ - اثناسيوس مطران افره من دير مار دانيال
- ١٣ - ساويرا اسقف قرقسيون من دير قرتمين
- ١٤ - يعقوب اسقف ميافرقاط من دير بيزونا
- ١٥ - طيمثاوس اسقف لوسطن
- ١٦ - اثناسيوس اسقف افره من سفولوس
- ١٧ - ايوب اسقف حمام وكنيسيا
- ١٨ - سرجيس مطران اوفيميا من بيزونا
- ١٩ - باسيليوس اسقف ارشميشاط من دير مار شليمون

- ٢٠ - ابراهيم اسقف ارمنيا من دير مار سرجيس
- ٢١ - سمعان اسقف قنسرين من الدير الكبير
- ٢٢ - ثاودوسيوس اسقف زوبطره من دير اثافوس
- ٢٣ - يوحنا مطران دمشق من دير الانفس - حلب
- ٢٤ - يعقوب مطران منبج من دير مار زكى
- ٢٥ - اثاسيوس مطران شميشاط
- ٢٦ - سويريوس اسقف ريشكيفا من بيزونا
- ٢٧ - يوحنا مطران انازربا
- ٢٨ - ايوب نظران نصيبين
- ٢٩ - يوسف مطران آمد من دير مار برصوم
- ٣٠ - اسطيفانس اسقف زوبطره
- ٣١ - بطرس اسقف كلوديا
- ٣٢ - ايوانيس اسقف سجستان
- ٣٣ - اغناطيوس اسقف مقاطعة ألس
- ٣٤ - فيلكسينوس اسقف حران من دير الانفس
- ٣٥ - ابراهيم مطران الرها من دير العمود
- ٣٦ - اثاسيوس مطران طرسوس
- ٣٧ - موسى اسقف مرعش
- ٣٨ - داود مطران انازربا
- ٣٩ - حبيب مطران الرصافة من دير مار زكى
- ٤٠ - ارميا مطران طرسوس
- ٤١ - اثاسيوس اسقف انازربا
- ٤٢ - اغناطيوس اسقف طورعبدین
- ٤٣ - يعقوب اسقف حمام وكنيسيا
- ٤٤ - ايوانيس اسقف لوسطن من آمد
- ٤٥ - ايوانيس مطران ملطية
- ٤٦ - ميخائيل مطران دارا

٤٧ - ارميا مطران القدس من جبل الرها

٤٨ - يوحنا اسقف فرنه

خدم مار يوحنا هذا البطريركية ١٧ سنة. توفي في ٣ تموز - عيد مار
توما. اودع جثمانه ضريح المطران يعقوب الرهاوي في دير تلعدا الكبير.
صلاته معنا

البطريك ايوانيس من دير العمود في قورزحيل. رسم في بلدة
تلعدا سنة ١٢٦٥. وضع عليه اليد مار يعقوب مطران الرقة.
تمت على يديه الرسامات التالية

- ١- ايليا مطران ملطية من دير زوقنين
- ٢- يوسف مطران دمشق
- ٣- موسى مطران حمص من دير مار ابجاي
- ٤- باسيلوس اسقف زوبطره
- ٥- لوقا اسقف قرنه
- ٦- يوسف مطران نصيبين
- ٧- موسى مطران العربية
- ٨- سمعان اسقف افره بخرسان
- ٩- سرجيس مطران بعلبك
- ١٠- يعقوب مطران سيمندو

خدم مار ايوانيس هذا البطريكية سنتين. توفي يوم الجمعة الاخيرة من
كانون الثاني في دير مار شليمون في دليك .

البطريك ديونيسيوس من دير قرتمين. رسم في ٢٨ تشرين
الثاني سنة ١٢٦٩. وضع عليه اليد مار يعقوب اسقف الرقة.
رسم الاساقفة التالية اسمائهم

- ١- لعازر مطران انازربا .
- ٢- يوحنا اسقف زوبطره من دير الباردي .
- ٣- اثناسيوس مطران دمشق .
- ٤- ايوانيس اسقف ماردين من دير قرتمين .
- ٥- طيمثاوس اسقف حران، رسم في دير ترعيل .
- ٦- اغناطيوس اسقف كيثرا رسم في دير ترعيل .
- ٧- يوحنال مطران الرقة رسم في دير ترعيل .

خدم البطريكية عشرة اشهر، توفي في الربع من اذار، دفنه استاذ
انسطاس اسقف حلب. صلواته معنا .

البطريك يوحنا المعروف بـ «ذو الحصيرة» نظرا الى تمعنه
في الزهد وهو من دير ترعيل. رسم يوم الاحد ٩ تموز سنة
١٢٧٦ في كفرتييو بمنطقة سروج . وضع عليه اليد مار
سرجيس. رسم الاساقفة التالية اسماؤهم

- ١- يوحنا اسقف رأس العين من دير العمود
- ٢- اغناطيوس مطران آمد
- ٣- تاودوسيوس مطران دمشق
- ٤- يوحنا مطران هرار
- ٥- طيمثاوس مطران ميافرقاط من دير البار
- ٦- فيلكسينوس مطران الرها، من جبل الرها
- ٧- اغناطيوس مطران ملطية
- ٨- ايوانيس اسقف طور عبيد
- ٩- باسيلوس اسقف ماردين
- ١٠- ايوانيس اسقف هرار بخرسان
- ١١- اثناسيوس اسقف قليسورا
- ١٢- ديونيسيوس اسقف حدث
- ١٣- ايليا مطران شمشاط
- ١٤- سرجيس اسقف حلب من عين القناة
- ١٥- يوحنا مطران طبرية
- ١٦- قرياقس مطران سروج من دير سرجيسة
- ١٧- ايوانيس مطران مرعش من دير البرية
- ١٨- اغناطيوس مطران دارا من دير قرتمين

- ١٩- سرجيس اسقف رأس العين من دير بطريق
- ٢٠- تاوفيل مطران دمشق من دير مار يونان
- ٢١- طيمثاوس مطران آمد من شجر دير مار هرون
- ٢٢- ميخائيل اسقف كلوديا من دير مار برصوم
- ٢٣- تاودوسيوس اسقف حران من دير بيت باتين
- ٢٤- باسيليوس مطران سيمندو من دير والدة الله
- ٢٥- سرجيس مطران اوفيميا من دير اثنوس
- ٢٦- سمعان اسقف زوغما وجبين بنهر البار
- ٢٧- توما مطران القدس من دير ترعيل في مرعش
- ٢٨- يوحنا مطران قورس من عين القناة
- ٢٩- قوزما مطران الرصافة من عمود دير مار برصوم في سروج
- ٣٠- بطرس اسقف ارزون من آمد بمنطقة نهر البار
- ٣١- حزقيال مطران دارا وحابورا من دير قرتمين
- ٣٢- سرجيس اسقف قرنه من عين القناة
- ٣٣- موسى اسقف منطقة كلوديا في مرعش
- ٣٤- باسيليوس مطران طبرية في قرية ارنوس
- ٣٥- قرياقس اسقف زوبطره من نهر البار بمرعش
- ٣٦- بولس اسقف افره من عين القناة
- ٣٧- دنحا اسقف ارشميشاط من نابش في كيسوم
- ٣٨- زكريا اسقف سروج من دير نهر البار
- ٣٩- باسيليوس اسقف سجستان من دير سرجيس بمرعش
- ٤٠- يوحنا مطران نصيبين من دير مار يوحنا بمرعش
- ٤١- ميخائيل اسقف قليسورا من دير مار يوحنا
- ٤٢- باسيليوس اسقف سروج من جبل الرها
- ٤٣- ايوانيس اسقف حمام من نابش في كيسوم
- ٤٤- بطرس اسقف حران من الدير الكبير في مرعش

٤٥- تاودوسيوس اسقف مرعش من دير سرجيس وباكوس
٤٦- صموئيل اسقف حمام من دير مار فرغسيا في تجرا

خدم البطريركية ٢٥ سنة وتوفي في دير البارد. اودع جثمانه في الكنيسة
التي انشأها .

البطريك اثناسيوس الصلحي من دير مار هرون في شغر.
رسم يوم الخميس ٢٧ تشرين الاول سنة ١٢٩٨ في قرية
قطيني بمنطقة جيحون. وضع عليه اليد لعازر مطران انازربا.
رسم الاساقفة التالية اسمائهم

- ١- بولس مطران طرسوس من دير الباراد .
- ٢- اندراوس مطران قورس من دير الباراد .
- ٣- يوحنا اسقف ارشميشاط من دير والدة الله قليسورا .
- ٤- اسحق اسقف قليسورا من دير سرجيسة .
- ٥- بطرس اسقف سروج من دير مار برصوم .
- ٦- ايوانيس اسقف ماردين ورأس العين وكفرتوثا من دير مار سرجيس .
- ٧- فيلكسينوس مطران دارا من دير قرتمين .
- ٨- خريستودولس اسقف بعلبك من دير مار يونان دمشق .
- ٩- قورلس اسقف ارمنيا من دير مار اليشع .
- ١٠- موسى اسقف شميشاط من دير نهر الباراد .
- ١١- باسيليوس مطران بالش من كورة انطاكية .
- ١٢- طيمثاوس مطران منبج من دير موريفي .
- ١٣- ايوانيس مطران هرار من آمد ومن دير موريفي .
- ١٤- غريغوريوس اسقف البيرة من دير الساعي بملطية .
- ١٥- موسى مطران الرقة من دير يوحنا في قورس بملطية .
- ١٦- فيلكسينوس اسقف مدينة تλλα من دير الاربعين في ابن جاجي ملطية .
- ١٧- اغناطيوس مطران تكريت من دير الأربعين في برجاجي - ملطية .
- ١٨- باسيليوس اسقف برقا من دير الباراد .
- ١٩- يوحنا اسقف زوغما من دير الباراد نفسه .
- ٢٠- اغناطيوس مطران الرها من دير ابن جاجي .

- ٢١-ديوسقورس مطران حمص من دير مار ماما .
- ٢٢-يوسف اسقف طور عبيد من دير قرتمين .
- ٢٣-توما مطران انازربا من دير مشرعا في نهر البارد .
- ٢٤-ديونيسيوس اسقف كلوديا وهو الكاتب .
- ٢٥-طيمثاوس اسقف افره من دير مشرعا .
- ٢٦-يوحنا اسقف طور عبيد من دير قرتمين .
- ٢٧-جبرائيل اسقف حلب من دير مار شليمون .
- ٢٨-ثاودوسيوس مطران ميافرقاط من دير مار يوحنا .
- ٢٩-ايوانيس اسقف ارشميشاط من دير البارد - مار دمياط .
- ٣٠-فيلكسينوس مطران منبج وكيشرا من دير والدة الله .
- ٣١-يعقوب اسقف بعلبك من دير مار يوحنا .
- ٣٢-دانيال اسقف ارمنيا من دير كيفا الارزانيين بنهر البارد .
- ٣٣-توما مطران طبرية من دير مار متى .
- ٣٤-بطرس اسقف عربوقس من دير مار برصوم .
- ٣٥-ابراهيم اسقف زوغما من دير والدة الله بمنطقة دير مار برصوم .
- ٣٦-يوحنا اسقف دليك من دير مار شينا .
- ٣٧-ايليا اسقف سيمندو من دير مار بطرس .
- ٣٨-اغناطيوس اسقف ارزون من دير مار برصوم .

خدم البطريركية ١٦ سنة. توفي في دير مار برصوم، واودع جثمانه الطاهر مدفن (خزانة) الكنيسة القديمة في الجهة الشمالية، صلواته معنا.

البطريك يوحنا بن عبدون، من ملطية. عاش متوحدا في
الجبل الاسود. تمت رسامته يوم الخميس ٦ تموز سنة ١٣١٥
في دير والدة الله في بندوقة بمنطقة جودفي. وضع عليه اليد
بطرس اسقف حران. رسم الاساقفة ادناه

- ١- توما مطران شمشاط من دير الجبل الاسود .
- ٢- يوحنا مطران آمد تلميذ دير اثنوس .
- ٣- ساويرا اسقف ارزون من دير قرتمين .
- ٤- اثناسيوس مطران طرسوس من دير سرجيس وباكوس .
- ٥- اغناطيوس مطران ملطية من دير قينان في حدث .
- ٦- اثناسيوس مطران الرقة من دير مديق .
- ٧- يوحنا مطران ابرشية حوران بيتونيا من كنيسة صور .
- ٨- باسيليوس مطران هرار من دير قرتمين .
- ٩- ايوانيس اسقف حدث ورعين من دير مار لعازر العرقي .
- ١٠- ابراهيم اسقف قليسورا من دير سرجيسة .
- ١١- بطرس مطران الرقة من دير ادهار .
- ١٢- ماروثا مطران طبرية من مدينة كلش .
- ١٣- سمعان اسقف شيزر من دير مشرعا .
- ١٤- باسيليوس مطران انازربا من دير ابولاهور .
- ١٥- اسحق اسقف عرقا من دير برجاجي. كاتب البطريك الذي صار
خلقيدونيا فيما بعد.

- ١٦- ايليا اسقف زوغما من دير مار يوليان .
- ١٧- متي مطران سجستان من دير مار حنانيا .
- ١٨- اندراوس اسقف كيسوم من دير نابش .
- ١٩- باسيليوس مطران نصيبين من دير قرتمين .

- ٢٠- سرجيس اسقف سروج من دير مار يوليان كيسوم .
- ٢١- يوحنا اسقف رأس العين من دير مار حنانيا .
- ٢٢- يوحنا مطران دارا وحابورا من دير الباردا .
- ٢٣- طيمثاوس اسقف قرنه وتل ارسينوس من دير مار برصوم .
- ٢٤- سمعان اسقف تلالا ولاقبين من دير مار دمياط .
- ٢٥- قورلس اسقف حمام من دير والدة الله - انازربا .
- ٢٦- يوحنا مطران دارا من دير مار اباي في قلت .
- ٢٧- توما اسقف كلوديا من دير نهر الباردا .
- ٢٨- يوحنا مطران القدس من دير كرشنا في انطاكية .
- ٢٩- ثاودوسيوس مطران دمشق من دير الاحمر في كرشنا .
- ٣٠- اثناسيوس مطران تكريت من دير والدة الله .
- ٣١- باسيليوس مطران من دير برجاجي .
- ٣٢- ابراهيم مطران طرسوس من دير قالينيقوس .
- ٣٣- اثناسيوس مطران جورفي كرشنا من دير السلام .
- ٣٤- اغناطيوس اسقف حمام من دير ابولاهور .
- ٣٥- غريغوريوس اسقف البيرة من دير حرصفتا .
- ٣٦- قورلس مطران قورس من دير مار سابا .
- ٣٧- ديونيسيوس مطران ميافرقاط من دير زرنوقا .
- ٣٨- فيلكسينوس مطران افره من دير مار متى .
- ٣٩- فليكسينوس مطران القدس من دير برجاجي .
- ٤٠- باسيليوس اسقف حران من دير قرتمين .
- ٤١- موسى اسقف حصن زياد من دير مار هاون .
- ٤٢- اثناسيوس حايا اسقف ارشيمشاط من دير مار هرون - شجر صار بطيركا .

- ٤٣- ايوانيس اسقف دليك من دير ابولاهور .
- ٤٤- ابراهيم مطران شميشاط من دير السلام .
- ٤٥- ديونيسيوس اسقف تل ارسينوس من دير السلام .

٤٦- باسيليوس اسقف كلوديا من دير مار برصوم .

٤٧- ايوانيس مطران ارزون من دير قرتمين .

رسم الطوباوي اكثر من هؤلاء الاساقفة لم تدون اسماءهم كما اشرنا في حديثنا عن سيرته اعلاه، لان اليونان قبضوا عليه ونفوه. خدم البطريركية ٢٦ سنة واستشهد في المنفى في بلاد البرجيين في ٢ شباط سنة ١٣٤١. صلاته معنا .

البطريك ديونيسيوس يحيى رئيس دير لعازر بمنطقة ملطية.
تمت رسامته يوم الخميس ١٤ تشرين الاول سنة ١٣٤٣
في دير مار ديميط في كلوديا، خلال فترة الاضطهاد من قبل
الخليقيونيين. وضع عليه اليد مار ابراهيم اسقف قليسور.
رسم الاساقفة ادناه

- ١- فيلكسينوس مطران سيمندو من دير مار برصوم .
- ٢- اغناطيوس اشعيا اسقف البيرة من حرصفتا .
- ٣- يوحنا اسقف عرقا من دير تل بطريق .
- ٤- غريغوريوس لعازر اسقف مرعش .
- ٥- اثناسيوس اسقف جيحون من دير سرابيون .
- ٦- يوحنا مطران ملطية من دير مار شينا (غادر واستقر في آمد بمنطقة المسلمين هربا من اضطهاد اليونان).
- ٧- طيمثاوس مطران بالش من دير مار اثانوس .
- ٨- اثناسيوس يشوع مطران الرها رئيس دير مار ابجاي.
- ٩- ايوانيس اسقف بعلبك من الدير نفسه .
- ١٠- ايوانيس مطران انازربا من دير بوقا .
- ١١- باسيليوس اسقف حدث من دير مار هرون .
- ١٢- ايوانيس زكا اسقف طورعبددين من دير العابد .
- ١٣- قورلس مطران حمص من دير قلف .
- ١٤- يوحنا اسقف تولا ولاقيين من دير برجاجي .
- ١٥- ايوانيس برصوم اسقف حصن زياد من دير برجاجي .
- ١٦- طيمثاوس اسقف قليسورا من دير مار هرون .
- ١٧- فيلكسينوس متوشالح اسقف منبج من عرسليس .
- ١٨- المطران اثناسيوس من دير الباردي في آمد .

- ١٩- ايوانيس مطران من دير الفرس .
- ٢٠- مرقس مطران افره من دير البار د .
- ٢١- ايوانيس مطران هرا من دير برجاجي .
- ٢٢- اثناسيوس مطران حمص من دير قلف .
- ٢٣- باسيلوس اسقف عرقا من دير ابولاهور .
- ٢٤- غريغوريوس مطران ارمنيا من دير مار جرجس .
- ٢٥- طيمثاوس مطران طبرية من دير زرنوقا .
- ٢٦- باسيلوس مطران تكريت سنة ١٣٩٦ .
- ٢٧- غريغوريوس مطران الرقة من دير برجاجي .
- ٢٨- ابراهيم اسقف ارشميشاط من دير شجر - برجاجي .
- ٢٩- ايوانيس اسقف قرقسيون من دير البار د .
- ٣٠- اغناطيوس اسقف ارزون من دير بن بوشير .
- ٣١- يوحنا اسقف كيسوم من دير مار يوليان الاحمر .
- ٣٢- اغناطيوس مطران آمد من الدير نفسه .
- ٣٣- بولس اسقف ماردين من دير قرتمين .

خدم ١٠ سنوات، وتوفي في ٢١ اذار، اودع جثمانه الكنيسة الكبرى في مدينة آمد .

البطريـك يوحنا من دير برجـاجي وهو ابن اخ البطريـك يوحنا بن عبدون رسم يوم الثلاثاء سنة ١٣٥٣ في منطقة زرغما في فرزام على حدود رعبن. وضع عليه اليد مار ايليا رئيس المجمع. ورسم الاساقفة ادناه.

- ١- يوحنا اسقف زوبطره رسمه مكرها .
- ٢- اثناسيوس اسقف نصيبين من دير قرتمين .
- ٣- ايوانيس اسقف حدث كاتب، ابو لاهور .
- ٤- زكريا مطران القدس من دير البار .
- ٥- مرقس اسقف ارزون من دير اليشع .
- ٦- باسيليوس مطران طرسوس كاتبه .
- ٧- باسيليوس مطران انازربا من دير ابولاهور .
- ٨- بطرس اسقف حمام وبالنج من دير الشيوخ .
- ٩- طيماتاوس اسقف حدث من دير برجاجي في حانه .
- ١٠- سرجيس اسقف حلب من دير مار حبيب .
- ١١- باسيليوس اسقف طورعبدین من دير قرتمين .
- ١٢- بطرس مطران نصيبين من دير قرتمين .
- ١٣- توما مطران القدس من دير قرتمين .
- ١٤- اثناسيوس مطران شمشاط من دير مار لعازر .
- ١٥- ايوانيس عبد الاحد اسقف كرشنا .
- ١٦- توما مطران سجستان من دير حانه .
- ١٧- ايليا مطران بالش ابو الحسن، شماس من ميتان .
- ١٨- ديونيـسيوس داود اسقف بيرة جرجر .
- ١٩- باسيليوس اسقف شمشاط في ليطور .
- ٢٠- ديوسقورس اسقف شمشاط في ليطور .

- ٢١- باسيلوس مطران افره من دير حانه .
- ٢٢- ايوانيس اسقف قليسور من تل بطريق .
- ٢٣- باسيلوس اسقف عراقا من دير الفرس .
- ٢٤- غريغوريوس اسقف ماردين وتل بسما ورأس العين .
- ٢٥- اثناسيوس مطران ارزون من دير عابد عابدون .
- ٢٦- ايوانيس اسقف جوباس من دير مار برصوم .
- ٢٧- بطرس اسقف كلوديا من دير حور .
- ٢٨- فليكسينوس اسقف حمام وبالنج و(سعيدنو) من دير والدة الله في
الجبل الاسود .
- ٢٩- ايوانيس اسقف حلب من دير الحبيس في الجبل الاسود .
- ٣٠- ديونيسيوس مطران شمشاط من دير برجاجي .

خدم ١٤ سنة وعشرة اشهر . كان واقعيا في اختيار رساماته ومتأثرا
بمعلمه . توفي يوم السبت ٢٤ ايار سنة ١٣٦٨ . دفن في الجهة الشرقية
من كنيسة والدة الله في آمد .

البطريك اثناسيوس عائش. كان اسقفاً لارشميشاط. رسم
للمرة الثانية بصورة غير اصولية في بلاد فارس. وضع عليه
اليد باسيليوس اسقف حران. انتقد بسبب الرسامة الثانية.
رسم الاساقفة ادناه

- ١- غريغوريوس اسقف كيسوم .
- ٢- اغناطيوس اسقف عرقا من دير اركولا .
- ٣- طيمثاوس اسقف حصن بطريق من دير مار هرون شغرا.
- ٤- طيمثاوس اسقف تل بطريق من دير باعوث في حصن زياد.
- ٥- اغناطيوس سيمندو من دير الباردي .
- ٦- اثناسيوس مطران حمص من المدينة نفسها .
- ٧- فيلكسينوس اسقف ارشميشاط من القلاية البطريكية.
- ٨- متى اسقف شمشاط .
- ٩- ايوانيس مطران ميافرقاط من دير حور عابر .
- ١٠- طيمثاوس اسقف مرعش من دير مار شينا .
- ١١- اغناطيوس مطران دمشق .
- ١٢- باسيليوس مطران حايون من الجبل الاسود .
- ١٣- تاودوسيوس اسقف رعين .
- ١٤- بطرس اسقف عرقا وهو ابن الطويل الذي انحرف الى الخلقيدونية
بعد عودته من المنفى بسبب نزاع .
- ١٥- غريغوريوس اسقف بيرة جرجر .
- ١٦- اثناسيوس اسقف رحبون .
- ١٧- اغناطيوس مطران ملطية، ابن اخت البطريك .

لقد رسم اساقفة آخرين لم تدون اسمائهم بسبب النزاع الذي نشب على اثر
خروج الاتراك. توفي سنة ١٣٧٤ وهو في الطريق الى القسطنطينية حيث
اخذه الخلقيدونيون بحجة الحوار معه. واودع جثمانه دير مار هرون شغرا

البطيريك يوحنا بن شوشان الملطي. رسم في آمد في ايام
البطيريك عائش لكنه تنحى. وبعد وفاة ذاك، اجتمع الاساقفة
واضطروه على قبول البطيركية فباشروا الخدمة
ورسم الاساقفة ادناه

- ١ - اغناطيوس اسقف قلت ودارا وهو من قلت .
- ٢ - سمعان اسقف كيسوم من القلاية البطيركية .
- ٣ - طيمثاوس اسقف حران من كنيسة الرهاوين هناك .
- ٤ - طيمثاوس اسقف كلوديا من دير حرصفتا .
- ٥ - اثاسيوس مطران سيمندرو من دير الباردي في حران .
- ٦ - باسيليوس اسقف لاقبين من دير لعازر في عرقا .
- ٧ - ديونيسيوس اسقف جوياس من برجاجي .
- ٨ - ايوانيس اسقف عرقا من برجاجي .
- ٩ - متى اسقف سروج لقد ترك ابرشيته .
- ١٠ - فيلكسينوس اسقف سبستان رفض الالتحاق بها فعزل .
- ١١ - اغناطيوس اسقف ارزون من منطقة ميافرقاط .
- ١٢ - طيمثاوس الامدي مطران القدس من دير مار ابحابي .
- ١٣ - اغناطيوس مطران الرقة من حران من الدير نفسه .
- ١٤ - باسيليوس اسقف ماردين من دير قرتمين .
- ١٥ - اثاسيوس مطران شمشاط من دير اشود .
- ١٦ - اغناطيوس اسقف دليك من دير ابو هوري .
- ١٧ - ايوانيس شاول اسقف ماردين من دير قرتمين .

خدم البطيركية ٩ سنوات. توفي يوم الثلاثاء ٢٧ تشرين الثاني سنة
١٣٨٤. واودع جثمانه في كنيسة والدة الله في آمد الى جانب ضريح مار
ايوحنا بن عبدون .

البطريك باسيليوس من دير مار برصوم في شُنا. تمت
رسامته في كانون الثاني سنة ١٣٨٥ في حصن منصور.
وضع عليه اليد اثناسيوس مطران الرها. رسم الاساقفة ادناه

- ١- باسيليوس مطران انازربا من دير مار بحاي .
- ٢- غريغوريوس اسقف حلب من دير اشود ودير مار برصوم.
- ٣- يوحنا مطران سيمندو من دير برجاجي في دير مار برصوم وهو
البطريك ابن عبدون .
- ٤- اثناسيوس اسقف حصن زياد من دير مار برصوم .
- ٥- اثناسيوس مطران الرها في دير مار بحاي .
- ٦- اثناسيوس اسقف كرشنا في القلاية البطريركية في قنقرت .
- ٧- يوحنا مطران ومفريان تكريت من دير قرتمين .

خدم سنة واحدة وستة اشهر . توفي ودفن في كنيسة ميافرقاط مدينة
الشهداء .

البطريرك يوحنا عيدون. كان مطران سيمندو واختطف
البطريكية بالقوة. رسم الاساقفة ادناه .

- ١- ايوانيس اسقف تل حمدون .
- ٢- ايدموس اسقف عرقا .
- ٣- اغناطيوس اسقف ماردين وبوزير، اسلم في آمد .

ظل عيدون هذا على قيد الحياة لعهد اربعة بطاركة .

البطريرك ديونيسيوس لعازر رئيس دير مار برصوم. رسم في
الدير نفسه. وضع عليه اليد مار يوحنا مطران تكريت سنة
١٣٨٨. خدم سنة واحدة. ولم يرسم أي اسقف. توفي في
حصن منصور .

البطريرك ايوانيس يوحنا المتوحد من منطقة كرشنا. رسم في
ملطية سنة ١٣٩١. وضع عليه اليد اغناطيوس مطران ملطية
والاساقفة الذين معه. رسم الاساقفة ادناه

- ١- يوحنا مطران القدس من دير الباراد.
- ٢- طيمثاوس اسقف قليسورا من دير مار برصوم .
- ٣- اثناسيوس اسقف دليك ومنبج من دير الباراد .

- ٤- باسيليوس مطران ميافرقاط من دير الباراد .
٥- صليباً اسقف بالبخ من الدير نفسه .

خدم سنة واحدة وستة اشهر . توفي في دير الباراد، واودع جثمانه الطاهر
نفس الدير .

البطريك ديونيسيوس مرقس رئيس دير الباراد رسم فيه
بعضور عدد قليل من الاساقفة لذا رفض، ولم يقبل حتى اخذ
عبدون يعبت فساداً . رسم الاساقفة ادناه

- ١ - فيلكسينوس اسقف مرعش من دير مار برصوم .
- ٢ - متي اسقف رعين من دير شمنوك .
- ٣ - باسيليوس اسقف حران من الدير نفسه .
- ٤ - ايوانيس اسقف ارشميشاط من دير الغابة الكثيفة .
- ٥ - فيلكسينوس اسقف حصن منصور من دير
- ٦ - هرون مطران سجستان من دير مار هرون في الجبل المبارك .
- ٧ - باسيليوس شملي اسقف طورعبدین .
- ٨ - غريغوريوس لعازر للابرشية التي انقسمت .
- ٩ - يشوع اسقف انازربا من دير ابو لهوري .
- ١٠ - باسيليوس مطران كفرطاب وحمص .

خدم سنة ونصف وتوفي في دير زرنوفا .

البطريك اثناسيوس ابو الفرج الأمدى. كان راهبا كاهنا في
دير مار برصوم. رسم في ملطية يوم الأحد الأول من كانون
الأول سنة ١٤٠٢. وضع عليه اليد مار طيمثاوس مطران تل
بطريق. رسم الاساقفة ادناه

- ١- قورلس مطران القدس من القدس دعي من دير مار برصوم وهو
سعدون ذو القراطيس السبعة .
- ٢- ايوانيس اسقف بالنج من بيثونيا في دير البار .
- ٣- يوحنا مطران ملطية وهو سعيد ابن الصابوني الذي قُتل .
- ٤- باسيليوس اسقف بيرة جرجر . من دير مار بحاي .
- ٥- اغناطيوس مطران تل بطريق . من دير مار هرون .
- ٦- ديونيسيوس مطران ارزون من دير مار حبيب .
- ٧- باسيليوس مطران الرها، ابن الصابوني المعزول .
- ٨- ديونيسيوس اسقف كيسوم من دير مار برصوم .
- ٩- فيلكسينوس مطران منبج من دير كاسليود .
- ١٠- باسيليوس مطران سيمندو من دير البار .
- ١١- طيمثاوس اسقف ارشميشاط من دير مار بحاي .
- ١٢- ايوانيس اسقف تل بطريق من دير سرسق .
- ١٣- باسيليوس اسقف سروج من جبل الرها .
- ١٤- غريغوريوس اسقف كلوديا من دير مار برصوم .
- ١٥- طيمثاوس اسقف كرشنا من دير برجاحي .
- ١٦- يوحنا بن توما اسقف لاقبين من كنيسة ملطية .
- ١٧- داود مطران القدس من غدير الليل وهو سعدون الذي غرق في
البحر .
- ١٨- باسيليوس اسقف حصن زياد من بيت قنيا .

- ١٩- غريغوريوس اسقف رعين من دير عرنيش .
- ٢٠- طيمثاوس مطران طرسوس من دير مار حبيب .
- ٢١- ايوانيس اسقف سروج من جبل الرها .
- ٢٢- طيمثاوس اسقف جرجر وهو ابن باسيل من دير سرجيسة.
- ٢٣- ايوانيس اسقف الرقة من كنيسة بالش .
- ٢٤- ايوانيس اليشع مطران ملطية من مرعش .
- ٢٥- ديونيسيوس موسى مفريان تكريت من دير البار .
- ٢٦- باسيليوس اسقف حصن منصور، استقال بعد سنة، وعاش سنة واحدة. ومات.
- ٢٧- اغناطيوس اسقف حانه من طورعدين .
- ٢٨- طيمثاوس اسقف مرعش من متوحيدي دوير .
- ٢٩- طيمثاوس اسقف تل بطريق من دير فوقا .
- ٣٠- اغناطيوس اسقف كفرطاب من ديرنا في القدس .
- ٣١- باسيليوس اسقف دير قرتمين من الدير نفسه.
- ٣٢- اغناطيوس حسنون مطران القدس .
- ٣٣- قورلس مطران كفرطاب من دوير .
- ٣٤- فيلكسينوس اسقف بالنج من دير مار شينا .
- ٣٥- اغناطيوس مطران سروج من الجبل الاسود.
- ٣٦- طيمثاوس فريج الرهاوي مطران شمشاط وحصن منصور .
- ٣٧- اغناطيوس مطران ارشميشاط، رهاوي من حرصفتا .
- ٣٨- ايوانيس مرقس مطران ميافرقاط .
- ٣٩- طيمثاوس اسقف كلوديا، من دير مار برصوم.
- ٤٠- ايوانيس اسقف سجستان من حصن زياد.
- ٤١- ايوانيس مطران الرقة من دير عرنيش .
- ٤٢- ايوانيس اسقف قليسورا من دير مديق .
- ٤٣- اغناطيوس ابن السعيد مطران الرها من قلايتتا .
- ٤٤- باسيليوس اسقف جيحون من دير روماننا .

- ٤٥- باسيلوس بن عباس مطران ماردين من جبل الرها.
- ٤٦- ديونيسيوس اسقف الحصن من دير مار بحاي .
- ٤٧- ايوانيس اسقف حصن زياد من قلايتنا .
- ٤٨- اغناطيوس اسقف حران من قلايتنا .
- ٤٩- غريغوريوس اسقف كرشنا من دير البار .
- ٥٠- يوحنا مطران دمشق من عرنيش بدير مار برصوم .
- ٥١- يوحنا مطران راس العين وماردين بدير مار برصوم.
- ٥٢- باسيلوس مطران ميافرقاط في دير قنقرت .
- ٥٣- ديونيسيوس اسقف جوباس من دير سرجيسة .
- ٥٤- يوحنا مطران منبج من قلايتنا في قنقرت.
- ٥٥- يوحنا يوسف مطران ماردين نال شهرة كبيرة.
- ٥٦- فيلكسينوس اسقف كرشنا في كيسوم الاسود.
- ٥٧- طيمثاوس اسقف حازا في كيسوم .
- ٥٨- سمعان مطران انازربا في كيسوم .
- ٥٩- باسيلوس اسقف حصن زياد بدير مار برصوم.
- ٦٠- اغناطيوس اسقف عرقا من الدير نفسه.
- ٦١- يوحنا مطران سجستان من الدير نفسه.

خدم ٣٨ سنة. توفي في ٨ حزيران سنة ١٤٤٠. واودع جثمانه مدفون
كنيسة دير مار برصوم القديمة، حيث دفن البطريرك اثناسيوس الصلحي.

البطريـك يوحنا مودياتا رئيس دير الدوير . رسم في تل بشر ،
حضر رسامته الحاكم جوسلين وكبار رجاله ، وضع عليه اليد
المفريان ديونيسيوس . تمت رسامته يوم الاثنين ٧ شباط سنة
١٤٤٢ . رسم الاساقفة ادناه :

- ١- اثناسيوس مطران ميافرقاط من الدير الانطاكي .
- ٢- اثناسيوس مطران الرها من المدينة نفسها .
- ٣- باسيليوس ابو الفرج ابن شومنا مطران كيسوم .
- ٤- باسيليوس اسقف لاقبين ، من عرنيش عزل فيما بعد .
- ٥- ايوانيس اسقف ادنه من دير دوير .
- ٦- اثناسيوس اسقف صدد من دير مار متى .
- ٧- اثناسيوس اسقف انازربا من دير مار برصوم .
- ٨- ايوانيس اسقف يسبيرك من الدير نفسه .
- ٩- باسيليوس مطران آمد من دير القدس .
- ١٠- ديونيسيوس مطران دمشق من الرها .
- ١١- متى مطران سيمندو من دير بيت قنيا .
- ١٢- باسيليوس مطران ارزون من المنطقة نفسها .

خدم هذا البطريـك ٨ سنوات . توفي في دير دوير ، ووري جثمانه فيه .

البطريك اثناسيوس يشوع برقطري، شماس ملطية. رسم في مدينة آمد يوم الاحد ٤ كانون الاول سنة ١٤٥٠. وضع عليه اليد المفريان مار ديونيسيوس. رسم الاساقفة ادناه:

- ١- اغناطيوس مطران ملطية وهو ابن اخت البطريك .
- ٢- اغناطيوس رومنس مطران القدس راهب من دير ملطية .
- ٣- يوحنا مطران شمشاط من جبل الرها .
- ٤- اغناطيوس اسقف حلب من جبل الرها .
- ٥- المفريان اغناطيوس من سرجيسة في عين مار هرون .
- ٦- قورلس اسقف سروج من دير ابو لهوري بملطية.
- ٧- فيلكسينوس اسقف مرعش من ملطية .
- ٨- ايوانيس اسقف كيسوم من مديق سكرتير البطريك.
- ٩- طيمثاوس يوسف اسقف جرجر الذي سقط .
- ١٠- فيلكسينوس اسقف كفرطاب من دوير في كيسوم .
- ١١- يوحنا اسقف قليسورا من ملطية دير مار برصوم.
- ١٢- ايوانيس اسقف لاقبين من دير سرجيسة .
- ١٣- ايوانيس مطران الرقة من مدينة آمد .
- ١٤- باسيليوس اسقف كلوديا من مديق .
- ١٥- ايوانيس اسقف حصن زياد من مقرونا تلميذ البطريك .
- ١٦- باسيليوس مطران سيمندو من دير هرون بالجبل المبارك .
- ١٧- طيمثاوس اسقف ارشميشاط من دير مديق .
- ١٨- يوحنا اسقف طورعبددين من دير قرتمين .
- ١٩- اغناطيوس اسقف تل ارسينوس من دير سرجيسة.
- ٢٠- ديونيسيوس اسقف مرعش وهو يعقوب المنطقي. انتقل الى آمد.
- ٢١- سمعان مطران ارزون دير مار حنانيا .

- ٢٢-اغناطيوس اسقف عرقا من دير مار لعازر .
- ٢٣-ايوانيس موسى اسقف حانه من دير حنانيا بملطية.
- ٢٤-طيمثاوس اسقف حران من دير عزرون بسر جيس .
- ٢٥-ايوانيس اسقف جيجون ابن اخي الشيخ وكان الشيخ مازال حيا.
- ٢٦-يوحنا مطران حمام بدير مار برصوم. كان فاضلا جدا .
- ٢٧-اغناطيوس مطران آمد من دير مادو .
- ٢٨-ايوانيس جبرائيل اسقف ارشميشاط .
- ٢٩-اغناطيوس اسقف طورعدين من المنطقة نفسها .
- ٣٠-ديونييسيوس اسقف لاقبين من ملطية. تركها فيما بعد.
- ٣١-طيمثاوس اسقف جوباس ابن اخي الشيخ الذي رسمه في حياته .
- ٣٢-باسيليوس اسقف مرعش من دير البارد.
- ٣٣-المفريان يوحنا رئيس دير مار يعقوب في جبل الرها .
- ٣٤-طيمثاوس اسقف كرشنا من المنطقة نفسها .

خدم ٢٧ سنة و ٧ اشهر. انتقل يوم الخميس ١٤ تموز ١٤٧٧، دفن يوم الجمعة، عيد مار بحاي، حيث اودع جثمانه الطاهر ضريح كنيسة دير مار برصوم القديمة، حيث يرقد اثناسيوس الصلحي واثناسيوس الأمدي، واثناسيوس هذا برقطري. صلاته معنا.

(البطريك ميخائيل)

ميخائيل

أقول صدقا لا تواضعا. اني لا استحق درجة البطريركية المقدسة حتى ولا الاسم. لكن هي احكام الله غير المدركة وعنايته الالهية. فقد عقد المجمع المقدس في دير مار برصوم، حضره المفريان مار يوحنا، ومار باسيليوس مطران الرها ورئيس المجمع، ومار باسيليوس مطران جيجون، ومار ديونيسيوس مطران جوباس، ومار اثاسيوس مطران انازربا، ومار اغناطيوس مطران ملطية، ومار يوحنا مطران شمشاط، ومار ايوانيس مطران كيسوم، ومار باسيليوس مطران كلوديا، ومار يوحنا مطران قرتمين، ومار اغناطيوس مطران البيرة، ومار ديونيسيوس الملفان، ومار سمعان مطران أرزون، ومار اغناطيوس مطران طور عبيدين، ومار اغناطيوس مطران عرقا، ومار ديونيسيوس مطران لاقبين، ومار طيمثاوس اسقف حران، ومار ايوانيس الشاب اسقف جيجون، ومار ايوانيس مطران بيت رومنا، ومار ايوانيس مطران نصيبين، ومار يوحنا مطران قليسورا، ومار ايوانيس مطران الرقة، ومار باسيليوس مطران مرعش.

تمت الرسامة يوم الثلاثاء ١٨ تشرين الاول سنة ١٤٧٨ .
رسم الاساقفة ادناه

- ١- يوحنا مطران دمشق، رسم في القدس لتكون البداية من هناك. رسم يوم احد القيامة بحضور ٤ اساقفة .
- ٢- يوحنا مطران طرسوس، من دوير .
- ٣- اثاسيوس مطران انازربا .

- ٤- يوحنا اسقف ارشميشاط، سكرتير المرحوم البطريرك رسم في انطاكية .
- ٥- اغناطيوس ابو غالب مطران ميافرقاط من دير مار برصوم .
- ٦- فيلكسينوس مطران منبج من كاسليود رسم في الدير .
- ٧- ايوانيس ثاودور مطران شميشاط، وهو ابن اخ اندراوس .
- ٨- طيمثاوس قسطنطين اسقف لاقبين رئيس دير مار هرون في شجر .
- ٩- اغناطيوس برصوم اسقف تل ارسينوس رئيس دير سرجيسة .
- ١٠- ايوانيس اسقف سيبيرك، من دير هرون في الجبل المبارك، رسم في دير مار حنانيا بمرعش .
- ١١- اثناسيوس ابو غالب اسقف جيجون متوحد شيخ .
- ١٢- اثناسيوس اسقف الرها، وهو الربان دنحا من الرها .
- ١٣- باسيليوس يوحنا المتوحد اسقف رعين .
- ١٤- غريغوريوس اسقف كيسوم من جبل الرها .
- ١٥- ابراهيم مطران آمد، من المدينة نفسها .
- ١٦- طيمثاوس اسقف كلوديا، رئيس دير مديق .
- ١٧- ايوانيس اسقف كيسوم من دير الصليب بطورعبدین .
- ١٨- يوحنا مطران الرقة من دير الشميشاطيين بمنطقة ماردين .
- ١٩- يوحنا سمعان اسقف ارشميشاط من دير مار هرون في الجبل المبارك .
- ٢٠- باسيليوس مطران سيمندو من الدير نفسه .
- ٢١- ايوانيس اسحق اسقف طورعبدین من دير برصوم .
- ٢٢- باسيليوس مطران سجستان تتقف في القلاية البطريركية .
- ٢٣- ديونيسيوس مطران حمص من دير مار حنانيا .
- ٢٤- يوحنا اسقف شليدين من دير مار برصوم .
- ٢٥- ابراهيم مطران آمد من دير شلبا سقط في ضلال ابن وهبون .
- ٢٦- اثناسيوس مطران القدس ابن اخي بالجسد .
- ٢٧- ديونيسيوس مطران بيروا، وهو الراهب مبارك الرهاوي .

- ٢٨- يوحنا اسقف حصن زياد وهو يشوع الكاتب من طور عبيدين .
- ٢٩- اغناطيوس مطران ميفرقاط . من دير مار برصوم .
- ٣٠- ديونيسيوس مطران ملطية وهو غريغوريوس بن سمعان
- ٣١- باسيليوس اسقف حصن زياد من دير الحصن .
- ٣٢- ايوانيس اسقف آمد، من دير هرون رسم في ملطية .
- ٣٣- ايوانيس اسقف رعبن من تل ارسينوس من دير مديق .
- ٣٤- اغناطيوس اسقف لاقبين، دعي من قلايتنا .
- ٣٥- اغناطيوس اسقف حران، نقل الى دمشق فاسلم في فترة اضطهاد القدس وهرب الى مصر .
- ٣٦- اسطيفان مطران سجستان، وهو اسطيهان رئيس الدير .
- ٣٧- باسيليوس اسقف بيرة جرجر، من القلاية البطريركية .
- ٣٨- باسيليوس سيمون مطران الرقة راهب من كورة انطاكية .
- ٣٩- غريغوريوس رئيس اساقفة تكريت اي مفريان . وهو يعقوب ابن اخي وابني الروحي، رجل عالم دعي من قلايتنا رسم سنة ١٥٠٠ بحضور خمسة اساقفة .
- ٤٠- اغناطيوس اسقف مرعش من دير كاسليود .
- ٤١- ايوانيس اسقف قليسورا، وهو ابن قانون الذي انتقل فيما بعد الى ملطية .
- ٤٢- يوحنا سوريانا اسقف ماردين سقط فيما بعد وشخص الى القسطنطينية وصار خلقيدونيا .
- ٤٣- طيمثاوس اسقف كلوديا من دير مديق .
- ٤٤- ايوانيس اسقف قيصرية قبادوقية وهو الراهب دميان من دير رومنه .
- ٤٥- ايوانيس ميخا مطران آمد، دعي من دير مار برصوم .
- ٤٦- يوحنا مطران دمشق، وهو الراهب غريغوريوس الانطاكي .
- ٤٧- اغناطيوس اسقف جوباس من دير مقرونا .
- ٤٨- باسيليوس مطران الرها، فارس قمة الجبل .
- ٤٩- باسيليوس اسقف حلب، وهو قسطو رئيس دير أبي غالب .

- ٥٠- فيلكسينوس برصوم اسقف رومنه .
- ٥١- غريغوريوس اسقف كلوديا من دير مديق .
- ٥٢- اغناطيوس مطران القدس، وهو سهدو رئيس الدير .
- ٥٣- باسيليوس اسقف قليسورا من الدير في الجبل المبارك .
- ٥٤- ديونيسيوس اسقف جيجون من دير البارذ .
- ٥٥- ايوانيس اسقف حمص من دير ابي غالب وهو يوسف الآمدى .

انتهت جداول الاساقفة الذين رسمهم كل واحد من البطاركة، والمناطق التي رسموا لها. من يقرأ فليصل من اجل ميخائيل الخاطئ

اسماء رؤساء الكهنة الذين قاموا في القدس

- ١- يعقوب اخو الرب، ٣ سنوات
- ٢- يوسف بن قليوفا، ٥ سنوات
- ٣- زكا، سنتان
- ٤- طوبيا، ٣ سنوات
- ٥- بنيامين، سنة واحدة
- ٦- يوحنا، ٣ سنوات
- ٧- ماتياس، ٧ سنوات
- ٨- يوسطس، ٥ سنوات
- ٩- فيلبس، ٧ سنوات
- ١٠- يوسطس، سنة واحدة
- ١١- افرام، وهو افريس، ٣ سنوات
- ١٢- لاوي، ٤ سنوات
- ١٣- يوسف، سنتان

١٤- يهوذا، سنة واحدة (جميع هؤلاء كانوا من اهل الختان، واستمرت
فترتهم حتى خراب القدس)

١٥- مرقس، من الامم

١٦- فاسينوس، ٣ سنوات

١٧- مكسيموس، ٥ سنوات

١٨- يوليانس، ٦ سنوات

١٩- غايوس، سنتان

٢٠- سومكس، ٤ سنوات

٢١- غايوس، ٢٤ سنة

٢٢- يوليانس آخر، سنتان

٢٣- قافيطون، ١٨ سنة

٢٤- مكسيمانس، ٨ سنوات

٢٥- انطونينوس، ١٠ سنوات

٢٦- واليس

٢٧- قلوبيانس

٢٨- نرقيسوس

٢٩- دايوس

٣٠- جر ماليون

٣١- كورديانس

٣٢- نرقيسوس، هو هو

٣٣- انطونينوس

٣٤- واليس

٣٥- ماسيوس، ٤ سنوات

٣٦- الكسندر

٣٧- مزخانيس

٣٨- هومانوس

٣٩- أبادوس

- ٤٠-ارمون
- ٤١-يهوذا،حضر مجمع الـ ٣١٨ في أيام قسطنطين
- ٤٢-مقريس
- ٤٣-مكسيمانوس، سملت عينه خلال
- ٤٤-قورلس، الذي طرده الاريوسيون
- ٤٥-ارسانايوس الاريوسي
- ٤٦-الرنانوس الاريوسي
- ٤٧-قورلس، حضر مجمع الـ ١٥٠
- ٤٨-براو الوس
- ٤٩-يوبينيلوس، سقط في الخلقيدونية
- ٥٠-القديس ثاودوسيوس الذي خنقه الخلقيدونيون
- ٥١-انسطاس
- ٥٢-مرطور يوس
- ٥٣-سالسطينس، هنا انشق اسقف رومية
- ٥٤-اليوس الذي طرد، بعده لم يقم اسقف للارثوذكس، حتى ظهور
الاسلام وحكمهم
- ٥٥-قورلس
- ٥٦-ارميا
- ٥٧-توما
- ٥٨-يوحنا
- ٥٩-فيلكسينوس
- ٦٠-طيمثاوس
- ٦١-ايوب
- ٦٢-اغناطيوس
- ٦٣-يوسف
- ٦٤-يوحنا
- ٦٥-قورلس

- ٦٦- قۇياقس
٦٧- ساويرا
٦٨- يوسف
٦٩- ئاودورس
٧٠- قورلس
٧١- ارميا
٧٢- توما
٧٣- يوحنا
٧٤- فيلكسينوس
٧٥- زكريا
٧٦- توما
٧٧- طيمثاوس
٧٨- يوحنا
٧٩- قورلس
٨٠- داود
٨١- اغناطيوس
٨٢- اغناطيوس
٨٣- اغناطيوس
٨٤- اثناسيوس
٨٥- اغناطيوس

اسماء رؤساء الكهنة الذين قاموا في الرها

١ - ادى	٣٨ - اماهن
٢ - اجي	٣٩ - يعقوب
٣ - فالوط	٤٠ - اسيفانس
٤ - عبشما	٤١ - سويريوس
٥ - ابن الاعمى	٤٢ - سر جيس
٦ - تير	٤٣ - ثاودورس
٧ - برني	٤٤ - بولس
٨ - شلولا	٤٥ - يونان
٩ - عبدا	٤٦ - اشعيا
١٠ - كورا	٤٧ - شمعون
١١ - عبدا	٤٨ - جبرائيل
١٢ - ايزني	٤٩ - طبريوس
١٣ - استاسب	٥٠ - يعقوب المنطقي
١٤ - علفي	٥١ - حبيب
١٥ - قونا	٥٢ - قسطنطين
١٦ - شاعوث	٥٣ - زكريا
١٧ - ايالاها	٥٤ - زكريا
١٨ - ابراهيم	٥٥ - باسيليوس
١٩ - أقلوج	٥٦ - ثاودورسيوس
٢٠ - رابولا	٥٧ - قورلس
٢١ - ايثالاها	٥٨ - بنيامين ربان
٢٢ - حبسي	٥٩ - ايليا
٢٣ - برني	٦٠ - قسطنطين

٢٤ - ابراهيم	٦١ - ثاودوسيوس
٢٥ - برسا	٦٢ - ديوسقورس
٢٦ - اولوغس	٦٣ - طيمثاوس
٢٧ - قورا	٦٤ - فيلكسينوس
٢٨ - سيلونا	٦٥ - ابراهيم
٢٩ - فقيدا	٦٦ - فيلكسينوس
٣٠ - يوجينس	٦٧ - اغناطيوس
٣١ - رابولا	٦٨ - اثناسيوس
٣٢ - هيبا الهرطوقي	٦٩ - اثناسيوس
٣٣ - نوتا	٧٠ - باسيليووس
٣٤ - قوروس	٧١ - اثناسيوس
٣٥ - بطرس	٧٢ - باسيليووس
٣٦ - بولس	٧٣ - اثناسيوس
٣٧ - اسليف	٧٤ - باسيليووس

اسماء رؤساء الكهنة الذين قاموا في آمد

١ - لاونطيوس	٢٦ - اغناطيوس
٢ - او طرايوس	٢٧ - ديونييسيوس
٣ - اقسوس	٢٨ - ايوانيس
٤ - ماما	٢٩ - ايوانيس
٥ - دومطيانس، بعد فترة طويلة	٣٠ - اغناطيوس
٦ - توما	٣١ - حبيب
٧ - حزقيال	٣٢ - ماما
٨ - غريغوريوس	٣٣ - دومطيانس

- ٩- هرون
 ١٠- دانيال
 ١١- حزقيال
 ١٢- ايليا
 ١٣- يوحنا
 ١٤- غريغوريوس
 ١٥- ايوانيس
 ١٦- ايليا
 ١٧- حزقيال
 ١٨- اغناطيوس الساعي
 ١٩- ايوانيس
 ٢٠- اغناطيوس
 ٢١- يوحنا
 ٢٢- اغناطي
 ٢٣- يوحنا
 ٢٤- ديونيسيوس
 ٢٥- ايوانيس
 ٣٤- موسى
 ٣٥- اغناطيوس
 ٣٦- ايوانيس
 ٣٧- اغناطيوس
 ٣٨- يوسف
 ٣٩- اغناطيوس
 ٤٠- طيماتاوس
 ٤١- يوحنا
 ٤٢- باسيليوس
 ٤٣- اغناطيوس
 ٤٤- باسيليوس
 ٤٥- اثناسيوس
 ٤٦- اغناطيوس
 ٤٧- ديونيسيوس المنطقي
 ٤٨- ابرها
 ٤٩- ابراهيم
 ٥٠- ايوانيس الذي حرم
 ٥١- ايوانيس

اسماء رؤساء الكهنة الذين قاموا في تكريت بعد استشهاده بابي

- | | |
|-------------------------------|------------------|
| ١٤- اثناسيوس | ١- كرماي |
| ١٥- توما | ٢- ماروثا |
| ١٦- دنحا | ٣- خريسطفورس |
| ١٧- باسيلوس | ٤- يوحنا |
| ١٨- قرياقس | ٥- دنحا |
| ١٩- اغناطيوس الذي اسلم (وتاب) | ٦- باكوس |
| ٢٠- اثناسيوس | ٧- يوحنا الكيوني |
| ٢١- باسيلوس | ٨- شربل |
| ٢٢- يوحنا | ٩- شمعون |
| ٢٣- ديونيسيوس | ١٠- باسيلوس |
| ٢٤- اغناطيوس | ١١- توما |
| ٢٥- يوحنا | ١٢- ملكيصادق |
| ٢٦- غريغوريوس المنطقي | ١٣- سرجيس |
| ٢٧- غريغوريوس المنطقي | |

الفهرس

- ١ - مقررات مجمع قالينيقوس.
- ٥ - رسالة تنصيب (سوطاطيقون).
- ٧ - الأحداث التي جرت في دولة المسلمين والروم والكنيسة.
- ١٢ - بدء حكم ثاوفيك ملك الروم.
- ٢١ - الفساد الذي زرعه المتمردون في مصر في عهد المأمون.
- ٢٨ - الأحداث التي جرت في الكنيسة ومعارضة فيلكسينوس أسقف نصيبين.
- ٣٥ - الأحداث التي جرت في عهد ثلاثة ملوك.
- ٣٩ - غزو ثاوفيلس ملك الروم لأرمينيا الصغرى، وما جرى من أحداث في الكنيسة والمسيح الدجال.
- ٤٤ - الأخبار التي دونها البطريرك ديونيسيوس عن زيارته مصر.
- ٤٩ - وفاة المأمون.
- ٥٤ - حملة ثاوفيلس على بلاد المسلمين، النزاع الذي نشب بين نساطرة بغداد و الخلقيدونيين في أنطاكية.
- ٦١ - هدم مدينة المورين المؤلم.
- ٦٨ - نص الاحتجاج والالتماس الذي قدمه الطوباوي مار ديونيسيوس في ختام كتابه، ووفاته.
- ٧٩ - إيضاح.
- ٨٤ - حكم ملكي الروم باسيل ولاون، وحكم المهدي خليفة العرب.
- ٨٨ - بدء حكم رومانوس ملك الروم.

- ٩٤ - حكم قسطنطين وخليفته رومنوس.
- ٩٩ - مغادرة الشعب الأرمني أرمينيا الى قبادوقية.
- ١٠٣ - البطريرك القديس مار يوحنا بن عبدون الذي نفاه الخلقيدونيون الى القسطنطينية.
- ١١٤ - نهاية حياة رومنوس.
- ١١٦ - المقال الرابع عشر الأترك.
- ١٢٠ - خروج الأترك واستيلائهم على فارس وآثور وأرمينيا وسورية وفلسطين وقيليقية ومصر.
- ١٢٣ - كيفية خروجهم من موطنهم.
- ١٢٥ - وحدة العقيدة بين الأترك والعرب المسلمين.
- ١٢٧ - المقال الخامس عشر.
- ١٣٤ - صعود الأترك الى منطقة قبادوقية - وبناء سور ملطية والصراع بين الخلقيدونيين والأرثوذكس.
- ١٣٨ - حكم رومنوس واندحاره أمام الأترك.
- ١٤١ - حكم ميخائيل بن قسطنطين ملك الروم.
- ١٤٤ - تولي أمراء الأترك الحكم ومعارضة الأساقفة لعبدون.
- ١٤٧ - حكم الكس ملك الروم وتدهور أحوال الكنيسة.
- ١٥٠ - قصة إنشاء دير فسقين.
- ١٥٢ - زيارة البطريرك أثناسيوس للخليفة في بغداد.
- ١٥٦ - سيطرة الأترك على ملطية للمرة الأولى.
- ١٦٠ - حصار ملطية الثاني.
- ١٦٣ - اشتداد الضيق على ملطية بعد وفاة السلطان، وتدهور الأحوال البيعية.
- ١٦٧ - دمار مرعش بالزلازل وظهور جماعة من الأرمن، باسيل اللص وتادرس.
- ١٦٩ - قصة الفرير الأخوه الأفرنج.

- ١٧٣ - بدء حكم ايواني بن الكس ملك الروم، وسبي منطقة البيرا وخضوع القومنين لليونان.
- ١٨٠ - التمرد الذي جرى في حصن زياد، وموت بالق.
- ١٨٤ - ماكتب عن نجم الدين الارتكي الذي حكم حلب قبل بالق.
- ١٨٩ - المقال السادس عشر حصار ملطية.
- ١٩٣ - انتزاع الأفرنج مدينة صور مع ساحل البحر من العرب المصريين.
- ١٩٧ - مصرع موند صاحب أنطاكية ووفاة أثناسيوس بطريك أنطاكية.
- ٢٠٠ - مغادرة زنكي بغداد وتوليته الحكم في الموصل، وتنصيب البطريرك يوحنا.
- ٢٠٤ - وفاة جوسلين الأول وقيام ابنه جوسلين.
- ٢٠٨ - موت بغدوين ملك القدس.
- ٢١١ - المجزرة التي حدثت في دمشق، والحرب بين السلاطين.
- ٢١٦ - ماجرى من أحداث بين ملوك العالم.
- ٢٢٠ - وفاة سلطان خرسان، وحملة ابنه على مابين النهرين ورسامة البطريرك مار أثناسيوس.
- ٢٢٥ - وفاة الملك محمد ووفاة ايواني ملك يونان.
- ٢٣١ - المقال السابع عشر.
- ٢٣٣ - نكبة جلاء الرها مدينة المسيحيين.
- ٢٣٨ - الأحداث التي جرت بين ملوك الأرض وفي الكنيسة الأرثوذكسية.
- ٢٤٢ - مصرع زنكي.
- ٢٤٥ - خراب الرها الثاني.
- ٢٥٢ - أشاعة أن الشياطين بني اليونان.

- ٢٥٦ - قصة الرها بقلم مطرانها مار باسيليوس.
- ٢٥٩ - تولي طوروس الحكم في قيليقية.
- ٢٦٢ - غزو جوسلين لدير مار برصوم سنة ١٤٥٩.
- ٢٦٨ - مصرع صاحب أنطاكية وبغدوني وارغس انغد صاحب كيسوم.
- ٢٧٣ - سيطرة الأتراك على المناطق التي كانت تحت نفوذ الأفرنج وسقوط جوسلين وكيفية عودة يمين مار برصوم الى الدير.
- ٢٧٧ - بعد سطو جوسلين واستيلاء الأتراك على كافة المناطق.
- ٢٨١ - الكنيسة التي أنشئت بأسم مار برصوم.
- ٢٨٣ - قصة الأعجوبة التي صنعها القديس مار برصوم في أنطاكية سنة ١٤٦٢.
- ٢٨٥ - وفاة دولة صاحب ملطية والخلافات التي حدثت بين المفريان أغناطيوس ورعيته.
- ٢٨٩ - انتزاع الفرنج عسقلان من المصريين.
- ٢٩٤ - تولي بوهيموند بن بيدوي الحكم في أنطاكية، ووفاة يعقوب والمفريان أغناطيوس.
- ٢٩٨ - وفاة حاكم الموصل وخليفة بغداد، ونهب دير مار متى، وعقد مجمع دير مار حنانيا.
- ٣٠١ - محاربة نور الدين لمدينة الموصل.
- ٣٠٥ - مجيء السلطان قليغ أصلان الى ملطية.
- ٣١٠ - مقتل اسماعيل حاكم قبادوقية وقيام عمه ذنون، وظهور نور الدين وتفشي المجاعة.
- ٣١٤ - وفاة نور الدين والملك امري، ووفاة الجاثليق نرسييس.
- ٣١٧ - المقال العشرون: زوال الرئاسة من آل طونشمان في

- قبادوقية وتولي سلطان ايقونية الحكم فيها.
- ٣٢٢ - مقتل أمير ملطية، ومقتل مطران طورعبدین وصلاح الدين المصري الذي حكم العربية.
- ٣٢٦ - خروج صلاح الدين من مصر وتوليه الحكم في دمشق وتحرير الأفرنج المعتقلين في حلب.
- ٣٣٠ - وفاة نجم الدين حاكم ماردين، وقيام الحرب بين السلطان ميغرسلان ومانوئيل ملك اليونان.
- ٣٣٢ - هزيمة مانوئيل ملك اليونان أمام السلطان ميغرسلان.
- ٣٣٦ - تولي السلطان ميغرسلان الحكم في ملطية
- ٣٣٨ - خروج صلاح الدين من مصر الى فلسطين وهزيمته امام الأفرنج وهروبه الى مصر.
- ٣٤٢ - الحج للقدس.
- ٣٤٤ - المقال الحادي والعشرون: وفاة مانوئيل ملك اليونان.
- ٣٥٢ - وفاة حكام بين النهرين الأتراك بصورة فجائية، ومجيئ السلطان الى ملطية، واحتراق دير مار برصوم.
- ٣٥٨ - تولي اسحق حاكم اليونان.
- ٣٦١ - زعم المنجمين بقيام عاصفة تقضي على المسكونة برمتها.
- ٣٦٦ - الحروب التي دارت بين الآكراد والأتراك، وانعكاسها.
- ٣٧٠ - انتزاع صلاح الدين سلطان مصر، القدس من الأفرانج واخضاعها للمسلمين.
- ٣٧٤ - غيرة الشعوب الأفرنجية الوافدة من إيطاليا، على القدس.
- ٣٧٨ - وفاة كل من ملك الأتراك ميغرسلان سلطان بيثونية قبادوقية وأرمينيا الصغرى.
- ٣٨٢ - الممالك الأرامية القديمة أي بنو آرام الذين سُموا

سريانا أي أبناء سورية.

- ٣٨٨ - أسماء الملوك ورؤساء الكهنة الأرمن كما هي مدونة في كتبهم.
- ٤٠١ - يذكر يعقوب الرهاوي قيام تسعة ملوك من الشعب الأرمني قبل دولة الفرس الآخيرة.
- ٤٠٢ - أسماء جثالقة النساطرة
- ٤٠٧ - أسماء البطارقة الذين قاموا في كنيستنا الأرثوذكسية
- ٤١٤ - البطريرك ديونيسيوس المعروف بالتمحري وأسماء الأساقفة والكهنة الذين رسموا على يده.
- ٤١٩ - البطريرك يوحنا من دير مار زكى في الرقة
- ٤٢٣ - البطريرك أغناطيوس من دير حرنا.
- ٤٢٥ - البطريرك ثاودوسيوس من دير قرتمين.
- ٤٢٧ - البطريرك ديونيسيوس من دير بيت باتين حران.
- ٤٣٠ - البطريرك يوحنا من دير العمود في قورزحيل.
- ٤٣٢ - البطريرك باسيليوس من دير سفولوس.
- ٤٣٤ - البطريرك يوحنا من متوحدى الجبل الأسود.
- ٤٣٧ - البطريرك ايوانيس من دير العمود في قورزحيل.
- ٤٣٨ - البطريرك ديونيسيوس من دير قرتمين.
- ٤٣٩ - البطريرك يوحنا المعروف بـ (ذو الحصيرة).
- ٤٤٢ - البطريرك أثناسيوس الصلحي من دير مار هرون.
- ٤٤٤ - البطريرك يوحنا بن عبدون المتوحد في الجبل الأسود من ملطية.
- ٤٤٧ - البطريرك ديونيسيوس يحيى رئيس دير لعازر بمنطقة ملطية.
- ٤٤٩ - البطريرك يوحنا من دير برجاجي وهو ابن أخ البطريرك بن عبدون.
- ٤٥١ - البطريرك أثناسيوس عائش.

- ٤٥٢ - البطريرك يوحنا بن شوشان الملطي.
- ٤٥٣ - البطريرك باسيلئوس من دير مار برصوم.
- ٤٥٤ - البطريرك يوحنا عبدون والبطريرك ديونئسيوس
لعازر رئيس دير مار برصوم. البطريرك ايوانئس
يوحنا المتوحد من منطقة. كرشنا.
- ٤٥٥ - البطريرك ديونئسيوس مرقس رئيس دير البار.
- ٤٥٦ - البطريرك أثناسئوس ابو الفرج الآمدي.
- ٤٥٩ - البطريرك يوحنا موديانا رئيس دير الدوير.
- ٤٦٠ - البطريرك أثناسئوس يشوع برقطرى شماس ملطية.
- ٤٦٢ - البطريرك ميخائيل.
- ٤٦٥ - أسماء رؤساء الكهنة الذين قاموا في القدس.
- ٤٦٩ - أسماء رؤساء الكهنة الذين قاموا في الرها.
- ٤٧٠ - أسماء رؤساء الكهنة الذين قاموا في آمد.
- ٤٧٢ - أسماء رؤساء الكهنة الذين قاموا في تكريت بعد
استشهاد بابي.

✠ منشورات دار الرها - ماردين ✠

(١) سلسلة التراث السرياني:

- ١- المؤلف المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية (ط ٥ و ٦):
تأليف : البطريك مار اغناطيوس
أفلام الاول برصوم.
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم.
- ٢- الرها المدينة المباركة (ط ١):
تأليف : اريك سيغال.
ترجمة : يوسف ابراهيم جبرا.
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم.
- ٣- صوت نينوى وآرام:
تأليف : المطران اسحق ساكا.
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم.
- ٤- الايام الستة (ط ١):
تأليف : مار يعقوب الرهاوي.
ترجمة : المطران صليبيا شمعون.
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم.
- ٥- بيت كازو بالنوطة (ط ١ و ٢):
صوت : البطريك مار اغناطيوس
يعقوب الثالث.
تنويط : نوري اسكندر.
اعداد وتقديم : المطران يوحنا ابراهيم.
- ٦- منارة انطاكية السريانية:
تأليف : البطريك مار اغناطيوس
أفلام الاول برصوم.
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم.
- ٧- قصائد مار يعقوب السروجي:
ترجمة : مار ملاطيوس برنابا.
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم.

- ٨- فهارس مخطوطات دير مار مرقس.
- ٩- فهارس مخطوطات دير الزعفران.
- ١٠- فهارس مخطوطات سريانية.
تأليف : مار فيلكسينوس يوحنا دولباني.
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم.
- ١١- اللباب (قاموس سرياني - عربي):
تأليف : الاباتي جبرائيل القرداحي.
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم.
- ١٢- قاموس عربي - سرياني:
تأليف : القس ميخائيل مراد.
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم.
- ١٣- منارة الأقداس:
تأليف : مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري.
ترجمة : مار ديونيسيوس بهنام ججاوي.
تقديم : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم.
- ١٤- تاريخ مار ميخائيل الكبير ج ١
- ١٥- تاريخ مار ميخائيل الكبير ج ٢
- ١٦- تاريخ مار ميخائيل الكبير ج ٣
ترجمة : مار غريغوريوس صليبيا شمعون.
تقديم : مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم.

(٢) سلسلة دراسات كتابية:

- تأليف : د. موريس تاوضروس
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم
- ١- المدخل الى العهد الجديد (٣ أجزاء)
- ٤- دراسات لاهوتية ولغوية في العهد الجديد.
- ٥- المدلولات اللاهوتية والروحية
لكلمات الانجيل.
- ٦- اللوغوس في كتاب العهد الجديد.

(٣) كتب أخرى:

- ١- برو أورينتي - الكتاب الأول:
ترجمة : ميشيل أزرق.
مراجعة : المطران يوحنا ابراهيم.
- ٢- برو أورينتي - الكتاب الثاني:
ترجمة : د. فائز اسكندر.
مراجعة : المطران يوحنا ابراهيم.
- ٣- القافلة الاخيرة:
تأليف : يوسف نامق.
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم.
- ٤- أزخ - أحداث ورجال:
تأليف: يوسف القس و د. الياس هدايا.
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم.
- ٥- تشاك:
تأليف : غطاس مقدسي الياس.
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم.
- ٦- العروبة والاسلام:
تأليف : د. جورج جبور.
- ٧- التحفة الروحية (ط ٨ و ٩ و ١٠):
تأليف : البطريرك أفرام برصوم.
- ٨- خدمة القديس:
اعداد : المطران يوحنا ابراهيم.

✠ ومن منشوراتنا أيضا ✠

- ### سلسلة دراسات سريانية
- ١- السريان وحرب الايقونات:
غريغوريوس يوحنا ابراهيم.
 - ٢- أهل الكهف في المصادر السريانية.
 - ٣- عقيدة التجسد الالهي.
اغناطيوس زكا الاول عيواص.
 - ٤- الممالك الآرامية:
غريغوريوس صليبيا شمعون.
 - ٥- السريان ايمان وحضارة (٥) أجزاء:
سويريوس اسحق ساكا.

- ٦- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية:
اغناطيوس أفرام الاول برصوم.
- ٧- جولة مع مخطوطات سريانية مبعثرة.
تأليف: يوسف القس عبد الأحد البحراني.
- ٨- كنيسة مار سمعان العمودي.
تأليف: عبد الله حجار.
- ٩- الحوار السرياني.
ترجمة : مارسيل الخوري طراحي.
- اعداد وتقديم : المطران يوحنا ابراهيم.

مؤلفات

مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم

سلسلة الله معنا:

- ١- عمانونيل. (ط ١ و ٢)
- ٢- الرجاء الصالح. (ط ١ و ٢)
- ٣- حمل الله. (ط ١ و ٢)
- ٤- الراعي الصالح. (ط ١ و ٢)
- ٥- نور العالم.
- ٦- خبز الحياة.

وله أيضاً:

- ١- حياة يسوع. (ط ١ و ٢)
- ٢- يشوع حبرن. (ط ١ و ٢)
- ٣- يشوع سبرن. (ط ١ و ٢)
- ٤- رفيق المؤمن. (ط ١ و ٢)
- ٥- صلوا لأجلنا. (ط ١ و ٢)
- ٦- مجد السريان.
- ٧- الموسيقى السريانية.

تحت الطبع

- ١- الكنوز - أيوب الرهاوي.
- ٢- الكنوز - مار سويريوس يعقوب البرطلي.
- ٣- تاريخ الأدب السرياني: روبنس دوفال.
- ٤- تاريخ الرهاوي المجهول بالعربية.
- ٥- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية.

SYRIAC PATRIMONY

منذها بالعهود بعيدا

التراث السرياني



16

سنة حلب وكنيسة لبنان مسكوكات تاريخ

مارميخائيل السرياني الكبير بطريك أنطاكية

الجزء الثالث

عربه عن السريانية

مارغريغوريوس صليباً شمعون

رئيس أساقفة الموصل وتوابعها

أعدّه وقدم له:

مارغريغوريوس يوحنا برهيم

متروبوليت حلب



١٩٩٦